الكشف عن حقيقة
الصوفية
لأول مرة في التاريخ

تأليف
محمود عبد الرؤوف القاسم

المجلد الثاني

المكتبة الإسلامية   دار النوادر القيمة

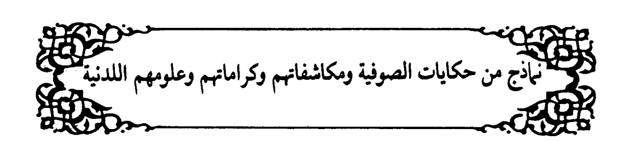
طبعة عام ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م

توزيع دار طيبة
مكة المكرمة هاتف ٥٥٨٩٠٢٧
الرياض هاتف ٤٢٥٣٧٣٧

مكتبة التوعية الإسلامية

المكتبة الإسلامية

ص.ب. (١١٣) الجبيهة - هاتف: ٨٤٢٨٨٧ - عمان - الأردن



نماذج من حكايات الصوفية ومكاشفاتهم وكراماتهم وعلومهم اللدنية

يا مُلَسْلَيْنْ يا بلَمعَيْنْ يا منعلهيْ يا ما نقول يا تعليميا يا فَوْأَيُسْ واجفر

حكـايـات الصـوفيـة وكراماتهم ومكاشفاتهم وعلومهم اللدنية هي بيان واضح كاف لكشف حقيقة الصوفية .

إنها لا تزيد عن كونها خليطاً من المعلومات الخرافية التي كان الناس يظنونها حقيقة ، ومن أوهـام غروريـة بعثتهـا أمـاني خرقاء ، وطموحات هذيانية قفزت فوق الدين والعقل والفطرة والواقع ، ومن رؤ ى ومسرحيات يضحك بها على أذقانهم خبثاء تلك المخلوقات التي ترانا ولا نراها ، والتي هي الجن .

ولنـترك حكـاياتهم وكراماتهم ومكاشفاتهم وعلومهم اللدنية ، لنتركها تتكلم بواقعها كما هي ، لأن واقعها أبلغ من كل كلام .

*** جبال قاف وكاف وعين وصاد :ـ**

مما يذكره أبو طالب المكي :

. . . قيـل لأبي يزيـد (البسطـامي) : بلغت جبـل قاف؟ فقـال : جبـل قاف أمْـره قريب ، الشأن في جبـل كاف وجبـل عين وجبـل صاد! قيـل : وما هذا؟ قال : هذه جبال

محيطة بالأرضين السفلى، حول كل أرض جبل بمنزلة جبل قاف المحيط بهذه الأرض الدنيا، وهو أصغرها، وهذه أصغر الأرضين، وقد كان أبو محمد يخبر أنه صعد جبل قاف ورأى سفينة نوح مطروحة فوقه، وكان يصفه ويصفها؛ وقال: لله عبد بالبصرة يرفع رجله وهو قاعد، فيضعها على جبل قاف[1]. . . اهـ.

● **الملاحظة:**

النص يبين بوضوح ما هو جبل قاف؛ وقد كان الناس يتوهمون صورة غير صحيحة للأرض؛ والآن عرف سطح الأرض، وعرفت مساحته بدقة، ولم يبق منه أي شيء مجهولاً، حتى قاع البحر، كل ذلك درس طوبوغرافيًّا وجيولوجيًّا وفيزيائيًّا وكيميائيًّا. . . والسؤال: أين يقع جبل قاف؟ ولم يكتف القوم بقاف، حتى أضافوا إليها كاف وعين وصاد، ثم إن القرآن الكريم يخبرنا عن سفينة نوح أنها استوت على الجودي، لا على جبل قاف، فهل كان الكشف أصدق من القرآن الكريم؟

لكن ما شأننا نحن؟ فالراوي هو أبو طالب المكي (القطب)، والمكاشف هو قطب أكبر. (وفي كل كشوفاتهم التي سنرى بعضها، تظهر القيمة التافهة لعلومهم اللدنية الجاهلة).

*** لا يشرب ولا ينام طيلة سنة كاملة:ـ**

مما يورده أبو طالب المكي وحجة الإسلام الغزالي وغيرهما:

قيل لأبي يزيد البسطامي: حدثنا عن رياضة نفسك في بدايتك؟ فقال: نعم، دعوت نفسي إلى الله، فجمحت عليَّ، فعزمت عليها أن لا أشرب الماء سنة ولا أذوق النوم! فوفت لي[2]!

ـ بدون مناقشة أو تعليق.

*** قصة بدون عنوان:ـ**

مما يرويه الحجتان، أبو طالب المكي وأبو حامد الغزالي وغيرهما:

---

(1) قوت القلوب: ٢ / ٦٩.

(2) قوت القلوب: ٢ / ٧٠، وإحياء علوم الدين: ٤ / ٣٠٤.

. . . حكي أن أبا تراب النخشبي كان معجباً ببعض المريدين، فكان يدنيه ويقوم بمصالحه، والمريد مشغول بعبادته ومواجدته؛ فقال له أبو تراب يوماً: لو رأيت أبا يزيد، فقال: إني عنه مشغول؛ فلما أكثر عليه أبو تراب من قوله: «لو رأيت أبا يزيد»، هاج وجد المريد فقال: ويحك، ما أصنع بأبي يزيد؟ قد رأيت الله فأغناني عن أبي يزيد! قال أبو تراب: فهاج طبعي ولم أملك نفسي، فقلت: ويلك، تغتر بالله عز وجل! لو رأيت أبا يزيد مرة واحدة كان أنفع لك من أن ترى الله سبعين مرة!! قال؛ فبهت الفتى من قوله وأنكره، فقال: وكيف ذلك؟ قال له: ويلك، أما ترى الله تعالى عندك فيظهر لك على مقدارك، وترى أبا يزيد عند الله قد ظهر له على مقداره، فعرف ما قلت[1]. . .

ـ لا يسعنا إلا السكوت الحزين أمام أمثال هذه المكاشفات الضلالية التي أوردها صاحبا «قوت القلوب» و «إحياء علوم الدين».

*** ومرة أخرى جبل قاف:ـ**

يقول أبو طالب المكي (وهو حجة عند القوم):

إن وليًّا لله خطا خطوة واحدة خمسمائة عام، ورفع رجله على جبل قاف والأخرى على جانب الجبل الآخر، فعبر الأرض كلها[2]. . .

● المناقشة:

محيط الأرض أربعون ألف كم، ونصف المحيط (أي عشرون ألف كم) هي أبعد مسافة بين نقطتين عليه، وعندما يتحدثون عن «مسافة خمسمائة عام» فإنهم يعنونها بسرعة القوافل في ذلك الوقت، وكانت سرعتها الوسطى (أو أقل من الوسطى) حوالي ٣٥ كم يوميًّا، حيث كانت تقطع في الشهر حوالي ألف كيلومتر، وبذلك يكون محيط الأرض حسب حساباتهم أربعين شهراً (فقط لا غير)، أي ثلاث سنوات وثلث، وتكون مسافة الخمسمائة عام أطول من نصف محيط الأرض بـ (٣٠٠) مرة على أقل تقدير، بل وأبعد من المسافة بين الأرض والقمر بـ (١٥) مرة، ولكن كشفهم يجهل هذه الحقائق، والسؤال يُترك للقارىء اللبيب مع التوكيد على أنهم يرون ذلك بالكشف وكأنه حقيقي.

---

(١) القوت: ٢ / ٧٠، والإحياء: ٤ / ٣٠٥. (٢) قوت القلوب: ٢ / ٧٠.

* إرم ذات العماد :-

يورد أبو طالب المكي نفسه :

. . . قيل لأبي يزيد : دخلت إرم ذات العماد؟ فقال : قد دخلت ألف مدينة لله في ملكه ، أدناها ذات العماد ، ثم عدد كلها : البيت وتاويل وتاريس وجابلق وجابرس ومسك . ولعل قائلاً يقول : فقد قال الله في وصفها : ﴿الَّتِي لَمْ يُخْلَقْ مِثْلُهَا فِي الْبِلَادِ﴾ . قيل : فإن معناه في بلاد اليمن ، لأنهم خوطبوا في بلادهم . . . فذات العماد مدينة عاد في اليمن بين أبتر والشحر ، يقال : لها سور له ألف باب ، ما بين البابين فرسخ ، مركبة على أعمدة الذهب والفضة والياقوت والزبرجد ، فيها مائة ألف عمود من ذلك . . . تجتمع في هذه المدينة طائفة من الأبدال ليالي الجمع وفي الأعياد . . . وقد كان سهل رحمه الله يزورها في كل جمعة[1] . . . .

● المناقشة :

الهذيان الجاهل واضح لا يحتاج إلى من ينبه عليه ، لكن يظهر أن كشفهم أجهل ما يكون في حساب المسافات ! ! لأن سوراً طوله ألف فرسخ كاف لتسوير اليمن كلها بما في ذلك أبتر والشحر ، ويبقى منه بقية ، ولكنه الكشف والعلم اللدني ! فلا تعترض .

* حتى أمر الساعة بيدهم :

يقول الحجتان ؛ المكي والغزالي :-

. . . ولما دخل الزنج البصرة ، فقتلوا الأنفس ، ونهبوا الأموال ، اجتمع إلى سهل إخوانه ، فقالوا : لو سألت الله تعالى دفعهم؟ فسكت . ثم قال : إن لله عباداً في هذه البلدة لو دعوا على الظالمين لم يصبح على وجه الأرض ظالم إلا مات في ليلة واحدة ! ولكن لا يفعلون . قيل : لِمَ؟ قال : لأنهم لا يحبون ما لا يحب ؛ ثم ذكر من إجابة الله لهم أشياء لا يستطاع ذكرها ، حتى قال : ولو سألوه أن لا يقيم الساعة لم يقمها[2] . . .

يعلق الغزالي «حجة الإسلام» على هذا الهذيان الضلالي بقوله :

---

(١) قوت القلوب : ٢ / ٧٠ .

(٢) قوت القلوب : ٢ / ٧١ ، والإحياء : ٤ / ٣٠٥

وهذه أمور ممكنة في أنفسها، فمن لم يحظ بشيء منها فلا ينبغي أن يخلو عن التصديق والإيمان بإمكانها، فإن القدرة واسعة، والفضل عميم، وعجائب الملك والملكوت كثيرة، ومقدورات الله تعالى لا نهاية لها، وفضله على عباده الذين اصطفى لا غاية له[1]. . .

● **الملاحظات:**

لا نستطيع التعليق على هذه القصة ولا على التعليق؟ فالقصة يرويها عملاقان من عمالقة التصوف، والتعليق يقدمه حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار؟؟ لكن إذا كان قوله: «لو سألوه ألا يقيم الساعة لم يقمها» بكل ما فيه من تطاول وضلال يُستطاع ذكره، فما هي الأشياء التي لا يستطاع ذكرها!؟ هي ولا شك أكبر بكثير وأضل بكثير ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم. لكنه الكشف والعلم اللدني والولاية، ولا تعترض.

* **دعوة إلى الذل والمهانة:**

يقول الحجتان نفساهما:

. . . وعن بعضهم أنه قال: أقلقني الشوق إلى الخضر عليه السلام، فسألت الله تعالى مرة أن يريني إياه ليعلمني شيئاً كان أهم الأشياء عليّ، قال: فرأيته، فما غلب على همي ولا همتي إلا أن قلت له: يا أبا العباس! علمني شيئاً إذا قلته حجبت عن قلوب الخليقة، فلم يكن لي فيها قدر، ولا يعرفني أحد بصلاح ولا ديانة؟ فقال: قل: «اللهم أسبل عليَّ كثيف سترك، وحطَّ عليَّ سرادقات حجبك، واجعلني في مكنون غيبك، واحجبني عن قلوب خلقك»، قال: ثم غاب فلم أره، ولم أشتق إليه بعد ذلك؛ فما زلت أقول هذه الكلمات في كل يوم. فحكى أنه صار بحيث يستذل ويمتهن، حتى كان أهل الذمة يسخرون به ويستسخرونه في الطرق يحمل الأشياء لهم لسقوطه عندهم، وكان الصبيان يلعبون به، فكانت راحته ركود قلبه واستقامة حاله في ذلك وخموله[2]. . .

- يعلق الغزالي «الإمام حجة الإسلام» على هذا فيقول: وهكذا حال أولياء الله

---

(1) الإحياء: ٤ / ٣٠٥.

(2) القوت: ٢ / ٧٣، والإحياء: ٤ / ٣٠٦.

تعالى، ففي أمثال هؤلاء ينبغي أن يطلبوا[1]. . .

ـ ونحن بدورنا نسأل الغزالي، ونسأل معه المكي قبله: ما معنى قوله تعالى: ﴿ولله العزةُ ولرسوله وللمُؤْمنين﴾؟ على أن الآية نفسها قدمت الجواب، فقالت: ﴿ولٰكنَّ المنافِقينَ لا يعلمونَ﴾.

وأمثال هذه الدعوة تفسر لنا سبب انحطاط المسلمين وما آل إليه أمرهم.

*** لا قيمة للصلاة والصيام في الآخرة:ـ**

يقول حجة الإسلام الهمام، بدر التمام، أبو حامد، بل أبو المحامد، الغزالي (بعد أن يتكلم على المقامات الصوفية):

. . . فالعلم بحدود هذه الأمور. . . هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة (أي الصوفية)، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة هالك بسيف سلاطين الدنيا، بحكم فتوى فقهاء الدنيا[2]. . .

● الملاحظات:

نجيب على الضلال السافر الملاحظ في هذا النص بما يلي:

١ ـ قوله عن العلم بالمقامات الصوفية: «هو فرض عين في فتوى علماء الآخرة»، هو تشريع، فنطالبه بالدليل من القرآن والسنة، ونرد عليه بقول الله سبحانه: ﴿أمْ لَهُم شركاءُ شَرَعوا لَهُم من الدينِ ما لَمْ يأْذَنْ بهِ الله﴾، ونقول له: هذا تشريع جريء جدًا، لم يأذن به الله، وهو شرك عظيم.

٢ ـ واضح كل الوضوح أن عبارة «الأعمال الظاهرة» يعني بها: الصلاة والصيام والحج والجهاد. . . وكل ما ظهر من الأعمال التكليفية، ويقرر «هذا الحجة» أن المعرض عنها هالك بسيف سلاطين الدنيا! أي إنه غير مؤاخذ عند الله! وهذا تكذيب للقرآن

---

(١) الإحياء: ٤ / ٣٠٦.

(٢) الإحياء: ١ / ١٩. وهذا المعنى يتكرر في الإحياء، انظر: ٤ / ١٨٣ و ١٨٤.

والسنـة، كما يقـرر أنـه هالـك بفتوى فقهاء الدنيا، أي إن علماء الآخرة (الصوفية) لا يرون فيها شيئاً! وهذا اعتراف بأن الصوفية لا يدينون بأوامر القرآن والسنة.

يكـ ر «حجة الإسلام» هذا المعنى في عدة مواضع في «إحيائه»، هذا واحد منها، وقد مر بعضها فيما سبق من نصوص، ويُترك الحكم للقارىء اللبيب.

* أذل من الكلب (ضعها في المقام المناسب): ـ

يورد الحجتان «إياهما»:

... روي أن ابن الكُرَيني، وهو أستاذ الجنيد، دعاه رجل إلى طعام ثلاث مرات، ثم كان يرده ثم يستدعيه، فيرجع إليه بعد ذلك، حتى أدخله في المرة الرابعة، فسأله عن ذلك؟ فقال: قد رُضْتُ نفسي على الذل عشرين سنة حتى صارت بمنزلة الكلب يُطرد فينطرد، ثم يُدعى فيرمى له عظم فيعود، ولو رددتني خمسين مرة ثم دعوتني بعد ذلك لأجبت!

وعنـه أيضـاً أنـه قال: نزلت في محلة، فعُـرفت فيهـا بالصـلاح، فشُتِّتَ عليَّ قلبي، فدخلت الحـمام، وعـدلت إلى ثياب فاخرة، فسرقتها ولبستها، ثم لبست مرقعتي فوقها، وخـرجت أمشي قليـلاً قليـلاً، فلحقـوني، فنـزعـوا مرقعتي وأخذوا الثياب، وصفعوني، وأوجعوني ضرباً، فصرت بعد ذلك أُعرف بلص الحمام، فسكنت نفسي[1]...

يعلق الغـزالي على هذا العمـل الـذي لا يمت إلى الإسـلام بأي صلة، فيقـول: «فهكذا كانوا يروضون أنفسهم حتى يخلصهم الله من النظر إلى الخلق، ثم من النظر إلى النفس، فإن الملتفت إلى نفسه محجوب عن الله تعالى (أي لا يستشعر الألوهية) وشغله بنفسه حجاب له[2]...

ـ ونجيبـه: إن هذا الأسلوب في ترويض النفس متبـع في الهنـدوسية وفي البوذية وفي الكهانة وفي السحر، والإسلام بريء منه.

---

(١) القوت: ٢ / ٧٤، والإحياء: ٤ / ٣٠٦. وتعزى قصة لص الحمام في القوت إلى مجهول، بينما تعزى في كتاب «نشر المحاسن الغالية» لليافعي إلى إبراهيم الخواص (مات في الري سنة ٢٩١هـ).

(٢) الإحياء: ٤ / ٣٠٦.

ومثل هذا التوجيه المنحرف يفسر لنا سبب ارتكاس الأمة الإسلامية في الدرك الذي تتخبط فيه، وسبب انحراف أبنائها عن المحجة البيضاء.

*** الطريق العجيب إلى الولاية العجيبة:**

يورد الحجتان نفساهما أيضاً:

. . . وحكي أن شاهداً عظيم القدر من أعيان أهل بسطام كان لا يفارق مجلس أبي يزيد، فقال له يوماً: أنا منذ ثلاثين سنة أصوم الدهر ولا أفطر، وأقوم الليل لا أنام، ولا أجد في قلبي من هذا العلم الذي تذكر شيئاً! وأنا أصدق به وأحبه، فقال أبو يزيد: ولو صمت ثلاثمائة سنة، وقمت ليلها، ما وجدت من هذا ذرة! قال: ولم؟ قال: لأنك محجوب بنفسك، قال: فلهذا دواء؟ قال: نعم. قال: قل لي حتى أعمله. قال: لا تقبله. قال: فاذكره لي حتى أعمل. قال: اذهب الساعة إلى المزيِّن، فاحلق رأسك ولحيتك، وانزع هذا اللباس، واتَّزر بعباءة، وعلق في عنقك مخلاة مملوءة جوزاً، واجمع الصبيان حولك، وقل: كل من صفعني صفعة أعطيتُه جوزة؛ وادخل السوق، وطف الأسواق كلها عند الشهود وعند من يعرفك وأنت على ذلك! فقال الرجل: سبحان الله، تقول لي مثل هذا! فقال: أبو يزيد: قولك: سبحان الله شرك! قال: وكيف؟ قال: لأنك عظمت نفسك فسبَّحتها وما سبحت ربك. فقال: هذا لا أفعله، ولكن دلني على غيره؟ فقال: ابتدىء بهذا قبل كل شيء. فقال: لا أطيقه. قال: قد قلت لك إنك لا تقبل[1] . . .

- يعلق الغزالي على هذا التوجيه الساقط فيقول:

«فهذا الذي ذكره أبو يزيد هو دواء من اعتلَّ بنظره إلى نفسه، ومرض بنظر الناس إليه، ولا يُنجي من هذا المرض دواء سوى هذا وأمثاله، فمن لا يطيق الدواء فلا ينبغي أن ينكر إمكان الشفاء في حق من داوى نفسه . . .»[2].

- وهذا التعليق ينقله الغزالي عن المكي بتصرف.

---

(1) القوت: ٢ / ٧٤ و ٧٥، والإحياء: ٤ / ٣٠٦. (2) الإحياء: ٤ / ٣٠٧.

● **الملاحظات :**

يلاحظ في هذا النص اعترافٌ من ثلاثة أقطاب، أن طريق الصوفية لا صلة له بطريق الإسلام؛ فللإسلام طريقه التي أمر الله بها، من صلاة، وصيام، . . . وبقية الأحكام، وللصوفية طريقها التي ما أنزل الله بها من سلطان. وهذه القصة يوردها أقطاب آخرون في كتبهم شأن كل القصص الأخرى.

أما الملاحظات الأخرى فنتركها للقارىء اللبيب.

*** جعلوا الدعاء منسوخاً (من مقام التسليم والرضا) :ـ**

يورد الغزالي والمكي قبله :

. . . وضاع لبعض الصوفية ولد صغير ثلاثة أيام لم يُعرف له خبر، فقيل له : لو سألت الله تعالى أن يرده عليك؟ فقال : «اعتراضي فيما قضى أشد علي من ذهاب ولدي»[1].

ـ سؤال موجه إلى صاحبي «القوت» و«الإحياء» : ما معنى قوله سبحانه : ﴿ادْعُوني أَسْتَجِبْ لَكُم إنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرون عَن عِبادَتي سَيَدْخُلون جَهَنَّمَ داخِرينَ﴾؟ وهل نسخها كشفهم؟

*** من مقام الفقر :**

يورد شهاب الدين السهروردي البغدادي :

. . . وقال الدراج : فتشت كنف أستاذي أريد مكحلة، فوجدت فيها قطعة، فتحيرت، فلما جاء قلت له : إني وجدت في كنفك هذه القطعة! قال : قد رأيتها؟ ردها، ثم قال : خذها واشتر بها شيئاً. فقلت : ما كان أمر هذه القطعة بحق معبودك؟ فقال : ما رزقني الله تعالى من الدنيا صفراء ولا بيضاء غيرها، فأردت أن أوصي أن تشد في كفني فأردها إلى الله[2]. . .

---

(١) القوت : ٢ / ٤٣، والإحياء : ٤ / ٢٩٩. (٢) عوارف المعارف في هامش الإحياء : ٤ / ٣١٠.

● **الملاحظة :**

لا أظن أن مسلماً عنده شيء من الفهم الإسلامي يجهل ما في هذا القول من غباء وضلال وتفكير وثنيّ لا يمت إلى الإسلام بصلة!؟ (يجعل القطعة في كفنه ليردها إلى الله!!).

*** صدق أو لا تصدق :ـ**

مما يورده أبو نصر الطوسي وابن الملقن :

إن محمد بن علي الكتاني[1] ختم في الطواف اثني عشر ألف ختمة[2]!

ـ كيف تم هذا؟ لا ندري.

*** ومن كراماتهم :ـ**

مما يورده عبد الوهاب الشعراني :

. . . ومنهم عبد الله بن عون رضي الله تعالى عنه . . . كان يخلو في بيته صامتاً متفكراً، وما دخل حماماً قط[3].

ـ ولا تعليق.

*** المهدي الذي لا يعرفه الإسلام :**

ويورد الشعراني نفسه :

. . . الشيخ حسن العراقي صاحب الضريح فوق الكوم بقرب بركة الرطلي بمصر، ذكر لي رضي الله تعالى عنه أنه اجتمع بالمهدي إمام آخر الزمان عليه السلام بدمشق، وأقام عنده سبعة أيام، وعلمه ورده كل ليلة خمسمائة ركعة وصيام الدهر[4] . . .

---

(١) الكتاني بغدادي مات في مكة سنة ٣٢٢هـ.

(٢) اللمع، ص٢٢٥، وطبقات ابن الملقن، ص١٤٨.

(٣) طبقات الشعراني: ١ /٦٤.

(٤) الأنوار القدسية في الآداب، هامش الطبقات: ١ / ٥.

ـ سؤال: من هو هذا المهدي الساكن في دمشق، والذي سيظهر آخر الزمان؟ ومتى ولد؟ وكم عمره الآن؟ وهل هو حي لا يموت؟ . . . إلى آخر الأسئلة.

وفي حدود ما سمعت، يوجد الآن ثلاثة أقطاب يدَّعون المهدوية، قطبان في بلاد الشام، وقطب في الجزائر، وكل واحد منهم ينتظر الإذن بالتحرك! وكم من قطب أخبره كشفه أنه المهدي فكان كشفه كاذباً مثله.

وهنا تتوارد أسئلة كثيرة، أتركها للقارىء ليتسلى بها وبالتعليق على هذه الكشوف والمشاهدات.

ـ ولكن ما يجب قوله: إن المهدية عن طريق الكشف كانت من الأسباب الرئيسية لتشتت الأمة الإسلامية وتمزقها وانحرافها عن الطريق المستقيم، ومن قرأ التاريخ عرف هذه الحقيقة الأليمة.

ـ كرامات؟ كرامات؟ كرامات؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله.

يقول الشعراني «القطب الرباني والغوث الصمداني»:

. . . وسبب حضوري في مولده (أي مولد أحمد البدوي) كل سنة، أن شيخي العارف بالله تعالى محمد الشناوي رضي الله عنه، أحد أعيان بيته رحمه الله، قد كان أخذ عليَّ العهد في القبة تجاه وجه سيدي أحمد رضي الله عنه، وسلمني إليه بيده، فخرجت اليد الشريفة من الضريح، وقبضت على يدي. وقال سيدي: «يكون خاطرك عليه واجعله تحت نظرك»، فسمعت سيدي أحمد رضي الله عنه من القبر يقول: نعم نعم.

ثم إني رأيته بمصر مرة أخرى هو وسيدي عبد العال، وهو يقول: زرنا بطندتا (طنطا)، ونحن نطبخ لك ملوخية ضيافتك، (وطبعاً المرئي في مصر مع سيدي عبد العال هو أحمد البدوي الميت من قرون)، فسافرت، فأضافني غالب أهلها وجماعة المقام ذلك اليوم، كلهم بطبيخ الملوخية.

ثم رأيته (أي أحمد البدوي الذي مات منذ قرون) وقد أوقفني على جسر قحافة، تجاه طندتا، فوجدته سوراً محيطاً، وقال: قف هنا، أدخل عليَّ من شئت وامنع من شئت. ولما دخلت بزوجتي فاطمة أم عبد الرحمن وهي بكر، مكثت خمسة شهور لم أقرب

منها، فجاءني (أي أحمد البدوي) وأخذني وهي معي، وفرش لي فرشاً فوق ركن القبة التي على يسار الداخل، وطبخ لي حلوى، ودعا الأحياء والأموات إليه، وقال: أزل بكارتها هنا، فكان الأمر تلك الليلة.

وتخلفت عن ميعاد حضوري للمولد سنة ٩٤٨، وكان هناك بعض الأولياء، فأخبرني أن سيدي أحمد رضي الله عنه، كان ذلك اليوم يكشف الستر عن الضريح، ويقول: أبطأ عبد الوهاب، ما جاء.

وأردت التخلف سنة من السنين، فرأيت سيدي أحمد رضي الله عنه ومعه جريدة خضراء، وهو يدعو الناس من سائر الأقطار، والناس خلفه، ويمينه وشماله أمم وخلائق لا يحصون، فمر عليّ وأنا بمصر، فقال: أما تذهب؟ فقلت: بي وجع. فقال: الوجع لا يمنع المحب؛ ثم أراني خلقاً كثيراً من الأولياء وغيرهم، الأحياء والأموات من الشيوخ والزَّمنى بأكفانهم يمشون ويزحفون معه يحضرون المولد، ثم أراني جماعة من الأسرى جاؤوا من بلاد الإفرنج مقيدين مغلولين يزحفون على مقاعدهم[1]...

ـ أقول: المأمول، الآن، من القارىء الكريم أن يكون عارفاً أن هذه كلها هلوسات كشفية، تختلط عند العارف مع الواقع فلا يميز بينهما، وأنها ليست من الإسلام في شيء، وأن الهندوس والطاويين والجينيين يرون مثلها وأكثر، وكذلك بعض مرضى الأعصاب، ونزلاء مستشفيات الأمراض العقلية، والحشاشون، كما أن المأمول أيضاً أن يكون عارفاً لما فيها من شرك ووثنية، ومخالفات صريحة جريئة للإسلام ولدين الإسلام ولرسول الإسلام ولكل ما جاء به الإسلام. (ولكنه الكشف على كل حال).

*** كشف:ـ**

... وكان (علي وفا) يقول في قوله تعالى: ﴿إِنَّ أَوَّلَ بيتٍ وُضِعَ للناس للَّذي ببكةَ... الآية﴾، المراد به قلب آدم عليه السلام، لأنه أول بيت وضع للرب في البشر، وهو أيضاً بجسده مدفون تحت عتبة هذا البيت، كما أعطاه الكشف، وأما بنيَّة البيت فهو مثال مضروب للقاصرين ليتذكروا به المعنى عند رؤية مثاله، فافهم[2].

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٨٦.
(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ٣١.

ـ التعليق: هذه صورة من التفسير الإشاري أرجو من القارىء أن ينتبه لها، وتترك الأسئلة للقارىء.

*** كرامة . . وكشف عورة:**

. . . ومنهم الشيخ محمد بن هارون رضي الله تعالى عنه ورحمه . . . وكان سبب خراب بلده سنهور المدينة، أنه كُشف له عن صاعقة تنزل عليها من السماء تحرقها بأهلها، فأمر بذبح ثلاثين بقرة وطبخها، ومدها في زاويته، وقال للنقباء: لا تمنعوا أحداً يأكل أو يحمل، فأكل الناس وحملوا جهدهم، فجاء فقير مكشوف العورة، أشعث أغبر، فقال: أطعموني، فأطعموه حتى عجزوا، فلم يقدروا عليه يشبع، فدفعوه وأخرجوه، فنزلت الصاعقة على البلد، فخرج الشيخ بأهله ومن تبعه، وهلك الناس في أسواقهم وبيوتهم أجمعين، فقال الشيخ للنقيب: يا ولدي: ما هذا الذي فعلته؟ شخص يريد أن يتحمل البلاء عن بلدنا بأكلة تمنعه! فهي إلى الآن خراب، وعمروا خلافها[1] . . .

سؤال واحد: متى خرج الشيخ مع أهله وأتباعه من المدينة؟ هل كان ذلك قبل الصاعقة أم بعدها؟ وماذا عن كشف العورة؟ والأسئلة والتعليقات كثيرة تُترك للقارىء اللبيب الفاهم للإسلام.

*** والآن جاء دور السحلية (حيوان زاحف صغير):-**

. . . وحكى لي شيخنا سيدي علي الخواص رضي الله تعالى عنه، أن سيدي محمد بن هارون، سلبه حاله مرة صبي القرَّاد، وذلك أنه كان إذا خرج من صلاة الجمعة، تبعه أهل المدينة يشيِّعونه إلى داره، فمر بصبي القرَّاد وهو جالس تحت حائط يفلِّي خَلَقته من القمل وهو مادٌّ رجليه؛ فخطر في سر الشيخ أن هذا قليل الأدب، يمد رجليه ومثلي مارٌّ عليه، فسُلب لوقته! وفرت الناس عنه، فرجع فلم يجد الصبي، فدار عليه في البلاد إلى أن وجده في رميلة مصر؛ فلما نظر القرَّاد الكبير إليه وهو واقف، وقد فرغوا، قال له: تعال يا سيدي الشيخ، مثلك يخطر في خاطره أن له مقاماً أو قدراً؟ هذا الصبي سلبك حالك،

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢١٠، والنبهاني «يوسف بن إسماعيل» من إجزمْ شمالي فلسطين، درس في الأزهر وعمل في القضاء وتوفي في بيروت سنة ١٣٥٠هـ.

فله أن يمد رجله بحضرتك لكونه أقرب إلى الله منك! فقال: التوبة، فأرسله إلى سنهور المدينة، إلى الحائط التي كان يفلي ثوبه عندها، وقال له: ناد السحلية التي هناك في الشق، وقل لها: إن قزمان طاب خاطره عليَّ فردي عليّ حالي، فخرجت ونفخت في وجهه، فرد الله عليه حاله رضي الله عنه[1].

ـ عجيب! الولاية، يسلبها صبي القراد وتعيدها سحلية!! ومادامت الولاية بنفخة سحلية، فما معنى قوله سبحانه: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ﴾؟ و... إلخ.

إن هذه العلوم الخرافية وأمثالها سيطرت على الأمة الإسلامية طيلة قرون طويلة، وسيطر بسببها الجهل بجميع أنواعه وأشكاله حتى وصلت إلى ما هي فيه الآن، ولم تزل هذه العقلية الغنوصية المنبعثة من الرؤى الشيطانية التي تضحك بها الشياطين على عقول هؤلاء القوم وعلى أذقانهم، وهم يبثونها بين الناس، لم تزل مسيطرة على أفكار جماهير المسلمين، حتى المثقفين منهم، ولكنها تظهر بصور شتى. (وعلى كل حال هي العلوم اللدنية فسلِّم للقوم حالهم).

*** تسجد لهم الملائكة:ـ**

يقول عبد القادر الجيلاني (قطب الأولياء الكرام، شيخ المسلمين والإسلام):

... من الأولياء من تسجد الملائكة له، وتكتف أيديها إلى ورائها. آحاد أفراد من الأولياء ترى الملائكة[2]... اهـ.

ـ وأنا أيضاً أقف هنا مكتوف الأيدي إلى وراء، لا أعرف ماذا أعلق على هذا المستوى من الضلال؟ ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهذا طبعاً من العلم اللدني.

ويقول الجيلاني نفسه:

يا غلام، اقرن بين الدنيا والآخرة، واجعلهما في موضع واحد، وانفرد بمولاك عز

(1) طبقات الشعراني: ٢ / ٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢١١.
(2) الفتح الرباني: ٣٧٠.

وجل عرياناً من حيث قلبك، بلا دنيا ولا آخرة. . . يا غلام، لا تكن مع النفس ولا مع الهوى، ولا مع الدنيا، ولا مع الآخرة، ولا تتابع سوى الحق عز وجل[1]. . .

● **التعليق:**

يأمرنا (سلطان الأولياء) أن نتعرى عن الدنيا والآخرة، ويأمرنا أن نقرن الآخرة بالدنيا، بمعنى أن ننبذ الآخرة كنبذنا للدنيا؟ ويقرن الآخرة مع النفس والهوى والدنيا، فنسأله، ونسأل الذي خُدعوا به: ماذا بقي لنا إن تعرينا عن الآخرة وتركناها؟ ولِمَ يعمل العاملون المؤمنون؟ أليس كل عمل المؤمن هو من أجل الآخرة؟

الله سبحانه يعلمنا أن ندعوه: ﴿ربَّنا آتِنا في الدُّنيا حَسَنَةً وفي الآخرةِ حسنةً وقِنا عذابَ النَّارِ﴾، فهل نطيع الله أم نطيع الجيلاني؟

عشرات الآيات في القرآن الكريم تأمرنا أن تكون غايتنا هي الآخرة، وأن تكون هي رجاءَنا من الله سبحانه، منها مثلاً: ﴿اعبُدوا الله وارْجوا اليومَ الآخرَ ولا تَعْثَوْا في الأرض﴾، فهل وصل (المقام) بالجيلاني إلى مستوى نسخ القرآن!؟

ثم يتساءل المتسائلون: ما دام الإسلام دين الفطرة، فلِمَ انحرف عنه المسلمون وابتعدوا منه بسلوكهم وأخلاقهم وعقائدهم؟ والجواب ماثل أمام الأعين، لكنها لا تعمى الأبصار. . .

ويقول: . . . يا جاهل، اترك الدفتر من يدك، وتعال اقعد ههنا بين يديَّ على رأسك، العلم يؤخذ من أفواه الرجال لا من الدفاتر، يؤخذ من الحال لا من المقال، يؤخذ من الفانين عنهم (أي عن أنفسهم) وعن الخلق، الباقين بالحق عز وجل[2]. . .

- إنه ينهى عن علم الدفاتر، ويأمر بعلم الحال لا بعلم المقال: وطبعاً علم الدفاتر، هو نفسه علم المقال، (الذي يتعلم بالقول واللسان)، وهو كل العلوم الإنسانية بما فيها علم الشريعة الإسلامية من قرآن وحديث وشروحهما وفقههما . . . إلخ! ثم يتساءلون عن سبب الجهل المتفشي في المسلمين؟.

---

(1) الفتح الرباني، ص١٤ و١٥. (2) الفتح الرباني، ص٢١٤.

* كرامة فوق الإعجاز والمعجزات :ـ

. . . ومنهم الشيخ علي نور الدين المرصفي رحمه الله تعالى ورضي عنه آمين : كان من الأئمة الراسخين في العلم ، وله المؤلفات النافعة في الطريق . . . وذكر لي سيدي أبو العباس رحمه الله أنه قرأ بين المغرب والعشاء خمس ختمات!؟ فقال الشيخ : الفقير وقع له أنه قرأ في يوم وليلة ثلاثمائة وستين ألف ختمة!؟!؟ كل درجة ألف ختمة[1] . . . أهـ .

ـ واإسلاماه! واعقلاه! واإنسانيتاه! واحياءاه!؟ ولكنها الولاية؟

إن هذه الرؤى الشيطانية وأمثالها التي سيطرت على عقول المسلمين هي التي أفسدت فيهم ما أفسدت من تفكير أصبح غير سليم ، لا يفكر إلا بأسلوب خرافي سحري بعيد عن الواقع الصحيح ، ومن عقيدة انحرفت عن عقيدة الإسلام التي جاء بها محمد ﷺ ، ومن سلوك أصبح موجهاً بالخيالات الصوفية الضبابية ، والرؤى الكشفية التي تختلط عند الكمّل مع الواقع فلا يميزون بينهما غالباً .

* كرامات وولاية تمقت الأذان وتحارب الصيام :ـ

. . . ومنهم سيدي إبراهيم بن عصيفير رضي الله تعالى عنه آمين . . . وكان كثير الكشف ، وله وقائع مشهورة . . . وكان بوله كالحليب أبيض ، وكان يغلب عليه الحال فيخاصم ذباب وجهه ، وكان يتشوش من قول المؤذن «الله أكبر» فيرجمه ويقول : عليك يا كلب نحن كفرنا يا مسلمين حتى تكبروا علينا!؟وما ضبطت عليه قط كشفاً أخرم فيه . . . وكان رضي الله عنه يقول : أنا ما عندي من يصوم حقيقة إلا من لا يأكل اللحم الضاني أيام الصوم كالنصارى ، وأما المسلمون الذي يأكلون اللحم الضاني والدجاج أيام الصوم فصومهم عندي باطل . . . وكان يفرش تحته في مخزنه التبن ليلاً ونهاراً ، وقبل ذلك كان يفرش زبل الخيل ، وكان إذا مرت عليه جنازة وأهلها يبكون ، يمشي أمامها معهم ويقول : زلابية هريسة زلابية هريسة ، وأحواله غريبة[2] . . . أهـ . ولا تعليق .

---

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ١٢٨ ، وجامع النبهاني : ٢ / ٣٦٧ ، وذكرها الشيخ عبد الغني النابلسي في (شرح الطريقة المحمدية) .

(٢) طبقات الشعراني : ٢ / ١٤٠ .

*** ولي يمنع خادمه من الصلاة ويضربه إذا صلى :-**

. . . ومنهم سيدي الشيخ شهاب الدين الطويل النشيلي رضي الله تعالى عنه . . . وكان ينادي خادمه وهو في الصلاة، فإن لم يجئه مشى إليه وصكّه ومشى به وقال: كم أقول لك لا تعد تصلي هذه الصلاة المشؤومة، فلا يستطيع أحد يخلصه منه[1] . . .

ـ وبالطبع فإن الصوفية يرون أن منعه من الصلاة له تأويل!

*** جبّ نفسه تقرباً إلى الله (لعل هذا من مقام الورع) :-**

. . . ومنهم سيدي عبد الرحمن المجذوب رضي الله تعالى عنه (وهو من السلسلة الشاذلية) كان رضي الله عنه من الأولياء الأكابر . . . وكان مقطوع الذكر، قطعه بنفسه أوائل جذبه، وكان جالساً على الرمل صيفاً وشتاء، وإذا جاع أو عطش يقول: أطعموه، أسقوه[2] . . . أهـ. ولا تعليق.

*** تواضع مرحاضي ويدخل الجامع بالكلاب! رضي الله عنه :-**

. . . ومنهم الشيخ أبو الخير الكليباتي رضي الله عنه، كان رضي الله عنه من الأولياء المعتقدين، وله المكاشفات العظيمة مع أهل مصر وأهل عصره . . . وكان أغلب وقته واضعاً وجهه في حلق الخلاء في ميضأة جامع الحاكم!! ويدخل الجامع بالكلاب[3]!!

ـ لعل هذا من مقام التواضع المرحاضي الممزوج بالكلاب.

*** مأمونية حموية :-**

وحكى لي خادم سيدي أبي الخير الكليباتي أن شخصاً أتاه وأخبره أنه قال للشيخ: إن زوجتي حامل، وقد اشتهت مامونية حموية، ولم أجدها، فقال له الشيخ: ائتني بوعاء، فأتاه به، فتغوَّط له فيها مامونية سخنة! فقال الخادم: وأكلت منها لعدم اعتقادي أنها

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤١.
(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤١.
(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٣، وجامع النبهاني: ١ / ٤٥٤.

غائط[1]!! (ولا تعليق).

*** يخطب عرياناً ويخرج الريح أمام الناس ويحلف كاذباً رضي الله عنه :ـ**

. . . ومنهم الشيخ إبراهيم العريان رضي الله تعالى عنه ورحمه . . . وكان رضي الله تعالى عنه يطلع المنبر ويخطب عرياناً، فيقول: السلطان ودمياط باب اللوق بين القصرين وجامع طيلون الحمد لله رب العالمين؛ فيحصل للناس بسط عظيم . . . وكان يخرج الريح بحضرة الأكابر، ثم يقول: هذه ضرطة فلان، ويحلف على ذلك، فيخجل ذلك الكبير منه، مات سنة نيف وثلاثين وتسعمائة[2].

● ملاحظة هامة :

يظهر أن العري أمام الناس، المحرم في الإسلام، هو من مستلزمات الولاية الصوفية، ولكنه هين أمام المامونية الحموية؛ على كل حال، يجب أن تؤول لهؤلاء القوم ضلالاتهم للتستر عليها، كما يجب أن لا ننسى أنه يحلف كاذباً رضي الله عنه!.

*** طبل وزمر :ـ**

ومنهم سيدي إبراهيم المجذوب رضي الله تعالى عنه: كان رضي الله عنه كل فلوس حصّلها يعطيها للمطبِّلين ويقول: طبلوا لي زمروا لي[3]. . .

*** يحمل عن الناس؛ ماذا؟ ويتطور؛ لماذا؟ :ـ**

. . . ومنهم سيدي سويدان المدفون بالخانكه رضي الله عنه . . . ووقع له وقائع وكرامات، وكان فمه لم يزل فيه نحو الخمسين حبة من الحمص ليلاً ونهاراً، يقال: إنها حملات الناس[4]. . .

وكان كثير التطور، يدخلون عليه فيجدونه سبعاً تارة وفيلاً أخرى[5] (وطبعاً دور

---

(١) الأنوار القدسية في القواعد: ٢ / ٤٤.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٢، وجامع النبهاني: ١ / ٤١٢.

(٣) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٢.

(٤) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٤.

(٥) جامع النبهاني: ٢/ ١٠٠.

إبليس واضح).

*** رحمة بالجيف والحيوانات الميتة:**

ومنهم سيدي بركات الخياط، كان رضي الله عنه من الملامتية، وهو شيخ أخي أفضل الدين، وشيخ الشيخ رمضان الصائغ الذي بنى له الزاوية... وكان دكانه مُنتناً قذراً، لأن كل كلب وجده ميتاً أو قطًا أو خروفاً يأتي به فيضعه داخل الدكان، فكان لا يستطيع أحد أن يجلس عنده[1]. أهـ. (أمام هذه الكرامات أحسن شيء هو الرقص مع النقص).

*** يأكل كل يوم زبيبة فقط:-**

ومنهم الشيخ مرشد رضي الله عنه: كان رضي الله عنه قادري الخرقة، وكان يطوي الأيام والليالي، وأخبرني أنه مكث نحو أربعين سنة يأكل كل يوم زبيبة واحدة حتى لصق بطنه على ظهره[2]...

- إنه بذلك ابتعد عن هدي الإسلام، والله لا يقبل من العبادات إلا ما أمر به.

*** كرامات «فوق الفوق»:-**

ومنهم سيدي علي وحيش من مجاذيب النجارية رضي الله عنه: كان رضي الله عنه من أعيان المجاذيب أرباب الأحوال... وله كرامات وخوارق... وأخبرني محمد الطنيخي رحمه الله تعالى، قال: كان الشيخ وحيش رضي الله عنه يقيم عندنا في المحلة في خان بنات الخطا، وكان كل من خرج يقول له: قف حتى أشفع فيك عند الله قبل أن تخرج، فيشفع فيه، وكان يحبس بعضهم اليوم واليومين، ولا يمكنه أن يخرج حتى يجاب في شفاعته... وكان إذا رأى شيخ بلد أو غيره ينزله من على الحمارة، ويقول له أمسك رأسها حتى أفعل فيها، فإن أبى شيخ البلد تسمَّر في الأرض لا يستطيع يمشي خطوة، وإن سمع حصل له خجل عظيم والناس يمرون عليه، وكان له أحوال غريبة، وقد أخبرتُ عنه سيدي محمد بن عنان رضي الله عنه، فقال: هؤلاء يخيلون للناس هذه

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٤.　(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٤٨.

الأفعال وليس لها حقيقة[1]! (ولا تعليق).

*** من ولايتهم الزنا والمواخير:-**

. . . ووقع للشيخ زون بهار المدفون بالقرافة بالقرب من سيدي يوسف العجمي رضي الله عنه أنه كان يصعق في حب الله تعالى، فتضع الحوامل ما في بطونها من صعقته! فحوّلَ الله تعالى ذلك إلى حب امرأة من البغايا، فجاء إلى الصوفية، ورمى لهم الخرقة، وقال: لا أحب أن أكذب في الطريق، إن واردي تحول إلى حب فلانة؛ ثم صار يحمل لها العود، ويُركبها، ويمشي في خدمتها، إلى أن تحول الوارد إلى محبة الحق بعد عدة شهور، فجاء إلى الصوفية، فقال: ألبسوني الخرقة، فإن واردي رجع عن محبة فلانة؛ فبلغها ذلك فتابت ولزمت خدمته[2]. . . (ولا تعليق).

*** قصة في القصص:-**

. . . وأخبرني شيخ الإسلام الشيخ نور الدين الطرابلسي الحنفي والسيد الشريف الخطابي المالكي النحوي رحمهما الله تعالى، قالا: سمعنا سيدي عثمان رضي الله عنه يقول: لما حججت مع سيدي أبي بكر (الدقدوسي) سألته أن يجمعني على القطب، فقال: اجلس ههنا، ومضى فغاب عني ساعة، ثم حصل عندي ثقل في رأسي، فلم أتمالك أحملها حتى لصقت بعانتي، فجلسا يتحدثان عندي بين زمزم والمقام ساعة، وكان من جملة ما سمعت من القطب يقول: آنستنا يا عثمان، حلت علينا البركة، ثم قال لشيخي: توص به فإنه يجيء منه، ثم قرأا سورة الفاتحة وسورة قريش، ودعوا وانصرفا، ثم رجع سيدي أبوبكر رضي الله عنه فقال: ارفع رأسك. قلت: لا أستطيع. فصار يمرجني ورقبتي تلين شيئاً فشيئاً حتى رجعت لما كانت عليه، فقال: يا عثمان هذا حالك وأنت ما رأيته! فكيف لو رأيته[3]؟

- فما هذا القطب الرهيب الثقيل!؟

---

(1) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠، وجامع النبهاني: ٢/ ٥١٥.

(2) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٤، وجامع النبهاني: ٢/ ٧٧، وقد ورد الاسم فيها «روزبهار» بدلاً من «زون بهار».

(3) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٦، وجامع النبهاني: ٢ / ٢٩٤.

* **عجائب وغرائب، والإله هو إبليس عليه الصلاة والسلام:ـ**

ومنهم الشيخ محمد الحضري رضي الله تعالى عنه؛ المدفون بناحية نهيا بالغربية، وضريحه يلوح من البعد من كذا وكذا بلداً، كان من أصحاب جدي رضي الله عنهما، وكان يتكلم بالغرائب والعجائب من دقائق العلوم والمعارف ما دام صاحياً، فإذا قوي عليه الحال (أي الولاية) تكلم بألفاظ لا يطيق أحد سماعها في حق الأنبياء وغيرهم، وكان يُرى في كذا وكذا بلداً في وقت واحد، وأخبر ني الشيخ أبو الفضل السرسي أنه جاءهم يوم الجمعة، فسألوه الخطبة، فقال: بسم الله؛ فطلع المنبر، فحمد الله وأثنى عليه ومجده، ثم قال: وأشهد أن لا إله لكم إلا إبليس عليه الصلاة والسلام، فقال الناس: كفر. فسل السيف ونزل، فهرب الناس كلهم من الجامع، فجلس عند المنبر إلى أذان العصر وما تجرأ أحد أن يدخل الجامع، ثم جاء بعض أهل البلاد المجاورة، فأخبر أهل كل بلد أنه خطب عندهم وصلى بهم، قال: فعددنا له ذلك اليوم ثلاثين خطبة، هذا ونحن نراه جالساً عندنا في بلدنا . . . وكان يقول: لا يكمل الرجل حتى يكون مقامه تحت العرش على الدوام. وكان يقول: الأرض بين يدي كالإناء الذي آكل منه، وأجساد الخلائق كالقوارير أرى ما في بواطنهم، توفي رضي الله عنه سنة سبع وتسعين وثمانمائة رضي الله عنه[1].

● **تعليق على ما مضى:**

هذه الكشوف والكرامات والعلوم اللدنية تكشف لنا عن سبب النكسة التي أصيبت بها الأمة الإسلامية، بعد أن بعثها الله تلك البعثة الرائعة، لتكون سيدة التاريخ، ولتقيم شريعة الله في الأرض، حتى إذا ظهرت الصوفية وانتشرت، ضربت على الأمة غشاءً كثيفاً من الجهل والضلال والانحراف عن الإسلام . . . وسيقول لك المتصوفة: هذه القصص والكرامات والعلوم اللدنية لها تأويل. فنجيبهم: هذه خدعة باطلة ماكرة، تدل على أن القوم يكيدون للإسلام ويضمرون له الشرور.

* **ما هو معنى «لا إله إلا الله»؟ـ**

يقول حجة الإسلام:

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٧، وبعضها في جامع النبهاني: ١ / ٢٨٦.

. . . والأنبياء هم الكحالون، وقد جاؤ وا داعين إلى التوحيد المحض، وترجمته قول «لا إله إلا الله»، ومعناه: أن لا يرى إلا الواحد الحق[1]!! (لنتذكر بيت شعر مجدد الألف الثاني).

ـ «لا إلـه إلا الله» هي المـدخـل إلى الإسلام، وها هم قد حرفوا معناها! فماذا بقي لهم من الإسلام؟

* **العصا إنسان، والبحر في إبريق، (والعقل والإيمان في سبات عميق):ـ**

ومنهم الشيخ محمد الشربيني رحمه الله تعالى؛ شيخ طائفة الفقراء بالشرقية، كان من أربـاب الأحـوال والمكـاشفات . . . ولما ضعف ولده أحمد، وأشرف على الموت، وحضر عزرائيـل لقبض روحـه، قال له الشيـخ: ارجع إلى ربك فراجعه فإن الأمر نُسخ؛ فرجع عزرائيـل وشفي أحمـد . . . وكـان رضي الله عنـه يقـول للعصـا التي كانت معـه: كوني إنساناً، فتكون إنساناً، ويرسلها تقضي الحوائج ثم تعود كما كانت . . . وكان من عادته أنـه يأمـر مريـديـه بالشحـاتة على الأبواب دائماً في بلده . . . وكان الشيخ محمد بن عنان وغيره ينكرون عليه لعدم صلاته مع الجماعة، ويقول: نحن ما نعرف طريقة تقرب إلى الله تعـالى إلا ما درج عليـه الصحـابـة والتابعون . . . له ذرية بأرض الغرب، وذرية في بلاد العجم، وذرية في بلاد الهند، وذرية في بلاد التكرور، فكان في ساعة واحدة يطوف على عياله في هذه البلاد ويقضي حوائجهم، وكل أهل بلاد يقولون: إنه مقيم عندهم، ولتبدله في هذه الصور، وتصرفه في هذه الأشكال، كان ربما أنكر عليه بعض الفقهاء ترك الجمعـة . . . وكـان إذا أراد أن يعـدِّي في البحـر يقـول له المعدِّي: هات كراء . . . فقال الشيـخ: «هـا الله»، وطأطأ الإبـريق، فأخـذ ماء البحـر كله فيـه!! ووقف المـركب على الأرض، فاستغفر المعدِّي وتاب، فصب الإبريق في البحر، ورجع الماء كما كان[2] . . .

ـ لنلاحظ في هذه القصة تلاعبات الشياطين في المناظر الوهمية الموهمة.

---

(١) إحياء علوم الدين: ٤ / ٧٥.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٣٦، وجامع النبهاني: ١ / ٢٩٦ و ٢٩٧.

* واقف تجاه المارستان دائماً ولا يتغوط :-

ومنهم الشيخ على الدويب رحمه الله تعالى آمين . . . وكان رضي الله عنه يمشي على الماء في البحر . . . وكان لم يزل واقفاً تجاه المارستان بين القصرين من الفجر إلى صلاة العشاء وهو متلثم وبيده عصاً مِنْ شوم . . . كان لا يدخل بيت الخلاء لقضاء الحاجة إلا في كل نحو ثلاثة أشهر مرة واحدة[1]. (ترلم).

* يشفع بالملائكة ويقوم للكلب!! :-

ومنهم أبو محمد عبد الرحيم المغربي القناوي رضي الله تعالى عنه: هو من أجلاء مشايخ مصر المشهورين وعظماء العارفين، صاحب الكرامات الخارقة والأنفاس الصادقة له المحل الأرفع من مراتب القرب والمنهل العذب . . . وحُكي أنه نزل يوماً في حلقة الشيخ شبَحٌ من الجو، لا يدري الحاضرون ما هو، فأطرق الشيخ ساعة، ثم ارتفع الشبح إلى السماء! فسألوه؟ فقال: هذا مَلَكٌ وقعت منه هفوة، فسقط علينا يستشفع بنا، فقبل الله شفاعتنا فيه، فارتفع!! وكان الشيخ إذا شاوره إنسان في شيء يقول له: أمهلني حتى أستأذن لك فيه جبريل عليه السلام، فيمهله، ثم يقول له: افعل أولا تفعل، على حسب ما يقول جبريل . . . ومرَّ مرة عليه كلب فقام له إجلالاً! فقيل له في ذلك؟ فقال: رأيت في عنقه خيطاً أزرق من زي الفقراء[2]. . . (هكذا وإلا فلا).

● تنبيه:

لئلا نتهم هؤلاء القوم الأبرار يجب أن نؤول كلامهم: فالمَلَك الذي نزل ليستشفع بالشيخ تأويله: «إن الشيخ كان يرقص السماح في الحضرة»، واستئذانه جبريل عليه السلام، فجبريل هذا؛ هو أحد الأولياء المعاصرين للشيخ، واسمه: «جبريل عليه السلام» والكلب الذي قام إجلالاً له هو أحد الأقطاب، والخيط الأزرق هو الدليل والبرهان. (ودور إبليس واضح).

---

(١) طبقات الصوفية: ٢ / ١٣٦، وجامع النبهاني: ٢/ ٣٦٦.

(٢) طبقات الشعراني: ١ / ١٥٧، وجامع النبهاني: ٢/ ١٦٥.

* يكتحل بالملح والميل المحمى بالنار :ـ

ومنهم أبـو بكـر جحـدر الشبـلي رضي الله عنـه . . . وكـان رضي الله عنـه يقـول: اكتحلت بالملح كذا وكذا ليلة ، لأعتاد السهر، ولا يأخذني النوم ، فلما زاد عليَّ الأمر حميت الميل واكتحلت به[1] . . .

ـ ولعل القارىء يدرك جيداً أن هذا كان قبل وصول الشبلي إلى الجذبة التي يسمونها «ولاية» ، ونسأل: هل عمله هذا من الإسلام أم من الهندوسية؟

* والكلب أيضاً وليّ :ـ

ومنهم سيـدي يوسف العجمي الكـوراني رضي الله تعـالى عنـه : وهو أول من أحيا طريقـة الجنيـد رضي الله عنـه بمصر. . . ولقد وقع بصره يوماً على كلب، فانقادت إليه جميع الكلاب، إن وقف وقفوا، وإن مشى مشوا، فأعلموا الشيخ بذلك، فأرسل خلف الكلب، وقـال : «إخسأ» ، فرجعت عليـه الكـلاب تعضه حتى هرب منها. ووقع له مرة أخـرى أنـه خرج من خلوة الأربعين ، فوقـع بصـره على كلب، فانقـادت إليـه جميـع الكلاب، وصار الناس يُهرعون إليه (إلى الكلب) في قضاء حوائجهم، فلما مرض ذلك الكلب، اجتمـع حولـه الكـلاب يبكون ويظهرون الحزن عليه ، فلما مات أظهروا البكاء والعـويـل ، وألهم الله تعـالى بعض النـاس فدفنـوه ، فكـانت الكـلاب تزور قبره حتى ماتوا[2] . . . (ونترك التعليق للقارىء) .

* بوضوء واحد سبع عشرة سنة :ـ

ومنهم سيـدي عيسى بن نجم ، خفـير الـبرلُّس رضي الله عنـه ، كان من العلماء العـاملين ، ولـه المجاهدات العالية في الطريق ؛ وسمعت سيدي عليًّا المرصفي رضي الله عنـه يقـول : مكث سيـدي عيسى بن نجم بوضـوء واحـد سبـع عشـرة سنة! فقلت: يا سيـدي ، كيف ذلـك؟ فقال : توضأ يوماً قبل أذان العصر، واضطجع على سريره، وقال للنقيب: لا تمكن أحداً يوقظني حتى أستيقظ بنفسي ، فما تجرأ أحد يوقظه ، فانتظروه هذه

---

(1) طبقات الشعراني : ١ / ١٠٤ .

(2) طبقات الشعراني : ٢ / ٦٦، وجامع النبهاني : ٢ / ٥٣٥ .

المدة كلها، فاستيقظ وعيناه كالدم الأحمر، فصلّى بذلك الوضوء الذي كان قبل اضطجاعه، ولم يجدّد وضوءاً؛ وكان في وسطه منطقة، فلما قام وحلها تناثر من وسطه الدود رضي الله عنه[1].

● تنبيه:

هذا الكلام له تأويل (اجتناباً لاتهام العارفين بالضلال والجهل والغباء)، فسبع عشرة سنة (بفتح السين)، تأويلها: سبع عشرة سنة من النوم (بكسر السين)، مقدار كل سنة من النوم ثانيتان، فيكون المجموع أربعاً وثلاثين ثانية، (أي أكثر من نصف دقيقة)، وأما السنة من النوم (بكسر السين)، فتأويلها أنه كان يقرأ ﴿لا تأخُذُه سِنَةٌ ولا نومٌ﴾. والدود تأويله (طوووووط).

ويجب أن لا ننسى أن سيدي عيسى من العلماء العاملين، وسيدي عليًّا المرصفي كان من الأئمة الراسخين في العلم، والراوي هو القطب الرباني والغوث الصمداني. ونُترك للقارىء المناقشة.

* قصة؛ (لعلها من مقام المراقبة):-

ومنهم أبو سعيد القلوري رضي الله عنه، هو من أكابر العارفين والأئمة المحققين، صاحب الأنفاس الصادقة، والأفعال الخارقة، والكرامات والمعارف... ودُعي مرة إلى طعام هو وأصحابه، فَمَنَعَهُم من أكل ذلك الطعام وأكله وحده، فلما خرجوا قال لهم: إنما منعتكم من أكله لأنه كان حراماً؛ ثم تنفس فخرج من أنفه دخان أسود عظيم كالعمود! وتصاعد في الجو حتى غاب عن أبصار الناس، ثم خرج من فمه عمود نار، وصعد إلى الجو حتى غاب عن النظر، ثم قال: هذا الذي رأيتموه هو الطعام الذي أكلته عنكم[2].

● توضيح:

هذه القصة إما أنها من أكاذيبهم، أو أنها من التمثيليات الشيطانية التي تضحك بها

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٧، وجامع النبهاني: ٢/ ٤٢٨ و٤٢٩.

(٢) طبقات الشعراني: ١/ ١٤٨، وجامع النبهاني: ١ / ٤٥٩. وقد ورد اسمه في الجامع (القيلري) بدلاً من القلوري.

الشياطين على أذقانهم وعقولهم، وتستجرهم إلى ما أوصلوا الأمة إليه من زيغ وانحراف في العقيدة والسلوك.

*** زغاريد.. والقذارة طريق لولايتهم.. قاق قاق:-**

ومنهم الشيخ محمد السروي رحمه الله تعالى آمين، المشهور بأبي الحمائل، أحد الرجال المشهورة في الهمة والعبادة، وكان يغلب عليه الحال، فيتكلم بالألسن العبرانية والسريانية والعجمية، وتارة يزغرت في الأفراح والأعراس كما تزغرت النساء... وجاءه الشيخ علي الحديدي يطلب منه الطريق، فرآه ملتفتاً لنظافة ثيابه، فقال: إن كنت تطلب الطريق فاجعل ثيابك ممسحة لأيدي الفقراء، فكان كل من أكل سمكاً أو زفراً يمسح في ثوبه يده مدة سنة وسبعة شهور، حتى صارت ثيابه كثياب الزياتين أو السماكين... فلما رأى ثيابه، لقنه الذكر، وجاء منه في الطريق...

وكان يغلب عليه الحال ليلاً فيتكلم بألسنة غير عربية من عجم وهند ونُوبة وغيرها، وربما يقول: (قاق قاق) طول الليل، ويزعق ويخاطب قوماً لا يُرون، وإذا قال شيئاً في غلبة الحال نفذ[1]...

● **التعليق:**

قيق قيق... ثم يتساءلون عن سبب فساد الأمة الإسلامية، وهو أوضح من الوضوح، لكن يبقى سؤال: كيف عرفوا أنه يتكلم العبرانية والسريانية والعجمية والهندية؟؟ لعلهم عرفوا ذلك عن طريق الكشف! (كشوف فوق كشوف فوق كشوف، ظلمات بعضها فوق بعض).

*** يتطور في الخلقة، ويجر السفينة بخصيتيه، ويعيش بلا طعام، وعجائب أخرى:-**

ومنهم الشيخ حسين أبو علي رضي الله عنه ورحمه؛ كان هذا الشيخ رضي الله عنه مِن كُمَّل العارفين وأصحاب الدوائر الكبرى، وكان كثير التطورات، تدخل عليه بعض الأوقات تجده جنديًا، ثم تدخل فتجده سبعاً، ثم تدخل فتجده فيلاً، ثم تدخل فتجده صبيًّا، وهكذا. مكث نحو أربعين سنة في خلوة مسدود بابها، ليس لها غير طاقة يدخل

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٢٦، وجامع النبهاني: ١ / ٢٩٩.

منهـا الهـواء. . . وكـان الشيـخ عبيـد أحد أصحابه الذي هو مدفون عنده الآن، مثقوب اللسان لكثرة ما ينطق به من الكلمات التي لا تأويل لها، وأخبرني بعض الثقات أنه كان مع الشيخ عبيد في مركب، فوحلت، فلم يستطع أحد أن يزحزحها، فقال الشيخ عبيد: اربطوها في بيضي بحبل وأنا أنزل أسحبها، ففعلوا، فسحبها ببيضه حتى تخلصت من الوحل[1].

مكث في خلوة بغيط خارج باب البحر أربعين سنة لا يأكل ولا يشرب، وباب الخلوة مسدود، وليس له إلا طاق يدخل منه الهواء . . . مات في مصر بعد سنة ٧٩٠هـ[2].

ـ نسأل فقط عن كشف العـورة وترك الآخرين يمسكونها ليربطوا بها الحبل؟ ونترك الباقي للقارىء اللبيب.

*** يديران الوجود كيف يشاءان (من مقام الحرية):ـ**

ومنهم سيـدنـا ومولانا شمس الدين الحنفي رضي الله تعالى عنه ورحمه، كان رضي الله عنه من أجلاء مشايخ مصر وسادات العارفين، صاحب الكرامات الظاهرة والأفعال الفـاخـرة والأحوال الخارقة والمقامات السنية. . صاحب الفتح المؤنق والكشف المخرق، والتصـدر في مواطن القـدس . . . وكـان رضي الله عنـه يأمـر من يراه من أصحـابه عنده شهامة نفس بالشحاتة من الأسواق وغيرها . . . وكان سيدي علي بن وفا رضي الله عنه يوماً في وليمة، (فاستأذن عليه الشيخ محمد الحنفي فقام له وأجلسه جانبه)، فدار الكلام بينهما، فقال سيدي علي: ما تقول في رجل رحى الوجود بيده، يدوِّرها كيف شاء؟ فقال له سيدي محمد رضي الله عنه: فما تقول فيمن يضع يده عليها فيمنعها أن تدور؟! فقال له سيـدي علي: والله كنـا نتركهـا لك ونـذهب عنهـا! فقـال محمـد رضي الله عنه لجماعة سيدي علي: ودِّعوا صاحبكم فإنه ينتقل قريباً إلى الله تعالى. فكان الأمر كما قال. . .

وكـان يتطـور في بعض الأوقـات حتى يملأ الخلوة بجميـع أركـانها، ثم يصغر قليلاً قليـلاً حتى يعـود إلى حالتـه المعهودة. . . ومرضت زوجته فأشرفت على الموت، فكانت تقـول: يا سيـدي أحمـد يا بدوي، خاطـرك معي! فرأت سيـدي أحمـد رضي الله عنه في

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٧، وجامع النبهاني: ٢/ ٤٦.

المنام، وهو ضارب لثامين . . . وقال لها: كم تناديني وتستغيثي، وأنت لا تعلمي أنك في حماية رجل من الكبار المتمكنين، ونحن لا نجيب من دعانا وهو في موضع أحد من الرجال! قولي: يا سيدي محمد يا حنفي، يعافيك الله تعالى، فقالت ذلك، فأصبحت كأن لم يكن بها مرض!!

ودخلت على الشيخ يوماً امرأة أمير، فوجدت حوله نساء الخاص تكبِّسه، فأنكرت بقلبها عليه، فلحظها الشيخ بعينه وقال لها: انظري. فنظرت، فوجدت وجوههن عظاماً[1] . . .

. . . حتى قال: بلغنا عن الشبلي رحمه الله تعالى أنه دخل يوماً خربة يقضي فيها حاجته، فوجد فيها حمارة، فراوده الشيطان عليها، فلما أحس الشبلي رضي الله عنه ذلك، رفع صوته وصاح: يا مسلمون يا مسلمون، الحقوني وأخرجوا عني هذه الحمارة، فإني أعرف ضعف نفسي عن سلوك طريق الصيانة . . . ولما دنت وفاته (أي وفاة محمد الحنفي) بأيام، كان لا يغفل عن البكاء ليلاً ولا نهاراً، وغلب عليه الذلة والسكون والخضوع حتى سأل الله تعالى قبل موته أن يبتليه بالقمل، والنوم مع الكلاب، والموت على قارعة الطريق، وحصل له ذلك قبل موته! فتزايد عليه القمل حتى صار يمشي على فراشه، ودخل له كلب فنام معه على الفراش ليلتين وشيئاً، ومات على طرف حوشه والناس يمرون عليه في الشوارع!! وإنما تمنى ذلك ليكون له أسوة بالأنبياء عليهم الصلاة والسلام[2]!!

ـ السؤال: نسأل من عرف مبادىء الإسلام وبدهياته، ما هو حكم الإسلام والعقل في مثل هذا: ادعاء التصرف في الكون، والاستغاثة بغير الله، ونساء أجنبيات يكبسن الولي! ومراودة النفس على حمارة، والنوم مع الكلاب!! ويجعلون هذا تأسياً بالأنبياء!! ثم يتساءل المتسائلون عن سبب انحطاط المسلمين؟!

كما يجب أن نلاحظ الأدوار الخبيثة التي تمثلها شياطين الجن وتضحك بها على ذقونهم فتخدعهم وتخدع بهم.

---

(1) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٨، وما بعدها، وجامع النبهاني: ١ / ٢٦١، وما بعدها.

(2) طبقات الشعراني: ٢ / ٨٩، وما بعدها، وجامع النبهاني: ١ / ٢٦١، وما بعدها.

* يبيع الجنة بثلاثين ديناراً ويأخذ من المرأة كل ما تملك :-

ومنهم الشيخ مدين بن أحمد الأشموني رضي الله تعالى عنه . . . كان من أكابر العارفين، وانتهت إليه تربية المريدين في مصر وقراها، وتفرعت عنه السلسلة المتعلقة بطريقة أبي القاسم الجنيد رضي الله عنه . . . وجاءته رضي الله عنه امرأة فقالت: هذه ثلاثون ديناراً وتضمن لي على الله الجنة! فقال لها الشيخ رضي الله عنه مباسطاً لها: ما يكفي، فقالت: لا أملك غيرها، فضمن لها على الله دخول الجنة! فماتت، فبلغ ورثتها ذلك، فجاؤ وا يطلبون الثلاثين ديناراً من الشيخ، وقالوا: هذا الضمان لا يصح، فجاءتهم في المنام وقالت لهم: اشكروا لي فضل الشيخ، فإني دخلت الجنة! فرجعوا عن الشيخ»[1]. أهـ.

ـ ونحن بدورنا ننقل هذا الخبر للمسلمين، لعلهم يسرعون ويفتشون عن هؤلاء الأولياء ويشترون منهم ما يبتغون من عَرَصات الجنة، كما نرجو من كرم هؤلاء الأولياء أن يراعوا خواطر الفقراء. (ونذكر أيضاً بأن أحمد الرفاعي باع قصراً في الجنة).

* يدفع عنه الموت . . . ويمنع زوجته من الزواج بعده :-

ومنهم سيدي محمد الشويمي . . . كان من أرباب الأحوال العظيمة . . . ومرض سيدي مدين (الأشموني) رضي الله عنه مرة ، وأشرف فيها على الموت، فوهبه من عمره عشر سنين!! ثم مات في غيبة الشويمي رضي الله عنه، فجاء وهو على المغتسل، فقال: كيف مت؟ وعزة ربي لو كنت حاضراً ما خليتك تموت!!

. . . وقد بلغنا أن زوجة سيدي محمد الشويمي مات عنها وهي بكر، وقال لها: لا تتزوجي بعدي أحداً فأقتله!! فاستفتت العلماء في ذلك، فقالوا لها: هذه خصِّيصى برسول الله ﷺ، فتزوجي وتوكلي على الله، فعقدوا لها على شخص، فجاءه تلك الليلة وطعنه بحربة فمات من ليلته، وبقيت بكراً إلى أن ماتت وهي عجوز[2]. . .

ويُترك التعليق للقارىء اللبيب.

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٢، وجامع النبهاني: ٢ / ٤٦٣.

(٢) طبقات الشعراني: ٢ / ١٠٣، وجامع النبهاني: ١ / ٢٨٤.

* **القيء إكسير الولاية :ـ**

محمد المسمى بقمر الدولة ؛ أحد أكابر أصحاب سيدي أحمد البدوي ، ولم يصحب سيدي أحمد زماناً طويلاً ، إنما جاء من سفرٍ في وقت حر شديد ، فطلع يستريح في طندتا (طنطا) ، فسمع بأن سيدي أحمد رضي الله عنه ضعيف ، فدخل عليه يزوره . . . فوجد سيدي أحمد قد شرب ماء بطيخة وتقيأه ثانياً فيها ، فأخذه سيدي محمد المذكور وشربه ! ! فقال له سيدي أحمد : أنت قمر دولة أصحابي[1] . . . أهـ . ولا تعليق (لكن القيء خير من المامونية الحموية) .

ومنهم سيدي الشيخ أبو بكر الدقدوسي رضي الله تعالى عنه . . . وكان له صاحب يبيع الحشيش بباب اللوق ، فكان الشيخ رضي الله عنه يرسل إليه أصحاب الحوائج فيقضيها لهم ! قال سيدي عثمان (الحطاب) رضي الله عنه : فسألته يوماً عن ذلك ، وقلت : المعصية تخالف طريق الولاية ، فقال : يا ولدي ليس هذا من أهل المعاصي ، إنما هو جالس يتوِّب الناس في صورة بيع الحشيش ، فكل من اشترى منه لا يعود يبلعها أبداً[2] . . . (دستور دستور) .

ـ ومن هنا نستطيع أن نعرف سبب انتشار الحشيش في مصر .

* **إجلالاً للكلب (من مقام التواضع) :ـ**

ومنهم شيخي وقدوتي إلى الله تعالى ، العارف بالله تعالى سيدي محمد الشناوي رحمه الله تعالى ، كان رضي الله تعالى عنه من الأولياء الراسخين في العلم . . . وكان رضي الله عنه يحكي عن الشيخ عبد الرحيم القناوي رضي الله عنه أنه رأى مرة في عنق كلب خرقة من صوف ، فقام له إجلالاً للخرقة الصوف[3] . . .

ـ مر معنا تأويل مثل هذه الحالة ، فليرجع القارىء إليه ليتدرب على التأويل والتضليل مثل هؤلاء البهاليل .

---

(١) جامع النبهاني : ١ / ٢٨٤ .
(٢) طبقات الشعراني : ٢ / ١٠٥ ، وجامع كرامات النبهاني : ١ / ٤٣٧ .
(٣) طبقات الشعراني : ١ / ١٣٢ .

*** يراود الأمرد عن نفسه ويحسس على مقعدته رضي الله عنه :**

ومنهم الشيخ علي أبو خوذة . . . وكان من أرباب الأحوال ومن الملامتية، وكان يتعاطى أسباب الإنكار عليه قصداً . . . وكانت خوذة سيدي علي من الحديد، وكان زنتها قنطاراً وثلثاً، لم يزل حاملها ليلاً ونهاراً . . . وما رآه أحد يصلي مع الناس إلا وحده، وكان رضي الله عنه إذا رأى امرأة أو أمرد راوده عن نفسه وحسَّس على مقعدته، سواء كان ابن أمير أو ابن وزير، ولو كان بحضرة والده أو غيره ولا يلتفت إلى الناس[1] . . . (دستور دستور ودساتير كثيرة) .

ـ لكن يجب أن نعرف أن هذا له تأويل! لئلا نتهم الأولياء الأبرياء بالجهل والغباء والكفر والزندقة وقلة الحياء .

*** ولاية . . ولواطة . . والنهي عن المنكر جريمة :ـ**

ابراهيم النبتيتي[2]، المجذوب الصاحي . . . من كراماته . . . قال الحمصاني : وقفت أصلي في جامع المرأة، فدخل عليَّ رجل من الجند ومعه أمرد، وقصد به جهة المراحيض، فتشوشتُ في نفسي، وقلت : ضاقت عليه الدنيا وما وجد إلا الجامع! ولم أنطق بذلك، فقال لي إبراهيم المذكور : ما فضولك؟ وما أدخلك يا كذا وكذا؟ وسبني وشتمني! وقال : لا تتعرض! وما لك وذاك؟ إلى غير ذلك[3] . . .

● **التعليق :**

﴿لُعِنَ الَّذين كَفَروا مِن بَني إسرائيلَ . . . كانوا لا يَتَناهَوْن عن منكرٍ فعَلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يَصْنعونَ﴾ .

*** يعلم ما في الأرحام (من مقام العلم) :ـ**

أحمد بن جعد الأبيني[4] . . . وأتته امرأة وقالت : ادع لي أن يرزقني ولداً ذكراً،

---

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ١٣٥، وجامع النبهاني : ٢ / ٣٧٢ .
(٢) مات في مصر سنة ١٠١٩هـ.
(٣) جامع النبهاني : ١ / ٤١٤ .
(٤) من اليمن، مات سنة ٦٩٠هـ.

فقال: سترُ زقين ذلك! فوضعت أنثى، فقالت له فيه، فقال: والله ما قلت لك إلا بعد ما مسستُ ذكرَه بيدي هذه، ولكن أراد أن يُكذِّب هذه اللحية[1]!!

*** يعلم ما في الأرحام . . . وزيادة :-**

جاكير الكردي[2] قدس الله روحه . . . مرت بقرات بالشيخ جاكير الكردي، فأشار إلى إحداهن، وقال: هذه حامل بعجل أحمر أغر، صفته كذا، وعيَّن يوم ولادته، وأنه نذر له، وعيَّن من يذبحه من الفقراء . . . واستأذن رجل واسطي الشيخ جاكير في ركوب بحر الهند بتجارة، فقال: إذا وقعت في شدة فناد باسمي . . . وكان الشيخ جاكير يقول: ما أخذت العهد قط على مريد حتى رأيت اسمه مكتوباً في اللوح المحفوظ[3]. . .

- السؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِي الأَرْحَامِ﴾؟ وقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾؟

*** لا تنظر إلى فروجهم، فكشف الفرج ولاية :-**

علي نور الدين بن العظمة[4]، كان من كبار الأولياء المجاذيب . . . ومن كراماته: ما حكاه حشيش الحمصاني، أنه مر عليه يوماً، فجرى في خاطره الإنكار عليه لعدم ستر عورته، فما تم له هذا الخاطر إلا وقد وجد نفسه بين إصبعين من أصابعه يقلِّبه كيف شاء، ويقول له: انظر إلى قلوبهم ولا تنظر إلى فروجهم[5].

- بهذه الكشوف والعلوم اللدنية وصلت أمتنا إلى ما هي عليه الآن من ذل وهوان وجهل وضياع.

*** كشف، وجبل قاف أيضاً، والرجراج، وغيرها :-**

علي بن أحمد بن خضر المطوعي[6]، المشهور بين الناس بحشيش الحمصاني . . . أحد أكابر الأولياء العارفين . . . وأخبر بأنه اطلع على بحر الظلمات (أي المحيط الأطلسي)، وأن به بلداً لا تبصر أهلها إلا في الظلمة!! وأنه رأى خلف جبل قاف أرضاً

---

(1) جامع النبهاني: ١ / ٥٢٣.
(2) عراقي مات قرب سامرا سنة ٥٥٠هـ.
(3) جامع النبهاني: ٢ / ٣ و٤.
(4) مات في مصر في أوائل القرن الحادي عشر الهجري.
(5) جامع النبهاني: ٢ / ٣٧٨.
(6) من صوفية القرن العاشر الهجري في مصر.

تتحرك بنفسها تسمى الرجراج، ليس بها ساكن، وأنه رأى إرم ذات العماد، وأنه اجتمع بالخضر عليه السلام فوجده يظهر في صُوَر مختلفة، وبالقطب فوجده يلبس كل يوم لباساً غير لون الآخر[1] . . . أهـ.

ـ وعلى الإسلام والعقل والحقيقة السلام.

*** أسرع من الصاروخ :ـ**

علي البدوي الشاذلي، تلميذ سيدي ياقوت العرشي، قال رضي الله عنه: وكثيراً ما كان الشيخ ياقوت يوجهني في الحاجة من إسكندرية إلى بلاد الأندلس، فأذهب إليها وأرجع في يوم واحد، بسرعة خطاي، من غير أن تطوى لي الأرض[2] . . .

*** حدث نسيه التاريخ :ـ**

مسلمة بن نعمة السروجي، شيخ المشايخ وسيد الأولياء ورئيس الأصفياء . . . قال السراج: إنه لما قصد الكفرةُ من الفرنج والأرمَن مدينةَ سروج، وقتلوا وأسروا، ثم قصدوا زاويته، وصل الخبر إلى مريديه، فقالوا: يا سيدي جاءنا العدو، فقال: اصبروا، ثم كرروا القول إلى أن قالوا: بيننا وبينهم قدر رشقة حجر، فخرج، وأشار بيده الكريمة برجوعهم، فرجعت بهم الخيل قهراً لا يستطيعون ردَّها بوجه، فقُتل منهم خلق عظيم، وكذلك من الخيل، وتكسرت العدد، وصاروا بأسوإ حال[3].

● التعليق :

دماء المسلمين التي أُريقت لا قيمة لها، ولم تترحمة الشيخ ومريديه إلا الزاوية فقط. هذا بغض النظر عن كون قصتهم هذه أكذوبة صغيرة من أكاذيبهم.

*** سوط عجيب :ـ**

شيخنا الشيخ علي العمري[4]، الشاذلي الطرابلسي، أشهر أولياء هذا العصر وأكثرهم كرامات وخوارق عادات . . . ومن كراماته رضي الله عنه ما أخبر ني به الحاج

---

(1) جامع النبهاني: ٢ / ٣٧٩.

(2) جامع النبهاني: ٢ / ٣٤٩.

(3) جامع النبهاني: ٢ / ٤٧٠.

(4) مات في طرابلس سنة ١٣٢٢هـ.

إبراهيم المذكور (إبراهيم الحداد من اللاذقية)، قال: دخلت في هذا النهار إلى الحمام مع شيخنا الشيخ علي العمري، ومعنا خادمه محمد الدبوسي الطرابلسي، وهو أخو إحدى زوجات الشيخ، ولم يكن في الحمام غيرنا، قال: فرأيت من الشيخ كرامة من أعجب خوارق العادات وأغربها، وهي أنه أظهر الغضب على خادمه محمد هذا وأراد أن يؤدبه، فأخذ الشيخ إحليل نفسه بيديه الاثنتين من تحت إزاره، فطال طولاً عجيباً بحيث إنه رفعه على كتفه وهو زائد عنه، وصار يجلد به خادمه المذكور، والخادم يصرخ من شدة الألم، فعل ذلك مرات ثم تركه، وعاد إحليله إلى ما كان عليه أولاً، ففهمتُ أن الخادم قد عمل عملاً يستحق التأديب، فأدَّبه بهذه الصورة العجيبة. ولما حكى لي ذلك الحاج إبراهيم، حكاه بحضور الشيخ، وكان الشيخ واقفاً، فقال لي الشيخ، لا تصدقه وانظر، ثم أخذ بيدي بالجبر عني، ووضعها على موضع إحليله، فلم أحس بشيء مطلقاً، حتى كأنه ليس برجل بالكلية، فرحمه الله ورضي عنه ما أكثر عجائبه وكراماته[1].

● **الملاحظات:**

يلاحظ في هذا النص ما يلي: ١ ـ كشف العورة واللعب بها. ٢ ـ الكذب؛ إما أن يكون الخادم كاذباً، أو أن يكون الشيخ كاذباً، وذلك عندما قال: «لا تصدقه». ٣ ـ جعل الآخر يلمس مكان عورته.

*** ولي يُحيي الموتى ويخالف الشرع :ـ**

عبد الرحمن بن أحمد الجامي[2] . . . ومن كراماته . . . أنه جلس في زمن الربيع على شاطىء نهر ملآن، وإذا بقنفذة ميتة قد أقبلت على وجه الماء، فأخذها مولانا الجامي، ومسح بيده ظهرها، فظهر أثر الحياة فيها، ثم لما توجهنا جهة المدينة أقبلت تسعى خلفنا. ومنها أن مولانا سيف الدين أحمد قدم لمنزل العلوي ومعه جملة من المدرسين، فعمل له ضيافة، وعزم على الجامي، فأقاموا الذكر بالدفوف والمنشدين على العادة، فقال بعض الحاضرين للشيخ: يا مولانا! كيف استماع الغناء والطرب بالدفوف والرقص! ما هو خلاف الشرع؟ فحول الشيخ وجهه إليه، وتكلم في أذنه خفية، فظهر

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٩٦.

(٢) مشهور باسم «منلا جامي»، مات في هراة سنة ٨٩٨هـ.

منـه صوت عجيب، وحصـل له وجد بالسماع وضرب الدف[1]. . . (الرجاء الانتباه إلى دور الشياطين).

*** يبلع المتاليك ويتغوطها دنانير والناس ينظرون إليه :-**

الشيـخ حسن سكـر الدمشقي[2] . . . (قالوا له): لا بد أن تظهر لنا كرامة، فقال: هاتـوا لي مائـة من المتالكات[3]، وهي قطع صغيرة من الفضة المغشوشة، فجاؤ وا له بمائة متـاليـك، فأخـذهـا وألقاها في فمه وابتلعها، وفي الحال جلس بصورة مَنْ يقضي حاجة الإنسان، فأخرجها من أسفله دنانير من الذهب، فأخذوها، وكانت هي السبب في غنى أبي لبدة المذكور[4]. . .

- السـؤال: ما هوحكم الشـرع والـذوق بجلوسه جلسة التغوط وكشف عورته أمام الآخرين؟ ومن أين جاءت شياطينه بالذهب؟

*** ولي يقف عرياناً بين الناس ولا يصلي :-**

حسن قضيب البـان المـوصلي[5]، قال السراج: عن الشيخ العارف أبي الحسن علي القرشي رحمه الله قال: دخلت على الشيخ حسن قضيب البان ببيته بالموصل، فرأيته ملء البيت، فهـالني ما رأيت من نمـوه الخارق، فخرجت ثم عدت، فرأيته في زاوية من زوايا البيت مثل العصفور، فخرجت ثم عدت، فرأيته كالعادة . . . وقال المناوي: خرج أبو النجا المغربي يريـد المشرق ومعه أربعون وليًّا، فكان كل بلد جاءه يستوعب ما فيه من الـرجـال، حتى وصـل المـوصـل، فخرج إليه الرجال، وإذا بقضيب البان خرج بأطماره وشعثـه، فقـال: أين الشيـخ؟ فقـالوا: خرج. قال: يتشيطن! فغضبوا. وقال أحدهم: كذب شيطانك، فتغيظ ورمى أطماره، ووقف عرياناً على جنب بركة يصب الماء على يده بيـده، وإذا بالشيـخ جاء، فأخـبر وه، قال: صدق، كنت مع إمـام المـوصـل، ينـافقني وأنافقه؛ ثم قال قضيب البان: أخبر ني بكل رجل رأيته من بلادك، فذكر رجالاً وقضيب

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١٥٤.
(٢) مات في دمشق سنة ١٣٠٧هـ.
(٣) المتليك عملة عثمانية صغيرة القيمة.
(٤) جامع النبهاني: ٢ / ٤٢.
(٥) مات في الموصل سنة ٥٧٠هـ.

البـان يقـول في كل رجـل: وزنـه كذا، ربـع رجـل، ونصف رجـل، وهذا وازن، وهذا كامل، وهذا وإن ملأ صيته ما بين الخافقين لا يساوي عند الله جناح بعوضة.

وسئل الشيخ عبد القادر الجيلاني فقال: هو ولي مقرب ذو حال مع الله تعالى وقدَم صدقٍ عنده، فقيل له: ما نراه يصلي، فقال: إنه يصلي من حيث لا ترونه، وإني أراه إذا صلى بالموصل أو بغيرها من آفاق الأرض يسجد عند باب الكعبة!! وقال بعضهم: كان قضيب البان من الأبدال، واتهمه بعض من لم يره يصلي بترك الصلاة وشدد النكير عليه، فتمثل له على الفور في صُوَر مختلفة، وقال: في أي هذه الصور رأيتني ما أصلي[1]!! أهـ.

ولا تعليق، لأن التعليق أحيـانـاً إضـاعة للوقت، لكن الذي يورد هذه القصص هو عالم من علمائهم.

* فتوى لم تمر على رسول الله ﷺ :ـ

رسـالـة للحافظ السيوطي سماها «المنجلي في تطور الولي»، نقلتها من كتابه «الحاوي في الفتـاوي»، وهـذه هي: قال رحمه الله تعـالى: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله، وسـلام على عبـاده الـذين اصطفى، توقـع إلي سؤال رجل حلف بالطلاق، أن ولي الله الشيخ عبد القادر الدشطوطي بات عنده ليلة كذا، فحلف آخر بالطلاق أنه بات عنده في تلك الليلة بعينها، فهل يقع الطلاق على أحدهما أم لا؟ فأرسلت قاصداً إلى الشيخ عبد القادر، فسألته عن ذلك، فقال: ولو قال أربعة إني نمت عندهم لصدقوا، فأفتيت بأنه لا يحنث واحد منهما[2].

● التعليق:

السيوطي هذا كان يعد نفسه مجدداً، وهذه هي فتوى يصدرها هذا المجدد!؟ وسلام على الشرع والعقل وعلى إنسانية الإنسان.

* الزبل خير من الغائط (المامونية الحموية) على كل حال:ـ

شجـاع الكـرمـاني . . . حضـر ليلة موسم بمسجـد بقلعة الصبية بإيناس[3] يعرف

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٤.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٢٥.

(٣) هكذا هي الجملة في الأصل.

بالشيخ محمد السلطي، فقال الجماعة: نريد أن نأكل حلوى دمشقية، فأخذ الجوالق والمجارف وخرج مع جماعة إلى المزبلة، فيها زبل وشقف وحجارة وغير ذلك، فملؤوا الجوالق، وأتوا المسجد وهم يضحكون، ففرغه بين أيديهم، فإذا هو من أصناف أطايب الحلوى، فأكلوا وازدادوا إيماناً[1]. . . (ازدادوا إيماناً بأن كهانتهم هي الإسلام).

* **كلا النقيضين صحيح، صدق أو لا تصدق، لكن لا تعترض فتنطرد:ـ**

شعيب، أبو مدين المغربي، أحد أعاظم أئمة الطريق المجمع على جلالتهم وولايتهم الكبرى . . . قال: . . . قامت الحرب مرة بالمغرب بين المسلمين والفرنج، وكان الظهور للفرنج، فأخذ شيخنا أبو مدين سيفه وخرج إلى الصحراء، مع نفر من أصحابه، وجلس على كثيب، فإذا بين يديه خنازير قد ملأت الصحراء، فوثب حتى صار بينهم، وعلا بالسيف رؤوسهم حتى قتل كثيراً منهم، وولوا هاربين، فسألناه؟ فقال: هؤلاء الفرنج وقد خذلهم الله تعالى، فأرخناه، فجاء الخبر بكسرتهم في الوقت بعينه! وجاء المجاهدون وأكبوا عليه يقبلون قدميه، وأقسموا أنه لو لم يكن الشيخ بين الصفين لهلكوا. . .

● **التعليق:**

ما دامت لهؤلاء الأولياء هذه الكرامات! فلم أصبح المسلمون أذل من على وجه الأرض؟؟ ولم خسروا قبل ذلك الأندلس مع وجود هؤلاء الضراغم؟؟

. . . وروي أن أمير المؤمنين بالمغرب، المسمى يعقوب، رأى مرائي وأحوالاً من أحوال المريدين، وسببه أنه قتل أخاه غيرة على الملك، فندم على قتل أخيه ندماً أورثه توبة أثرت في باطنه أحوالاً حسنة، وتغير عليه من نفسه ما لا يعهده لثمرة التوبة، فما كان أبركه عليه ذنباً؛ فشكا ما يجده لمريدة كانت تدخل قصره، فقالت: هذه أحوال المريدين، فقال: كيف أعمل بنفسي ومن يعرفني ويداويني؟ فقالت له: الشيخ أبو مدين سيد هذه الطائفة في هذا الزمان؛ فبعث يعقوب إلى الشيخ أبي مدين، وطلبه طلباً حثيثاً، والتجأ إليه، فاقتضى إجابة الشيخ أبي مدين له، فقال: قوموا له نطع الله عز وجل سبحانه

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١١٤.

وتعالى بطاعته، وأنا ما أصل إليه، بل أموت بتلمسان، وكان الشيخ يومئذ في بجاية، فلما وصل إلى تلمسان، قال لرسل يعقوب: سلموا على صاحبكم، وقولوا له: شفاؤك على يد أبي العباس المريني؛ ومات الشيخ أبومدين . . . فمشى (أي أبو العباس المريني) إليه (إلى يعقوب) واجتمع به، ففرح يعقوب بذلك، ثم أمر بذبح دجاجة، وخنق أخرى، وأن يطبخ كل منهما على حدة، وقدمهما بين يدي الشيخ، فأمر الشيخ الخادم برفع المخنوقة، وقال: هذه جيفة، وأكل من الأخرى، فسلم يعقوب نفسه له، وأنزل نفسه منزلة الخادم، وفُتِح له على يده، وترك الملك وسلمه لابنه، واشتغل مع الشيخ، وثبت قدمه في الولاية ببركة الشيخ أبي العباس وإشارة الشيخ أبي مدين.

- وبعد صفحتين فقط، يورد النبهاني هذه القصة بالشكل التالي:

. . . وكان (أبو مدين) استوطن بجاية، ويقول: إنها معينة على طلب الحلال؛ ولم يزل بها يزداد حاله على مر الليالي رفعة ترد عليه الوفود وذوو الحاجات من الآفاق، ويخبر الوقائع والغيوب، إلى أن وشى به بعض علماء الظاهر عند يعقوب المنصور، وقال له: إنا نخاف منه على دولتكم، فإن له شبهاً بالإمام المهدي، وأتباعه كثيرون بكل بلد؛ فوقع في قلبه وأهمه شأنه؛ فبعث إليه في القدوم عليه ليختبره، وكتب لصاحب بجاية بالوصية . . . وارتحلوا به على أحسن حال حتى وطئوا به حوز تلمسان . . . فلما وصل وادي نسر اشتد به المرض ونزلوا به هناك . . . وكانت وفاته سنة ٥٨٠هـ، فحمل إلى العباد مدفن الأولياء والأوتاد، وسمع أهل تلمسان بجنازته، فكانت من المشاهد العظيمة . . . وعاقب الله السلطان فمات بعده بسنة أو أقل[1] . . .

- السؤال: أ - أي الروايتين نصدق، وفيهما ما فيهما من التناقض؟!

ب - ألم يساعدهم كشفهم على معرفة الحق في هاتين الروايتين؟!

ونترك الباقي للقارىء، مع التنبيه إلى مدى الغفلة التي تسببها الصوفية!

*** أين هذه الجزيرة السادسة وفي أي بحر محيط:-**

. . . وقال الشيخ عمر القيسي: خدمت الشيخ عديًّا رضي الله تعالى عنه سبع

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١١٨ و ١٢٠.

سنين، وشهدت له خارقات، فقال لي يوماً: اذهب إلى الجزيرة السادسة في البحر المحيط تجد بها مسجداً، فادخله، تر فيه شيخاً، فقل له: يقول لك عدي: احذر الاعتراض ولا تختر لنفسك أمراً فيه إرادة؛ ودفعني بين كتفي، فرأيت المكان والشيخ، وأخبرته، فبكى، ودعا له، وقال لي: إن أحد السبعة الخواص الآن في النزع، وقد طمحت إرادتي أن أكون مكانه، ثم دفعني فوجدت نفسي في الزاوية[1].

● **توضيح**: مثل هذه الحالات يرونها في أحلام الجذبة (الكشف)، وكثيراً ما تختلط عندهم بالواقع، فلا يميزون بينهما! وفي جميع الحالات يعتبرونها عين اليقين وحق اليقين!

*** يحيون الموتى (والويل لمن لا يصدق):-**

وقال الشيخ عمر: كنت عند الشيخ عدي بن مسافر رضي الله عنه يوماً، فجاء جماعة من الأكراد والبوزية زائرين، وكان فيهم رجل يدعى «الخطيب حسين»، فقال له الشيخ: يا حسين! قم أنت والجماعة حتى نقلب أحجاراً ونعمل حائطاً للبستان، فنهض الشيخ ونهض معه الجماعة، وصعد الشيخ إلى سطح الجبل، وجعل يقطع أحجاراً ويدحرجها وهم ينقلونها إلى مكان العمل؛ فأصاب حجر رجلاً، فاختلط لحمه بعظمه وألصق بالأرض، فمات من ساعته؛ فنادى الخطيب حسين: مات فلان إلى رحمة الله تعالى؛ فانحدر الشيخ من سطح الجبل، وأتى الرجل المصاب، ورفع يديه إلى السماء، ودعا له، فقام الرجل بإذن الله تعالى كأنه لم يصبه شيء[1].

● **التعليق**:

عدي بن مسافر هذا له أتباع، هم اليزيديون عبدة الشيطان، المقيمون في سنجار وما حوله، وقد مضى على المسلمين قرون وهم يتخبطون في ظلمات هذه الأوهام الشيطانية أو الهذيانية، ولما يزل هؤلاء الكهان يُعملون كهانتهم وسحرهم لإبقاء هذه الأمة بعيدة عن إسلامها وعن وعيها. وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

*** الفقير بما يعملون بصير:-**

وقال الشيخ إسماعيل التونسي رحمة الله عليه: خرجت أنا وجماعة من التونسية إلى

(١) جامع النبهاني ٢ / ٢٩٧.

زيارة الشيخ عدي رضي الله عنه، فلما وصلنا سلمنا عليه وجلسنا نتحاور في كرامات الأولياء ودرجاتهم، فقال الشيخ: كل شيخ لا يعلم مريده كم ينقلب في الليل قلبةً ما هو شيخ، ولو أنه في مشرق الأرض أو مغربها؛ فقلت في نفسي: هذا أمر صعب، أنا أجامع زوجتي، والشيخ ينظر إلي؟! فلما رجعت إلى بيتي، هجرت زوجتي شهراً كاملاً، فعلم الشيخ عدي بما أنا عليه، فوصى جماعة من الفقراء المجاورة أنكم إذا توجهتم إلى منازلكم، يتوجه أحدكم إلى التونسية، ويقول لإسماعيل يجيء إلى عندي . . . فلما وصلت وسلمت عليه زجرني وانتهرني، وقال: يا إسماعيل أيما أحب؟ الشيخ يبصر مريده على حلال أو على حرام؟ لا تعد إلى مثلها؛ فقابلت أمره بالسمع والطاعة وانصرفت راجعاً[1].

● **التعليق:**

يرى ويبصر عبر المسافات والحواجز، ويرى مريده وهو يجامع زوجته، ولكنه يبصره على حلال؟! دستور دستور دستور، لكن على كل حال يجب أن لا ننسى سلاح التأويل البتار الذي يجعل كتاب الإحياء بحراً من البحار.

* **العري، العري، العري، وضع عقلك وإيمانك في ثلاجة:ـ**

قال أبو البركات: دخل يوماً على عمي الشيخ عدي ثلاثون فقيراً، فقال عشرة منهم: يا سيدي، تكلم لنا في شيء من الحقيقة؛ فتكلم لهم، فذابوا، وبقي موضعهم حومة ماء؛ وتقدم العشرة الثانية، فقالوا له: تكلم لنا في شيء من حقيقة المحبة؛ فتكلم، فماتوا ثم تقدم الآخرون وقالوا: يا سيدنا تكلم لنا في شيء من حقيقة الفقر، فتكلم لهم، فنزعوا ما كان عليهم من الثياب، وخرجوا عرايا إلى البرية[1].

● **الملاحظة:** على مدى قرون كان أمثال هؤلاء أسوة المسلمين، حتى وصل المسلمون إلى ما هم عليه.

● **الصوفي يعز من يشاء ويذل من يشاء:ـ**

عزاز بن مستودع البطائحي: كان من أجلاء المشايخ وأكابر العارفين وأعيان

---

(1) جامع النبهاني: ٢ / ٢٩٩.

الصالحين ورؤساء المقربين، له الآيات الصادقة . . . والتمكين التام والتصريف العام (أي التصرف في الكون عامة) . . . ومما روينا أن الشيخ عزازاً سأله الخليفة المقتدي بأمر الله القدوم إلى بغداد ليتبرك به، فلما اخترق دهاليز القصر، ما نظر إلى ستر مرخي إلا تمزق قطعاً؛ ثم قال للخليفة: سيقصدك ملك العجم في جيش لا قبل لك به، وقد مُلِّكتُ جيشك رقاب جيشه، وملَّكتك عنقه، فكان كما قال، وأُسر الملك واعتقل ببغداد أياماً، ثم افتدي بأموال عظيمة[1]. . .

* صوفي مكشوف العورة، ولا يصلي. . وهو مع ذلك ولي :-

علي الكردي: أحد أكابر الأولياء أصحاب التصريف العظيم والكرامات الكثيرة، منها: . . . ولما جاء العارف الكبير الإمام شهاب الدين عمر بن محمد السهروردي صاحب كتاب (عوارف المعارف) إلى دمشق في رسالة الخليفة إلى الملك العادل بالخلعة والطوق وغير ذلك، قال لأصحابه: أريد أزور عليًّا الكردي، فقال له الناس: يا مولانا لا تفعل، أنت إمام الوجود، وهذا رجل لا يصلي، ويمشي مكشوف العورة أكثر أوقاته؛ فقال: لا بد من ذلك، قال: وكان الشيخ علي الكردي مقيماً أكثر أوقاته في الجامع، حتى دخل عليه مولًى آخر يقال له ياقوت، فساعة دخوله من الباب، خرج الشيخ علي من دمشق وسكن جبانتها بالباب الصغير، وما دخلها بعد ذلك إلى أن مات - وياقوت فيها يتحكم - فقالوا للشيخ شهاب الدين: هو في الجبانة، فركب بغلته، ومشى في خدمته من يعرِّفه موضعه، فلما وصل إلى قريب من مكانه، ترجل وأقبل يمشي إليه؛ فلما رآه علي الكردي وقد قرب منه كشف عورته! فقال الشيخ شهاب الدين: ما هذا شيء يصدنا عنك، ونحن ضيفانك؛ ثم دنا منه، وسلم عليه، وجلس معه؛ وإذا بحمالين قد جاؤ وا ومعهم مأكول متبر[2]. . . أهـ.

نقول: وهكذا غاص المجتمع الإسلامي في ظلمات الضلال والجهل؛ لا يصلي ويسير مكشوف العورة وهو يتحكم ويتصرف بالوجود، ويزوره إمام الوجود، وما أدراك من هو هذا الإمام، إنه إمام في تدمير عقائد هذه الأمة وسلبها إسلامها ودفعها إلى

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٠٢، وما بعدها.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٣٣١ و٣٣٢، ونشر المحاسن الغالية، ص٣٠٧.

ظلمات الضلال والشرك والأخلاق البذيئة . . . لكن هذا كله له تأويل عند القوم، يضحكون به على أذقان المغفلين والسذج وعلى الذين ماتت فيهم الغيرة على الإسلام.

*** ونسخت أحكام القرآن وسنن الله في كونه :ـ**

سيدي أبو الحسن علي الشاذلي رضي الله عنه، السيد الشريف، زعيم الطائفة الشاذلية، وإمام الأولياء والصوفية، وأحد مفاخر الأمة المحمدية، قال: جعت مرة ثمانين يوماً، فخطر لي أن قد حصل لي نصيب من هذا الأمر، فإذا أنا بامرأة خارجة من مغارة، كأن وجهها ضياء الشمس حسناً وهي تقول: منحوس منحوس، جاع ثمانين يوماً، فأخذ يدل على الله بعمله، وأنا لي ستة أشهر لم أذق فيها طعاماً[1]؟

ـ ولا تعليق، لكن تذكير: وصال الصيام محرم في الإسلام، ولن تعدم من يقول لك: هذا له تأويل! أو يقول: هذا للخواصّ لا للعوامّ؟ فنجيبه: التأويل تضليل، والإسلام دين الحياة للخواص مثل العوام.

*** كرامة فوق السنن . . . ولا حياء بالحلال :ـ**

أبو عمرو عثمان بن مروزة البطائحي رحمه الله، أحد أعيان المشايخ وأكابر الرجال، وأصحاب الكرامات والأحوال . . . فبينما هو ليلة يتهجد، إذ طرقته منازلة من الجناب الأعظم، وتبدت له أنوار، فوقف سبع سنين واقفاً شاخصاً إلى السماء دون غذاء ولا إحساس بحاله، ثم عاد إلى بشريته (أي كان في كل هذه المدة إلهاً ثم عاد إلى البشرية)، فقيل له: اذهب إلى قريتك، وجامع أهلك فقد آن ظهور ولد منك؛ فطرق بابه وأخبر أهله بحاله، فقالت زوجته: لئن فعلت وقضيت تحدث الناس فيَّ؛ فصعد السطح ونادى: يا أهل القرية، أنا فلان، اركبوا فإني سأركب[2].

● الملاحظات:

الملاحظات كثيرة، ومنها: ما ذنب هذه الزوجة التي ترملت مع وجود زوجها! وهل

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٣٤١.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٢٨٨.

يسمح الإسلام بهذا الشذوذ؟؟ أما «اركبوا فإني سأركب»، فهذه تحتاج إلى حضرة، ورقص بنقص، وإلى «ترلم ترلم».

*** جبل قاف أيضاً :-**

قال سيدي محيي الدين (أي ابن عربي) : وأخبرني عنه (أي عن موسى السيدراني) شيخي أبو يعقوب الكومي، أنه وصل جبل قاف المحيط بالأرض، فصلى الضحى بأسفله، وصلى العصر على ذروته، وسئل عن ارتفاعه في الهواء، فقال : مسيرة ثلاثمائة سنة، وأخبر أن الله طوّق هذا الجبل بحية اجتمع رأسها بذيلها[1].

- وهكذا كل كشوفهم، جهل في جهل في غباء، والكذب زيادة.

ودخل موسى هذا أرضاً رأى النمل فيها على قدر المعز عجيبة الخلق، ورأى عجوزاً خراسانية واقفة على البحر والأمواج تصطفق بين ساقيها وهي تسبح الله وتقدسه[1]. . .

- أين هي هذه الأرض؟ وهذا النمل؟ و . . و . . و . . وما أكثر الواوات والأينات؟ لكن أيها القارىء ـ لم تسلم، لا تعترض فتنطرد! فهل تفهم أنت أكثر من الكشف؟! كشف! كشف دمر الأمة الإسلامية.

ويقول عبد الحليم محمود: إن كلام القوم رموز، فنجيبه: الرموز عكاكيز الدجاجلة.

*** بين السيقان، في خان بنات الخطا، تتقدس أسرارهم (دستور من خاطرهم) :-**

(حسن الخلبوصي)، قال الشعراني: حكى الشيخ يوسف الحريثي رحمه الله قال: لما حججت، سهرت ليلة في الحرم خلف المقام، وكانت ليلة مقمرة، فلما راق الليل، دخل جماعة يخفق النور عليهم، فطافوا وصلوا خلف المقام، وجلسوا يسيراً، فجاءهم شخص، وقال: يعيش رأسكم بالشيخ علي. فقالوا: رحمه الله تعالى. قال: من يكون موضعه؟ فقالوا: حسن الخلبوصي بناحية زفتى بالغربية. فقال: أناديه؟ فقالوا: نعم. فقال: يا حسن! فإذا هو واقف على رؤ وسهم عليه ثوب معصفر ووجهه مدهون بالدقيق

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٤٩٨.

وعلى كتفه سوط، فقالوا له: كن موضع الشيخ علي. فقال: على الرأس والعين، وذهب، فلما رجعت إلى بلادي قصدته بالزيارة في خان بنات الخطا، فوجدت واحدة راكبة على عنقه، ويداها ورجلاها مخضوبتان بالحناء وهي تصفعه في عنقه، وهو يقول لها: برفق فإن عيناي موجوعتان! فأول ما أقبلت عليه قال مبادراً: يا فلان، زغلت عيناك وغرك القمر، ما هو أنا، فعرفته أنه هو، وأمرني بعدم إشاعة ذلك[1].

● **التعليق**: يتساءل المتسائلون عن سبب فساد الأمة الإسلامية وهو واضح أمام الأعين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*** العورة.. العورة:-**

الشيخ عبد الكريم القاوي[2] الدمشقي: كان من أصحاب الكرامات الباهرات... فأراد الوالي أن يرى منه شيئاً من ذلك، فقال له الشيخ عبد الله (ابن الشيخ سعيد الحلبي): هل تقدر أن تشرب جميع ما في هذه البركة من الماء؟ فقال: لا أفعل، فقال: نحن نفعل ذلك، فقال: افعلوا؛ فأمر بعضهم سرًّا بأن يظهر بأنه يشرب من البركة، وأمر آخر بأن يفتح مجراها من جهة أخرى، ففعلا ذلك؛ فبعد قليل فرغت البركة؛ فلما ظهر للشيخ القاوي أن ذلك الرجل شرب البركة قال: وأنا أشربها أيضاً فاملؤوها؛ فتركوها حتى امتلأت، فقام الشيخ القاوي، وأخذه حال عجيب، ووضع فمه في البركة فصار يشرب والماء يخرج من إحليله، ولم يزل كذلك يدخل الماء من فمه ويخرج من إحليله إلى أن فرغت البركة؛ وهي من أعظم كراماته، فاعتقده الوالي وغيره اعتقاداً عظيماً[3]...

- السؤال: هل كانوا يرون إحليله والماء يخرج منه؟ وهل؟ وهل؟ على أن كشف العورة عندهم شيء مثير للانتباه!

*** قاف أيضاً! فأين هذا القاف؟!:-**

حماد بن مسلم الدباس[4]... وروي أن الشيخ حماداً مر ببعض قرى بغداد، فرأى بعض أمراء الدولة المستظهرية راكباً سكران، فأنكر عليه، فسطا الأمير على الشيخ،

---

(1) جامع النبهاني: ٢ / ٣٨.
(2) توفي في دمشق عام ١٢٨٣هـ.
(3) جامع النبهاني: ٢ / ٢٢١ و٢٢٢.
(4) توفي عام ٥٢٥هـ.

فقال الشيخ: يا فرس الله خذيه؛ فعدت فرسه كالبرق الخاطف، يسبق البصر، ولم يعلم أين ذهب! وبعث الخليفة الخيل وراءه فلم يقف له على أثر، قال تاج الدين أبو الوفاء: وعزة مَن له العزة، لم يستقر به فرسه دون بر ولا بحر ولا سهل ولا جبل حتى ذهبت به إلى وراء جبل قاف[1]...

ـ فيا ناس، خبرونا أين يقع هذا القاف؟ هذا مع غض النظر عن الكذب الخالي من الحياء.

*** يعلم ما في الأرحام، وقاف أيضاً؟!:-**

عبد الرحمن الشبريسي: روي أن أبا الفتح شمس الدين محمد المرّي السكندري المولود في إسكندرية سنة (٨١٨هـ)، لما حملت به والدته، دخل والده الشيخ بدر الدين العوفي على الشيخ الإمام العارف بالله الشيخ عبد الرحمن الشبريسي، وسأله لها الدعاء، فقال له: إن زوجتك آمنة معها ولدان، أحدهما يموت بعد سبعة أيام، والآخر يعيش زمناً طويلاً، وسمِّه أبا الفتح، وسيكون له فتح من الله تعالى، وتوكل على الله، يعيش سعيداً ويموت شهيداً، ويخرج من الدنيا كيوم ولدته أمه، يضع قدمه على جبل قاف، يسوحُ زمانه، وينال من الله أماناً[2]...

ـ نسأل: ما معنى قوله سبحانه في آخر سورة لقمان: ﴿ويعلَمُ ما في الأرحام﴾، ونعود للسؤال: أين جبل قاف المحيط بالأرض هذا؟! لكن لا اعتراض على الكشف!

*** ومثل شيخه، يجر السفينة بخصيتيه وينزل الغيث:-**

عُبيد أحد أصحاب الشيخ حسين أبي علي، كان له خوارق مدهشة، ومن كراماته: أنه كان يأمر السحاب أن يمطر فيمطر لوقته، وكل من تعرض له بسوء قتله بالحال في الحال؛ دخل مرة الجعفرية، فتبعه نحو خمسين طفلاً يضحكون عليه، فقال: يا عزرائيل إن لم تقبض أرواحهم لأعزلنك من ديوان الملائكة، فأصبحوا موتى أجمعين! وقال له بعض القضاة: اسكت، فقال له: اسكت أنت، فخرس وعمي وصم؛ وسافرَ في سفينة فوحلت ولم يمكن تعويمها، فقال: اربطوها بخيط في بيضي، ففعلوا، فجرَّها حتى

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٥٤.
(٢) جامع النبهاني: ٢ / ١٥٥.

خلّصها من الوحل[1]. . .

● **التعليق**: لا يحتاج هذا الكفر والهذيان للتعليق (ولا للتفريق)، ولكن هذا التلازم بين الصوفية وكشف العورة مثير للانتباه.

*** الطريق إلى الوثنية :ـ**

(أبو الحسن علي بن عمر بن الحسين بن عيسى بن أبي النهى) كان فقيهاً صالحاً. . . وكان غالب أكله من الأشجار . . . وظهرت له كرامات كثيرة . . . وتُربته من التُّرَب المشهورة بالبركة واستجابة الدعاء؛ وقال: ومن أعجب بركتها ما أخبرني به الثقات، أنه كان على قبره شجرة سدر، يأخذ أصحاب الحميات من ورقها، يطلون به رؤوسهم فيبرؤون من الحمى، واستفاض ذلك حتى كان يؤتى لها من الأماكن البعيدة، قال: وكان من عادة أهل إبّ في غالب الأعياد أن يحصل بينهم وبين أهل باديتهم حروب كثيرة، فحصل بينهم في بعض الأعياد حرب انتصر فيه أهل البادية على أهل المدينة حتى أدخلوهم البيوت؛ فقال بعضهم: اقصدوا بنا هذه الشجرة التي يعبدونها فلنعقرها عليهم؛ فنهاهم بعض عقلائهم، فلم يقبلوا، وأسرع إليها بعض الجهال، وقطعها حتى أوقعها على الأرض؛ فأنف أهل المدينة من ذلك، وخرجوا نحوهم، فهزموهم هزيمة شديدة، وقتلوا منهم طائفة، وكان أول قتيل الذي قطع الشجرة. وكرامات الفقيه من هذا القبيل كثيرة[2]. . .

ـ السؤال: إن لم يكن هذا شركاً فما هو الشرك؟ وإن لم يكن وثنية فما هي الوثنية؟ وإن لم يكن ضلالاً فما هو الضلال؟ لكن هذا وأمثاله يفسر لنا الجهل والذل والتخبط الذي ابتليت به الأمة الإسلامية.

*** يتصرف في الكون! لعله مساعَدة لله (سبحانه) :ـ**

(الشيخ جلال الدين التبريزي) كان من كبار الأولياء وأفراد الرجال . . . يذكر ابن بطوطة قصصاً من كرامات الشيخ التي رآها حين لاقاه . . . حتى يقول: ولما كان يوم دخولي إلى الشيخ، رأيت عليه فرجية مرعز، فأعجبتني، وقلت في نفسي: ليت الشيخ

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ٢٨٦.

(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٣٢٨.

أعطانيها؛ فلما دخلت عليه للوداع، قام إلى جانب الغار، وجرّد الفرجية، وألبسنيها مع طاقية من رأسه، ولبس مرقعة، فأخبر في الفقراء أن الشيخ لم تكن عادته أن يلبس تلك الفرجية، وإنما لبسها عند قدومي، وأنه قال لهم: هذه الفرجية يطلبها المغربي، ويأخذها منه سلطان كافر ويُعطيها لأخينا برهان الدين الصاغرجي . . . (ويذكر ابن بطوطة سفره بعد ذلك، وكيف أخذ الفرجية منه سلطان الصين، ثم ذهابه عند الشيخ الصاغرجي حتى يقول): فقصدت زاوية الشيخ برهان الصاغرجي، فوجدته يقرأ والفرجية عليه بعينها . . . فقال لي: هذه الفرجية صنعها أخي جلال الدين برسمي، وكتب إليّ أن الفرجية تصلك على يد فلان . . . وعجبت من صدق يقين الشيخ، وأعلمته بأول الحكاية؛ فقال لي: أخي جلال الدين أكبر من ذلك كله، هو يتصرف في الكون[1]!!

● تعليق: كشفهم أضل منهم وأجهل! فقد جهل أن الحبكة في هذه القصة من ترتيب شياطين الجن.

*** موكل بأهل البرزخ (بالوكالة عن الله تعالى)؟ :-**

(زين العابدين بن عبد الرؤوف المناوي) ابن شارح الجامع الصغير؛ من أكابر الأولياء وأعيان الأصفياء . . . حدَّث الحمصاني، وهو أحد المشايخ العارفين، قال: رأيت طعيمة الصعيدي المصري، وهو من أكابر الأولياء في علم الأرواح، وأمامه إنسان كالنور، أو نور كالإنسان، قلت: ما هذا؟ قال: زين العابدين المناوي، قد وُكِّل بأهل البرزخ[2].

● ملاحظة: أرجو من القارىء الكريم أن يقارن بين هذا الكلام وبين ما يشبهه في الوثنية اليونانية.

*** هل يجيز الإسلام نصب الخيمة على القبر وتعليق القناديل؟ :-**

ومن كراماته (أي زين العابدين المناوي)، أنه كان على قبره خيمة، فسقط عليها حائط بجانبها، فتقطعت الخيمة قطعاً قطعاً، وكان قد علق فيها ثريا من القناديل، فوجدت تحت الخيمة لم تنكسر، وهذا بالمشاهدة[2].

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١٠، وقد نقلها عن رحلة ابن بطوطة.
(٢) جامع النبهاني: ٢ / ٨٤.

ـ الجواب: قول الرسول ﷺ: «لعن الله زائرات القبور والمتخذين عليها المساجد والسرج».

وهكذا نرى أن كرامات الصوفية ما هي إلا شيطانيات تنحرف بالإسلام لتغرقه في أعمق أعماق الوثنية والجهل، وعدم كسر القناديل برهان ملموس على شيطانية الحادثة.

*** النهي عن المنكر جريمة! وسلام على الإسلام:ـ**

(ريحان بن عبد الله العدني)[1] . . . قال المناوي: من كراماته ما حكاه اليافعي عن بعض الثقات، أن بعض أهل عدن رآه يفعل بعض المنكرات، فأنكر عليه وقال: هذا الذي يدّعي الصلاح يقدم على هذا! فاحترق بيته بالنار تلك الليلة[2]!!

سؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿كُنتُمْ خيرَ أمَّةٍ أخْرِجَت للناس تأمرونَ بالمعروفِ وتَنْهَوْن عن المنكرِ﴾؟

*** ومن الولاية القمل:ـ**

. . . وحُكي عن إبراهيم بن أدهم رضي الله تعالى عنه أنه قال: ما سُررتُ في إسلامي إلا ثلاث مرات: . . . والثالثة: كنت بالشام، وعليَّ فرو، فنظرتُ فيه، فلم أميِّز بين شعره وبين القمل لكثرته، فسرني ذلك[3]! (دستور من خاطره).

*** والبول يطهر الأولياء:ـ**

وفي حكاية أخرى عنه أيضاً قال: ما سُررت بشيء كسروري يوماً كنت جالساً، فجاء إنسان وبال عليّ[4]! (أما الآن فدساتير كثيرة، دستور دستور . . .).

*** ولهم في المزابل مراتع إليها يحنون:ـ**

يقول عبد الله اليافعي (الغوث) من قصيدة:

---

(1) يعني مات قبل ٧٠٠هـ.
(2) جامع النبهاني: ٢ / ٧٨.
(3) نشر المحاسن الغالية، ص٢٦٩، والرسالة القشيرية، ص٧٠.
(4) نشر المحاسن الغالية، ص٢٧٠، وتقريب الأصول، ص٢٦١، والرسالة القشيرية، ص٧٠، وإيقاظ الهمم، ص٣٤٥، وغيرها.

أحسنُ ارتياحاً للمزابل لا إلى قصورٍ وفرشٍ بالطراز توشح[1]

ـ أما أنه لا يحن إلى القصور والفرش، فلا غبار عليه، وأما أن يحن إلى المزابل (فهذا عليه غبار وعليه زبالة أيضاً)!

*** افتروا على الله سبحانه فجعلوه يفضل الأبيض على الأسود (من مقام التوبة) :ـ**

. . . وكذلك القضية المشهورة للأستاذ سيد الطائفة الجنيد رضي الله تعالى عنه في توبته عن المريد الذي اسودَّ جسمه بمجرد نظر وحديث نفس صدر منه في الصلاة، فابيضَّ جسمه لما تاب عنه، وكان المريد في بلاد بعيدة، فلما قدم على الجنيد قال له: لولا أني تبت عنك لبقيت بذلك السواد إلى أن تلقى الله[2].

ـ سؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى﴾، وقول الرسول مخاطباً أهله: «. . . فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً»؟ ثم من جهة ثانية، نرى من الواضح أن دور شياطين الجن في هذه اللعبة واضح.

*** الصوفي؛ يمحو ما يشاء ويثبت ما يشاء وعنده أم الكتاب :ـ**

. . . وقد قال بعضهم: لا يكون الشيخ شيخاً حتى يمحو خطيئة تلميذه من اللوح المحفوظ! وقال آخر منهم منكراً لهذا القول المذكور: لو كان شيخاً ما غفل عن تلميذه حتى وقع في الخطيئة[3]!!

الجواب: ﴿كبُرَتْ كَلِمةً تخرجُ مِن أفواهِهم إنْ يقولونَ إلا كَذِباً﴾. وعلى كل حال، يجب أن نعرف أنهم يعتقدون مثل هذه الاعتقادات بناءً على رؤى يرونها فعلاً؟ وما هي إلا ألاعيب شياطين الجن يضلونهم بها، والكشف.

*** يستحيي من الله أن يدخل المسجد (من مقام الحياء) :ـ**

ومن حكايات أهل الحياء ما حكي أنه رؤي رجل خارج المسجد، فقيل له: لم لا

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٧٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٦٨، وإحياء علوم الدين: ٤ / ٤٨، وغيرهما.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٦٨.

تدخل المسجد فتصلي؟ فقال: أستحيي منه أن أدخل بيته وقد عصيته[1]!!

- الجواب: أخلاق تدمر الدين والأخلاق! وهذا يفسر سبباً من أسباب جهل المسلمين بدينهم ودنياهم. ومع ذلك فلن تعدم من يقول لك: هذا للخواصِّ لا للعوام!! فنجيبه: يا سلام.

*** سلِّم تسلم، فللشيوخ التصرف التام:-**

. . . ورووا عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً، فقال له: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك، ثم جاء بعد ذلك بمدة، وقال له: يا سيدي، وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى؛ فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة؛ قال: يا سيدي، ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً، فقال له الشيخ؛ ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً، فإن أحببت أن نوفي لك فأَوْفِ لنا!! فقال: نعم يا سيدي؛ ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان؛ فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيت لنا؛ فرجع إلى منزله، فوجد الولد غلاماً بقدرة الله تعالى وإكرامه لأوليائه عز وجل[2]!!

● **تنبيه:** هذه القصة الكافرة، يرويها غوث من أغواثهم وحبر من أحبارهم، في كتاب هو مرجع من مراجعهم!!

*** ما هو ذنب الصبي الصغير:-**

وروي مسنداً في كتاب مناقب الإمام شيخ الإسلام . . . الشيخ عبد القادر (الجيلاني) . . . فأتاه بعد ذلك جمع من الرافضة بقفتين مخيطتين وقالوا له: قل لنا ما في هاتين القفتين؟ فنزل من الكرسي الذي يتكلم عليه، ووضع يده على إحداهما، وقال: في هذه صبي مقعد، وأمر بفتحها، ففتحت، فإذا فيها صبي مقعد، فأمسك بيده، وقال له: قم، فقام يعدو بإذن الله تعالى، ووضع يده على الأخرى، وقال: وفي هذه صبي لا عاهة به، وأمر بفتحها، وإذا فيها صبي، فقام يمشي، فأمسك بناصيته، وقال له:

---

(1) نشر المحاسن الغالية، ص٢٠٣. (2) نشر المحاسن الغالية، ص٢٢.

اقعد؛ فأقعد[1]. . .

وإنا لله وإنا إليه راجعون، وقد أتى على المسلمين مئات السنين، وهؤلاء القوم ومريدوهم وأشياعهم هم مُثُلهم العليا وموجهوهم في الدين والدنيا، حتى وصل المسلمون إلى ما هم عليه من الجهل والفساد.

*** أمر الشمس بالوقوف فوقفت:-**

ومن جملة المستفيضات ما اشتهر في بلاد اليمن بين الفقهاء وغيرهم، وربما تواتر عن الفقيه إسماعيل الحضرمي . . . رضي الله تعالى عنه، أنه قال يوماً لخادمه وهو في سفر يقول للشمس تقف حتى يصل إلى منزله، وكان في مكان بعيد، وقد قرب غروبها؛ فقال لها الخادم: قال لك الفقيه إسماعيل «قفي له»، فوقفت حتى بلغ مكانه، ثم قال للخادم: ما تطلق ذلك المحبوس؟ فأمرها الخادم بالغروب، فغربت وأظلم الليل في الحال[2].

ولا تعليق، ولا سؤال، ولا جواب، ولا ملاحظة، ولكن نقول فقط: إن كشفهم خانهم! إذ لتأخير غياب الشمس يجب أن يأمر الأرض أن تقف، فدوران الأرض هو الذي يسبب الليل والنهار، ووقوف الشمس لا يؤخر شيئاً ولا يقدم في غروبها.

*** الولاية تنسخ القرآن والحديث والإسلام:-**

قال الفقيه إسماعيل الحضرمي رضي الله تعالى عنه: قيل لي: يا فقيه إسماعيل: إنا مشتاقون إليك، فهل أنت مشتاق إلينا؟ أو قال: فما هذا التخلف؟ فقلت: يا رب عوقتني الذنوب. فقال: قد غفرنا لك ولأهل تهامة من أجلك[3]!!

ـ السؤال: هل نُسخت الآية: ﴿وأنْ ليسَ للإنسانِ إلا ما سَعى﴾؟ وغيرها من الآيات والأحاديث المعروفة ؟! لكن أيها القارىء الكريم، لو عرضت هذا الكلام على صوفي جليل، لقال لك: هذا الكلام له تأويل، فنجيبه: التأويل تضليل، ومكر، وأحابيل.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٠.

(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٣٣.

(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٣٩٠.

* ثم قاف (يا ناس)! :-

قال الشيخ أبـو العبـاس أحمد بن أبي الخير اليمني المشهور بالصياد رضي الله تعالى عنـه: خطـر بقلبي الاعتـزال عن الخلق والسكنى بجبـل قاف، فسمعت قائلاً يقول: يا صياد! أنت لنا أو لنفسك؟ فقلت: بل لكم، فقال: إن كنت لنا فقف ها هنا، ولك أجر رجلين من أهل جبل قاف[1].

- يا ناس، دلونا على من يدلنا على هذا القاف، ولكم أجر كل أهل جبل قاف.

* نصير الدين الطوسي (رضي الله عنه!!) :-

يقـول عبـد الله اليـافعي (قطب الغوث)، والغوث كما تعلمون يتصرف في الكون، ويعلم ما في السـماوات ومـا في الأرض ومـا بينهـما ومـا تحت الثرى! وطبعـاً يعلم ذلـك بالكشف! يقـول: وقـال الإمـام نصـير الـدين الطوسي رضي الله تعالى عنه في كتابه في «قـواعـد العقـائـد»: والفعـل الخـارق الـذي يظهـر على أحـد من غير تحدٍّ يسمى الكرامة[2]... إلخ.

- وللعلم؛ نصير الدين الطوسي هذا، هو وزير هولاكو، شاركه في قتل ثلاثة ملايين مسلم ومسلمة، وهو شيعي، فهل الكشف خان الغوث؟ أم أن دمار الإسلام هو رسالة التصوف؟

* يعرف الجنة قصراً قصراً، ورأى الشمس في العجلة يجرها ملكان! :-

(أبو العباس أحمد بن أبي الخير الصياد) «... وقال في وقت: والله إني لأعرف الجنة قصراً قصراً، وأعرف النار حانوتاً حانوتاً، وأعرف أصحابها في الدنيا واحداً واحداً.

وقال أيضاً: كشف لي عن الشمس، فرأيت ملكين عظيمين يجرانها على العجلة في الفلك، من المشـرق إلى المغـرب، ومن المغـرب إلى المشـرق، قال الراوي: فقلت له: صف لي الملكـين. فقـال: ملكـان عظيـمان لهما كذا وكـذا من مخلب، لو نظـر إليهما أهل الأرض لماتوا...»[3].

---

(1) نشر المحاسن الغالية، ص٣٩٠.

(2) نشر المحاسن الغالية، ص١٣.

(3) نشر المحاسن الغالية، ص٧٦.

ـ لم يسعفه كشفه وهو قطب، وكذلك الذي نقل هذه الكرامة، وهو غوث أيضاً، وهو عبد الله اليافعي، الذي لم يسعفه كشفه ولا غوثيته ليعرف أن الشمس تسير، لكن ليس من الشرق إلى الغرب، ولا من الغرب إلى الشرق، وأن الأرض هي التي تدور حول نفسها من الغرب إلى الشرق، وكذلك كذب عليهما شيطانهما عندما قال لهما: إن الشمس محمولة على عجلة، وفي فصل لاحق سنرى مثل هذا الكشف عند حشاش فطر المكسيك، وأما معرفة الجنة قصراً قصراً والنار حانوتاً حانوتاً، ومعرفة أصحابها، فنترك مناقشتها لغير الضالين المضلين، ﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾.

* العري أيضاً، ولكن مواساة للفقراء :ـ

وحكي أنه دخل بعضهم على بشر بن الحارث رضي الله تعالى عنه في يوم شديد البرد، وقد تعرى من الثياب، وهو ينتفض، قال: فقلت له: يا أبا نصر، الناس يزيدون في مثل هذا اليوم من الثياب، وأنت قد نقصت؟ فقال: ذكرت الفقراء وما هم فيه ولم يكن لي ما أواسيهم به، فأردت أن أواسيهم بنفسي[1]!!

● الملاحظات:

١ ـ ماذا يستفيد الفقراء إن تعرى وانتفض من البرد؟ وإن مرض؟ وإن مات؟

٢ ـ هل يؤجر على هذا العمل أم يأثم؟ وهل العري فضيلة؟ عجيب!

٣ ـ إن كان يريد حقًّا مواساة الفقراء، فلم لم يفتش على عمل ثم يدفع أجرته لهم؟

* أعذار أقبح من ذنوب (من مقام الإخلاص والورع) :ـ

. . . ولا يزالون يتعاطون ما يؤدي إلى إساءة الظن بهم وسقوطهم من قلوب الخلق ورميهم لهم بالعظائم، لا يحتفلون بمدح الخلق ولا بذمهم استجلاباً لكمال الإخلاص، واستبراءً للنفس من شوائب الشرك الخفي الذي لا يسلم منه إلا الخواصّ، لا يبالي أحدهم بكونه بين الخلق زنديقاً إذا كان عند الله صديقاً؛ فبعضهم يوهم الناس أنه لا يصلي ولا يصوم وهو يصلي ويصوم في الباطن فيما بينه وبين الله تعالى، وقد شوهد منهم

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٢٣١.

كثير يصلون في الخلوات ولا يصلون بين الناس! وبعضهم إذا نام عند الناس يوهمهم أنه نائم، ويخرج إلى بعض المزابل يوهمهم أنه يبول، وليس به بول ولا نوم؛ بل يصلي الصبح بوضوء العشاء! وبعضهم يصلي بين الناس، ولكن لا يُرى في الصلاة، بل يحتجب عن الناس بحاله؛ إخفاءً للمحاسن كما تقدم! وبعضهم يكشف عورته بين الناس! وبعضهم يشتم الناس بالألفاظ القبيحة! وبعضهم يجعل قصبته بين رجليه ويعدو عليها كأنها فرسه! وبعضهم يشتمل ببعض الحرف الدنيئة! وبعضهم جاء بعض الملوك يزوره في عسكره، فاستدعى بطعام وجعل يأكل أكلاً بشيعاً شنيعاً، فانصرف عنه الملك لما رأى ذلك! وبعضهم يأخذ شيئاً للناس حتى ينسبوه إلى اللصوصية ويزول عنه شهرة الصلاح[1]!! اهـ.

ـ هذا الكلام يذكره قطب غوث، وما أدراك ما قطب الغوث! فنسأله: لا يصوم، أي يأكل أمام الناس (وطبعاً هذا في رمضان)، فكيف يأكل أمام الناس، بينما هو يصوم في الباطن؟؟ هذا كلام لا يصدر إلا عن مجنون أو زنديق. ثم الذين يصلون في الخلوات ولا يصلون أمام الناس؛ فهل نسخت ولايتهم فرض صلاة الجماعة؟! وهل التظاهر بالزندقة يجوز في الإسلام أم هو زندقة بحد ذاته؟! والعري العري ثم العري؛ لعله من مستلزمات التصوف؟! على كل حال، هذا هو كمال الإخلاص الذي يدعون إليه، وهذا هو استبراء النفس من شوائب الشرك الخفي، وهذا ما يعلمونه للناس، وهذا هو سبب فساد الأمة وسبب انهيارها، وسبب الجهل والذل اللذين يخيمان عليها.

*** رآه وهو في ظهر أبيه:ـ**

. . . وروينا عنه (الشيخ أبي عبد الله القرشي) قال: سألني الشيخ أبو الربيع عن بعض ما كنت أرى؟ فأخفيت عنه شيئاً. فقال: أَعَليَّ تتستر؟ والله لقد رأيتك في ظهر أبيك قبل ظهورك[2] . . . اهـ.

ـ وطبعاً خانه الكشف، فقد كان موزعاً بين أبيه وأمه، حيث نتج من حيوان منوي من هذا، ومن بويضة من هذه، وهكذا نرى أن كشفهم لا يظهر منه إلا الجهل.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٠٣. (٢) نشر المحاسن الغالية، ص٥٠.

* كشف، ودعوة إلى الجهل:

يقول أحمد الفاروقي السرهندي، مجدد الألف الثاني:

. . . ومن علومهم (أي الفلاسفة) علم الهندسة، وهو لا يغني شيئاً . . . وعلم الطب وعلم النجوم وعلم تهذيب الأخلاق . . . وهؤلاء الأشقياء أخرجوا رقابهم عن ربقة التقليد، وصاروا في صدد الإثبات بالدلائل، فضلوا وأضلوا. ولما وصلت دعوة عيسى على نبينا وعليه الصلاة والسلام إلى أفلاطون، وكان هو أكبر هؤلاء الخذلة، قال: نحن قوم مهديون لا حاجة بنا إلى من يهدينا، ما أسفهه وما أشقاه حيث أدرك شخصاً يحيي الأموات ويبرىء الأكمه والأبرص[1] . . .

- أترك التعليق للقارىء، ولكني أنبه إلى أن أفلاطون مات قبل ميلاد عيسى بـ (٣٤٧ سنة)، فأين الكشف؟ مع العلم أن السرهندي يعترف أن الكشف قد يخطىء.

* صورة من مقام التواضع . . ثم من مقام الخوف:-

كان الشيخ الفقيه عبد الرحمن بن سعيد من الفقهاء والعلماء العاملين، بينما هو يمشي في يوم شاتٍ كثير الطين، فاستقبله كلب يمشي على الطريق التي كان عليها، قال من رآه: رأيت الشيخ قد لصق بالحائط، وعمل للكلب طريقاً، ووقف ينتظره ليجوز، فلما قرب منه الكلب، ترك مكانه الذي كان فيه ونزل أسفل، وترك الكلب يمشي فوقه! قال: فلما جاوزه الكلب وصلتُ إليه فوجدتُه وعليه كآبة! فقلت له: يا سيدي رأيتك الآن صنعت شيئاً استغربتُه! كيف رميت بنفسك في الطين وتركت الكلب يمشي في الموضع النقي؛ فقال لي: بعد أن عملتُ له طريقاً، تفكرتُ وقلتُ: ترفعتُ على الكلب وجعلت نفسي أرفع منه، بل هو والله أرفع مني وأولى بالكرامة، لأني عصيت الله وأنا كثير الذنوب . . . وأنا الآن أخاف من الله ألا يعفو عني لأني رفعت نفسي على من هو خير مني[2] . . .

---

(١) المنتخبات من المكتوبات، ص٧٤.

(٢) إيقاظ الهمم، ص٣٣٧ و٣٣٨.

* **نسخ لآية قرآنية:**

... وقيل للواسطي[1]: لم لا تسأل الله شيئاً؟ فقال: أخشى أن يقال: إن سألتنا الذي لك عندنا فقد اتهمتنا، وإن سألتنا ما ليس لك عندنا فقد أسأت الأدب معنا، وإن سلمت الأمر لنا ونظرت بنظرنا أجرينا لك الأمور على مقتضى الموافقة[2].

- السؤال: ما معنى قوله سبحانه: ﴿وقالَ ربُّكم ادْعوني أَسْتَجِب لكُم إنَّ الذينَ يَسْتَكْبِرون عن عبادتي سَيَدْخُلون جهنَّمَ داخِرين﴾؟ وهل نسختها ولايتهم؟

- وما معنى قوله سبحانه: ﴿فادْعوا الله مُخْلِصين له الدينَ ولو كرِهَ الكافرون﴾؟

- وماذا بقي للقرآن من قيمة ما دام هوس هؤلاء المهووسين يتحكم بآيات الله فيقررها أو ينسخها؟! لكنه العلم اللدني فلا تعترض. ولننتبه إلى الآية التي تقرر أن الذين يكرهون الدعاء هم الكافرون.

* **علم لدني:-**

يقول عبد العزيز الدباغ الغوث، إجابة على سؤال:

... الجواب والله الموفق للصواب بمنِّه، أن الثلج ماء عقدته الرياح، وأصلُه - غالباً - من ماء البحر المحيط، وماء البحر المحيط مخصوصٌ بثلاث خصال لا توجد في غيره: البرودة إلى النهاية، لمجاورته للرياح وبعده مِن حر الشمس، ولذلك ينعقد بأدنى سبب؛ والصفاء إلى النهاية، لأنه ماء باقٍ على أصل خلقته، لم يمتزج بشيء من جواهر الأرض، فإنه بحر محمول على القدرة الأزلية، وليس هو على الأرض ولا على شيء؛ والبعد إلى النهاية، فإن المسافة التي بيننا وبينه في غاية البعد[3]...

- نترك التعليق لغير أهل الطريق، مع ملاحظة أن كشفه منبثق من معلوماته المستقاة من محيطه.

---

(١) يزيد بن هارون الواسطي، مات سنة ٢٨٦هـ.
(٢) إيقاظ الهمم، ص٢٦٩.
(٣) الإبريز، ص١٤٥.

* **علم لدني آخر:ـ**

ويجيب عبد العزيز الدباغ، الغوث، على سؤال عن سبب الخسف فيقول:

. . . إن الأرض محمولة على الماء، والماء محمول على الريح، والريح تخرج من حيّز عظيم بين السماء وطرف الماء، أعني ماء البحر المحيط، وذلك أنا لو قدرنا رجلاً يمشي ولا ينقطع مشيه، فإنه يبلغ لمنقطع الأرض، ثم يرى البحر المحيط، فإذا فرضناه يمشي عليه ولا ينقطع مشيه، فإنه لا يزال يمشي فوق الماء إلى أن ينقطع، وعندئذ لا يبقى بينه وبين السماء إلا الجو الذي تخرج منه الريح، فيرى رياحاً لا تكيّف ولا تطاق، وهي بإذن الله الحاملة للماء والأرض، والماسكة للسماء، ثم هي خدامة دائماً لا تسكن لحظة، ومرتفعة نحو السماء، فإذا أراد الله تعالى أن ينزل المطر على قوم أمر شيئاً من تلك الرياح فانعكس إلى جهة الأرض، وعبر على متن البحر المحيط أوغيره، فيحمل ما أراد الله تعالى من الماء إلى الموضع الذي يريده عز وجل، وكم مرة أنظرُ إلى طرَف الماء المُوالي للجو الذي فيه الرياح، فأرى فيه جبالاً من الثلج لا يعلم قدر عظَمها إلا الله عز وجل، فإذا رجعتُ من الغد، وجدتُ تلك الجبال نُقلت إلى طرف الماء الموالي لجبل قاف، وإذا الرياح المنعكسة هي التي حملتها والله تعالى أعلم. وإذا أراد الله أن يخسف بقوم، دخلت الرياح في منافس وتقويرات في الأرض، بينها وبين الماء، فإذا دخلت الريح فيها، وقع في الأرض انحلال ينشأ عنه الخسف، وفي آخر الزمان تكثر المنافس في الأرض، ويكثر انعكاس الرياح إلى جهة الأرض، فتكثر الخسوفات، حتى يختل نظام الأرض، وكل ذلك بفعل الله تعالى وإرادته والله أعلم[1]. . .

ـ أرجو من القارىء الكريم أن يعرف أن قائل هذه الهذيانات الخرافية هو قطب الواصلين الولي الكامل الغوث الحافل، الصوفي الباهر، نجم العرفان الزاهر، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأنوار المحمدية، والأسرار الربانية، والهمم العرشية، مُنشىء معالم الطريقة . . . ومبدي علوم الحقائق[2]. . .

كما أرجو من القارىء أن يعرف أن الذي سجل هذه المعارف (أو المخارف) التي جرت

(١) الإبريز، ص١٤٨.

(٢) الإبريز، ص٢.

على لسان نجم العرفان هذا، هو نجم عرفان آخر، وهو الحافظ سيدي أحمد بن المبارك، جمعها في كتابه الشهير «الإبريز»، ومما وُصف به هذا الإبريز قولُ أحدهم:

دع ما يَريبك إن ظفرتَ بمنهل صافٍ وهذا منهل الأبرار
لله ما يحويه ذا الإبريز يا لَلّه ما يحوي من الأسرار
جمعَ المحاسن فهو جنّاتٌ أتت من كل صنفٍ يانع الأزهار[1]

ومن جملة ما يقول نجم العرفان الحافظ أحمد بن المبارك عن نجم العرفان سيدي عبد العزيز الدباغ: «. . . ولو سألتُه رضي الله عنه ورحمه عن هذه الأسئلة (أسئلة ذكرها عن غيبيات) لخرجتْ في أجوبتها علومٌ غيبية، فإنه رضي الله عنه لا يجيب إلا عن عيان. . .»[2].

- أي إن تلك الهذيانات التي ذكرها صادرةٌ عن عيانٍ شاهده عبد العزيز الدباغ بنفسه، وهذا دليل واضح كامل على أن رؤاهم ومشاهداتهم ما هي إلا أوهام، كانوا يظنونها حقائق، وقد شغلتْ - كعلوم - حيّزاً من قناعاتهم، فظهرت في رؤاهم الكشفية، ولنلاحظ قوله: «إن الأرض محمولة على الماء . . . وإن هذا الماء بعيد إلى النهاية»، الذي يُظهر مدى جهل الكشف وغبائه أيضاً! لأن الآية الكريمة تقول: ﴿والأرضَ بعدَ ذلك دَحاها . أخرجَ منها ماءَها ومرعاها﴾، أي إن ماء الأرض خرج من الأرض، فيكون محمولاً عليها وليس العكس، وكذلك قوله: «لو قدّرنا رجلاً يمشي . . . فإنه يبلغ لمنقطع الأرض»، الذي يدل على أن كشفهم (وعرفانهم) لم يستطع أن يفهم معنى قوله سبحانه: ﴿والأرضَ مَدَدْناها﴾، أي إن الرجل الماشي، سيبقى يسير، وستبقى الأرض، ومعها البحر ممدودةً أمامه لا تنقطع، لأنها كروية، ولكن الكشف جهول. ولننتبه أيضاً إلى قوله: «وكم مرة أنظرُ إلى طرف الماء الموالي للجو . . .»، الذي يبيّنُ بوضوح كامل أن هذه الأمور شاهدها بنفسه (بالكشف طبعاً)، وهذا دليل واضح على أن الكشف هو انبثاقات للمعلومات المختزنة في عقل المكاشف، وبالتالي، يدل هذا أيضاً على أن الصوفية ليست ولاية «ولا يحزنون»، وإنما هي حالة نفسية تشبه ما يحدث لمتعاطي المخدرات شبهاً تامًّا. كما يجب أن ننتبه إلى اعتقادهم بواقعية الكشف.

(١) من أبيات مكتوبة على الغلاف الداخلي للكتاب. (٢) الإبريز، ص١٤٩.

* **كشف فلكي فيزيائي كيميائي :-**

(ياقوتة) : سألتُ شيخنا رضي الله عنه عن محل التغيير والاستحالة من العالَم . فقال رضي الله عنه : محلُّ ذلك ما دون فلك القمر! . . . فقلت له : فهل الاستحالة عامة في كل كثيف ولطيف فيما تحت فلك القمر؟ فقال رضي الله عنه : نعم . ألا ترى النار تستحيل هواءً، والهواء يستحيل ماءً، والماء يستحيل هواءً، والهواء يستحيل ناراً، والنار تتصل بالهواء وآخرها يتصل بالنور، فأول طرف الهواء متصل بالماء وآخره متصل بالنار، وأول الماء متصل بالتراب وآخره متصل بالهواء، فمن جهة طرفه الأعلى يتصل بما فوقه، ومن طرفه الأدنى يتصل بما دونه ويستحيل؛ فقلت له : فما العلّة في الاستحالة والتغيير؟ فقال : لتُجزى كل نفس بما كسبت وتُعاقب بما جنتْ[1] .

● **التعليق :**

يقول : إن الاستحالة (أي الحوادث الكيميائية والفيزيائية) لا تُجرى فوقَ فلَك القمر! أي : لوكنّا في المريخ مثلاً، فأي عملية كيميائية أوفيزيائية لا يمكن أن تجري هناك!! كما يقرر (بل يقرران) أن ما فوق فلك القمر لا يوجد فيه تراب، إن التراب هو الذي نراه تحتنا فقط!!

ـ هذا الكلام يعني أن العارف (بل العارفَيْن) الكامل المحقق لم يستطع أن يعرف أن الاستحالة والتغيير تجري فوق فلك القمر وفي النجوم البعيدة، كما تجري على الأرض، كما أنه لم يعرف (أو لم يعرفا) أن الأرض ومعها قمرها تدور مع بقية الكواكب السيارة حول الشمس، ولم يعرف كذلك أن النجوم شبيهة بالشمس لها توابع أورفاق، تدور حولها أو معها، وتسري عليها سنن الله التي تسري على الأرض، ولم يعرف أيضاً أن العلّة في الاستحالة والتغيير ليست كما قال : ﴿لِتُجزى كلُّ نفسٍ بما كَسَبَت﴾، وأنه لا علاقة بينهما البتة، وإنما هي سنن الله في خلقه، كانت كما أرادها أن تكون .

وكل هذا يعني أن الكشف لم يُعطه أكثر من المعارف المختزنة في مخازن دماغه والتي استقاها من المعلومات التي كانوا يتوهمونها، والتي جاءت بدورها من مكاشفات أولياء

---

(١) كتاب الجواهر والدرر على هامش الإبريز، ص١٥١ .

سابقين تراكمت بعضها فوق بعض، وكان الأقطاب المُدّركون والكباريت الحمر، يضيف كل واحدٍ منهم إلى الركام ما يتجسَّد له في كشفه، مما يتوهمه من نظريات خرافية.

والجدير بالذكر أن مثل هذا تماماً يحدث مع الذين يتعاطون المخدرات التحشيشية، فهم يرون في كشوفهم المعلومات المختزنة في عقولهم، يضاف إليها أمانيُّهم وطموحاتهم.

وهكـذا كل كشـوف العـارفـين، ما عدا الطلسميّـات والمعمَّيـات والغيبيات التي لا يمكن أن يوجد عليها أي دليل، والتي ليس لها أي قيمة في ميزان العلم والمعرفة الحقة.

ولإتمام الفائدة، نفيد القارىء علماً أن السائل هو القطب الرباني والغوث الصمداني سيـدي عبـد الـوهـاب الشعـراني، وأن المسـؤ ول هو الشيـخ الكـامـل المحقق صاحب الكشوفات الربانية والمعارف اللدنية، سيدي علي الخوَّاص . . . وكان محل كشفه اللوح المحفوظ عن المحو والإثبات[1]!!

ـ أقـول: لو كان كلامهم هذا صحيحـاً، ولـو كانت كشـوفـاتهم ربانية محلها اللوح المحفوظ، لتنزهت عن الغلط ـ مجرد الغلط ـ فكيف بها وهي كلها ـ كما نرى ـ هذيان في هذيـان، وجهـل في جهـل؛ وبـالتـالي، تكـون فنـاءاتهم وإشـراقـات وحدة الوجود فيها هذيانات من هذه الهذيانات.

* **كشف من الغيبيات (للتسلية):ـ**

يقول أحمد بن المبارك:

سمعت الشيـخ (عبـد العزيز الدباغ) رضي الله عنه يقول: في ذات كل ملك خمسة رؤ وس، لكـل رأس يمـينٌ وشـمالٌ وفوقٌ سبعة، فله فوق تسعةُ أفواه، مجموع ذلك ثلاثة وستون فماً في كل رأس، فإذا ضربت عدد الرؤ وس الخمسة في عدد الأفواه السابقة، كان الخـارج ثلاثـمائـة فم وخمسـة عشر فماً، والفم يكون فيه ثلاثة ألسن، وقد يكون فيه خمسة ألسن، وقد يكون فيه سبعة ألسن؛ فإذا كان فيه ثلاثة، فالخارج من ضربها في عدد الأفواه تسعمائة وخمسة وأربعون لساناً، وإن كان فيه خمسة كان الخارج ألف لسان وخمسمائة لسان وخمسـة وسبعـون لسـانـاً، وإن كانت سبعـة كان الخـارج ألفي لسان ومائتي لسان وخمسة

(١) الجملة الأخيرة من طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.

ألسن؛ وإذا تكلم الملك بكلمة خرج صوته بها من هذه الألسن كلها، فسبحان الملك الخلاق العظيم[1]. . . اهـ.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وهكذا نرى أن كشوفهم ما هي إلا هذيانات وهلوسات وصور لما كانوا يعتقدونه عن الكون، وكلها خرافية، بالإضافة إلى الألاعيب الشيطانية.

*** ثم قاف أيضاً :-**

. . . سمعنا الشيخ أبا أحمد البطايحي رضي الله عنه غير مرة يقول: دخلت على شيخنا الشيخ عبد القادر رضي الله عنه ببيته يوماً، فوجدت عنده أربعة ما رأيتهم قبل! فوقفت مكاني، فلما قاموا من عنده قال لي الشيخ: الحقهم واسألهم أن يدعوا لك، فلحقتهم في صحن المدرسة قبل أن يخرجوا، وسألتهم الدعاء، فقال لي أحدهم: لك البشرى، أنت خادم رجل يحرس الله تعالى الأرض ببركته، سهلها وجبلها، برها وبحرها، وبدعوته تُرحم الخليقةُ برها وفاجرها، ونحن وسائر الأولياء في حضرة أنفاسه وتحت قدميه وفي دائرة أمره؛ ثم خرجوا من المدرسة فلم أرهم؛ فرجعت إلى الشيخ متعجباً، فقال لي قبل أن أخبره بشيء: يا عبد الله! لا تُعلمْ أحداً بما قالوا لك يا أخي. قلت: يا سيدي مَن هؤلاء؟ قال: رؤساء رجال جبل قاف، وهم الآن في مواضعهم بجبل قاف[2]. . .

- السؤال: أين هذا القاف؟! أفيدونا يا رجال الغيب، ويا رجال الشهادة، ولكنهم كانوا يرون هذا فعلاً بالكشف! فما هو هذا الكشف؟!

*** ماذا بقي للألوهية :-**

يقول عبد القادر الجيلاني:

«أنا من وراء أمور الخلق، أنا من وراء عقولهم، كل رجال الحق إذا وصلوا إلى القَدَر أمسكوا إلا أنا، وصلت إليه وفُتح لي منه روزنة، فأولجت فيها، ونازعت أقدار الحق بالحق

---

(1) الإبريز، ص١٥٣.

(2) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١٩.

للحق، فالرجل هو المنازع للقدر لا الموافق له[1].

ويقول: طوبى لمن رآني، أو رأى من رآني، أو رأى من رأى من رآني، وأنا حسرة على من لم يرني[1].

الجواب هو قوله سبحانه: ﴿فلا تزكُّوا أنفسَكم هو أعلمُ بمَنِ اتَّقى﴾. وقوله: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الـذينَ يزكُّـونَ أنفُسَهُم بلِ الله يُزَكِّي مَن يشـاءُ ولا يُظْلَمـون فتيـلاً. انظُـرْ كيفَ يَفْـتَرونَ على الله الكـذبَ وكَفى به إثْـماً مُبيناً﴾، وقوله مخاطباً رسوله: ﴿وما أدْري ما يَفْعَلُ بي ولا بِكُم﴾، وقوله: ﴿قُلْ إنِّي لا أملِكُ لكم ضرًّا ولا رَشَداً. قُلْ إنِّي لن يجيرَني مِن الله أحدٌ ولن أجدَ مِن دونِهِ مُلْتحداً﴾، وغيرها الكثير، فهل نؤمن بالقرآن أم بالجيلاني؟؟

*** لا يلبس القميص تقرباً إلى الله تعالى (لعله من مقام المحاسبة):-**

... وكان لأبي سعيد الخراز ابنٌ ماتَ قبله، فرآه في المنام، فقال له: بُني أوصني. فقـال: لا تعـامـل الله على الجبن ... فقـال: زدني. فقـال: لا تجعـل بينـك وبين الله قميصاً! قال: فما لبس القميص ثلاثين سنة[2]...

- فما شأن القميص؟! وهل يشكل القميص حاجزاً بين الإنسان وبين ربه؟!

*** الكشف يجهل أن الإكسير خرافة:-**

لما مات إسحـاق بن أحمـد، دخـل سهـل بن عبد الله صومعته، فوجد بها سفطاً فيه قارورتـان في واحـد منهـما شيء أحمـر، وفي الأخـرى شيء أبيض، ووجـد شوشقة ذهب وشـوشقـة فضـة، قال: فرمى بالشـوشقتين في الدجلة وخلط ما في القارورتين بالتراب، وكـان على إسحـاق دَيْن، قال ابن سالم: قلت لسهـل: إيش كان في القارورتين؟ قال: إحداهما لو طرح منها وزن درهم على مثاقيل من النحاس صار ذهباً! والأخرى لو طرح منها مثقال على مثاقيل من الرصاص صار فضة! فقلت: وإيش عليه لو قُضي منه دينه؟ فقال: أي دوست، خاف على إيمانه[3].

---

(1) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص٢٣.
(2) الرسالة القشيرية، ص١٨٠.
(3) الرسالة القشيرية، ص١٦٤.

ـ دوست: كلمة فارسية معناها صاحب. ولعل القارىء يعرف أن الشيء الأحمر والشيء الأبيض اللذين كانا في القارورتين هما ما يسمونه «الإكسير» وهو محض خرافة لا وجود له. ولكن كشفهم الذي يقولون عنه إنه عين اليقين وحق اليقين لم يسعفهم على معرفة اليقين، وظهر أكثر جهلاً منهم.

أما إنه أبقى الدَّين على نفسه لأنه إن قُضي دينه خاف على إيمانه!! فهذا منطق لا يفهمه إلا المكاشفون العارفون.

*** الشريعة تابعة لحقيقتهم :ـ**

... سمعت أبا بكر الدقاق يقول: كنت مارًّا في تيه بني إسرائيل، فخطر ببالي أن علم الحقيقة مباين للشريعة؛ فهتف بي هاتفٌ من تحت شجرة: كل حقيقة لا تتبعها الشريعة فهي كفر[1].

ـ إذن! فالشريعة تابعة لحقيقتهم! وهذا مثل قول الغزالي الذي مر في مكان سابق، وهو يعني: إن العبارة إن لم تكن موهمةً أن وراءها نصًّا شرعيًّا فهي كفر (أي في نظر أهل الشريعة).

*** صيامٌ نهى عنه رسول الله ﷺ :ـ**

... سمعتُ الفتاحي صاحب سهل بن عبد الله يقول: كان سهل يصبر عن الطعام سبعين يوماً، وكان إذا أكل ضعف، وإذا جاع قوي. وكان أبو عبيد البسري إذا كان أول شهر رمضان يدخل بيتاً ويقول لامرأته: طيِّني عليَّ الباب وألقي إليَّ كل ليلة من الكوة رغيفاً، فإذا كان يوم العيد، فتح الباب، ودخلت امرأته البيت، فإذا بثلاثين رغيفاً في زاوية البيت، فلا أكل ولا شرب ولا نام ولا فاتته ركعة من الصلاة[2]..

● التعليق:

نهى رسول الله ﷺ عن الوصل في الصيام، وأمر بتعجيل الفطور، وأمر بالسحور، وأمر بتأخيره. وبذلك يكون هذا «الولي» موزوراً بعمله هذا لا مأجوراً، ولكن حقيقتهم

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٦٤.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٦٥، واللمع، ص٢١٧.

تناقض الشريعة الإسلامية (على طول الخط)، وهذا عدا تركه صلاة الجمعة والجماعة.

*** كذب على الله ورسوله :ـ**

قال خير النساج: قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة، فزعق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله تعالى إليه: يا موسى، بطيبي فاحوا، وبحبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلِمَ تنكر على عبادي[1]؟

ـ الجواب: ﴿ومَن أظلمُ ممَّنِ افترى على الله كَذِباً﴾.

والكذب على رسول الله موسى، كالكذب على رسول الله محمد صلى عليهما وسلم، ويقول ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

*** من خشوع الأولياء في الصلاة :ـ**

. . . أحمد بن مقاتل العكي يقول: كنت مع الشبلي في مسجدٍ ليلة من شهر رمضان، وهو يصلي خلف إمام له وأنا بجنبه، فقرأ الإمام: ﴿ولَئِن شِئْنا لَنَذْهَبَنَّ بالذي أوحينا إليك﴾، فزعق زعقة قلت طارت روحه، وهو يرتعد ويقول: بمثل هذا يخاطب الأحباب! يردد ذلك كثيراً[2].

ـ نقول (متناسين تزكية النفس): لعلَ من مقام الإحسان الزعق في الصلاة؟ فهذه علوم لدنية كشفية يجهلها المحجوبون. وهذا يكشف دور إبليس في التصوف.

*** يستبدل القرآن بالغناء! ولا تعترض :ـ**

سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي يقول: خرجت إلى مرو في حياة شيخي الأستاذ أبو سهل الصعلوكي؛ وكان له قبل خروجي، أيام الجمعة بالغدوات، مجلس دور القرآن والختم؛ فوجدته عند رجوعي قد رفع ذلك المجلس، وعقد لأبي الغفاني في ذلك الوقت مجلس القول! فداخلني من ذلك شيء، فكنت أقول في نفسي: قد استبدل مجلس الختم بمجلس القول! فقال لي يوماً: يا أبا عبد الرحمن! إيش يقول الناس فيَّ؟ فقلت: يقولون: رفع مجلس القرآن ووضع مجلس القول! فقال: من قال لأستاذه «لِمَ» لم

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٥٧.
(2) الرسالة القشيرية، ص١٥٥.

يفلح أبداً[1] . . . اهـ.

ـ فهم القارىء كاف، ولكن ينبغي أن نشير إلى أن هذه الضلالات والتفاهات تدرَّس في مساجد المسلمين، وعليها ينشأ كثير من أبناء المسلمين! ثم يتساءلون عن سبب فساد المسلمين!!

*** الصوفي إله! يغفر لمن يشاء ويعذب من يشاء بيده الخير:-**

. . . أن شقيقاً البلخي وأبا تراب النخشبي قدما على أبي يزيد (البسطامي)، فقُدمت السفرة وشابٌّ يخدم أبا يزيد؛ فقالا له: كل معنا يا فتى. فقال: أنا صائم. فقال أبو تراب: كل ولك أجر صوم شهر! فأبى. فقال له شقيق: كل ولك أجر صوم سنة!! فأبى. فقال أبو يزيد: دعوا من سقط من عين الله تعالى!! فأخذ ذلك الشاب في السرقة بعد سنة فقطعت يده[2].

● **التعليق**: عندما يصل الضلال بأهله إلى هذا المستوى، فالسكوت خير من الكلام.

*** يرفضون أن يكون آخر كلامهم «لا إله إلا الله»:-**

. . . عن أبي محمد الهروي أنه قال: مكثت عند الشبلي الليلة التي مات فيها، فكان يقول طول ليله هاذين البيتين:

كل بيت أنت ساكنه غير محتاج إلى السُّرج
وجهك المأمول حجتنا يوم يأتي الناس بالحجج[3]

وقيل للشبلي عند وفاته: قل: لا إله إلا الله، فقال:

قال سلطان حبه أنا لا أقبل الرُّشا
فسلوه بحقه لِمْ بقتلي تحرشا[4]

وقال بعضهم: كنت عند ممشاد الدينَوَري عند وفاته، فقيل له: كيف تجد العلة؟

فقال: سلوا العلة عني كيف تجدني؛ فقيل: قل: «لا إله إلا الله»، فحول وجهه إلى

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٥٠.
(2) الرسالة القشيرية، ص١٥١.
(3) الرسالة القشيرية، ص١٣٧.
(4) الرسالة القشيرية، ص١٣٨.

الجدار، وقال: أفنيتُ كُلِّي بكلك، هذا جزاء مَنْ يحبك[1]؟

وقيل لأبي محمد الدبيلي وقد حضرته الوفاة: قل: «لا إله إلا الله»، فقال: هذا شيء قد عرفناه وبه نفنى، ثم أنشأ يقول:

تسربل ثوبَ التيه لَمَّا هويته وصدَّ ولم يرض بأن أك عبده[1]

. . . سمعت بعض الفقراء يقول: لما قربت وفاة أحمد بن نصر رحمه الله تعالى، قال واحد: قل: «أشهد أن لا إله إلا الله»، فنظر إليه وقال: لا تترك الحرمة (بالفارسية: بي حرمتي مكن)[1].

وحُكي أنه قيل له (لأبي الحسين النوري): قل: «لا إله إلا الله»، فقال: أليس إليه أعود[1]؟

- وغيرهم وغيرهم، ولا تعليق، ولا سؤال، لكن هكذا تقتضي حكمة الإشراق.

*** من أجل نملتين (من مقام التقوى):-**

. . . ومثْل أبي يزيد، اشترى بهمذان حبّ القرطم، ففضل منه شيء، فلما رجع إلى بسطام رأى فيه نملتين، فرجع إلى همذان فوضع النملتين[2]!!

● الأسئلة:

١ - هل أعاد النملتين إلى نفس قريتهما[3]؟ طبعاً لا. وعندما تبتعدان عن قريتهما فلا فرق عندهما بين بسطام وبين همذان، ولكن كشفه لا يفهم ذلك؟

٢ - عندما ذهب إلى همذان ورجع، فكم نملة مرت تحت رجله فداسها وقتلها دون أن يشعر؟ كم نملة قتل في سبيل إعادة نملتين؟ فكيف قصر علمه اللدني عن علم هذا الأمر البدهي.

*** من مقام الزهد:-**

. . . سمعت الجنيد يقول: سمعت السرّي يقول: وإن نفسي تطالبني منذ ثلاثين

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٣٨.
(٢) الرسالة القشيرية، ص٥٢.
(٣) القرية هي عش النمل.

سنة أو أربعين سنة أن أغمس جزرة في دبس فما أطعتها[1]!

ـ ليس لنا أمام هذا الزهد البارد إلا الدسترة: دستور دستور دستور.. ودساتير كثيرة.

*** وأيضاً بلا عنوان:ـ**

... سمعت أبا عبد الله الصوفي يقول: سمعت أبا عبد الله بن خفيف يقول: ربما كنت أقرأ في ابتداء أمري في ركعة واحدة عشرة آلاف مرة ﴿قل هو الله أحد﴾، وربما كنت أقرأ في ركعة واحدة القرآن كله، وربما كنت أصلي من الغداة إلى العصر ألف ركعة[2]!!

ـ ولا تعليق أيضاً، لكن أطلب من القارىء اللبيب أن يقوم بعملية حسابية بسيطة، ومع ذلك فلن نعدم من يقول لنا هذه الأمور من مقامات الخواصّ! فنجيبهم: وكذلك الرقص مع النقص والموسيقى والسماع.

*** فقرة معترضة بلا مناقشة ولا ملاحظة ولا تنبيه:ـ**

قال أحمد التجاني: لو بحت بما علّمه الله لي لأجمع أهل العرفان على قتلي[3].

*** من أجل زبيبة (لعلها من مقام المراقبة أو المحاسبة):ـ**

يقول أبو بكر الكلاباذي (تاج الإسلام):

... قال أبو عثمان: كنت عند أبي حفص، وبين يديه زبيب، فأخذت زبيبة ووضعتها في فمي، فأخذ بحلقي وقال: يا خائن، تأكل زبيبتي؟ فقلت: لثقتي بزهادتك في الدنيا وعلمي بإيثارك أخذت الزبيبة. فقال: يا جاهل، تثق بقلب لا يملكه صاحبه[4]؟!

ـ للعلم: هذه القصة المخجلة هي من باب: «توقي القوم ومجاهداتهم»، ومن ذلك:

كان أبو المغيث لا يستند ولا ينام على جنبه، وكان يقوم الليل، وإذا غلبته عينه قعد

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٧٢.
(٢) الرسالة القشيرية، ص٢٩.
(٣) كشف الحجاب، ص٣٧٣.
(٤) التعرف ص١٤٧.

ووضع جبينه على ركبتيه فيغفو غفوة[1].

- السؤال: وماذا لو نام، وهل في عدم اضطجاعه فضل؟ أي فضل؟ لقد نام خير البشر محمد ﷺ والأنبياء، وخير البشر من بعدهم صحابة رسول الله، والنوم على الجنب هو من الفطرة، والإسلام دين الفطرة، فمن أين هذا التوقي والمجاهدة؟؟ (من رغب عن سنتي فليس مني). وطبعاً هي حكمة الإشراق.

*** ومن توقيهم البارد:-**

قالوا: إن أبا عمرو الزجاجي أقام بمكة سنين كثيرة لم يُحدث في الحرم، كان يخرج من الحرم للحدث، ثم يعود إليه وهو على الطهارة[1].

- وماذا لو أحدث في الحرم؟ هل هو يفهم ما كان يجهله رسول الله ﷺ وأصحابه؟؟

*** خرابات وقمامات ولا يكلم الناس:-**

ويقول أيضاً (أبو بكر الكلاباذي):

. . . سمعت فارساً يقول: كان أبو عبد الله المعروف بشكثل لا يكلم الناس، وكان يأوي إلى الخرابات في سواد الكوفة، وكان لا يأكل إلا المباح والقمامات[1]. . .

● التعليق:

هل هذا من الإسلام في شيء؟؟ لكن ما علينا إلا العودة إلى الدسترة. . دستور! دستور! دستور! ويظهر أن هناك علاقة باطنية بين التصوف وبين القاذورات.

*** ودستور آخر (لعله من مقام التقوى):-**

. . . سمعت الحسين المغازلي يقول: رأيت عبد الله القشاع ليلةً قائماً على شط دجلة وهو يقول: يا سيدي أنا عطشان، يا سيدي أنا عطشان، حتى أصبح، فلما أصبح قال: يا ويلتي، تبيح لي شيئاً وتحول بيني وبينه، وتحظر عليَّ شيئاً وتخلي بيني وبينه، فإيش أصنع؟ ورجع ولم يشرب منه[1].

---

(1) التعرف، ص١٤٨.

جوابنـا: ألم يعلم هذا الجـاهـل أنـه في عمله هذا إن لم يكن آثماً فهو على الأقل غير مأجـور؟ أولا يعلم أيضـاً، هو وطـائفتـه، أن مثل هذا موجود في دين الهندوسية لا في دين الإسـلام؟ ثم ماذا لو شرب؟ ومـا هي الحسنـة في عدم شربـه؟ لكن بمثل هذه التفاهات وصلت حالة المسلمين إلى ما نراه الآن.

*** الصراخ والتعري من مستلزمات الصوفية :-**

. . . ثم صرخ (عبد القادر الجيلاني) وقام إليه خلقٌ كثير يتوبون صارخين باكين، إذ جاء عصفور فقعد على رأسه، فحنى رأسه له، ومكث كذلك وهو على رأسه والناس على درج الكـرسي، والصـراخ حولـه وهـو لا يبرح حتى مدَّ يده بعض أصحابه نحوه، فطار، ثم دعا، وضجَّ الناس بالبكاء والدعاء والتوبة؛ فنزل وخرج على حاله إلى جامع الرصافة، وتبعه خلق كثير بالبكاء والصراخ والوجد والتعري عن الثياب، ثم قال رضي الله عنه: هذا آخر الزمان[1]. . .

● **الملاحظة:** هكذا هي التربية الصوفية التي دمرت المجتمع الإسلامي: عري وصراخ وغوغائية. . .

*** مشورة الكتاب والسنة غير ملزمة (لعلها للتسلية فقط) :-**

. . . فانظـر إلى وزيـريـك، الكتاب والسنة، خذ مشورتهما، فإن أفتياك توقف، لا تستعجـل، لا تُشِـرْ، استفْتِ نفسـك وإن أفتـاك المفتـون، النفس إذا جاهدتها وخالفتها انسكبت مع القلب، صارا شيئاً واحداً[2]. . .

ـ للعلم: قائـل هذا الكـلام هو عبـد القـادر الجيلاني (وما أدراك. . .) وهو يقرر أن عليك ألا تلتزم بالقرآن والسنة، وإنما تستشيرهما فقط، ثم تعود إلى مشورة قلبك؟ وأرجو من القارىء أن يبحث عن حكم الإسلام في هذا.

وكـان (عبـد القادر الجيلاني) رضي الله عنه يقول: أيما امرىء مسلم عبر على باب مدرستي يخفف الله عنه العذاب يوم القيامة[3]!. . (يا سلام ويا بلاش).

---

(1) الفتح الرباني، ص٣٦٩.
(2) الفتح الرباني، ص٣٧٠.
(3) الغنية «ترجمة المؤلف»، ص٤.

* **دعاء غير الله واستعانة بغيره :ـ**

بسم الله الرحمن الرحيم

يا سلطان العارفين، يا تاج المحققين، يا ساقي الحميّا، يا جميل المحيّا، يا بركة الأنام، يا مصباح الظلام، يا شمس بلا أفل، يا درٌّ بلا مثل، يا بدر بلا كَلَف، يا بحر بلا طرف، يا باز الأشهب، يا فارج الكُرَب، يا غوث الأعظم، يا واسع اللطف والكرم، يا كنز الحقائق، يا معدن الدقائق، يا واسط السلك والسلوك، يا صابح الملك والملوك، يا شمس الشموس، يا زهرة النفوس، يا هادي النسيم، يا محيي الرميم، يا عالي الهمم، يا ناموس الأمم، يا حاجة العاشقين . . . يا خزانة الأسرار، يا سيدي جمال الله، يا نائب رسول الله . . . يا راحم الناس، يا مُذْهب الباس، يا مُفتّح الكنوز، يا معدن الرموز، يا كعبة الواصلين، يا وسيلة الطالبين . . . يا قوي الأركان، يا حبيب الرحمن . . . يا فاتح المغلقات . . يا حائط الأشياء . . يا منتهى الأمل حين يتقطع العمل . . . يا ضياء السماوات والأرضين . . . يا فرجاً في الشدائد . . . يا غافر الأوزار . . . يا ذا الأحوال العظيمة . . . يا كاشف الغمّة . . . يا مقبول رب الجنات، يا جليس الرحمن . . . يا شاه يا سرٌّ إلهيٌّ . . . يا سيدي يا سندي يا مولاي يا قوّتي يا غوثي يا غياثي يا عوني يا راحتي يا قاضي حاجتي يا فارج كربتي يا ضيائي يا رجائي يا شقائي . . . يا نور السرائر يا صاحب القدرة يا وهاب العظمة . . . يا شاهد الأكوان بنظرة، يا مُبصر العرش بعلمه، يا بالغ الغرب والشرق بخطوة، يا قطب الملائكة والإنس والجن، يا قطب البر والبحر، يا قطب المشرق والمغرب، يا قطب السماوات والأرضين، يا قطب العرش والكرسي واللوح والقلم . . . يا من يبلغ لمريده عند الاستعانة ولو كان في المشرق . . . يا صاحب التصرف في الدنيا وفي قبره بإذن الله . . . يا غوث الأعظم، أغثني في كل أحوالي، وانصرني في كل آمالي[1] . . .

ـ للعلم : هذا الدعاء ليس موجهاً لله تعالى، وإنما هو موجه لعبد القادر الجيلاني!! وهو وردٌ أساسيٌّ من أوراد الطريقة القادرية التي يتعبدون بها ويتقربون إلى الله!؟

---

(١) الفيوضات الربانية، ص١٩٤ وما بعدها.

ـ وجوابنا: ﴿ومَن أضَلُّ ممَّن يدعو مِن دونِ الله مَن لا يَستجيبُ لهُ إلى يومِ القِيامةِ وهُم عن دُعائِهِم غافِلونَ﴾.

* رجال الغيب كما ذكرها في «الغنية»:ـ

اعلم أن رجال الغيب والأرواح المقدسة قُدِّست أرواحهم، في اليوم السابع والرابع عشر والثاني والعشرين والتاسع والعشرين متوجهون إلى المشرق، واليوم السادس واليوم الحادي والعشرين والثامن والعشرين بين المشرق والشمال، واليوم الثالث والخامس عشر والثالث والعشرين والثلاثين منه متوجهون إلى طرف الشمال، واليوم الخامس والثالث عشر والتاسع والسابع والعشرين منه متوجهون إلى المغرب، واليوم الثاني والعاشر والسابع عشر والخامس والعشرين منه متوجهون بين المغرب والقبلة، واليوم الثامن والحادي عشر والثامن عشر، والسادس والعشرين والرابع والعشرين منه متوجهون بين المشرق والقبلة؛ فيا أخي إذا علمت جهات سيرهم وطريقتهم ينبغي أن تلتجىء إلى الله وإليهم بعد قراءة الأوراد، تقول: حصِّلوا مرادي ومقصدي. ويسمي لهم الطالبُ مقصوده ومرادَه[1]. . .

ـ هذا العلم اللدني معرفته شرط من شروط المنتسب إلى الطريقة القادرية، بل وجميع الطرق دون استثناء.

ونسألهم ونسأل غيرهم: لو فتشنا ودرسنا الديانات الوثنية كلها، فهل نجد فيها شركاً أكثر من هذا؟ أو تفاهة «أنقى» من هذه التفاهة؟

* علم لدني آخر:ـ

. . . وأعلى الأمكنة، المكان الذي تدور عليه رحى عالَم الأفلاك، وهو فلك الشمس، وفيه مقام روحانية إدريس عليه السلام، وتحته سبعة أفلاك، وفوقه سبعة أفلاك وهو الخامس عشر، فالذي فوقه: فلك الأحمر (أي المريخ)، وفلك المشتري، وفلك كيوان (زحل)، وفلك المنازل (منازل القمر)، والفلك الأطلس فلك البروج، وفلك الكرسي، وفلك العرش؛ والذي دونه: فلك الزهرة، وفلك الكاتب، وفلك القمر،

(١) الفيوضات الربانية، ص١٩٩، ولا أعرف في أي مكان من كتاب الغنية هي موجودة (المؤلف).

وكرة الأثير، وكرة الهوى (الهواء)، وكرة الماء، وكرة التراب، فمِنْ حيث هو قطب الأفلاك هو رفيع المكان[1]. . .

● **التعليق**: هذا العلم اللدني الناتج عن الكشف الذي هو حق اليقين، ظهر وإذا به انبثاق لمعلومات اقتنع بها المكاشف وكانت موجودة في عصره، مع غيرها طبعاً، وهذا العلم اللدني والكشف العظيم هو من كشوف الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر محيي الدين بن عربي. وكل كشوفهم وعلومهم اللدنية من هذا القبيل!!

*** الكشف يقرر لاهوت عيسى:-**

يقول ابن عربي في (مناجاة قاب قوسين):

. . . فسمعت كلاماً مني، لا داخلاً فيَّ ولا خارجاً عني، وهو يقول:

لله در عصابة سارت بهم نُجُب الفناء بحضرة الرحمن
قرعوا سماء الروح لما آنسوا جسماً ترابيًّا بلا أركان
فبدا لهم لاهوت عيسى المجتبى روحاً بلا نفس ولا جثمان[2]

- إذن، فعيسى عليه السلام إله، ولا تعترض فهو العلم اللدني. وهذا الكلام الذي لا داخلاً فيه ولا خارجاً عنه، عندما يسمعه الواصل وهو في حال استشعار الألوهية هو ما يسميه ابن عربي «الفهوانية».

*** الكشف يقرر التثليث:-**

ويقول ابن عربي أيضاً:

. . . فقام أصل التكوين على التثليث، أي من الثلاثة . . . فهذا أيضاً قد ظهر حكم التثليث في إيجاد المعاني التي تُقتَنَص بالأدلة؛ فأصل الكون التثليث، ولهذا كانت حكمة صالح عليه السلام التي أظهر الله في تأخير أخذ قومه ثلاثة أيام وعداً غير مكذوب[3]. . . إلخ.

---

(١) فصوص الحكم «كلمة إدريسية»، ص٧٥.
(٢) رسائل ابن عربي، كتاب الإسرا، ص٥١.
(٣) فصوص الحكم، ص١١٦ و١١٧، وشرح القاشاني على الفصوص ص١٦٩ و١٧٠.

ويشرح عبد الرزاق القاشاني (في شرحه على الفصوص) هذا الكلام، ومن جملة ما يقول:

«. . . أي ثم لما كان التثليث سبباً لفتح باب النتائج في التكوين والإيجاد، سرى ذلك التثليث في جميع مراتب الإيجاد حتى إيجاد المعاني بالأدلة، وكما أن التثليث الأول مرتَّب ترتيباً متقناً: بكون الذات فيه مقدماً، والإرادة متوسطة بينه وبين القول، لا يكون إلا كذلك، فلذلك يكون الدليل مرتَّباً على نظام مخصوص[1]. . . (أي على التثليث).

ـ النتيجة من هذا الشرح التبريري «العلمكلامي» هي: عيسى إله، والكون قائم على التثليث، وبالتالي يكون دين النصرانية صحيحاً والإسلام غير صحيح.

ـ وهذا الكلام الوارد في «فصوص الحكم» يؤمن به كل الصوفية، لأنهم يؤمنون بأن ابن عربي هو ولي الأولياء وصدِّيق الصديقين ومقرب المقربين والشيخ الأكبر والكبريت الأحمر. وكتابه «فصوص الحكم» هو أعظم مؤلفاته كلها قدراً وأعمقها غوراً وأبعدها أثراً، وقد شرحه شراح كثيرون من أئمة الصوفية وكبرائهم، حتى صار ابن عربي يُعرف بـ «صاحب الفصوص».

ويقول ابن عربي نفسه عن كتاب «الفصوص» ما يلي:

أما بعد، فقد رأيتُ رسول الله ﷺ في مُبشِّرة أُريتها في العشر الأخير من محرم سنة سبع وعشرين وستمائة، بمحروسة دمشق، وبيده ﷺ كتاب، فقال لي: هذا كتاب فصوص الحكم، خذه واخرج به إلى الناس ينتفعون به، فقلت: السمع والطاعة . . . وجرَّدت القصد والهمة إلى إبراز هذا الكتاب كما حدّه لي رسول الله ﷺ من غير زيادة ولا نقصان[2]. . .

● **تعليق:**

على القارىء ألا يظن أن ابن عربي كان نصرانيًّا لأنه يؤمن بألوهية المسيح وبالتثليث! لا، لم يكن نصرانيًّا، وإنما كان صوفيًّا، وإيمانه بألوهية المسيح وبالتثليث جاء

---

(١) شرح القاشاني، ص١٧١.

(٢) فصوص الحكم للعفيفي، ص٤٧، وشرح القاشاني، ص٩.

من صوفيته، ولفهم ذلك نقرأ الآيات التالية من ديوانه «ترجمان الأشواق»، يقول:

لقد صار قلبي قابلاً كلَّ صورة ... فمرعى لغزلانٍ وديرٌ لرهبان
وبيتٌ لأوثانٍ وكعبةُ طائفٍ ... وألواح توراةٍ ومصحف قرآن
أدين بدين الحبِّ أنى توجهت ... كتائبُه فالحبُّ ديني وإيماني

ولنلاحظ أن ابن عربي كان يقول هذا الكلام عندما احتل الصليبيون القدس للمرة الثانية بعد أن حررها المسلمون بقيادة صلاح الدين الأيوبي. وبقوا فيها أربعة عشر سنة، وكان المسلمون يتنادون من كل حدب وصوب داعين للجهاد لتحرير القدس، بينما يقف ابن عربي ليقول: . . . ودير لرهبان . . . وألواح توراة . . . أدين بدين الحب . . . !!

أما قصة تناوله كتاب «فصوص الحكم» من الرسول ﷺ فنترك التعليق عليها، من حيث العقيدة ومن حيث الواقع، للقارىء اللبيب. بعد تذكيره بالآية الكريمة: ﴿اليومَ أكمَلْتُ لكُم دينَكُم وأتْمَمْتُ عليكُم نِعْمَتي . . .﴾.

*** علوم لدنية!؟**

يقول الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر الإمام العالم المحقق المتبحر . . . ابن عربي:

. . . فأقول على مفهوم من اللسان العربي بالحساب القمري من تقديم الليل على النهار، أن ليلة الأحد سَلَخ الله منها نهار الأربعاء، فالشأن الذي هو فيه في ليلة الأحد هو في نهار الأربعاء! وسلخ من ليلة الاثنين نهار الخميس، والشأن كالشأن، وسلَخ من ليلة الثلاثاء نهار الجمعة . . . فالليالي منها للتحت والشمال والخلف، والنهار منها للفوق واليمين والأمام . . . . والحكم لأول ساعة من الليل ولأول ساعة من النهار[1] . . .

ويقول أيضاً:

. . . ونبتدىء بيوم الأحد تبركاً بالاسم، فإنه من صفات الحق وله الأولية وله

---

(1) رسائل ابن عربي، كتاب أيام الشأن، ص١٠.

. . . فاعلم أن ليلة الأحد الإيلاجي[1] مركبة من الساعة الأولى من ليلة الخميس والثامنة منها والثالثة من يوم الخميس والعاشرة منها والخامسة من ليلة الجمعة والثانية عشرة منها والسابعة من يوم الجمعة والثانية من ليلة السبت والتاسعة منها والرابعة من يوم السبت والحادية عشرة منها والسادسة من ليلة الأحد؛ فهذه ساعات ليله.

وأما ساعات نهاره من أيام التكوير كما قلنا، فالساعة الأولى من يوم الأحد من أيام التكوير والثامنة منه والثالثة من ليلة الاثنين والعاشرة منه والخامسة من يوم الاثنين والثانية عشرة منه والسابعة من ليلة الثلاثاء، والثانية من يوم الأربعاء، والتاسعة منه، والرابعة من ليلة الأربعاء والحادية عشرة منها والسادسة من يوم الاربعاء؛ فهذا يوم الأحد الإيلاجي الشأني، قد كمل بأربع وعشرين ساعة كلها كنفس واحدة، لأنها من معدن واحد[2] (ويتمم أيام الأسبوع حسب هذا الهذيان).

ويقول: . . . والسماوات والأرض لا تزال، والأيام دائمة لا تزال، فمن مُقعَّر تلك الكواكب الثابتة إلى المركز نازلاً، لا تزال الأيام دائرةً فيها أبداً بالتكوين، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها، فالكون والفساد فيها دائم مستمر، والتسعة عشر عليها طالعة وغاربة، ومُقعَّر هذا الفلك هو سقف النار، نعوذ بالله منه، وسطح هذا الفلك هو أرض الجنة، والعرش سقفها، وهو روح هذه الأيام[3]. . .

- الجواب على هذه الهذيانات: «ترلم ترلم ترلم . . . ترلم ترلم ترلم . . .».

*** أمني من لذة الألوهية :-**

يقول عبد الكريم الجيلي (الغوث):

منظر التكوين: هو مشهد ذاتي تتلون فيه بمعاني الأسماء والصفات، فيغلب عليك في كل زمان حكم صفة . . . وفي هذا المشهد تجد من اللذة الإلهية ما يسري في جميع

---

(١) كلمة الإيلاجي، من: ﴿يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾.

(٢) الرسائل، كتاب الشأن، ص١١ وما بعدها.

(٣) الرسائل، كتاب الشأن، ص١٦.

أجزائك، إلى أن تكاد تخرج روحك من عالم التركيب إلى عالم الأرواح لشدة اللذة المنطبعة فيك، تجدها بحكم الضرورة محسوسة كما تجد لذة المحسوسات، وقد أخذت هذه اللذة فقيراً عن محسوساته حتى غاب عن الكون وما فيه، فلما رجع إلى نفسه وجده قد أمنى لما سرت فيه اللذة الروحانية فعمت الروح والقلب[1]. . .

ولا تعليق، لكن سؤال: هل عليه الغسل من الجنابة أم لا؟ مع العلم أن حشاشي الأفيون والحشيشة يحصل لهم مثل هذا.

*** أفحم الله بسبع كلمات (تعالى الله علوًّا كبيراً):ـ**

. . . قيل للفقيه حسن بن أبي السرور: لو كشفنا للخلق عنك لرجموك! فقال: ولو كشفتُ لهم عن رحمتك لما عبدوك، فقيل: يا حسن حسّنوه، لا تقول ولا نقول[2]!!

أما نحن فنقول:

ـ جاء في التلمود أن أحد الحاخامات بقي يجادل الله ثلاثة أيام حتى أفحمه واعترف له الله بخطئه (تعالى الله)، ولكن حسن بن أبي السرور استطاع أن يفحم الله بسبع كلمات في ثانيتين!! تعالى الله عما يقولون علوًّا كبيراً.

ـ وفي هذا النص اعتراف من القوم بكفرهم وزندقتهم (لو كشفنا . . لرجموك).

*** ومن كشوفهم وعلومهم اللدنية:ـ**

يقول عبد الكريم الجيلي الغوث[1]:

اعلم أن الله تعالى خلق دور فلك سماء الدنيا مسيرة أحد عشر ألف سنة، وهو أصغر أفلاك السماوات دوراً، فيقطع القمر دور هذا الفلك في أربع وعشرين ساعة معتدلة، أعني مستقيمة، فيقطع في كل ساعة مسيرة أربعمائة وثمانية وخمسين سنة ومائة وعشرين يوماً، وقُطْر هذا الفلك مسيرة أربعة آلاف سنة وخمسمائة عام؛ ثم إن للقمر فلكاً في نفس الفلك . . . بخلاف الكواكب السيارة فإن كل كوكب منها يقابل نور الشمس في

---

(١) المناظر الإلهية، ص٢١ و٢٢.

(٢) المناظر الإلهية، ص٤٤. وحسن بن أبي السرور مات سنة ٧٧٠ تقريباً.

جميعهـا، فمثلهـا مثـل البلورة الشفـافـة، إذا وقـع فيهـا النور سرى في ظاهرها وباطنها؛ بخلاف القمر، فإنه كالكرة المعدنية المصقولة لا تقبل النور إلا في مقابلة الشمس . . .

. . . والكوكب اسم للجرم الشفاف المنير من كل سماء . . .

وأمـا السـماء الثـانية، فإنها جوهر شفاف لطيف ولونها أشهب، خلقها الله تعالى من الحقيقـة الفكـريـة، فهي للوجـود بمثابة الفكر للإنسـان، ولهذا كانت محلاً لفلك الكاتب وهـو عطـارد، جعله الله تعالى مظهراً لاسمه القدير . . . جعل الله دور فلك هذه السماء مسيرة ثلاث عشرة ألف سنة وثلاثمائة سنة وثلاثاً وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً، يقطع كوكبهـا، وهـو عطارد، في كل ساعة مسيرة خمسمائة سنة وخمس وخمسين سنة وخمس أشهر وعشرين يوماً؛ فيقطع جميع فلكه في مضي أربع وعشرين ساعة معتدلة، ويقطع الفلك الكبير في مضي سنة كاملة . . .

وأمـا السـماء الثالثة فلونها أصفر، وهي سماء الزهرة، جوهرها شفاف . . . خلق الله دور فلك هذه السماء مسيرة خمس عشرة ألف سنة وستة وثلاثين سنة ومائة وعشرين يوماً، يقطـع كوكبهـا، وهـو الزهرة، في كل ساعة مسيرة ستمائة سنة وإحدى وثلاثين سنة وثمانية عشـر يومـاً وثلث يوم، فيقطـع الفلك في مضي أربعة وعشرين يوماً، وملائكة هذه السماء تحت حكم الملك المسمى صورائيل . . . ورأيت ملائكة هذه السماء مؤتلفة، لكن على أنـواع مختلفـة؛ فمنهم من وكله الله بالإيحـاء إلى النائم إما صريحاً وإما بضرب مثل يعقله العالم . . . .

وأما السماء الرابعة فهي الجوهر الأفخر، ذات اللون الأزهر، سماء الشمس الأنور، وهـو قطب الأفـلاك، خلق الله تعـالى هذه السـماء من النـور القلبي . . . جعل الله هذا الكوكب الشمسي في هذا الفلك القلبي مظهر الألوهية ومجلس لمتنوعات أوصافه المقدسة النـزيهـة الـزكيـة، والشمس أصل لسائر المخلوقات العنصرية، كما أن الاسم «الله» اسم لسـائـر المـراتب العليـة . . . ثم اعلم أن الله تعـالى جعـل الفلك الشمسي مسيرة سبع عشـرة ألف سنـة وتسعـاً وعشـرين سنـة وستـين يوماً، فيقطع جميع الفلك في مضي أربع وعشـرين ساعـة معتـدلـة، ويقطع الفلك الكبير في ثلاثمائة وخمسة وستين يوماً وربع يوم وثلاث دقائق . . . (ويمضي الجيلي هكذا حتى يصل إلى السماء السابعة) ثم يقول:

. . . الفلك الأطلس، هو عرصة سدرة المنتهى . . . ويسكن سدرة المنتهى الملائكة الكروبيون، رأيتهم على هيئات مختلفة لا يحصي عددهم إلا الله . . . ورأيت منهم مائة ملك مقدمين على هؤلاء جميعهم، بأيديهم أعمدة من النور . . . يرهبون بها من دونهم من الكروبيين ومَن بلغ مرتبتهم من أهل الله تعالى، ثم رأيت سبعة من جملة المائة متقدمة عليهم يسمون قائمة الكروبيين، ورأيت ثلاثة مقدمين على هذه السبعة يسمون بأهل المراتب والتمكين، ورأيت واحداً مقدماً على جميعهم يسمى عبد الله. وكل هؤلاء عالون ممّن لم يؤمروا بالسجود لآدم، ومن فوقهم كالملك المسمى بالنون والملك المسمى بالقلم، وأمثالهما أيضاً عالون، وبقية ملائكة القرب دونهم وتحتهم مثل جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وأمثالهم، ورأيت في هذا الفلك من العجائب والغرائب ما لا يسعنا شرحه.

واعلم أن جملة الأفلاك التي خلقها الله تعالى في هذا العالم ثمانية عشر فلكاً: الفلك الأول: العرش المحيط ـ الفلك الثاني: الكرسي ـ الفلك الثالث: الأطلس، وهو سدرة المنتهى ـ الفلك الرابع: الهيولى ـ الفلك الخامس: الهباء ـ الفلك السادس: العناصر ـ الفلك السابع: الطبائع ـ الفلك الثامن: المكوكب وهو فلك زحل ويسمى فلك الأفلاك ـ الفلك التاسع: فلك المشتري ـ الفلك العاشر: فلك المريخ ـ الفلك الحادي عشر: فلك الشمس ـ الفلك الثاني عشر: فلك الزهرة ـ الفلك الثالث عشر: فلك عطارد ـ الفلك الرابع عشر: فلك القمر ـ الفلك الخامس عشر: فلك الأثير، وهو فلك النار ـ الفلك السادس عشر: فلك الهواء ـ الفلك السابع عشر: فلك الماء ـ الفلك الثامن عشر: فلك التراب والبحر المحيط الذي فيه (البهموت) وهو حوت يحمل الأرض على منكبيه . . . ثم لكل موجود في العالم فلك وسيع يراه المكاشف ويسبح فيه ويعلم ما يقتضيه . . .

أما الطبقة الأولى من الأرض: فأول ما خلقها الله تعالى كانت أشد بياضاً من اللبن، وأطيب رائحة من المسك، فاغبرت لما مشى آدم عليه السلام عليها بعد أن عصى الله تعالى، وهذه الأرض تسمى أرض النفوس . . . دور كرة هذه الأرض مسيرة ألف عام ومائة عام وستة وستون عاماً ومائتا يوم وأربعون يوماً . . .

. . . ثم سَلَكَ (الاسكندر) الجانب الجنوبي، وهو الظلمات، حتى بلغ يأجوج ومأجوج، وهم في الجانب الجنوبي من الأرض . . . لم تطلع الشمس على أرضهم أبداً

. . . ثم سلك الجانب الشمالي حتى بلغ محلاً منه لم تغرب الشمس فيه، وهذه الأرض بيضاء على ما خلقها الله تعالى عليه، هي مسكن رجال الغيب، وملكها الخضر عليه السلام . . . وهي قريبة من أرض بلغار، وبلغار بلدة في العجم لا تجب فيها صلاة العشاء أيام الشتاء، لأن شفق الفجر يطلع قبل غروب شفق المغرب فيها . . . وهذه الأرض أشرف الأراضي وأرفعها قدراً . . . لأنها محل النبيين والمرسلين والأولياء الصالحين

وأما الطبقة الثانية من الأرض، فإن لونها كالزمردة الخضراء، تسمى أرض العبادات، يسكنها مؤمنو الجن . . . لا يزال أهلها قاطنين فيها حتى تغيب الشمس عن أرض الدنيا، فيخرجون إلى ظاهر الأرض يتعشقون ببني آدم تعشق الحديد بالمغناطيس . . . دورة كرة هذه الأرض ألفا سنة ومائتا سنة وأربعة أشهر.

. . . ولقد رأيت جماعة من السادات، أعني طائفة من متصوفي هذا الزمان، مقيدين مغلغلين، قد قيدهم جن هذه الأرض . . .

وأما الطبقة الثالثة من الأرض: فإن لونها أصفر كالزعفران، تسمى أرض الطبع، يسكنها مشركو الجن، ليس فيها مؤمن بالله . . . يتمثلون بين الناس على صفة بني آدم، لا يعرفهم إلا أولياء الله تعالى، لا يدخلون بلدة فيها رجل من أهل التحقيق . . . دورة كرة هذه الأرض مسيرة أربعة آلاف سنة وأربعمائة سنة وسنتين وثمانية أشهر. . .

(وهكذا حتى الأرض السابعة التي يقول عنها):

. . . يسكنها الحيات والعقارب وبعض زبانية جهنم، دور كرة هذه الأرض مسيرة سبعين ألف سنة وأربعمائة سنة . . . وحياتها وعقاربها كأمثال الجبال وأعناق البخت[1]. . . (إلى آخر هذا الهذيان الجاهل وهذه الخرافات الساذجة).

● **التعليق:**

نتركه لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لكن علينا أن ننتبه جيداً إلى أنه رأى كل هذه الهذيانات بالكشف الذي هو عين اليقين وحق اليقين ونور اليقين!! ولا

---

(١) الإنسان الكامل: ٢ / ٩٧-١١٢.

حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وإلى الله المشتكى، فقد دمروا بكشوفهم الهذيانية المجتمعات الإسلامية.

ويقول الجيلي أيضاً:

... وهذا الأمر الذي جعله الله لداود وسليمان عليهما السلام غير محصور فيهما ولا مقصور عليهما ... وإلا فكل واحد من الأفراد والأقطاب له التصرف في جميع المملكة الوجودية، ويعلم كل واحد منهم ما اختلج في الليل والنهار فضلاً عن لغة الطيور. وقد قال الشبلي رحمه الله تعالى: لودبت نملة سوداء على صخرة صماء في ليلة ظلماء ولم أسمعها لقلت إني مخدوع أو ممكور بي. وقال غيره: لا أقول: «ولم أشعر بها»، لأنه لا يتهيأ لها أن تدب إلا بقوتي وأنا محركها، فكيف أقول: «لا أشعر بها وأنا محركها»[1]...

سؤالنا: إن لم يكن هذا كفراً وشركاً وزندقة فما هو الكفر والشرك والزندقة، أضف إليه كونه تفاهة فكرية وغباءً، أو مرضاً عصبيًّا من نوع الجنون، ثم مجموعة من التصورات الوهمية التي كانوا يتصورونها عن الكون، وهي محض خرافة، وهكذا كل كشوفهم.

*** وهذه أوهام مثلها:-**

يقول ابن سبعين:

... والنار جسم نير، يحيل الأجسام إلى طبيعته ... والهواء جسم لطيف شفاف سيال ... والماء جسم سيال حول الأرض ... وهو المتوسط بين الوسط وإلى الذي من الوسط ... والأرض جسم غليظ في مركز العالم، أو هو الوسط ونقطة العالم الطافي على الماء والكثافة المطلقة ... والأركان الأربعة: النار والأرض والماء والهواء، والأخلاط أربعة: الصفراء والسوداء والبلغم والدم[2]...

- فأين الكشف؟ مع العلم أن ابن سبعين هو قطب دائرة الورثة، ومظهر آثار النبيين والمرسلين!!

ويقول: ... ونبدأ بكلام المقرَّب ... فنقول: فائدة النفس لم تتحصل ولا

---

(1) الإنسان الكامل: ١ / ١٢٢.

(2) بد العارف، ص١١٤.

تخلصت فيما تقدم على التمام . . . ونبين أن الخير في علمها والوقوف على كنهها غاية المطلوب والمرغوب . . . وأن واجب الوجود لا يعلم إلا إذا علمت، وأن معرفتها شرط في معرفته[1]. . . اهـ.

١ - عبارة «واجب الوجود» التي جعلوها اسماً من أسماء الله، لم ترد في كتاب ولا سنة.

٢ - عبارة «لا يعلم إلا إذا علمت» يمكن أن تقرأ بصيغة البناء للمعلوم، فتكون كفراً بيناً! كما يمكن أن تقرأ بصيغة البناء للمجهول، وبشيء من المناقشة يبين كفرها، ومثل ذلك عبارة «معرفتها شرط في معرفته».

٣ - وهكذا نرى أن كشوفهم التي يصفها الغزالي بأنها نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ما هي إلا جهل في جهل في وهم في هذيان.

* **يكذبون القرآن :-**

يقول البوصيري في البردة «الشريفة»:

وكيف تدعو إلى الدنيا ضرورة من ... لولاه لم تخرج الدنيا من العدم

ويقول:

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك عِلْمَ اللوح والقلم

- الشطر الثاني من البيت الأول، يمكن أن يُفهم بأحد شكلين: إما أن الدنيا خُلقت لأجل محمد ﷺ وهذا مناقض للآية: ﴿وما خَلَقْتُ الجنَّ والإنسَ إلا ليَعْبُدون﴾، وبالتالي هو كفر. وإما أنها خرجت إلى الوجود بأمره ﷺ، وهذا يوافق معنى البيت الثاني، وكلاهما يعني أن محمداً ﷺ هو الله، أو هو التجلي الأعظم للذات الإلهية، أو هو المركز الفعال فيها، وطبعاً هذا قمة الكفر.

* **وينسخون القرآن :-**

من كرامات أحمد الرفاعي :

---

(١) بد العارف، ص٣٥٧.

أنه في العام الذي توفي فيه رضي الله تعالى عنه، حج وزار قبره ﷺ، الذي هو أفضل من الجنة، بل من العرش والكرسي! ولما وقف تجاه القبر الشريف يريد الوداع أنشد:

إن قيل زرتم بما رجعتم ... يا أشرف الرسل ما نقول؟

فخرج صوت من القبر الشريف سمعه كلُّ من حضر في ذلك الروض المعطَّر، وهو يقول:

قولوا رجعنا بكل خير ... واجتمع الفرع والأصول[1]

ـ الجواب: يقول سبحانه: ﴿وما علَّمْناهُ الشِّعْرَ وما يَنْبَغي له﴾، فهل نُسخت الآية كرامةً لأحمد الرفاعي؟! وهذه الحادثة إن لم تكن من أكاذيبهم، فدوْرُ إبليس واضح فيها.

ثم قوله (وقولهم: إن قبره أفضل من الجنة ومن العرش والكرسي)، فنغضُّ النظر عما فيه من الكفر الصارخ ومن تأليه محمد ﷺ ونسألهم: هل عندهم دليل على هذا من قرآن أو سنة صحيحة؟ أم على الله يفترون؟!

* ويبيع الجنة (سباقاً مع الكنيسة):ـ

. . . وأراد (أحمد الرفاعي) شراء بستان، فأبى صاحبه أن يبيعه إلا بقصر في الجنة، فارتعد وتغير واصْفرَّ، ثم قال: قد اشتريت منك بذلك، قال: اكتب لي خطك، فكتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما ابتاع إسماعيل من العبد أحمد الرفاعي، ضامناً على كرم الله له قصراً في الجنة، يحفُّ به حدود: الأول لجنة عدن، الثاني لجنة المأوى، الثالث: لجنة الخلد، الرابع: لجنة الفردوس، بجميع حوره وولدانه وفرشه وأشربته وأنهاره وأشجاره، عوضاً عن بستانه في الدنيا، والله شاهد على ذلك وكفيل؛ فلما مات إسماعيل دُفنت معه الورقة، فأصبحوا وإذا مكتوب على قبره: «قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقًّا»[2]. . . .

---

(1) قلادة الجواهر، ص١٠٤ و١٠٩.

(2) حاشية العلامة الصاوي، ص١٤٤، وجامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٤٩٢.

● التعليق:

لا تعليق، لكن إلى الله نشكو هذا البلاء، الذي أوصل الأمة إلى ما هي عليه من ذل وجهل.

*** ونُسخت العبادة! ونُسخ القرآن والسنة! ونسخ الإسلام:ـ**

قال الفقيه محمد بن الحسين البجلي رضي الله عنه: رأيت النبي ﷺ في المنام، فقلت: يا رسول الله! أي الأعمال أفضل؟ قال: وقوفك بين يدي وليّ لله كحلب شاة أو كشي بيضة خير لك من أن تعبد الله حتى تتقطع إرباً إرباً! فقلت له: حيًّا كان أو ميتاً؟ فقال: حيًّا كان أو ميتاً[1]!!

ولا تعليق، لكن سؤال: ماذا بقي من الوثنية؟! ومن الكفر؟! ومن الضلال؟!

*** حياء مدهش:ـ**

إبراهيم الأعزب (أحد خلفاء أحمد الرفاعي): ... وكان حياؤه من الله تعالى في مرتبة أنه ما رفع رأسه إلى السماء أربعين سنة[2]...

ـ سؤال: وماذا لو رفع رسه إلى السماء؟ وهل في عدم رفعه حياء؟ وهل حجب عن الله سبحانه عندما لم يرفع رأسه؟ إنهم يقولون إن كل شيء هو الله! إذن فسواء رفع رأسه أم لم يرفعه فهو في جميع الحالات واحد. وهل يعرف ما لم يكن يعرفه رسول الله؟!

على كل حال: هذه صورة من (مقام الحياء)، ومثلها بقية مقاماتهم.

*** لا تنهوا عن المنكر، فالنهي عن المنكر منسوخ، وعلى الإسلام السلام:ـ**

أحمد البدوي (أحد الأقطاب الأربعة المتدركين): ... ثم حصلت له جمعية على الحق فاستغرق إلى الأبد ... وأكثر أوقاته شاخص ببصره نحو السماء وعيناه كالجمرتين ... واجتمع به ابن دقيق العيد، فقال له: إنك لا تصلي! ما هذا سنن الصالحين؟ فقال له: اسكت وإلا طيَّرتُ دقيقك، ودفعه فإذا هو بجزيرة متسعةٍ جدًّا، فضاق ذرعه حتى كاد يهلك؛ فرأى الخضر، فقال له: لا بأس عليك، إن مثل البدوي لا يُعترض عليه،

---

(١) قلادة الجواهر، ص٢٧٧.
(٢) قلادة الجواهر، ص٣٢٩.

اذهب إلى هذه القبة وقف ببابها، فإنه سيأتيك العصر ليصلي بالناس، فتعلق بأذياله لعل أن يعفو عنك؛ ففعل، فدفعه، فإذا هو ببابه[1]..

- السؤال: لِمَ فُرضت صلاة الجماعة؟ وجُعلت علنية؟ هل كان ذلك من أجل أن يصليها المقربون خفية عن الناس؟ وأين تقع هذه الجزيرة التي كان يصلي فيها البدوي؟ ولِمَ؟ وما هو دور القبة في الإسلام؟ وهل؟ وهل؟ وهل؟

وللعلم: في الديانات الوثنية، يبنون القبة ليضعوا تحتها الوثن على أنه إله في سمائه.

*** فتش عن عنوان:-**

... عن يعقوب (أحد تلامذة أحمد الرفاعي) قال: دخلت على سيدي أحمد في يوم بارد وقد توضأ، ويده ممدودة، فبقي زماناً لا يحرك يده، فتقدمت إلى تقبيلها فقال (أي يعقوب): شوَّشتَ على هذه الضعيفة! قلت: من هي؟ قال: بعوضة كانت تأكل رزقها من يدي فهربتْ منك!! قال: ورأيته مرة يتكلم ويقول: يا مباركة ما علمتُ بك، أبْعدتُكِ عن وطنك! فنظرتُ، وإذا جرادة تعلقت بثوبه وهو يعتذر إليها رحمة لها[2]!!

- جوابنا: ماذا يكون لو قلد الناس الرفاعي فتركوا جسومهم مرعى للبعوض؟؟ والأسئلة كثيرة وكذلك الأجوبة (لكنك ستسمع: هذا من أعمال الخواص ص ص ص ص).

*** أيضاً بلا عنوان (للتفتيش):-**

... وكان (أحمد الرفاعي) يبتدىء من لقيه بالسلام، حتى الأنعام والكلاب! وكان إذا رأى خنزيراً يقول له: أنعم صباحاً؛ فقيل له في ذلك فقال: أُعوِّد نفسي الجميل[3].

- السؤال: هل من الجميل أن يسلم على الكلب والخنزير والأنعام؟ وما هو الجميل فيها؟ وهل تفهم الحيوانات عليه؟ إلى آخر الأسئلة، وهل كان الرسول وأصحابه يسلمون على الحيوانات، بله الكلاب والخنازير؟!

---

(1) حاشية الصاوي، ص١٤٦.
(2) قلادة الجواهر، ص٦٥.
(3) قلادة الجواهر، ص١٤٨.

*** السمك، وعودة إلى قاف! وهس ـس س س س س لا تعترض:ـ**

. . . ومن كراماته (أحمد الرفاعي) أنه كلما خرج متنزهاً إلى الصحراء تخرج الأسماك من بطن بحر البصرة لالتماس بركاته، وتزدحم على أقدامه الشريفة كازدحام الإبل على موارد الماء[1]. . .

. . . ومنها أنه صلى الصبح في مكة المكرمة، والظهر في المدينة المنورة، والعصر في بيت المقدس، والمغرب في بعلبك في مقام نبي الله نوح عليه السلام، والعشاء وراء جبل قاف[2]!

*** وقافات أيضاً؟ قافات:ـ**

. . . وكان السيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه مرة يتحدث في المجلس، فذكر القاف، فقال الشيخ يعقوب له: إيش بعد القاف؟ قال: قاف، فأعاد السؤال، فقال: قاف! وهو يسأل، وهو يقول: قاف! حتى عد عشر قافات! فقال للشيخ يعقوب، وهو يقول: «تلك القافات»: أي يعقوب، أرض بيضاء، ما عُصي ربنا فيها طرفة عين، فيها خلق عظيم لا يعلم عددهم إلا الله تعالى، ما سمعوا خلق آدم ولا لعنَ إبليس! فقال الشيخ يعقوب: يقدر أحد يقول ما لم يتحققه، قال: لا، أي يعقوب، ﴿ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد﴾؛ ثم قال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه: «إلا إذا كنّا»، ثم دعا وقام من المجلس؛ وكان بعض الفقراء يحسن الظن في الشيخ يعقوب ويعتقده، فلما رأى كلامه للسيد أحمد الرفاعي رضوان الله تعالى عليهم أجمعين هكذا، ظن وتصور أن السيد أحمد الرفاعي لم يتحقق هذه الأخبار، واعترض عليه، ويقول في شأنه على الاستهزاء أحياناً، فأذّن الشيخ يعقوب في يوم من الأيام، وجلس في الأول، وجاء السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وجلس في المحراب، وأدخل رأسه في قميصه، وفعل الشيخ يعقوب مثل ذلك، حتى مضى من وقتٍ كثير، وكان الشيخ يعقوب إذا أذّن لا يقدر أحد أن يقول له شيئاً حتى يفرغ من الصلاة؛ فقام ذلك الفقير المعتقد في شأنه، المعترض على السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه، ومدَّ يده إلى الشيخ يعقوب

---

(1) قلادة الجواهر، ص١٠٢.

(2) قلادة الجواهر، ص١٠٣.

وحركه، فلم يجد غير قميصه وعمامته! فتعجب من ذلك وأعلم الفقراء به! فلما كان بعد ساعة طويلة، رفع الشيخ يعقوب رأسه وقام، فقال السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه للشيخ يعقوب: أي يعقوب، تعبتَ، وتعبك عليَّ شديد؛ ثم قال الرجل المعترض للشيخ يعقوب: ما شاهدتَ؟ فقال له: ما خليتمونا من فضولكم، حتى أخذنا السيد أحمد الرفاعي بهذه اللحى البيض، ودار بنا المواضع التي ذكرها بأجمعها، حتى لا يبقى منها قليل ولا كثير[1].

- أين هذا القاف؟ وتلك القافات؟ وكيف يخرج السمك من الماء ليتبرك بالسيد، وماذا يحصل للسمك بهذا التبرك؟ هل يدخل الجنة؟ أم ماذا . . .؟ . . .؟

*** سبع مداين؟ ووحي لم يمر على محمد ﷺ :-**

قال السيد إبراهيم الأعزب قُدس سره: كنت نائماً في بعض الليالي في موضعٍ هناك للسيد أحمد الرفاعي رضي الله عنه؛ فأيقظني وقال: أي إبراهيم، ألا أخبرك؟ أظهرني الله سبحانه في هذه الساعة على سبعة مداين، كل مدينة منها بقدر هذه الدنيا سبع مرات، وهي مملوءة من الخلق، ليسوا من الجن ولا من الإنس، وما فيهم من يذكر الله تعالى، وكل ليلة عند غروب الشمس يأمر الله تعالى الملائكة، فيأخذون ذنوب أمة محمد ﷺ وينفضونها على تلك المدائن السبعة، وكلٌّ من أصاب منهم ذنباً فهو من أهل الجنة[2].

- أين هذه المدائن؟ وأهم من ذلك، أن المذنب من أمة محمد ﷺ لا ذنب عليه ولا وزر، لأن الملائكة تأخذ ذنبه وتلقيه على تلك المدائن فيدخلون الجنة بسببها!! إذن ما على الإنسان من أمة محمد ﷺ إلا أن يكثر من الذنوب، لأنها تُرفع عنه مع المساء، ويدخل بسببها مخلوقات كثيرة الجنة، ثم سلام على الإسلام وعلى الإيمان وعلى الأخلاق وعلى المعاملة وعلى إنسانية الإنسان.

*** الفقير إله :-**

قال السيد إبراهيم الأعزب قُدس سره، حضرتُ في بعض الأيام عند السيد أحمد

(1) قلادة الجواهر، ص١٩١ و١٩٢. (2) قلادة الجواهر، ص١٩٣.

الرفاعي . . . قال: أي فقراء، الشيخ عثمان السالم آبادي قُدس سره، يصعد كل يوم عند غروب الشمس إلى ديوان الربوبية، وينظر ديوان ذريته، فما يجد من سيئة يمحها ويكتب عوضها بلا معارضة!! قال السيد إبراهيم الأعزب: فأخذتني الغيرة من ذلك؛ فالتفت إليّ السيد أحمد الرفاعي وقال: أي إبراهيم، لا يكون الرجل مُمَكَّناً في سائر أحواله حتى يُعرض عليه عند غروب الشمس جميع أعمال أصحابه وأتباعه وتلامذته بالقرب والبعد، فيمحو منها ما يشاء ويثبت فيها ما يشاء بكرم الله ولطفه؛ أي إبراهيم، قل عن هذا العبد الفقير الحقير البائس المسكين، معدن الذل والانكسار (يعني نفسه): لا يكون الشيخ شيخاً كاملاً في سائر أموره وأحواله وأقواله وأفعاله، ولا يصلح له الجلوس في المخدَّة، حتى يحضر عند تلميذه في أربع مواضع: عند خروج روحه من جسده، وعند مسألة منكر ونكير له، وعند جوازه على الصراط، وعند الميزان[1]. . .

ـ نسأل هؤلاء المخدوعين: ما هو الشرْك الذي يزيد عن هذا الشرك؟ ثم إن محمداً ﷺ، وهو خير البشر، لا يغني عن أحدٍ شيئاً، أما هؤلاء القوم فقد تجاوزوا كل حدود الدين والإسلام والإيمان والعقل، ووصلوا إلى القدرة الإلهية، يفعلون ما يشاؤون؟! وإنا لله وإنا إليه راجعون.

*** وجعلوا الملائكة معاتيه ومخابيل:-**

(يكذبون على الله وملائكته ورسله! ويناقض كشفهم بعضه)

وبلغنا عن أبي عبد الله المغربي رضي الله عنه أنه قال: أهل السماع (أي الغناء والموسيقى) خلقهم الله من نور بهائه، وخلق مثلهم سبعين ألف ملك من الملائكة المقربين، قد أقامهم الله تعالى بين العرش والكرسي في حضرة القدس، لباسهم الصوف الأخضر، ووجههم كالقمر ليلة تمامه، لهم شعور كشعور النساء، وهم قيام متواجدون والهون منذ خلقهم الله تعالى إلى أن ينفخ في الصور، يسمع بكاءهم وأنينهم وفجعهم وحنينهم أهل السماوات السبع والأرضين، فهم أهل السماء، وينهدلون من العرش إلى الكرسي، ومن الكرسي إلى العرش، شبيه السكارى، لما بهم من شدة التوله، إسرافيل

---

(١) قلادة الجواهر، ص١٩٣.

قائدهم ومرشدهم، وجبريل عليه السلام رئيسهم، والله تعالى مليكهم وجليسهم وأنيسهم، وهم إخواننا في النسب وأصحابنا في أهل السماء. ونقل عن رسول الله ﷺ أنه قال: لما هبط آدم عليه السلام إلى الأرض بكى ثلاث مائة سنة، فأوحى الله تعالى إليه، يا آدم، مم بكاؤك؟ ومم جزعك؟ فقال: يا رب، لست أبكي شوقاً إلى جنتك ولا خوفاً من نارك، وإنما بكائي شوقاً إلى الملائكة الصوفية المتواجدين حول العرش، سبعين ألف صف، جرد مرد يرقصون ويتواجدون حول العرش يدورون، يد كل واحد منهم بيد صاحبه وهم يقولون: جلَّ الملِكُ مِلكُنا، لولا المِلكُ هلكنا، مَن مثلُنا وأنت إلهنا، ومَن مثلُنا وأنت حبيبنا ومستغاثنا ومستفزنا؛ وذلك دأبهم إلى يوم القيامة؛ قال: فأوحى الله تعالى إليه: يا آدم ارفع رأسك وانظر إليهم؛ قال: فرفع رأسه إلى السماء، فنظر إلى الملائكة وهم يرقصون حول العرش، وجبرائيل رئيسهم، وميكائيل قوّالهم؛ فلما رآهم سكن روعه وأنينه وبكاؤه وحنينه[1]. . .

● **التعليق:**

لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب. . ؟ ثم إن هذا الكشف يناقض كشف الجيلي المار سابقاً! فمن هو الكاذب؟

*** ولم يبق عندهم لأوامر الرسول ﷺ قيمة ولا معنى:-**

. . . الشيخ محيي الدين عبد القادر (الجيلاني) رضي الله عنه كان يقول على الكرسي ببغداد: مكثت خمساً وعشرين سنة متجرداً سايحاً في براري العراق وخرابه، وأربعين سنة أصلي الصبح بوضوء العشاء، وخمس عشرة سنة أصلي العشاء ثم أستفتح القرآن وأنا واقف على رجل واحدة، ويدي في وتد مضروب في حائط خوف النوم، حتى أنتهي إلى آخر القرآن عند السَّحَر؛ وكنت ليلة طالعاً في سلَّم، فقالت لي نفسي: لو نمت ساعة ثم قمت، فوقفت موضع خطر لي هذا، وانتصبتُ على رِجْلٍ واحدة واستفتحتُ القرآن حتى انتهيت إلى آخره وأنا على هذه الحالة، وكنتُ من الثلاثة أيام إلى الأربعين يوماً لا آكل[2]. . .

(١) قلادة الجواهر، ص١٨٥.

(٢) قلادة الجواهر، ص٤٥٨.

ـ سؤال: ماذا حدث لحديث رسول الله ﷺ: «. . . أما أنا فأقوم وأنام، وأصوم وأفطر، وأتزوج النساء، فمن رغب عن سنتي فليس مني».

ـ وقد رغب هؤلاء القوم عن سنة رسول الله ﷺ فماذا يكونون؟

*** الأنبياء وقوف بين يدي الصوفي:-**

. . . ورأى بعض النقراء الشيخ عبد الله بن أبي جمرة المدفون بقرافة مصر رضي الله تعالى عنه، وهو جالس على كرسي، وعليه حلّة خضراء، والأنبياء كلهم واقفون بين يديه! فأشكل ذلك عليه، فعرضه على بعض العارفين، فقال: وقوف الأنبياء إنما هو أدبٌ مع مَن ألبس الخلعة فيكون ذلك من باب التعريف للأحكام الشرعية، لا شرعاً جديداً[1]!!

السؤال: ما هي هنا الأحكام الشرعية التي يعرفون بها؟؟ لا يوجد إلا الزندقة، وهذا هو دأبهم في كل زندقاتهم، يعطونها تأويلاً هو أقبح من الكفر، ثم يقولون لك إنه موافق للشرع، وعليك أن تلغيَ إيمانك وعقلك وتسلّم.

*** الصوفي يجيب الدعاء:-**

. . . ومن مدايحه (محمد وفا بن محمد الرفاعي الحلبي) فيه (في أحمد الرفاعي) مدحة يتداولها الناس في الأذكار بحلب وهي:

كل الأنام عيالٌ عليك يا ابن الرفاعي
يا بحر كل المزايا ويا مجيبَ الدواعي[2]

إذن؛ فأحمد الرفاعي يجيب الدواعي! ولا تعليق، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

*** التمسوا مدد الصوفي واستمطروا نعمه:-**

يقول أحمد الرفاعي (الغوث):-

---

(1) قلادة الجواهر، ص١١١.

(2) قلادة الجواهر، ص٤٢٧.

لي همة بعضها تعلو على الهمم	ولي هوى قبل خلق اللوح والقلم
أنا الرفاعي طبولي في السما ضُربت	والأرض في قبضتي والأوليا خدمي
كل المشايخ يأتوا باب زاويتي	وفوق هاماتهم حاز العلا علمي
ولي لواءٌ على الكونين منتشر	وكل أهل العُلا ما أنكروا هممي
فالجأ بأعتاب عزّي والتمس مددي	وطف ببابي وقف مستمطراً نِعَمي[1]

● **التعليق :**

أولاً : يجب أن نعلم أن أهل الطريقة الرفاعية كلهم يؤمنون بمضمون هذا الشعر، بل وكل الصوفية، وعلماؤهم هم الذين يطبعون الكتاب وينشرونه .

ثانياً : ننبه إلى قوله : والأرض في قبضتي، فالجأ بأعتاب عزي والتمس مددي، وقف مستمطراً نعمي، ننبه إلى هذا، ونسأل : ما هو الفرق بينه وبين الله سبحانه وتعالى عما يصفون؟ وماذا بقي من الكفر المبين؟ والشرك العظيم؟ اللهم نشكو إليك هذه الفئة الضالة المضلة .

* **﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾، نُسخت :-**

. . . مَن ضاق حالـهُ لمهمَّـةٍ أو لحاجـة، أو عسـر عليه مقصد، أو كان عليه دَيْن، أو كان في سجن أو بغى عليه ظالم، فليتوضأ ويصلي لله ركعتين، ويصلي على النبي ﷺ مائة مرة، ويكـون ذلـك العمـل في بيتٍ خال، ويقـرأ الفـاتحة للنبي وآله وأصحابه أجمعين، ويتـوجـه قائماً للشرق، لبر البصـرة، لفلاة أم عَبيدة، محل مرقد الغوث الحسيني سيدي السيد أحمد (الرفاعي) وينادي بالاعتقاد والانكسار:

. . . يا وسيلة الطالبين، يا كعبة الطائفين . . . يا غوث الخلق، يا باب الحق . . . يا أشجـع الفـوارس . . . يا أبـا المدد . . . يا مصدر الطلاب، يا معجزة الرسول، يا سر الله، يا درة الغيب، يا سيف القـدرة، يا نائب النبي الجليـل، يا خليفـة إبـراهيم الخليل . . . يا مظهر الحضرتين، يا طويل الجناحين . . . يا أبا العلمين، يا شيخ الكل في مسند الكليـة . . . يا صاحب النَّـوْبـة الأولى، يا صاحب الصـوت الأعلى . . . يا صاحب

(1) قلادة الجواهر، ص٢٣٣ .

الموكب المرعب، يا مبرد النار . . . يا مبدل السموم، يا معنى عناية الحي القيوم . . . يا باب الله المفتوح، يا بدل الأبدال، يا سيد الرجال، يا نجيب الأنجاب . . . يا موصل كل أعرج . . . يا قطب الأقطاب المتصرفين، يا مظهر سر حضرة القدس في كل مكان وزمان، يا صاحب الآيات الباهرة . . . يا كنز العنايات، يا صاحب التصرف في الحياة والمهات، يا إشارة الكاف . . . يا متكلماً بلسان الله . . . يا قطب الفرد، يا قطب الأعظم، يا قطب الغوث، يا غوث الأكبر، يا بحر الله الكبير، يا صاحب السرير . . . يا ترجمان الحضرة المحمدية . . . يا أمين سر أهل العبا، يا جليل الحضرة . . . يا وجه الرُشْد الأينس، همتك حاضرة، وعنايتك باهرة، وأسرارك ظاهرة بحق جدك المصطفى وبحرمة أبيك علي المرتضى وبكرامة والدتك فاطمة الزهرا، أغثني، وتوجه لجدك خير الأنام، وقوموا بقضاء حاجتي . . . أدركني يا أحمد الأولياء، رضي الله عنك، أغثني[1].

ـ يذكرنا هذا الدعاء بالدعاء المقدم إلى عبد القادر الجيلاني، وهذا الدعاء مثل ذاك مستعملان حاليًّا في الطريقتين الرفاعية والقادرية، وكل طريقة لها دعاؤها المشابه. والشرك فيهما أوضح من الوضوح، وإلى الله المشتكى، ونسأله سبحانه أن يفتح بصائر المسلمين ويوقظ عقولهم لعلهم يستطيعون تقليص خطر هذا الطاعون الفتاك.

* **شفقة صوفية :ـ**

. . . وكان (أحمد الرفاعي) إذا رأى رضي الله تعالى عنه فقيراً يقتل قملة أو بعوضة، يقول له: لا واخذاك الله، أَسَكّن غضبك منها؟ وذَكَرَ سيدي عبد الوهاب الشعراني في مننه أن السيد أحمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه كان يدور وراء الكلاب المدودين ليداويهم فربما هرب منه الكلب، فيمشي وراءه ويتعطف بخاطره ويقول: أي مبارك، إنما أريد مداواتك[2]. .

ـ السؤال: لِمَ يعطف على القمل الذي على الفقراء؛ ولا يعطف على الدود الذي على الكلاب؟ هل لأن القمل أفضل من الدود؟ أم لأن الكلاب أفضل من الفقراء؟

ـ وطبعاً نعلم الآن أن كلمة «فقير» تعني عند القوم «الصوفي».

---

(1) قلادة الجواهر، ص٢٣٧، وما بعدها. (2) قلادة الجواهر، ص٦٣.

*** كشف؟ :ـ**

يقول محمد مهدي الرواس :

. . . وتصدَّر على منصة البروز من بطون الغياب سيدي الإمام الحجة المهدي (المنتظر) عليه الرضوان والسلام، فرَجَفت فرائصي لرؤيته . . . ثم قال من لسان الحال: «يا مُلَسْلَين يا بَلْمعَين يا مَنْعَلْهَيْ يا ما نقول يا تعليمليا يا فَوْأيَسْ واجَفْر» كلمات فهمت منهن كل المقصود وحمدت الله وشكرته[1] . . . اهـ.

الجواب: طوط عرفوط بلعوط وز كِز قاق. لأن جواب الكشف من جنس الكشف، ولا يفهمه إلا أهل الكشف.

*** وجوب استعمال العبارة الملغزة التي تقبل التأويل :ـ**

يقول الرواس :

وبويعت في الحضرة على التباعد عن أناس ابتُلوا بالانتقاد والاعتراض على أولياء الله تعالى، وذلك فيما يقبل التأويل[2] . . .

ـ نسأل: وأي شيء لا يقبل التأويل؟! إن باستطاعة الصوفي الشاطر أن يؤول قول عارفهم عندما يقول عن نفسه: «أنا الله» بأنه يعني بها جبل صنين في لبنان المطل على رابغ في طريق مكة! وكل ما مر معنا من زندقات وكفريؤ ولونه ويجعلونه ولاية عظمى وصديقية كبرى! ولعل القارىء الكريم انتبه إلى أن عبارة «فيما يقبل التأويل» إنما هي توجيه للصوفي أن تكون عباراته قابلة للتأويل ليمكن خداع أهل الشريعة والتمويه عليهم بذلك!

*** الكشف كذب وجهل :ـ**

يقول ابن عجيبة :

. . . وكذلك قضية ابن الجوزي، كان يقرأ ببغداد اثني عشر علماً، فخرج يوماً

---

(1) بوارق الحقائق، ص٣١٩.

(2) بوارق الحقائق، ص٢٨٧.

لبعض شؤونه، فسمع قائلاً يقول:

إذا العشرون من شعبان ولت فواصل شُرب ليلك بالنهار
ولا تشرب بأقداحٍ صغارٍ فقد ضاق الزمان على الصغار

فخرج هائماً على وجهه إلى مكة، فلم يزل يعبد الله بها حتى مات رحمه الله[1].

ـ الجواب: هذا لم يحدث وابن الجوزي توفي في بغداد وفي بيته في حي «قَطُفْتا» في الجانب الشرقي من بغداد عام ٥٩٧هـ. ولكن الكشف قادر على كل جهل وكذب وتزوير.

* يكذبون على رسول الله ﷺ :-

يقول ابن عجيبة وشهاب الدين السهروردي البغدادي قبله، وغيرهما:

. . . وعن أنس: كنا عند النبي ﷺ، إذ نزل عليه جبريل فقال: يا رسول الله، فقراءُ أمتك يدخلون الجنة قبل الأغنياء بخمسمائة عام، وهو نصف يوم، ففرح، فقال: أفيكم من ينشدنا؟ فقال بدريٌّ: نعم يا رسول الله، فقال: هات، فأنشد البدري يقول:

قد لسعت حية الهوى كبدي فلا طبيب لها ولا راقي
إلا الحبيب الذي شُغلتُ به فعنده رقيتي وترياقي

فتواجد عليه السلام، وتواجد أصحابه معه، حتى سقط رداؤه عن منكبيه، فلما فرغوا آوى كل واحد إلى مكانه، فقال معاوية: ما أحسن لعبكم يا رسول الله! فقال: مهْ مهْ يا معاوية، ليس بكريمٍ من لم يهتزَّ عند ذكر الحبيب! ثم اقتسم رداءه مَن حضرهم بأربعمائة قطعة[2]. . . .

ـ الجواب هو حديث رسول الله ﷺ: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، ثم يدَّعون الولاية، وادعاؤهم نفسه إثم مبين! وقد مرت حقب طويلة كانت فيها أكاذيبهم وخرافياتهم وضلالياتهم وغبائياتهم هي ثقافة المجتمعات الإسلامية، حتى

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٦٢.

(٢) الفتوحات الإلهية، ص٢٧٥، وعوارف المعارف في هامش الإحياء: ٢ / ٢٥٤، وغيرها.

أوصلوا الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه.

*** ومن العلم اللدني (رسالة إلى الغوث أحمد التجاني):-**

. . . أما بعد، فالمطلوب من كمال فضل سيدنا الذي أسدى الله فضلاً ورحمة ومدداً إلينا، أن يتفضل علينا سيدُنا بما وعَدنا بخطِّ يديه الكريمتين إلينا، كما هو معهود من فضل سيدنا من غير استحقاقٍ منا، بل محض فضل وإكرام وامتنان علينا مِن سُورة ([illegible]) بما لها من الأسرار والعلوم والوقت، وما لها من اللزوم، ودفع عوارضها من الشرور والهموم، وإعطاء ما لديها من الأسرار والعلوم، وأن يديم عليها بحوْل الله على عدد الدهر والعموم، وكذلك ([illegible]) الكتاب أيضاً على ما يليق بالحال ويزيل الإشكال[1]. . إلخ

- **أقول**: بما أن جواب الكشف يكون من جنس الكشف، فقد خانني الكشف عن الجواب على هذا الهراء.

*** ومن نفس الرسالة المرفوعة إلى الغوث أحمد التجاني:-**

. . . وإن ظَهَرَ لسيدنا أمرٌ آخر، فهو أدرى بحالنا، ولا نستحق شيئاً على سيدنا، إنما ذلك فضلٌ منه علينا؛ وأطلبُ منك سيدي الضمان الذي ضمنت لي بخطِّ يديك مِن مقام مولانا الهمام الشيخ الأكبر أبي عبد الله سيدي محمد بن العربي الحاتمي . . .

. . . وأطلبُ منك سيدي أيضاً أن يدفع الله عني جميع العوارض التي تقطعني عن جميع الخيرات . . . وأما تنوير باطني واستقامته، وإظهار فضلك ومددك عليّ وحصول الخيرات لديَّ ظاهراً وباطناً، فلا أقبل فيه عذراً مِن سيدي من الآن إلى حصول المقام، وبعد حصول المقام ما لا عين رأت ولا أذن سمعت . . . وأن أكون مأموناً من السَّلْب (أي من سلب الولاية) إلى دخولي منزلي في الجنة[2]. . . الخ

- على القارىء أن يعرف أن هذا الدعاء موجه إلى أحمد التجاني الغوث من خليفته الأكبر سيدي الحاج علي حرازم برادة! وأن هذا الدعاء ليس موجهاً إلى الله جل وعلا!

---

(١) كشف الحجاب، ص٨٤ و ٨٥.
(٢) كشف الحجاب، ص٨٥ و ٨٦.

وإلى الله نشكو هذا السرطان الخبيث الذي يدمر الأمة الإسلامية بهدوء وإصرار.

*** ومما يجيب به الغوث أحمد التجاني على هذا الشرك قوله :**

. . . وأما ما طلبتَ من الضمان في المعرفة بالله ، من كونها صافيةً من اللبس ، ممزوجةً حقيقتُها بالشريعة ، فإنَّ أمرها لا يكون إلا كذلك لا غير . . . وأنا لك ضامن أن لا تُسْلَب ما دمتَ في محبتنا ، وكل ما دونه ، مِنْ دخول الجنة بلا حساب ، إلى ما وراءه وما قبله ، وسامحتك فيما لا تعمله مما مُقتضاه سوء الأدب ؛ وأما السورة فتداومها ١١٠٠٠ مرة كل يوم أو كل ليلة ، مختلياً وحدك وقْتَ ذكرها فقط ، وبدؤها أن تقرأ الفاتحة مرة ، وصلاة الفاتح لما أُغلِق مرة ، وتهدي ثوابها لأهل النَّوْبة في ذلك اليوم من الأولياء الأحياء ، ثم تقوم وتقف مستقبلاً وتنادي : ح دستور يا أهل النَّوْبة ، جبهتي تحت نعالكم ح . ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح الشيخ عبد القادر والشيخ أحمد الرفاعي وجميع الأولياء الغائبين والحاضرين ، ثم تقرأ الفاتحة مرة وتهدي ثوابها لروح سيدنا محمد ﷺ ، ثم تسأل المدد[1] . . .

ـ أرجو أن يعلم القارىء أن هذا الشرك والزندقة صادران من قطب غوث إلى خليفته ، وهو غوث أيضاً . . . ثم يتساءل المتسائلون : ما هو سبب فساد المسلمين؟ !

*** يحضر بعد موته لقراءة الوظيفة :ـ**

. . . (سيدي عيسى بن خراز) حدثه أنه رأى صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي ابن المشرى الأشهب بعد موته خارجاً من الزاوية المباركة بعدما قُرِئت الوظيفة ، فقال له : أو تحضر الوظيفة بعد الموت؟ فقال له : نعم ، ثم سأله عن والده صاحب سيدنا رضي الله عنه سيدي العربي بن الأشهب؟ فقال له : إن مرتبته عالية وأنا دونها فلم أعرف ما اشتملت عليه لشفوفها وعلوِّها[2] . . .

● **التعليق :**

لم يَعُدْ محمد ﷺ إلى الحياة ليحكم بين المسلمين في خلافاتهم التي أريقت بها

(١) كشف الحجاب ، ص٨٩.

(٢) كشف الحجاب ، ص٣٩٥.

الـدمـاء، وكانو بأمس الحاجة له! ويعود هذا الصوفي من أجل قراءة الوظيفة مع أمثاله!! إنه الشيطان طبعاً يتلاعب بهم.

* بلا عنوان:-

يقول محمد بهاء الدين البيطار:

سأل مريد أستاذه عن الاسم الأعظم؟ فضربه بحصاة، فكان الضرب هو الجواب، يشير له: إنك أنت الاسم الأعظم[1]...

● ملاحظة ليست من موضوع الكتاب:-

محمـد بهاء الـدين البيطـار هووالد أستاذنا، عالم الشام، داعية الحق والهدى الشيخ محمدبهجة البيطار، رحمه الله وأجزل ثوابه، وشكر جهاده.

* الصوفي يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير:-

ويقول: ... فإن الكامل في وقته مَظْهر هذه الأسماء الثلاثة التي هي: الله والرحمن والرحيم، بل مَظْهر أسماء الله على الكمال القائم بحقيقة الجمال والجلال؛ قيل لبعضهم: كيف أصبحت؟ فقال: أصبحتُ أُحيي وأميت وأنا على كل شيء قدير[1]...

- ولا تعليق، ولا سؤال، ولا جواب، لكنه تفسير لما تتخبط به الأمة الإسلامية من فساد وضياع.

* يترك التصرف بالكون تظرفاً:-

ويقول: ... وكان هذا مقام أبي السعود تلميذ الغوث الجيلاني، فإنه قيل له: هل أعطاك الله التصرف في العالَم؟ فقال: نعم، منذ خمس عشرة سنة، وتركتُه للحق تعالى تظرفاً! قال الشيخ الأكبر: ونحن تركناه أدباً ومعرفة[2]...

- ولا تعليق، لكنه ألمٌ وسؤال: ما الذي أوصل الأمة الإسلامية إلى ما هي عليه الآن؟

---

(1) النفحات الأقدسية، ص٦.

(2) النفحات الأقدسية، ص٧.

* **الشبلي هو محمد ﷺ :-**

ويقول البيطار نفسه :

. . . ولما انجلى هذا المشهد لمريد الشبليِّ في صورة الشبلي، قال له أستاذه الشبلي رضي الله عنه : أتشهدُ أني محمد رسول الله؟ فقال : نعم[1]! . . .

ـ ولا تعليق، بل نعيد نفس الأسئلة السابقة .

* **والكلب والخنزير جاء دورهما :-**

ويقول أيضاً :

. . . حتى انْسَحَب على الوجود (أي على الله) الضحك والفرح والعجب والمكر والكيد والاستهزاء والسخرية والظمأ والمرض والجوع والنسيان والشك، حتى قال بعض من غلبه الشهود مِن أرباب الأحوال :

وما الكلب والخنزير إلا إلهنا ... وما الله إلا راهب في كنيسة

وما ذاك إلا من انصباغ تلك الأحكام الثابتة بنور الوجود المطلق[2]. . .

ولا تعليق أيضاً، ولكن بكاء وحزن على ما حلّ بهذه الأمة من هذه الطائفة التي تُعْمِل بها معاولها بإصرار وتكرار، حتى وصلت إلى ما هي عليه الآن .

* **البدوي، قطب الأقطاب ولا يصلي :-**

يقول أحمد الصاوي :

. . . وأما جمعُ الجمع، فهو مقام أعلى من مقام البقاء، وهو أن يأخذه الحق بعد بقائه، فيُسكره في شهود ذاته تعالى، فيصير مستهلكاً بالكلية عما سوى الله تعالى، فمنهم مَن يبقى بهذه السكرة إلى الموت كالسيد البدوي رضي الله عنه، ولذلك قال العارفون : إنه جُذب جذبة استغرقته إلى الأبد، ومنهم من يُرَدُّ إلى الصحو عند أوقات الفرائض ، والقيام بأمور الخلق ، كالسيد الدسوقي ، وأضرابه ،

---

(١) النفحات الأقدسية، ص٣٤١ .
(٢) النفحات الأقدسية، ص٣٣٨ .

والمؤلف[1]، (أي أحمد الصاوي). . .

- ولا تعليق أيضاً، لكن تعريف، فالذي يذكر هذا الكلام هو الذي قرر في كتاب له أن ظاهر القرآن من أصول الكفر، كما يظهر من سياق كلامه أن أحمد البدوي كان لا يصلي.

*** حتى الوحي ينكرونه :-**

يقول الغزالي (حجة الإسلام ومحجة الدين التي يتوصل بها إلى دار السلام):

. . . والمدْرَك الثاني: الوحي للأنبياء والإلهام للأولياء، ولا تظنَّ أن معرفة النبي ﷺ لأمور الآخرة ولأمور الدنيا تقليدٌ لجبريل عليه السلام، فإن التقليد ليس بمعرفة صحيحة، والنبي ﷺ حاشاه الله من ذلك، بل قد انكشفت له الأشياء وشاهدها بنور البصيرة، كما شاهد المحسوسات بالعين الظاهرة[2]. . .

- في هذا النص، نتعرف على أحد الأساليب الخبيثة التي يستعملونها في الكيد للإسلام والمكر به؟ فهو هنا يستعمل عبارة «تقليد لجبريل»، بدلاً من كلمة «الوحي» لتكون مقبولة.

- وواضح أن قوله: «لأمور الآخرة ولأمور الدنيا» يعني به الشريعة الإسلامية، وهذا الأسلوب يبينّ مدى المكر الذي يكيدون به الإسلام.

- ثم لم يكتف هؤلاء المخدوعون بأحابيل الشياطين وخدعهم (في خرق العادة وفي الجذبة وما يوسوسون لهم فيها) حتى أرادوا أن يجعلوا محمداً ﷺ من زمرتهم، ويجعلوا الإسلام صورة عن هذياناتهم.

*** صيام جديد أو دين جديد :-**

يقول الطوسي (في اللمع) وشهاب الدين السهروردي (في عوارف المعارف) وغيرهما:

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص١٢٦.
(٢) الكشف والتبيين للغزالي، «ملحق تنبيه المغترين»، ص٢١٠.

. . . وحكي عن بعض الصادقين من أهل واسط أنه صام سنين كثيرة، وكان يفطر كل يوم قبل غروب الشمس إلا في رمضان.

يعلق السُّهْـرَوَرْدي على هذا بقـولـه: «. . . ولكن أهـل الصـدق لهم نيـات فيـما يفعلون، فلا يُعارضون، والصدق محمودٌ لعينه كيف كان[1] . . .

ـ السؤال: ما الفائدة من تعاليم الإسلام؟ وأين ذهبت؟ وما فائدة الرسل؟؟؟

*** الكشف جهل في جهل :ـ**

ويقول السهروردي أيضاً (شيخ الطريقة السهروردية):

. . . قال سهل بن عبد الله: للقلب تجويفان، أحدهما باطن وفيه السمع والبصر، وهو قلب القلب وسويداؤه.

. . . ومثـل العقـل في القلب مثل النظر في العين، وهو صقالٌ لموضع مخصوص فيه بمنـزلـة الصقـال الـذي في سواد العـين، ومنه تنبعث الأشعة المحيطة بالمرئيات، فهكذا تنبعث من نظر العقل أشعةُ العلوم المحيطة بالمعلومات[2].

● **المناقشة:**

أولاً: للقلب أربعة تجاويف لا تجويفان.

ثانياً: السمع والبصر مركزهما الدماغ لا القلب.

ثالثـاً: لا تنبعث الأشعـة المحيطـة بالمـرئيـات من سواد العين، إنما تنبعث من ضوء الشمس أو القمـر أو السـرج . . وتسـقـط على المـرئيـات ثم تنعكس إلى كل الجهـات، والأشعة التي تصطدم بسواد العين تدخله، وتكون الرؤية.

رابعاً: لا يوجد تشابه بين العقل في القلب والنظر في العين.

خامســاً: من هنا، ومن غير هنــا، نعــرف أن الكشف لا يزيـد عن كونـه صوراً

---

(١) اللمع، ص٢٢٠، وعوارف المعارف هامش الإحياء: ٣ / ٢٣٣.

(٢) عوارف المعارف في هامش الإحياء: ٤ / ٢٤٧.

لمعلومات اقتبسها العارف عن المعارف السائدة في مجتمعه، بالإضافة إلى هذيانات وثرثرات ووسوسات إبليسية.

*** جهل في كذب:ـ**

يقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي:

. . . بلغنا أن الإمام عليًّا رضي الله تعالى عنه كان يقول في خطبته على رؤوس الأشهاد: أنا نقطة «بسم الله» أنا جنب الله الذي فرَّطتم فيه وأنا اللوح وأنا القلم وأنا اللوح المحفوظ وأنا العرش وأنا الكرسي وأنا السماوات السبع والأرضون. فإذا صحا وارتفع عن تجلي الوحدة في أثناء الخطبة يعتذر ويقرُّ بعبوديته وضعفه وانقهاره تحت الأحكام الإلهية[1].

● تنبيه:

جهل كشفهم، ففي زمن علي بن أبي طالب لم يكن لـ «بسم الله» نقطة، لأن التنقيط لم يكن قد اختُرع بعد، وكفر كشفهم في الباقي. وعلي بن أبي طالب رضي الله عنه لم يقل هذا الهذيان لأنه كان مسلماً مؤمناً ولم يكن من الضالين.

*** أين الإيمان؟ وأين العقل والحياء؟:ـ**

يقول أبو الهدى الصيادي:

قال الشيخ شرف الدين أبو بكر بن عبد المحسن: . . . كنا مع السيد أحمد الصيادي قدس سره . . . وكنا كلما مررنا على نهر ماء استقبله السمك من النهر إلى الشاطىء وازدحم على قدميه . . . وكذلك الدواب والهوام والغزلان في البر الأقفر، حتى إن الحيوانات نراها تقف له على حافتي الطريق . . . ومات أحد إخوانه فجاءت فجأة إليه أم الميت وهو ساجد في صلاة الضحى، فتأخر في سجوده، فقالت: وحقك لو بقيت إلى يوم القيامة ساجداً لما تركتك إلا بولدي، فرفع رأسه الشريف باكياً، وإذا بالمريد قد قام حيًّا! فسجد شكراً لله على نعمته التي أنعمها عليه. وذكر المناوي أنه سجد سجدة واحدة

---

(1) قلادة الجواهر، ص١١٢.

فامتد سجوده سنة كاملة ما رفع رأسه حتى نبت العشب على ظهره[1]. .

خير جواب على مثل هذه التمثيليات التي تنصبها شياطين الجن شركاً للضلال والإضلال هو: لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون، اللهم إليك نشكو مكر شياطين الجن بأوليائهم الذين خُدِعوا بتمثيلياتهم فضلوا وأضلوا وأصروا على تدمير المسلمين.

*** حوار مع الله (سبحانه وتعالى)، ويعرض الله عليه ملكه وملكوته، وحديث لم يمر على رسول الله ولا عرفه جبريل:-**

يقول ابن عربي:

(وصية إلهية) حدثنا . . . قال لي علي بن الخطاب الجزري بالجزيرة، وكان من الصالحين؛ رأيت الحق في النوم فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ! قال: فسكتُّ، فقال لي: يا ابن الخطاب تمنَّ! فسكتُّ. قال ذلك ثلاثاً، ثم قال لي في الرابعة: يا ابن الخطاب أعرض عليك ملكي وملكوتي وأقول لك تمنَّ، وتسكت! فقال: قلتُ: يا رب، إن نطقتُ فبك، وإن تكلمتُ فبما تجريه على لساني، فما الذي أقول؟ فقال: قل أنت بلسانك، فقلت: يا رب قد شرَّفْتَ أنبياءك بكتب أنزلتها عليهم، فشرفني بحديث ليس بيني وبينك فيه واسطة، فقال: يا ابن الخطاب، مَنْ أحسنَ إلى من أساء إليه فقد أخلص لله شكراً، ومَنْ أساء إلى مَن أحسنَ إليه فقد بدَّل نعمة الله كفراً، قال: فقلتُ: يا رب زدني، فقال: يا ابن الخطاب حسبك حسبك[2].

● **التعليق**: إنها الشياطين تضحك على ذقونهم وتتلاعب بعقولهم، فتضلهم وتضل بهم.

*** التجرؤ على الله سبحانه:-**

نقرأ في النفحات الأقدسية قوله:

. . . فهم ممَّن يحرفون الكلم عن مواضعه بتأويلهم الفكري الذي يحكمون به على

(1) قلادة الجواهر، ص٣٤٠.

(2) الوصايا لابن عربي، ص٢١٧.

الله، ويقولون هو منزه عن كذا والله ما نزّه نفسه هذا التنزيه البارد، ولا نزهه رسوله ﷺ، بل أخبر رسول الله أن الله يعجب ويفرح ويضحك ويكذب ويشتم ويؤذي ويصبر على الأذى، فبُعث رسول الله ﷺ ليتمم مكارم الأخلاق، أي أخلاق الله، فكذب وشتم وأوذي وجاع وظمي ومرض واستقرض، وكل ذلك واردٌ في حق الله تعالى، فانطبق اسم الله عليه على الكمال والتمام[1]..

ـ أيها القارىء، ألا تشعر بالحمى من سماع هذا الكلام؟ الله يكذب! ورسوله يكذب! واسم الله ينطبق على رسوله على الكمال والتمام! أي إن محمداً ﷺ هو الله!؟

ومـاذا يستطيع مسلم يؤمن بالله واليوم الآخر أن يقوله أمام هذا القول المرعب؟ ثم يتساءلون عن سبب فساد المسلمين؟ والأمر أوضح من نار على علم.

*** وأحاديث لم تمر على رسول الله ﷺ :ـ**

... ومن تآليفه (أي ابن عربي) أيضاً: كتاب الأحاديث القدسية، ذكَر فيه أنه لما وقف على الحديث المروي في فضائل الأربعين، بمكة المكرمة، سنة ٥٩٩هـ، جمعها بشرط أن تكون من المسندة إلى الله تعالى، ثم أتْبعها أربعين عن الله تعالى مرفوعة إليه، غير مُسندة إلى رسول الله ﷺ، ثم أردفها بأحد وعشرين حديثاً، فجاءت واحداً ومائة حديث إلهية[2]...

ـ ونضيف إلى هذا الضلال أن هناك أحاديث منامية منتشرة بين المتصوفة نورد منها مثلاً واحداً للتفكهة: حدث أحد الصوفيين المعروفين في دمشق على المنبر في خطبة جمعة فقال: حدثني شيخي (فلان) قال: حدثه شيخه (فلان) قال: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، فقلت له: يا رسول الله! حدثني حديثاً أحدث به الناس، فقال: ما تزال الملائكة تصلّي على العبد ما دام في فمه طعم البُنّ!! قال له: زدني... إلخ. وكان مريدو هذا الشيخ يكتبون هذا الهراء باهتمام وكأنهم وقعوا على كنز، وحفظوه! وطبعاً، هم لا يحفظون شيئاً من حديث الرسول ﷺ. وقد علّق الشيخ بعد إيراده هذا الهذيان، وتفاهتين أخريين معه أقبح منه، علّق فقال: هذه أحاديث صحيحة لأن رواتها كلهم

(١) النفحات الأقدسية، ص١٦.

(٢) الفتوحات المكية: ٤ / ٥٥٥.

ثقات.

- أما نحن فنقول: اللهم إليك نشكو ما حل بالأمة الإسلامية من زيغ في الإيمان وجهل وذل وتخبط بسبب هذه الطائفة المارقة التي دمرت الإيمان والعلم والعقل والحياء.

□ قصة مرسلة:

أخبره الكشف أنه المهدي المنتظر، وأخبر بذلك المقربين من مريديه، وأخذوا يعدون العدة لليوم العظيم، يوم يأتيه الإذن من الكشف «اصدع بما تؤمر».

اشترى الحصان (أو اشتري له) من سلالة معروفة، وهيأ له في بلدة مجاورة اصطبلاً يناسب المقام، مقام حصان المهدي المنتظر، ووكل به سائساً خاصاً لخدمته، يطعمه اللوز والبندق والفستق الحلبي، ويتعهد نظافته وراحته آناء الليل وأطراف النهار؛ وهل يوجد من هو أحق بالخدمة والاعتناء من حصان المهدي المنتظر.

ومن أمناء سره وموضع ثقته شاب ملأ الإيمان قلبه؟ الإيمان بأن الشيخ وصل إلى أعلى درجات القدوسية، وتحقق بكامل الأسماء والصفات الإلهية؛ عين له الشيخ يوماً يخرجان به بعد صلاة الفجر، هذا يركب حصانه؛ حصان المهدي، وذاك يركب حصانه؛ حصان وزير المهدي، إلى مكان منعزل، حيث يمضيان ساعات في التدرب على النزال والطعان بالسيف والترس والسنان، لأن سنن الله في خلقه سوف تتبدل، فتخرس البنادق والمدافع، ويفقد البارود والمتفجرات خاصية انفجارها، وإن حدث وانهمر الرصاص وتساقطت القذائف، فبضربة من سيف المهدي تتحول إلى هباء منثور.

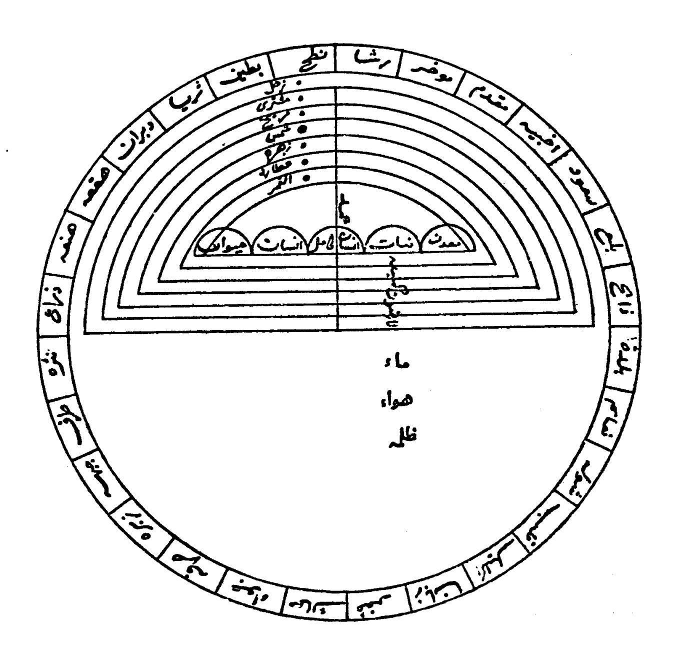
كان البدء منذ حوالي خمس عشرة سنة، وهو حتى الآن ينتظر الإشارة.

وعندما يخرج للعباد، وتنقاد له البلاد، سوف ينزل المسيح، وهو إسرائيلي من فلسطين، حيث يرفضه الناس لإسرائيليته، لذلك، وتسهيلاً لمهمته (مهمة المسيح)، فقد هيأ منشوراً مهدوياً في درج كبير سوف ينشره على الناس يقدمه به إليهم، ويزكيه ليقبلوه!!!

- ولنعد إلى كشوفاتهم الفلكية:

مما يورد ابن عربي في «الفتوحات المكية» (٣ / ٤٢٤):

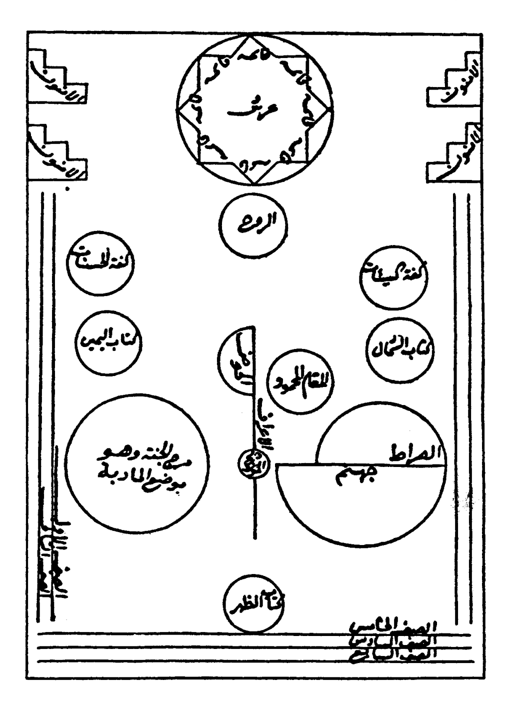
صورة الفلك المكَـوْكَب وقبـاب السـماوت ومـا تستقـر عليه، وهو الأرض، والأركان الثلاثة، والعمد الذي يُمسك الله به القبة، والمعدن والنبات والحيوان والإنسان.



وأترك التعليق للقارىء الذي اطلع على شيء من علم الفلك، ليعرف مدى جهل كشفهم الـذي يسمـونـه نور اليقـين وحق اليقين وعين اليقين، والذي يقول الغزالي إنهم يعرضون عليه السمع والألفاظ لتصحيحها!

ويورد أيضاً في «الفتوحات المكية» (٣ / ٤٢٥):

صورة أرض المحشر وما يحوي عليه من الأعيان والمراتب وعرش الفصل والقضاء وحملته وصفوف الملائكة.



وهناك خرائط أخرى لم أوردها اكتفاءً بهذا.

وللعلم: ظهر في مدينة ليون بإسبانيا في أوائل القرن السادس الهجري كتابٌ لأحد أقطاب طريقة صوفية يهودية (الكابالا).

واسم الكتاب (زوهار) أي (الإشراق) وفيه صورة للمراتب الروحانية تشبه ما عَرَفه ابن عربي بالكشف وسجّله في «فتوحاته المكية»، مع فارق، هو أن الشكل المرسوم في الزوهار يتلاءم بشكله وأسمائه مع الديانة اليهودية، بينما خرائط ابن عربي معدَّلة حسب المفاهيم الإسلامية؛ وقد كان هذا الكتاب منتشراً في الأندلس في عصر ابن عربي!

- فما هي العلاقة؟ لا جواب! لكن يجب ألا ننسى الكشف والعلم اللدني.

*** كل المعبودات حق (والأوثان حق):-**

يقول ابنُ عربي (الشيخ الأكبر):

... فمِن عناية الله بنا، لمّا كان المطلوب من خلقنا عبادته، أن قرَّب علينا الطريق، بأن خلقنا من الأرض التي أمرنا أن نعبده فيها، ولمّا عَبَدَ منّا مَن عبَدَ غيرَ الله، غار الله أن يعبد في أرضه غيره، فقال: وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه؛ أي حكم، فما عَبَدَ مَن عَبَد غير الله إلا لهذا الحكم، فلم يُعْبَد إلا الله وإن أخطؤوا في النسبة، إذ كان لله في كل شيء وجهٌ خاصٌّ به ثبت ذلك الشيء، فما خرج أحد عن عبادة الله[1]!؟

- معنى هذا الكلام أن أصنام الهندوس هي الله وأوثان اليونان هي الله، وأن اللات والعزى وغيرها كلها هي الله!

وإياك أيها القارىء أن تعترض، فتنطرد! لأنه الكشف الكشف الكشف.

*** ووصل الكشف بأهله إلى تكفير القرآن:-**

في حاشية الصاوي على الجلالين، في شرح آية الاستثناء في سورة الكهف ﴿ولا تقولن لشيء إني فاعل ذلك غداً إلا أن يشاء الله﴾ جاء قوله: (أي قول الصاوي):

لا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة، ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية!! فالخارج عن المذاهب الأربعة ضالّ مضل، وربما أداه ذلك للكفر، لأن الأخذ

(١) الفتوحات المكية: ٣ / ٢٤٨.

بظاهرِ الكتاب والسنة مِن أصول الكفر[1]. اهـ.

● **التعليق:**

الكشفُ على كل ضلالٍ قدير، وبالكشفِ الباطلُ حقًّا يصير!!

إن من أبسط بدهيات الإسلام، وما يُعلم من الدين بالضرورة، أن القرآن والسنة هما مصدر الإسلام، وكل ما خالف القرآن والسنة فهو الكفر والزندقة والضلال. ومن البدهيات في الإسلام، أن كلمة «كفر» تعني مخالفة القرآن والسنَّة، لكن عندما يأتي قطب غوث كالصاوي أحمد ليقول: إن الأخذ بظاهر القرآن والسنَّة من أصول الكفر، فلا يبقى منطق ولا يبقى عقل ولا يبقى دين ولا يبقى علم ولا يبقى معلوم ولا يبقى فهم ولا يبقى مفهوم ولا يبقى فكر ولا يبقى بحث ولا يبقى إسلام ولا يبقى إيمان . . . ولا يبقى إلا الجذبة والفناء عن كل ما وهبه الله للإنسان من مواهب، ولا يبقى إلا الهذيان والكشف عن الجهل والغباء. ومع ذلك، سلِّم تسلم، ولا تعترض فتنطرد!! لأن هؤلاء القوم عرفوا الأمور بنور اليقين وعينه وحقه، وسلام على الإسلام والعقل واليقين. وعلى كل حال، يجب أن لا ننسى أبداً أن الهنادكة والبوذيين واليهود . . . يرون أن ظاهر القرآن والسنَّة من أصول الكفر. وهذا القول يعطينا صورة صغيرة، لكنها واضحة، عن دور الصوفية في تشويه الرسالات السماوية.

*** حتى البول تظهر فيه القداسة:ـ**

أورد الغزالي في «إحيائه»:

. . . حُكي عن الجنيد أنه قال: مرض أستاذنا السَّريّ رحمه الله فلم نعرف لعلته دواء، ولا عرفنا لها سبباً، فوُصف لنا طبيب حاذق، فأخذنا قارورة مائه، فنظر إليه الطبيب وجعل ينظر إليه مليًّا، ثم قال لي: أراه بول عاشق، قال الجنيد: فصُعِقْتُ وغشي علي ووقعت القارورة من يدي، ثم رجعت إلى السري فأخبرته، فتبسم ثم قال: قاتله الله ما أبصره، قلت: يا أستاذ، وتَبين المحبة في البول؟ قال: نعم[2]. . .

ـ لعل القارىء فطن إلى أن المحبة هنا هي محبة الله! وللعلم، يحدث مثل هذا تماماً

(1) تنزيه السنة والقرآن، ص١١.
(2) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٩٠.

لمدمني الأفيون والمهلسات.

*** دين عجيب:ـ**

يقول شهاب الدين السهروردي البغدادي:

. . . وحُكي عنه (عن إبراهيم الخواص) أنه قال: مكثتُ في البادية أحد عشر يوماً لم آكـل، وتطلعتْ نفسي أن آكـل من حشيش البر، فرأيت الخضر مقبلاً نحوي، فهربت منه، ثم التفتُّ فإذا هو رجع عني، فقيل: لِمَ هربتَ منه؟ قال: تشوقتْ نفسي أن يغيثني[1]!

ويعلق السهروردي على هذه القصة بقوله: «فهؤلاء الفرارون بدينهم»!

ـ السؤال: أيُّ دين هذا الذي فرَّ به؟ إنه ليس الإسلام على كل حال! لأن رسول الإسلام ﷺ نهى عن الوصال في الصيام، وقال: من رغب عن سنتي فليس مني.. إذن، فهؤلاء القوم ليسوا من أتباع رسول الله! فإلى من ينتمون؟

*** كل شيء عجيب حتى ورعهم (من مقام الورع):ـ**

يقول الغزالي:

. . . فقد امتنـع طائفـة منهم (من الصـوفيـة) عن الحلال المحض خيفة أن يشغل قلبه؛ وقد حُكي عن واحد منهم أنه احترز من الوضوء بماء البحر وهو الطهور المحض[2]؟!

ـ سؤال: ماذا فعـل إذن؟ لعله تيمم بالـتراب؟ وهو غير مجزيء، والتراب أولى من ماء البحر أن يحترز منه، إذ قد يكون سقطت عليه نجاسة، أو يكون ملكاً لأحد فلا يبقى إلا إلغاء الوضوء، وإلا، فماذا فعل؟ هل صلى بدون وضوء؟ أو لعله توضأ بماء الغيب، ثم صلى بأرض الغيب، الـواقعـة في جزيرة الغيب، التي هي إحدى جزائر بحر الغيب، وصلى معه رجال الغيب، في أوقات الغيب من أيام الغيب وشهور الغيب، وإلا فماذا؟

---

(١) عوارف المعارف، هامش الإحياء: ٢ / ٩٥.

(٢) إحياء علوم الدين: ٢ / ٩٥.

على كل حال، هذا الكلام لا يجوز أن يُناقش، لأن راويه هو حجة الإسلام، رواه في كتابه «إحياء علوم الدين» اسمان يصمان السمع ويثقبان الأذان.

* بلا عنوان ولا تعليق ولا مناقشة :-

قال أحمد التجاني:

ليس لأحدٍ من الأولياء أن يُدخل كافة أصحابه الجنة بغير حساب ولا عقاب إلا أنا وحدي ولو بلغوا ما بلغوا من الذنوب وعملوا ما عملوا من المعاصي، وأما سائر سادتنا الأولياء رضي الله عنهم فيُدخلون الجنة أصحابَهم بعد الحساب والمناقشة[1]... «إحِمْ».

* كشفهم يكذب عليهم :-

يقول عبد الوهاب الشعراني:

... قال الجلال السيوطي رحمه الله: واعلم أنه ما كان كبيرٌ في عصرٍ قط إلا كان له عدوٌّ من السفلة، إذ الأشراف لم تزل تُبتلى بالأطراف، فكان لآدم عليه السلام إبليس ... وكان لعيسى في حياته الأولى بختنصر وفي الثانية الدجال[2]...

ـ هذا القول يقوله قطب، هو جلال الدين السيوطي، ويرويه عنه قطب الغوث الرباني، سيدي عبد الوهاب الشعراني، وكشف القطبين لم يساعدهما على معرفة أن بختنصر كان قبل عيسى صلوات الله عليه بأكثر من ستمائة سنة! ولكنه العلم اللدني الذي ينسخ آيات القرآن! فهل كثير عليه إن نسخ حقائق التاريخ؟

* يفطر في رمضان تقرباً إلى الله :-

يقول محمود أبو الفيض المنوفي:

... ومنها أن أحد الملامتية من الأولياء دخل بلداً، فأخذ الناس في تعظيمه، فسأل الله أن يصرفهم عنه، وكان ذلك في رمضان بالنهار، وهو صائم، ولما دعا الله، فأُلهم أنَّ بجيبه بلحة، فتناولها، فانصرف الناس عنه قائلين: إن الشيخ قد أفطر!! فشكر الله على

---

(١) كشف الحجاب، ص٣٧٣ و ٣٧٤.

(٢) الكبريت الأحمر، هامش اليواقيت، ص١٢ و ١٣.

أن أخْلَوْا ما بينه وبين ربه[1].

- يعلق محمود أبو الفيض المنوفي (قطب الغوث) على هذا الضلال بقوله: وهو وإن كان أفطر، ورأى القارىء أن الكفارة تلزمه! قلنا: إن مثل هذا يقضي ثلثي عامه صائماً قط؛ فإذا احتسب صوم بعض أيـامـه من الصـوم كفـارة للفطـر، فلا مانـع عنـده. (ولا تعليق، ولا تفريق، ولا تبويق) لأنه العلم اللدني اللدني اللدني اللدني اللدني . . .

*** لصوصية الولي ولصوصية السارق:-**

يقول الغوث عبد العزيز الدباغ:

. . . الفـرقُ بين أخـذ الولي صاحب التصرف متاع الناس، وبين أخذ السارق واللص له، الحجابُ وعدمُه، فالولي شاهدٌ لربه عز وجل، مأمورٌ من قِبَلِه بالأخذ، قال الله تعالى: ﴿وما فعلتُه عن أمري﴾ . . ولقد دخل سيدي منصور القطب رضي الله عنه إلى مولانا إدريس نفعنا الله به، فوجد سيدي أبا يعزى بن أبي زيان البكاري يزور، فأخذ بُلْغَتَه (نوع من الأحذية) وخرج، فقلت للشيخ رضي الله عنه في ذلك، فقال: الفرق بين أخذ الولي والسارق الحجابُ وعدمُه، فسيدي منصور لكونه قطباً مشاهداً البُلْغة له، ورآها في اللوح المحفوظ مِن قِسْمته، وسمع الأمر من الحق سبحانه بأخذها، يحلّ له الأخذ كيف أمكنه، والسارق محجوب غافل عن ربه . . .

يعلق نجم العرفان سيدي أحمد بن المبارك على هذه اللصوصية بقوله:

أعـاذنـا الله من سوء الانتقـاد على الكمَّـل من العبـاد[2]. . . «اهـ» أي لا تعترض عليهم فيما يفعلون!

*** وهكذا وصلنا إلى (اللصوصية المقدسة):-**

ويقول عبد العزيز الدباغ نفسه:

. . . إن الولي صاحب التصرف يمدُّ يده إلى جيب من شاء فيأخذ منه ما شاء من .

(١) معالم الطريق إلى الله، ص٣٤٨ و ٣٤٩. (٢) الإبريز، ص٢٠٧.

الدراهم، وذو الجيب لا يشعر! قلت: (القائل هو أحمد بن المبارك): لأن اليد الذي يأخذ بها الولي باطنية لا ظاهرية[1]. . .

أقـول: هذه اللصـوصيـة تعطينـا صورة صغـيرة، لكنهـا واضحة، عن سبب فساد المجتمعات الإسلامية.

* **والمعاصي كلها مباحة للولي! (مكراً بالأشقياء الذين يعترضون على الأولياء):-**

يقول الدباغ:

وإذا أراد الله شقاوة قوم وعدمَ انتفاعهم بالولي، سخَّرهم الحقُّ فيما هم فيه من قُبح ومخـالفـة، فيظنون أنه على شاكلتهم، وليس كذلك، حتى إنه يُتصور في طور الولاية أن يقعـد الـولي مع قوم يشـربون الخمر، وهويشرب معهم، فيظنون أنه شارب الخمر، وإنما تصـوَّرتْ روحـه في صورةٍ من الصور، وأظهرت ما أظهرت، وفي الحقيقة لا شيء، وإنما هو ظل ذاتـه تحرك فيـما تحركـوا فيـه، مثـل الصورة التي تظهر في المرآة[2]. . . اهـ. (الآن رقص من دون نقص، ترلم ترلم، ترلم ترلم).

* **عودة إلى كشف العورة:-**

يقـول الـدبـاغ نفسه: إن غير الولي إذا انكشفت عورته نفرت منه الملائكة الكرام، لأن الحيـاء يغلب عليهم، والمراد بالعـورة العورة الحسِّية، وهي ظاهرة، والعورة المعنوية التي تكون بذكر المجون وألفاظ السُّفه؛ وأما الولي فإنها لا تنفر منه إذا وقع له ذلك، لأنه إنما يفعله لغرضٍ صحيح، فيترك ستر عورته لما هو أولى منه، لأن أقوى المصلحتين يجب ارتكابه، ويؤجر على ستر عورته وإن لم يفعله، لأنه ما منعه من فعله إلا ما هو أقوى منه، ولولا ذلك الأقوى لفعله، فكأنه فعلهما جميعاً فيؤجر عليهما معاً[3]. . .

ـ سؤال: ما هي المصلحـة من كشف العـورة؟ أي مصلحـة؟ سواء كانت أقـوى أو أضعف أو مساوية أو موازية؟ أو أو.

ـ جواب: لعل كشف العورة مقام من مقاماتهم، التي هي «المنجيات»! وإلا

(1) الإبريز، ص٢٠٥.
(2) الإبريز، ص٢٣١.
(3) الإبريز، ص٢٣٣.

*** من أساليب تبرير الفساد والمعاصي :-**

ويقول عبد العزيز الدباغ أيضاً: إن الولي الكبير فيما يظهر للناس يعصي وهو ليس بعاص، وإنما روحه حجبت ذاته، فظهرت في صورتها، فإذا أخذت في المعصية فليست بمعصية، لأنها إذا أكلت حراماً مثلاً، فإنها بمجرد جعلها في فيها فإنها ترميه إلى حيث شاءت، وسبب هذه المعصية الظاهرة شقاوة الحاضرين والعياذ بالله[1] «انتهى».

- وهذا يفسر سبب فساد الأمة الإسلامية، وخاصة إذا علمنا أن العارفين ألف والمتكلم واحد.

*** يتنازلون عن مزاحمة الله في تصرفه حياء من الله وزهداً بالألوهية :-**

قال أبو طالب المكي :

. . . وفوقها (فوق مقامات ذكرها قبل هذا الكلام) ما لا يصلح رسمه في كتاب من مكاشفات الصديقين ومشاهدات العارفين، منها: أنه أعطاهم «كن» بإطلاعه إياهم على الاسم، فزهدوا في كون «كن» لأجل «كان» توكلاً عليه وحياءً أن يعارضوه في قدرته ويرغبوا عن تقديره، أو يضاهوه في تكوينه[2] . .

- الجواب: نشكوهم إلى الله، فقد دمروا على المسلمين إيمانهم وعقولهم (أبو طالب المكي حجة عند القوم، وقوته حجة أيضاً) ولا تعترض.

*** التسول والكسل فضيلة (من مقامات التوكل والزهد) :-**

ويقول أبو طالب المكي أيضاً (ومعه الغزالي أيضاً):

قد يفضل التارك للتكسب شغلاً بالعبادة، عن المتكسب، من حيث فضل المتقدمون الزاهدون في الدنيا على كاسب المال حلالاً ومنفقه في سبيل الله. وسئل الحسن عن رجلين، أحدهما محترف والآخر مشغول بالتعبد، أيهما أفضل؟ فقال: سبحان الله! ما

---

(1) الإبريز، ص٢٣٢.

(2) قوت القلوب: ٢ / ٩.

اعتدل الرجلان، المتفرغ للعبادة أفضلهما[1]!!

ـ السؤال: ما نفعل بقوله سبحانه: ﴿فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه﴾؟ وما نفعل بأحاديث رسوله التي يجعل بعضُها العمل للتكسب بمرتبة الجهاد؟

الجواب: دعوتهم هذه ـ وكل عارفيهم يدعون لها ـ تفسِّر سبب انحطاط المسلمين.

*** ويقدمون الحكايات لتشجيع التواكل والكسل والتسول:ـ**

يقول أبو طالب المكي أيضاً والغزالي معه:

وحُكي أن بعض العلماء صلى خلف رجل، فلما انفتل الإمام، نظر إليه في زيٍّ غير مكتسب، فقال: يا شيخ، مِنْ أين تأكل؟ فقال: اصبر حتى أعيد الصلاة التي صليتها خلفك ثم أجيبك[2]!

ـ عجيب والله! أصبح الأمر بالمعروف مبطلاً للصلاة!؟ ثم يتساءل المتسائلون عن سبب فساد المسلمين!

ويقولان أيضاً (هو وهو):

وحدثونا في معناه عن آخر، أنه لزم العكوف في المسجد، ولم يكن ذا معلوم من عيش، فقال له الإمام الذي يصلي بالناس: لو تكسبت وتعيشت كان أفضل لك، فلم يجبه، فأعاد عليه وقتاً آخر نحو ذلك، فقال: يهودي في جوار المسجد قد ضمن لي كل يوم رغيفين، فقنعت بذلك، وتركتُ التكسب، فقال الإمام: إن كان صادقاً في ضمانه فإن عكوفك في المسجد خير لك، فقال له الرجل: يا هذا أنت لو لم تكن إماماً للمسلمين تقوم بينهم لنقص توجهك[2]. . . .

● تعليق هام جدًا:ـ

من هذه النصوص وما سبقها نستطيع أن نعرف سبب تأخر المسلمين وابتعادهم عن الإسلام ومصيرهم الحالي حيث هم الآن «أذل أمة في الأرض».

---

(١) قوت القلوب: ٢ / ٢٩، والإحياء: ٤ / ٢٣٢.
(٢) قوت القلوب: ٢ / ١٥، والإحياء: ٤ / ٢٣٢.

* **ويجعلون التشريع مستمرًا، ولتنسخ الآية الكريمة:-**

يقول محمد بن عبد الله بن حسنين الطصفاوي (التجاني):

واعلم أن من المقرر عند العلماء والأعلام، أنه يُعمل بجميع ما يتلقاه العارفون منه عليه الصلاة والسلام، سواء في اليقظة أو المنام، ما لم يصادم شيئاً من النصوص القطعية، أو يؤد إلى انخرام قاعدة شرعية[1]. . .

- سؤالان: الأول: أي شيء في الصوفية لا يصادم النصوص القطعية (سواء في المجمل أو التفصيل)؟

- الثاني: يقول: «ما لم يصادم شيئاً من النصوص القطعية»! أفلا تصادم قاعدتكم هذه قوله سبحانه: ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾؟ أوليست هذه الآية نصًّا قطعيًّا؟ إن لم تكن كذلك، فهل بقي أمامكم نص يمكن أن يكون قطعيًّا؟!

* **المتصوفة يفقهون الإسلام أكثر من الصحابة:-**

يقول مولانا العارف بالله الشيخ محمد أمين الكردي (النقشبندي):

. . . وعن العارف الوفائي قال: رأيت رسول الله ﷺ، فقال لي عن نفسه الشريفة: لست بميت، وإنما موتي عبارة عن تستري عمن لا يفقه عن الله، وأما من يفقه عن الله فها أنا ذا أراه ويراني[2]. . .

الجواب: هذا الكلام هو إنكار للآية الكريمة: ﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾، التي هي نصٌّ قطعي، ورغم كل شيء يقولون: إن علومهم اللدنية وكشوفهم لا تصادم النصوص القطعية!؟ وكلها مؤيدة بالقرآن والسنة!؟

* **كيف يثبتون علومهم:-**

. . . كان سيدي أحمد (ابن إدريس صاحب الطريقة الإدريسية) يقول: أملى عليَّ

---

(١) الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني، ص٩٩.
(٢) تنوير القلوب، ص٤٥.

رسول الله ﷺ الأحزاب (أي الأوراد) من لفظه.

وكان يقول: أخذنا العلم من أفواه الرجال كما تأخذون، ثم عرضناه على الله والرسول، فما أثبته أثبتناه وما نفاه نفيناه.

وقال (واصفاً الصلوات الإدريسية التي مر بعضها في فصل سابق): هذه الصلوات قد استوت على عرش الأنوار، وأرجلهن متدليات على كرسي الأسرار، تصلّين في كتاب الكمالات المحمدية، بقرآن الحقائق الأحمدية، قد طلعت في سماوات العلا شمسها، وارتفع عن وجه الكمال المحمدي نقابها، وبحرها في الحقائق الإلهية زاخر، ولهنّ في القسمة من المعارف المحمدية حظ وافر، خذهن إليك يا من أراد أن يسبح في كوثر النور المحمدي، وجُلْ في عجائب معانيها يا من يبتغي الاغتراف من البحر الأحمدي، تتلو عليك من كتاب الحقائق المحمدية محكم الآيات[1]... إلخ.

ـ يترك التعليق على هذا الضلال للقارىء مع الرجاء أن يعود إلى الصلوات الإدريسية، وأن ينتبه إلى دور الشياطين في المسرحية.

* يتيمم على شط دجلة!:ـ

... وعن أحمد الدورقي قال: قعد معروف الكرخي على شط دجلة، فتيمم! فقيل له: الماء قريب منك، فقال: لعلي لا أعيش حتى أبلغه[2]!

ـ القول على هذا الفعل:

١ ـ صلاته باطلة لأنها دون طهارة، وإذا حضر الماء بطل التيمم، وكشفه كان أجهل منه.

٢ ـ من أي باب من أبواب المقامات الصوفية يمكن أن يكون هذا العمل؟ هل هو من مقام الفقر؟؛ أم الزهد؟ أم الورع؟ أم الخوف؟ أم التوكل؟ أم ماذا؟ ولا يسعنا إلا أن نقول له ولهم: مرحباً يا تقى، مرحباً يا ورع، مرحباً يا زهد، مرحباً يا معروف الكرخي،

---

(١) أفضل الصلوات على سيد السادات، ص١٧٢ و١٧٣.
(٢) حلية الأولياء، (معروف الكرخي).

مرحباً يا أبا نعيم الأصفهاني (الذي أورد هذه القصة) وعلى الإسلام السلام، وعلى العقل السلام.

وللعلم: راوي هذه القصة (وكثير من أمثالها) هو أبو نعيم الأصفهاني في الحلية.

*** فرعون صادق بادعائه الربوبية :-**

قال سهل بن عبد الله (التستري) :-

. . . وسُئل عن سر النفس؟ فقال: النفس سر، ما ظهر ذلك السر على أحد من خلقه إلا على فرعون؟ فقال: أنا ربكم الأعلى، ولها سبع حجب سماوية، وسبع حجب أرضية، فكلما يدفن العبد نفسه أرضاً أرضاً، سما قلبه سماءً سماءً، فإذا دفنت النفس تحت الثرى، وصلت بالقلب إلى العرش[1].

- السؤال: أليس هذا تكذيباً لآيات القرآن الكريم؟؟ وماذا بقي من الإسلام؟ يا ناس أجيبونا. ورغم ذلك يقولون: إن علومهم مؤيدة بالقرآن والسنة! فجورٌ عجيب والله!

*** يستطيع أن يحرق العرش والكرسي :-**

قال الطوسي في اللمع (الكتاب الأم):

. . . حُكي عن الشبلي أنه أخذ من يد إنسان كسرة خبز فأكلها، ثم قال: إن نفسي هذه تطلب مني كسرة خبز، ولو التفت سرِّي إلى العرش والكرسي لاحترق. أو كما قال[2].

- النقش على هذا الفقش: شر البلية شيئان:

أولاً: ما يضحك.

ثانياً: عبارة «أو كما قال»!

---

(١) اللمع، ص٢٩٩، والإحياء: ٤ / ٦١. والرسالة القشيرية، ص٥، مع اختلاف الألفاظ، وأيضاً إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٤٣.

(٢) اللمع، ص٤٧٩.

ويقول الطوسي أيضاً:

. . . شهدوا على أبي الحسين النوري أنه سمع أذان المؤذن فقال: طعنة وسم الموت! وسمع نباح كلب، فقال: لبيك وسعديك[1]. . .

● ملاحظة :ـ

مر مثل هذا الضلال في مكان سابق، ولن تعدم زنديقاً أو جاهلاً يقول لك: «هذا له تأويل».

وقال أيضاً:

سمعت أبا عبد الله بن جابان يقول: دخلت على الشبلي في سنة القحط، فسلمت عليه، فلما قمتُ على أن أخرج من عنده، فكان يقول لي ولمن معي، إلى أن خرجنا من الدار: مرُّوا، أنا معكم حيثما كنتم، أنتم في رعايتي وفي كلاءتي. قلت: أراد بقوله ذلك: إن الله تعالى معكم حيثما كنتم وهو يرعاكم ويكلؤكم وأنتم في رعايته وكلاءته.

فالمعنى في ذلك أنه يرى نفسه مُحْقاً فيما غلب على قلبه من تجريد التوحيد وحقيقة التفريد. والواجد إذا كان وقته كذلك، فإذا قال: أنا، يعبِّر عن وجده، وعن الحال الذي قد استولى على سره[2]. . . إلخ.

-ولا تعليق، ولا نقش ولا فقش، حتى ولا رقص، لا مع النقص ولا بدون نقص. لكن ما أكثر الزنادقة والجهلة، الذين يقولون: «هذا له تأويل» أو «هذا مدسوس»، ونقول لهم: إنه غير مدسوس، ومعناه أنه كان في ذلك الوقت متحققاً بالألوهية، فقال كلامه ذلك بصفته أنه الله (جل وعلا).

* باليِم سلطان :ـ

. . باليم سلطان، أي سلطان العسل (توفي سنة ٩٢٢هـ) وهو مجدد البكتاشية، وأمه أميرة مسيحية بلغارية، وأبوه بكتاشي هو مرسل بابا، وقد حملت منه بأن تناولت

---

(١) اللمع، ص٤٩٢.

(٢) اللمع، ص٤٧٨.

الأميرة عسلاً، تناولته من يد الشيخ مرسل بابا، ولذلك سمي باليم سلطان[1].

- نقش على هذا الفقش: الـذين يدَّعـون الألـوهيـة ليس بكثـير عليهم أن يدعـوا لأنفسهم ولادة كولادة المسيح. أما سبب الحمل فعلمه عند الله.

وللتـذكـير: البكطاشيون الآن، يحلّون الخمور، ويعترفون بخطاياهم للشيخ فيغفر لهم، وأشياء أخرى.

*** يسجدون للشيخ (ولا تعترض):-**

نعمـة الله[2]، الـولي العلوي الحلبي . . . استقـرَّ في ماهان من كرمان. كان مريدوه يسجدون له، ويرون أنه المعنيُّ بالآية: ﴿يعرفون نعمة الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون﴾[3]. «انتهى». (هس س س س س، لا تعترض).

*** عبادة من نوع عجيب:-**

يقول عبد الكريم القشيري:

قال بعضهم: وُصِف لي ذاكـرٌ في أجمة، فأتيتـه، فبينـما هو جالس، إذا سبع عظيم ضربـه واستلب منـه قطعـة (أي قطعة من لحمه)، فغشي عليه وعليَّ، فلما أفاق قلت: ما هذا؟ فقال: قيض الله هذا السبع عَلَيَّ، فكلما دخلتني فترة عضّني عضة كما رأيت[4].

١ - هذا الذاكر هو أحد رجلين:

أ - إمـا أنـه أهـدى من محمـد ﷺ، لأن محمـداً لم يأت بمثل هذا الذكر ولا مثل هذه العبادة، ولا عرفها أصحابه.

ب - أو أنه سائر في إحدى متاهات الضلال البعيد. .

٢ - ما هي نتائج العضات وقطع اللحم التي كان السبع ينهشها من جسمه؟

---

(١) الفكر الشيعي والنزعة الصوفية، (فصل البكتاشية).
(٢) من أتباع ابن عربي، مؤسس الطريقة النعمتلاهية، أوسع الطرق انتشاراً في إيران.
(٣) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١١٩.
(٤) الرسالة القشيرية. ص١٠٣.

٣ ـ ما اكثر الزنادقة والمغفلين الذين يقولون: «إن هذا مدسوس»، فنجيبهم ألا لعنة الله على الكاذبين.

*** الصوفية يحاربون الشريعة والعلم :-**

يقول ابن عجيبة:

. . . وقال شيخ شيوخنا سيدي علي رضي الله عنه: الجلوس مع العارفين أفضل من العزلة، والعزلة أفضل من الجلوس مع العوام، والجلوس مع العوام أفضل من الجلوس مع المتفقرة الجاهلين، قلت (القائل هو ابن عجيبة): والجلوس مع علماء الظاهر أقبح في حق الفقير من جميع ما تقدم، والله ما رأيت فقيراً صحبهم فأفلح في طريق القوم أبداً، فلا قاطع أعظم منهم[1]. . .

ـ من أمثال هده النصوص ندرك سبب بعد المسلمين عن إسلامهم، وسبب جهلهم به، وبالتالي سبب انحدارهم إلى مستوى الجهل والذل الذي يتخبطون فيه.

ـ لكن. . هل تفرد ابن عجيبة في هذا التوجيه؟

ـ الجواب: لا، فهو يسير في طريق القوم، وقد مرت أمثلة، وهذه أخرى: يقول شهاب الدين السهروردي البغدادي «إمام الوجود».

. . . قال أبو سليمان الداراني: ثلاث من طلبهن فقد ركن إلى الدنيا، من طلب معاشاً أو تزوج امرأة أو كتب الحديث[2]!!

ويقول الغزالي «حجة الإسلام» (داعياً للجهل والتنبلة):

. . . وقال الجنيد رحمه الله: أحب للمريد المبتدىء أن لا يشغل قلبه بثلاث، وإلا تغير حاله، التكسب وطلب الحديث والتزوج. وقال (أي الجنيد): أحب للصوفي أن لا يكتب ولا يقرأ، لأنه أجمع لهمه[3]. . .

ويقول الطوسي في اللمع (داعياً للجهل):

---

(١) الفتوحات الإلهية، ص٣٣٠.
(٢) عوارف المعارف على هامش الإحياء: ٢ / ١٦٥.
(٣) إحياء علوم الدين: ٤ / ٢٠٦.

... وقـال بعضهم: إذا رأيت الفقـير قد انحط من الحقيقة إلى العلم، فاعلم أنه قد فسخ عزمه وحل عقده[1]...

وقال أيضاً (داعياً للجهل):

قال الجنيد: إذا لقيت الفقير فالقه بالرفق ولا تلقه بالعلم، فإن الرفق يؤنسه والعلم يوحشه[1].

وقال أيضاً (من مقام التوكل):

سمعت أحمد بن علي الـوجيهي يقـول: سمعت بعض المشـايخ يقول: حج حسن القـزاز الـدينـوري رحمه الله اثنتي عشرة حجة حافياً، مكشوف الرأس، فكان إذا دخل في رجله الشوك يمسح رجله بالأرض ويمشي ولا يطأطىء رأسه إلى الأرض من صحة توكله[2].

- سؤال: صحة توكله هذه من أين جاء بها؟ وما هو دليله عليها من قرآن أو سنة أو عمل صحابة؟؟ نعم، يمكن وجود الدليل في الهندوسية والبوذية.

*** دعوة إلى الكسل:-**

يقول أبو نصر الطوسي في اللمع (الكتاب الأم في تاريخ التصوف الإسلامي):

وسمعت الـدُّقِّي يقـول: أقمت بمكـة تسـع سنـين، وكنت اعتقـدت أن لا أصـلي صلاتـين في موضـع واحـد، فكان يمر بي من الجوع ما إذا رأيت جنازة أقول: ليتني كنت مكان هذا الميت، قال: وكان يقع في قلبي في الوقت: «يا هذا أليست هذه الفاقة التي لك لا يعلم بها أحد غير الله»، فكنت أشتغل بذلك، ويذهب عني ما أجد من الجوع[3].

● الملاحظات:-

١ - هو آثم وليس مأجوراً، لأن الجوع والكسل والضيام الموصول ليس من تعاليم الإسلام.

---

(1) اللمع، ص٢٣٣.
(2) اللمع، ص٢٢٣.
(3) اللمع، ص٢٢٥ و ٢٢٦.

٢ ـ هذه القصة وغيرها تدلنا على سبب انتشار «التنابل» في العالم الإسلامي حتى زمن قريب، حيث لم نزل نسمع بتنابل التكايا، مثل: «تنابل اصطنبول، وتنابل بغداد، وتنابل دمشق، وغيرهم من التنابل الذين كانوا منتشرين في التكايا المنتشرة في طول البلاد وعرضها».

٣ ـ كان اعتقد أن لا يصلي صلاتين في موضع واحد! وماذا في هذا الاعتقاد من الفضل؟ وماذا لو صلى في أي مكان ييسره الله له؟ وهل هو مأجور على اعتقاده هذا؟ وهل؟ وهل؟ . . . . وماذا فعل بصلاة الجماعة؟!

*** يزهدون في الدنيا والآخرة! فماذا يريدون؟ :ـ**

ويقول الطوسي أيضاً (من آداب الحج):

فإذا دفعوا مع الإمام إلى المزدلفة، فأدبهم أن يكون في قلوبهم العظمة والإجلال لله تعالى، فإذا دفعوا مع إمامهم جعلوا الدنيا والآخرة وراء ظهورهم[1]!؟

ـ الجواب على هذا الضلال نجده في آيات كثيرة، نكتفي بواحدة منها:

﴿اعبدوا الله وارجوا اليوم الآخر ولا تعثوا في الأرض﴾.

إنه سبحانه يأمرنا أن نعبد الله ونرجو اليوم الآخر، فما بال علومهم اللدنية تأبى إلا أن تكون مخالفة للقرآن الكريم؟ وقد رأينا مثل هذا القول في النصوص السابقة، ولا بأس من الرجوع إليها لجلاء الذاكرة . . . ورغم كل ذلك، يقولون: إن علومهم مؤيدة بالقرآن والسنة!

*** عودة إلى الجهل :ـ**

يقول الطوسي نفسه في كتابه «اللمع» نفسه:

قال أبو يزيد البسطامي: صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكان يعلمني التوحيد والحقائق صرفاً[2].

---

(١) اللمع، ص٢٢٨ و٢٢٩. (٢) اللمع، ص٢٣٥.

ـ السؤال: لِمَ لم يعلمه كشفه ما يقيم به فرضه؟ وما هو هذا التوحيد والحقائق مع كل هذا الجهل؟

*** عودة إلى القمل :ـ**

. . . سئل المرتعش النيسابوري رحمه الله عن الفقير فقال: الذي يأكله القمل ولا يكون له ظفر يحك به نفسه[1].

ولا تعليق، لكن القارىء يعلم الآن أن معنى كلمة «الفقير» أي الولي الصوفي.

*** تأديب النفس على طريقة الهندوس :ـ**

يقول أبو نصر الطوسي عن أبي نصر الروذباري:

. . . وذكر عن ابن الكرَيني، وكان أستاذ الجنيد رحمه الله، أنه أصابته الجنابة ليلة من الليالي، وكانت عليه مرقعة ثخينة غليظة . . . فجاء إلى الشط ليلة، وكان برد شديد، فحرفت نفسه عن الدخول في الماء لشدة البرد، قال: فطرح نفسه في الماء مع المرقعة، ولم يزل يغوص في الماء مع مرقعته ثم خرج من الماء، وقال: اعتقدت أن لا أنزعها من بدني حتى تجف عليّ، قال: فلم تجف عليه شهراً كاملاً؛ وأراد بذلك تأديباً لنفسه لأنها حرنت عند الائتمار لما أمر الله تعالى به[2].

ـ سؤالنا: ما هذا الدين الذي يدين به هؤلاء القوم؟ إنه ليس الإسلام على كل حال؟! وما هذه الغبائيات الجاهلة الحمقاء؟ لكن هذا وغيره يفسر لنا سبب انحطاط الأمة الإسلامية وضياعها التاريخي العجيب بعد تلك النهضة العجيبة.

ويقول الطوسي أيضاً:

وحكي عن إبراهيم بن شيبان أنه قال: كان أبو عبد الله المغربي رحمه الله يدخل البادية وعليه إزار ورداء أبيض، وفي رجله نعل طاق كأنه يمشي في السوق، فإذا دخل مكة وفرغ من الحج أحرم من تحت الميزاب، ويخرج من مكة، وهو محرم، ويقيم على إحرامه إلى أن يرجع إلى مكة[3].

---

(1) اللمع، ص١٥٢.
(2) اللمع، ص١٩٨.
(3) اللمع، ص٢٢٤.

ـ الجـواب: كل العبـادات باطلة إلا ما نزل به نص. فعبـادتـه هذه باطلة وهـو فيها بدعي آثم. ونـرد عليـه وعلى أمثـاله من المبتدعين بالآية الكريمة ﴿أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله﴾.

ولعـل القـارىء الكـريم عرف أن العبـادة المبتـدعة هنا هي إحرامه طيلة السنة عند خروجـه من الحـرم إلى بيتـه حتى عودته إلى الحرم، ولعل القارىء يرى التفاهة الفكرية والانحراف في العقيدة في مثل هذه البدع التي يخيل لهم شيطانهم أنها ولاية لله، وما هي إلا ولاية للشيطان.

*** طريقان ينبت فيهما الذهب والفضة! أين هما؟ :ـ**

يقول الطوسي نفسه:

وحكي عن إبـراهيم الخـواص رحمـه الله أنه قال: أعرف في البادية تسعة عشر طريقاً غير الطريق الذي يسلكه الناس والقوافل. طريقان منهما ينبت فيهما الذهب والفضة[1]!

ـ جوابنا مثل جواب سابق: ترلم ترلم ترلم.

ويقول القشيري في «الرسالة القشيرية» (وفي الإعادة إفادة):

. . . وقـال الـواسطي: ادعى فرعـون الـربوبية على الكشف وادعت المعتزلة على الستر، تقول: ما شئت فعلت[2]. . .

ـ إذن ففرعون هو رب فعلاً، لأنه ادعى الربوبية على الكشف الذي هو نور اليقين، وحق اليقين، وعين اليقين! فنسأل أهل الذكر: ما هو الكفر؟

ويقول القشيري أيضاً في رسالته:

. . . ولقـد قيـل للجنيـد: العـارف يزني يا أبـا القـاسم؟ فأطرق مليًّا ثم رفع رأسه وقال: وكان أمر الله قدراً مقدوراً[3].

---

(١) اللمع، ص٢٢٤.
(٢) الرسالة القشيرية، ص٥، واللمع، ص٢٩٩، والإحياء: ٤ / ٦١ مع اختلاف في الألفاظ.
(٣) الرسالة القشيرية، ص١٦٠.

- إذن فالزنا لا يضر شيئاً بالولاية، وطبعاً يحل للولي كل شيء.

ويقول نفسه:

... كان يقال للنصراباذي كثيراً: إن عليًّا القوال يشرب بالليل ويحضر مجلسك بالنهار؛ وكان لا يسمع فيه ما يقال، فاتفق أنه كان يمشي يوماً ومعه واحد ممن يذكر عليًّا بذلك، فوجد عليًّا مطروحاً في موضع وقد ظهر عليه أثر السكر وصار بحيث يغسل فمه، فقال الرجل: إلى كم نقول للشيخ ولا يسمع! هذا علي بالوصف الذي نقول، فنظر إليه النصراباذي وقال للعذول: احمله على رقبتك وانقله إلى منزله، فلم يجد بدًّا من طاعته فيه[1]...

● التعليق:

لعلهم يرون أن الله سبحانه قد غلط عندما أنزل الحدود، وعندما قال: ﴿تلكَ حدودُ الله فلا تَعْتَدوها﴾، وقال: ﴿ومَن يَتَعَدَّ حدودَ الله فأُولَئكَ همُ الظالمونَ﴾، فجاء هؤلاء المكاشفون ليصلحوا غلطه! فألغوا حد شارب الخمر، وأكرموه! فعلوم الأولياء فوق علوم الأنبياء! ورغم ذلك يقولون: إن علومهم الكشفية لا تصادم النصوص القطعية، بل هي مؤيدة بها!

● تنبيه:

يفرض الإسلام على هؤلاء أن يقدموا السكير إلى القضاء ويشهدوا عليه بما رأوه، والقاضي هو الذي يقيم عليه الحد.

* عودة إلى الدعوة إلى الجهل:-

يقول القشيري (إياه) في رسالته (إياها) داعياً إلى الجهل:

... وقال الحضري: وأصولنا في التوحيد خمسة أشياء: رفع الحدث وإفراد القدم وهجر الإخوان ومفارقة الأوطان، ونسيان ما علم وجهل[2].

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٠٥. (2) الرسالة القشيرية، ص١٣٥.

ويقول أيضاً داعياً إلى الجهل :

قال الجنيد : التوحيد الذي انفرد به الصوفية هو إفراد القدم عن الحدث، والخروج عن الأوطان وقطع المحاب وترك ما علم وجهل[1] . . .

ويقول أيضاً داعياً إلى الجهل :

وحكي عن أبي القاسم بن مروان النهاوندي قال : كنت أنا وأبو بكر الوراق مع أبي سعيد الخراز نمشي على ساحل البحر نحو صيدا، فرأى شخصاً من بعيد، فقال : اجلسوا . لا يخلو هذا الشخص أن يكون وليًّا من أولياء الله ، قال : فما لبثنا أن جاء شاب حسن الوجه وبيده ركوة ومعه محبرة وعليه مرقعة ، فالتفت أبو سعيد إليه منكراً عليه لحمله المحبرة مع الركوة[2] . . .

● **التعليق :**

إنكارهم على الناس حمل المحبرة (أي الاشتغال بالعلم)، وطلبهم إليهم نسيان ما علم وما جهل هو جزء من رسالة التصوف التي ينشرونها في المجتمع الإسلامي ، وهذا يفسر لنا سبب انحطاط الأمة الإسلامية إلى ما هي فيه من الجهل والبعد عن الإسلام وسبب كل ما تتخبط فيه مما يلمسه كل من فيه شيء من الإدراك .

ـ وفي قول الجنيد ملاحظة هامة جدًّا! هي قوله : «التوحيد الذي انفرد به الصوفية»، والذي يدل بوضوح واضح وصراحة صريحة وبيان مبين أن توحيدهم هو غير توحيد المسلمين، (إنهم انفردوا به) . والإقرار أعلى الأدلة .

وأرجو من القارىء أن يتسلى بتحليل عبارة : «إفراد القدم عن الحدث»، ومثلها : «رفع الحدث وإفراد القدم» .

ـ ومن الملاحظات الكثيرة التي يمكن تسجيلها على هذه النصوص نشير إلى واحدة هي قول الخراز عن الشخص : «لا يخلو أن يكون وليًّا من أولياء الله» وقد ورد في ثنايا الكتاب بعض الآيات والأحاديث التي تردّ على مثل هذا الافتراء على الله .

---

(1) الرسالة القشيرية، ص١٣٦ .

(2) الرسالة القشيرية، ص١٦٧ .

* **عودة إلى نبذ الآخرة والزهد فيها:-**

يقول القشيري «إياه» في رسالته «إياها»:

. . . وقيل: إن إبراهيم بن أدهم قال لرجل: أتحب أن تكون لله وليًّا؟ فقال: نعم، فقال: لا ترغب في شيء من الدنيا والآخرة وفرغ نفسك لله تعالى[1]. . .

- الأجوبة كثيرة على من لا يريد الآخرة، منها قوله سبحانه: ﴿منكم مَن يريدُ الدنيا ومنكم مَن يريدُ الآخرة﴾، فمن أي صنف هؤلاء القوم؟ وهم لا يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة، ويقول سبحانه: ﴿يريدُ الله ألا يجعَلَ لهم حظًّا في الآخرة﴾، وواضح أن هذا هو العقاب الشديد، وهؤلاء رفضوا حظَّ الآخرة سلفاً! فماذا بقي لهم؟ لعلهم يعلِّمون الله سبحانه ما لم يعلم؟! ويقول سبحانه: ﴿مَن كان يُريدُ حَرْثَ الآخرة نَزِدْ لهُ في حرثهِ﴾، وهؤلاء لا يريدون حرث الآخرة، ويقول سبحانه: ﴿كلاَّ بلْ لا يخافونَ الآخِرة﴾، وهؤلاء لا يخافون الآخرة ولا يرجونها . . . والآيات والأحاديث كثيرة. ثم يقولون - ويا لهول ما يقولون، ويا للفجور والكيد والمكر فيما يقولون -: إن علومهم وكشوفهم لا تصادم النصوص القطعية!؟ وكلها مؤيدة بالقرآن والسنة.

* **يحرفون الكلم من بعد مواضعه:-**

يقول القشيري في رسالته التي يدرسها علماؤهم في مساجد المسلمين الغافلين:

. . . وكذا أصحاب الحقائق يكونوا محواً عن نعوت الخلائق، قال الله تعالى: ﴿وتحسبُهُم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾[1]. . .

- لا جرم أن القارىء الكريم غدا الآن على معرفة تامة بمعنى العبارة: «محواً عن نعوت الخلائق»، ومع ذلك فلا بأس من شرحها؛ يقول: إن أصحاب الحقائق، أي: الذين عرفوا الحقيقة وتحققوا بها، يكونون قد انمحت عنهم صفات الخلق، لقيامهم بصفات الحق، فظاهرهم مخلوقات، ولكن حقيقتهم هي الألوهية بنعوتها وصفاتها. ويجعل الآية الكريمة: ﴿وتحسبُهُم أيقاظاً وهم رقودٌ﴾ مشيرة إلى ضلالهم هذا. وهذه

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١١٨.

صورة من تحريفهم لمعاني الآيات الكريمة. ثم يقولون: إن علومهم وكشوفهم مؤيدة بالقرآن والسنة!؟

*** ومن الولاية الصياح وتمزيق الثياب واللطم والرقص:-**

يقول القشيري في رسالته:

... وقيل: السماع فيه نصيب لكل عضو، فما يقع إلى العين تبكي، وما يقع إلى اللسان يصيح، وما يقع إلى اليد تمزق الثياب وتلطم، وما يقع إلى الرجل ترقص[1]...

- ولا تعليق، ولكن هذا يذكرنا بأشياء؟ منها: «نحلة إلوسيس»، وكهانة الهندوس.

*** ويكذبون على رسل الله وعلى الله تعالى:-**

ويقول القشيري:

... وقال خير النساج: قص موسى بن عمران صلوات الله عليه على قوم قصة، فزعق واحد منهم، فانتهره موسى، فأوحى الله إليه: يا موسى! بطيبي فاحوا، وبحبي باحوا، وبوجدي صاحوا، فلم تنكر على عبادي[2].

- السؤال: من أين عرفوا هذا الافتراء؟ والجواب: ﴿ومَن أظلمُ ممَّن افترى على الله الكذبَ﴾، ﴿انظُرْ كيفَ يفترونَ على الله الكذبَ وكفى به إثماً مبيناً﴾ ... ثم إن الكذب على رسل الله هو من الأسباب الرئيسية التي جعلت الأقوام يخرجون من دين الله.

*** لا صوفية دون محاربة العلم:-**

ويقول القشيري «إياه»:

سمعت منصوراً المغربي يقول: رأى بعضهم الخضر عليه السلام، فقال له: هل رأيت فوقك أحداً؟ فقال: نعم، كان عبد الرزاق بن همام يروي الأحاديث بالمدينة والناس حوله يستمعون، فرأيت شاباً بالبعد منهم، رأسه على ركبتيه، فقلت: هذا عبد

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٥٧.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٥٧.

الـرزاق يروي أحـاديث رسـول الله ﷺ، فلِمَ لا تسمع منه؟ فقال: إنه يروي عن ميت، وأنـا لست بغـائب عن الله عز وجـل، فقلت له: إن كنت كما تقـول فمن أنا؟ فرفع رأسه وقال: أنت أخي أبو العباس الخضر. فعلمت أن لله عباداً لم أعرفهم[1].

- الجواب:

١ - الخضر توفي في زمنه، وكذب الذين يقولون: إنه حي، وضلوا وهم جاهلون.

٢ - هذا الـذي يتراءى لهم هو شيطـان، يضحـك على ذقونهم، أو هو في غالب الأحيان صورة كشفيـة يراهـا العـارف الكـامـل الذي وصل إلى مقام لا يميز فيه بين الكشف والواقع في أحيان كثيرة.

٣ - عبد الرزاق بن همام لم يحدث بالمدينة، وإنما حدث باليمن، فكشفهم جاهل.

٤ - من رسـالتهم في الحيـاة محاربـة العلم باسم العلم اللدني الذي يقولون فيه: «حدثني قلبي عن ربي»! وهذه الجهالات والضلالات التي بين أيدينا هي نماذج من علومهم اللدنية.

٥ - هذا بعض من كثير مما يدل على أن التصـوف هو الـذي دفـع الأمـة الإسلامية إلى حضيض الجهل الذي مرت به، وإلى الفساد الذي لا تزال تتخبط فيه.

* عودة إلى الكذب على رسل الله عليهم السلام:-

يقول القشيري:

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول: لما قال إبراهيم لإسماعيل عليهما السلام: يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك. قال: يا أبت هذا جزاء من نام عن حبيبه، ولو لم تنم لما أمرت بذبح الولد[2]... (وهكذا الكذب وإلا فلا).

* وكذب على محمد ﷺ:-

يقول القشيري أيضاً:

---

(١) الرسالة القشيرية، ص١٦٦.

(٢) الرسالة القشيرية، ص١٧٦.

سمعت الأستاذ أبا علي الدقاق يقول في قول النبي ﷺ في عيسى بن مريم عليه السلام: «لو ازداد يقيناً لمشى في الهواء»، قال رحمه الله تعالى: إنه أشار بهذا إلى حال نفسه ﷺ ليلة المعراج، لأن في «لطائف المعراج» أنه قال: «رأيت البراق قد بقي ومشيت»[1].

ـ الجواب: قال ﷺ: «من كذب عليّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار».

*** يرغبون عن سنة رسول الله ﷺ :-**

ويقول القشيري أيضاً:

. . . وحكي عن بعضهم أنه قال: رأيت في بعض الأسفار شيخاً كبيراً قد طعن في السن، فسألته عن حاله فقال: إني كنت في ابتداء عمري أهوى ابنة عم لي وهي لي كذلك تهواني، فاتفق أنها زوجت مني، فليلة زفافها قلنا: تعالي حتى نحيي هذه الليلة شكراً لله تعالى على ما جمعنا، فصلينا تلك الليلة ولم يتفرغ أحدنا لصاحبه، فلما كانت الليلة الثانية قلنا مثل ذلك؛ فمنذ سبعين أو ثمانين سنة نحن على تلك الصفة كل ليلة، أليس كذلك يا فلانة؟ فقالت العجوز: كما يقول الشيخ[2].

الجواب على هذه القصة: يقول ﷺ: «من رغب عن سنتي فليس مني».

*** وكذب على رسل الله :-**

يقول القشيري إياه:

. . . وقيل: إن داود عليه السلام كان يستمع لقراءته الجن والإنس والطير والوحش إذا قرأ الزبور، وكان يُحمل من مجلسه أربعمائة جنازة ممن قد مات ممن سمعوا قراءته[3].

ـ ماذا يمكن أن يقال عن مثل هذا المقال؟ هل يقال: يا سلام، أم يا حرام، أم يا كذب، أم يا غباء، أم يا ضلال؟!، يُحمل من مجلسه أربعمائة جنازة كلما قرأ!؟ ثم يتساءلون: ما سبب فساد المسلمين؟

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٨٤.

(٢) الرسالة القشيرية، ص٨٢.

(٣) الرسالة القشيرية، ص١٥٣.

- وللعلم: الرسالة القشيرية تدرَّس في مساجد البلاد الإسلامية! وينصح شيوخهم وعلماؤهم بقراءتها! على أنها - والحق يقال - من الكتب المشجعة على السير في طريق الكهانة، هي والكتاب الذي سمي - زوراً وبهتاناً - «إحياء علوم الدين»، وما هو إلا إحياء علوم الكهانة، وكذلك النقم الضلالية الكفرية التي سموها «الحكم العطائية»، وبقية كتبهم.

* **مشاهد مرسلة (والكلام منقول بدقة):-**

حدث الشيخ (ع) فكان مما حدث:

... ثم دخلت الزاوية ... فقابلتني أمي فاطمة الزهراء، فطلبت منها الإذن بأن تسمح لي بتقبيل قدميها، فسمحت، فقبلتهما، ثم قبلت كفيها ثم خديها ثم جبينها ورأسها، ثم رضعت من بزّيْها حتى رويت، ثم أخذت أقبلها، ثم تركتها، فقالت: مالك؟ قبِّل. قلت: إني أخاف من أبيك يزعل عليَّ، فقالت إن أبي لا يزعل عليك، إنه يحبك كثيراً جدًّا، قبِّل، فعدت أقبلها لما علمت أنها أمي حقيقة، فمن هذا المقام علمت أن جدي محمد رسول الله ﷺ، وأمي فاطمة، وأن أبي علي المرتضى ... أهـ. (الرجاء ملاحظة قناعته أن الكشف أمرٌ واقع).

وقال: حصل لي في الخلوة بواسطة شيخي، ما لا عين رأيت، ولا أذن سمعت، حيث إن الله تعالى أجلسني بين يديه وقال لي: تمن عليَّ ما تريد ... فقلت له: لا أريد شيئاً إلا أنت. فقال لي: إذن اذهب إلى الجنة، فأي قصر أعجبك أو أي شيء أعطيكه. فقلت: الله، يا رب لا أريد شيئاً إلا أنت ... ثم حضر سيدنا محمد ﷺ، وبعد أن جلس عليه الصلاة والسلام قال الله تعالى لي: افْنَ به، ففنيت به فوراً، ثم قال لسيدنا محمد: افن باسمي «اللطيف»، ففني عليه الصلاة والسلام به، ثم فني في اسمه اللطيف في اسمه «الله»، ثم فني في اسمه «الله» في ذاته العلية المقدسة؛ ثم قال الله تعالى لي: إن حظك عظيم ... اهـ. (سؤال للقارىء: هل تستطيع معرفة اسم الشيخ من هذه النصوص؟).

وحصل لي فتوح آخر:

حيث اصطفاني الله تعالى، حيث قال لي: أنت يا (ع) حبيبي، إني اصطفيتك من

أصفى أصفيائي، فمقامك الآن في سويداء قلبي، فحمدت الله تعالى وشكرته وأثنيت عليه الثناء الجميل.

فضيلة عظيمة حصلتُ عليها:

. . . فتح الله تعالى عليّ، ثم صعدت إلى السماء السابعة، وأنا مواظب على الذكر، فأهدى لي ربِّي اسمه الأعظم، فقلت له: ابن لي هنا قصراً عظيماً، فبنى لي قصراً عظيماً، فقلت له: ضع عليه كرسي الربوبية، فوضع عليه كرسي الربوبية؛ فقالت الملائكة: اجلس، فقلت لهم: حاشا لله تعالى، إن هذا لله وحده؛ فأخذت الملائكة تردد «أخلاقاً محمدية، أخلاقاً محمدية»، فقلت: الحمد لله رب العالمين.

وفي يوم من أيام رمضان المبارك:

كنت أصلي الضحى، تجلّى الله تعالى عليّ وأخذ يحدثني حديثاً قلبيًّا ألذ من كل لذيذ، قال: أُعْلمك يا (ع) أنك الآن صرت عبداً خالصاً مخلصاً مقدساً لسويداء قلبي، ليس لك عنه بواح . . . وأنا أساعدك بكل ما تحتاج إليه من علم وحكمة وقدرة وجميع ما يلزم . . . وأذْكُر لما كان ربِّي جل جلاله متجلياً عليَّ قبَّلت فمه المقدس تقبيلاً لله محبة وشوقاً ولذة فوق وصف الواصفين، له الحمد.

وفي عام ١٤٠٢هـ في ليلة (يعينها):

ذكرت الله كثيراً حتى صار كل شيء نوراً، وقد ذبت وسحقت في الله، بل صرت الله بجميع ذاته وصفاته وأسمائه، وبقيت تقريب الساعتين، والعالمين في بهجة وسرور وطبل وزمر وموسيقى وأذكار وأناشيد وصلوات على النبي، ثم انتهت وأنا في غاية السرور حامداً وشاكراً.

وحديث آخر يحدث به شيخ آخر (الشيخ م) يقول:

رأيت مناماً، أن أصابعي هم سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأن الكفوف (جمع كف) وما فوق هي الله تعالى. وإن الذين لا يؤمنون بذلك، بل يكذِّبون، هم كالبصقة تغلبني، لكني أبصقها في النهاية، وما بقي منها أبلعه، فيذهب ويمتزج مع الغائط ويخرج إلى حيث . . . اهـ.

ـ هاذان القطبـــان غير مثقفـين، ولم يتقنـا المكـر أو لم يتعلماه، فقـالا ما رأيـا بصـدق وبراءة، دون تهذيب ولا تنميق! لذلك ظهرت هلوسات الغرور المرهّق بالذكر الإرهاقي، والمـوجّـه بالقناعات والطموحات المسبقة، ظهرت واضحة في رؤاهما وأقوالهما، أما غيرهما من المثقفين والأدباء، فإنهم يحذفون ما لا يحسن إظهاره، أو يكتمونه أو يزوّرون فيه بالرمز واللغز، حتى يظهر مقبولاً بعض الشيء، ومع ذلك؛ فمن المتعذر أن تنقلب الزندقة إيماناً مهما أُلبست من تأويلات وتزويرات.

*** دعوة إلى الجهل والفسوق :ـ**

يقول سيدي محمد وفا (قطب غوث) :

وبـعـد الـفـنـا في الله كن كيـفـما تشـا   فعـلمـك لا جهــل وفعـلك لا وزر

فصـاحب هذا الـوصف يقـال له في اصطلاح القوم : «في حضرة الإطلاق»، ويقال له : من الأحـرار، لكـونـه مطلوقـاً من طبـائعه ومن كل ما سوى مولاه . . . وتارة تضاف حضرة الإطلاق إلى الله تعالى[1] . . .

ـ إذن، وكما يقرّر هذا الغوث، بل كلهم يقررون أن السالك عندما يصل في الجذبة إلى الفنـاء يغـدوذا علم لا جهـل فيـه «وإن كان أجهل الجهلاء» ويغدو فعله، مهما كان فعله، لا وزر فيه «ولو جمع كل الأوزار».

وهذا مما يفسر لنا سبب الجهل والفساد الخلقي الذي تتخبط فيه الأمة الإسلامية.

*** النهي عن العلم شعار يلتزمونه :ـ**

ويقول محمد محمد أبو خليل :

. . . وكان شيخنا (الغوث محمد أبو خليل) رضي الله عنه ينهانا عن قراءة الكتب، ويقـول : من اجتهـد في عبـادة الله، نور الله بصـيرتـه، وعـرف ما في الكتب وما ليس في الكتب بطريق الإلهام والكشف[2] . . ».

الجواب :

---

(١) الأسرار الربانية والفيوضات الرحمانية، ص٨١.   (٢) المربي، ص٤١٧.

١ - رأينا علومهم وكشوفهم ومعارفهم، ورأينا ما فيها من جهل وتفاهة وهذيان وهلوسات تحشيشية.

٢ - كل هذا يفسر لنا سبب انحطاط المسلمين، وسبب ترديهم في ما يتخبطون فيه من جهل وفساد.

٣ - صدق الله سبحانه: ﴿اقرأ وربك الأكرم . الذي علم بالقلم﴾، وكذبوا وضلوا، لأن الله سبحانه علم بالقلم، ولم يعلم بالكشف ولا بالعلم اللدني ولا بالفتوح ولا بالتحشيش ولا بالأفينة ولا بأي مهلس من المهلسات.

* حكم عربية حاتمية أكبرية :-

. . . وقال بعضهم: «إنما يتوكل عليه من يرى غيره»، وقال بعضهم: «عجبت لمن عرف الله كيف أطاعه»، وقال بعضهم: «لا تغتروا بدخول إبليس النار، فإنه تعالى يقول: ﴿لأملأن جهنّم منك﴾»، وقال بعضهم: «رجال الله كالسراب»، وقال بعضهم: «الشرع أمانة والحقيقة أمن»، وقال بعضهم: «لا يصام إلا شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن (أي الذي كان في أول البعثة)»، وقال بعضهم: «رسل الله الله»، وقال بعضهم: «المطيع يسيء الظن بربه، والعاصي يحسن الظن بربه»، وقال بعضهم: «المحجوب من اتسعت معارفه، والعالي من قلت معارفه»، وقال بعضهم: «العلم للخلق والحقيقة للحق»[1].

● الملاحظة :-

الكلام واضح الضلال، لكن الدعوة إلى الجهل أوضح، وأوضح منه الدعوة إلى التحلل من الدين.

* من التفسير الصوفي :-

يقول ابن عربي، الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر، من تفسيره لسورة الروم:

﴿الم . غلبت الروم﴾: الذات الأحدية مع صفتي العلم والمبدئية، كما ذكر أن روم

---

(١) رسائل ابن عربي، كتاب الأعلام، ص٧.

القوى الروحانية تكون مغلوبة في أقرب موضع من أرض النفس، الذي هو الصدر، لأن فيض المبدإ يوجب إظهار الخلق واحتجاب الحق به، فكل ما كان أقرب إلى الحق، كان مغلوباً بالذي هو هو أقرب إلى الخلق . . .

﴿أولم يتفكروا في أنفسهم ما خلق الله﴾، سماوات الغيوب السبعة وأرض البدن وما بينهما من القوى الطبيعية والملكوت الأرضية والروحانية، والملكوت السماوية والصفات، والأخلاق وغيرها، إلا بالحكمة والعدل وظهور الحق في مظاهرهم بالصفات على حسب استعداد قبولها لتجليه . . . ﴿وإن كثيراً من الناس بلقاء ربهم لكافرون﴾، لاحتجابهم عنه، فيتوهمون أنه لا يكون إلا بالمقابلة الصورية في عالم آخر، باندراج الهوية في الهوية . . .

﴿الله يبدأ الخلق﴾: بإظهار الفرس على الروم، ﴿ثم يعيده﴾: بإظهار الروم على الفرس، ﴿ثم إليه ترجعون﴾: بالفناء فيه، ﴿ويوم تقوم الساعة﴾: بوقوع القيامة الصغرى، ﴿يبلس المجرمون﴾: عن رحمة الله . . . أو القيامة الكبرى بظهور المهدي ع م، وقهرهم تحت سطوته وحرمانهم من رحمته . . . ﴿فسبحان الله﴾: أن يكون غيره في الوجود والصفة والفعل والتأثير، ﴿حين تمسون﴾: بغلبة ظلمة الفرس على نور الروم، ﴿وحين تصبحون﴾: عند ظهور نورهم على ظلمة الفرس، ﴿وله الحمد﴾: بظهور صفات كماله وتجليات جماله في سماوات الغيوب السبعة وقت إصباح غلبة نور الروحانيات على ظلمات النفسانيات . . .

- يجعل ابن عربي كلمة «الروم» تشير إلى نور الروحانيات (ويعني بها استشعار الجمع)، كما يجعل كلمة «الفرس» تشير إلى ظلمة النفسانيات (ويعني بها استشعار الفرق).

وللقارىء أن يناقش هذا التفسير حسب مقتضيات اللغة وأصول التفسير وكليات العقيدة الإسلامية وجزئياتها. كما عليه أن يعرف أن تفسير ابن عربي هو كتاب مقدس عند الصوفية، وكله يجري على هذا النمط.

*** كشفهم لا يساعدهم :-**

قال الشريف حسن (أخو أحمد البدوي، وكانوا يقيمون في مكة):

فاقمت أنا وإخوتي، وكان أحمد أصغرنا سنًّا وأشجعنا قلباً، وكان من كثرة ما يتلثم لقبناه بالبدوي . . . ثم إنه في شوال سنة ثلاث وثلاثين وستمائة رأى في منامه ثلاث مرات قائــلاً يقــول له: قم واطــلب مطــلع الشمس، فإذا وصلت إلى مطلع الشمس فاطلب مغرب الشمس وسر إلى طندتا (طنطا) فإن بها مقامك أيها الفتى! فقام من منامه، وشاور أهله وســافـر إلى العـراق، فتلقـاه أشيـاخهـا، منهم سيـدي عبد القادر وسيدي أحمد بن الـرفـاعي، فقـالا: يا أحمد، مفاتيح العراق والهند واليمن والروم والمشرق والمغرب بأيدينا فاخــتر أي مفتــاح شئت منهــا، فقـال لهما سيـدي أحمـد رضي الله عنـه: لا حاجـة لي بمفاتيحكما، ما آخذ المفتاح إلا من الفتاح. قال سيدي حسن: فلما فرغ سيدي أحمد من زيارة أضرحة أولياء العراق كالشيخ عدي بن مسافر والحلاج وأضرابهما، وخرجنا قاصدين إلى ناحية طندتا[1] . . .

● الملاحظات: ـ

١ ـ كان مقيماً في مكة، والعراق بالنسبة لمكة ليس مطلعاً للشمس.

٢ ـ عنـدمـا ولـد أحمد البدوي كان عبد القادر وأحمد بن الرفاعي قد شبعا موتاً من زمان، فكيف استقبـلاه؟ طبعــاً، إنـه رأى ذلـك بالكشف، وهـؤلاء الكمـل يتســاوى في إحساسهم الكشف مع الواقع، وفي كثير من الأحيان لا يستطيعون التمييز بينهما.

٣ ـ أما مفاتيح المشرق والمغرب ووثنية القبور فنشكوها إلى الله سبحانه.

* بدون عنوان (لعلها من مقام النفس الراضية): ـ

(أحمد المدعو حمدة) المجذوب الصاحي، له كشف لا يكاد يخطىء . . . قال المناوي (شـارح الجـامع الصغير): أخبرني الولد (أي ولده سيدي زين العابدين الولي الكبير): ما تلبست بحال إلا كاشفني به وهو مقيم عند بعض النساء البغيات بباب الفتوح . . . .[2].

ـ ويتساءلون: ما سبب فساد الأمة الإسلامية؟ ونتساءل: لم حرم الله الزنا؟ وفَرَض

---

(١) طبقات الشعراني: ١ / ١٨٣.

(٢) جامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٥٥٥.

حد الزاني والزانية؟

*** وبدون عنوان كذلك :ـ**

مما يورده يوسف النبهاني :

. . . وقال العارف النابلسي (عبد الغني) في شرح الطريقة المحمدية : قال القسطلاني : وأخبر ني شيخ الإسلام البرهان بن أبي شريف أنه كان يقرأ خمس عشرة ختمة في اليوم والليلة[1] . . .

ـ وكذلك لا تعليق، لكنها على كل حال أهون من ثلاثمائة وستين ألف ختمة!

*** عودة إلى الجيلاني (قطب الأولياء) :ـ**

يقول : . . . تدري كم عنده (أي عند الله) من الطاعات والصوم والصلاة لا يعبأ بها، إنما مراده منك قلب صاف من الأقدار والأغيار[2] . . .

ـ إذن، وحسب تقرير الجيلاني، الله سبحانه لا يعبأ بالطاعات (ويجب أن ننتبه إلى أن الطاعات هي الشريعة الإسلامية وما فيها من عبادات وأخلاق ومعاملات)، ويقرر أن الله لا يريد إلا البلاهة الصوفية والعته الذي يقودهم إلى الجذبة ثم إلى شهود وحدة الوجود (صاف من الأقدار والأغيار).

أوليس هذا التقرير هو افتراء على الله الكذب، وهو ضلال موغل في الضلال.

لكن، أيها القارىء الكريم، إنك لن تعدم مخادعاً أو مغفلاً يقول لك : هذا الكلام له تأويل! فنقول له : التأويل ضلال وتضليل، وكذب وأحابيل، ومكر بالمسلمين لإخراجهم من النور إلى الظلمات. أو يقول لك : هذا مدسوس، فنجيبه :

أولاً : ألا لعنة الله على الكاذبين.

ثانياً : هذه هي عقيدة القوم ومشربهم والغاية التي يسعون إليها، فلماذا تكون مدسوسة؟ ومن يفكر بدسها؟

---

(١) جامع الكرامات : ١ / ٤١١.

(٢) الفتح الرباني، ص٣٥٧.

ثالثاً: إن كانت مدسوسة فلمَ لا يحذفونها من كتبهم، وعلماؤهم وأبدالهم هم الذين يشرفون على طبع كتبهم.

* الجنة بالمجان (بالبلاش):ـ

«فائدة جليلة»، قال سيدنا (أحمد التجاني) رضي الله عنه: ذكر ليلة الجمعة مائةً من صلاة الفاتح لما أغلق، بعد نوم الناس، يكفر ذنوب أربعمائة سنة[1] اهـ.

ـ نص صلاة الفاتح لما أغلق: «اللهم صل على سيدنا محمد الفاتح لما أغلق، والخاتم لما سبق، ناصر الحق بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، وعلى آله حق قدره ومقداره العظيم».

ـ تكملة: يظهر أن هذا الحكم قد نسخ، فقد ورد في «كشف الحجاب»:

«. . . وإن المرة الواحدة منها فدية من النار، وإن من ذكرها مرة واحدة يغفر الله له ذنوبه ولو كانت في عمره مائة ألف سنة، وإن المرة الواحدة منها بأربعمائة غزوة كل غزوة بأربعمائة حجة. وإن ذاكرها يعطى ثواب كل ذاكر في الكون بأضعاف مضاعفة قلل أو كثر. وإن المرة الواحدة منها تعدل ستمائة ألف صلاة من مطلق الصلوات من صلاة كل ملك وصلاة كل إنس وصلاة كل جان. وقال (أي: أحمد التجاني) ـ رضي الله عنه ـ: ما أعد الله تعالى لذاكر صلاة الفاتح لما أغلق من الفضل لا يحل لي ذكره، ولا يظهر إلا في الدار الآخرة[2].

ـ سؤال: ذكر كل ما ذكر من عظائم (صلاة الفاتح)، ومع ذلك يقول: إن هناك من الفضل ما لا يحل له ذكره! فما هو هذا الذي لا يحل له ذكره؟ وهل هناك أكبر وأفظع مما ذكر؟ ونترك التعليق والمناقشة لكل من كان عنده ذرة من إيمان مع ذرة من عقل مع ذرة من حياء.

* كرامة من جملة الكرامات وصوم أيضاً (من مقام المجاهدة):ـ

و . . (ومنهم أبو عبد الله بن خفيف) . . . وبقي في بدايته أربعين شهراً يفطر بكف

---

(1) غاية الأماني، ص٩٧.

(2) كشف الحجاب، ص٣٧٥.

باقلاء (أي فول) حتى جف دمه، ويقرأ القرآن في كل ركعة، ويصلي كل يوم ألف ركعة، ودخل بغداد وبقي بها أربعين يوماً لا يأكل ولا يشرب[1]. . .

ـ فلنتناس هنا ـ من أجل خاطرهم ـ حكم الشريعة الإسلامية على هذه البدع وما فيها من ورع هندوسي. ولننتبه فقط إلى أنه يصلي كل يوم ألف ركعة، ويقرأ في كل ركعة القرآن كله!؟ أي إنه يختم في اليوم ألف ختمة. ثم لنسكت شاكين إلى الله ما حل بهذه الأمة من هذه الطائفة.

يقول شاعرهم:

قلوب العارفين لها عيونٌ ترى ما لا يراه الناظرونا

هذا توضيح للرؤى الكشفية، فالمكاشف يرى أشياء لا وجود لها! يراها كما نرى الأشياء الموجودة أمام أعيننا، ويعزون ذلك إلى قوة في القلب يسمُّونها (السرّ)، ويقولون: إن السر بالنسبة للقلب كالروح بالنسبة للجسد، وطبعاً، هذا كله وهم في وهم، وفي فصل لاحق سنرى كيف تحدث الرؤى الكشفية، مع العلم أن مثلها تماماً يحدث لمن يتعاطى المخدرات التحشيشية الأفيونية وتلك الزمرة.

* كشوف يجهلها الواقع :ـ

قطب الغوث علي وفا كان يقول:

العلقة التي حول حبة القلب هي الحية المطوقة حول العرش من الملكوتيّ، والحية المطوقة بعين الحياة من الجبروتي، والحية المطوقة بقاف من الملكي، وكان رضي الله عنه يقول: البطن الأوسط من الدماغ المسمى بالدودة هو الذي قوّته تنشىء حرير أهل الجنان. . .»[2].

ـ إذن، فالقلب هو العرش؟ ولكن أين هي عين الحياة والحية التي تطوقها، وكذلك جبل قاف وحيته؟؟ لكن الكشف هو حق اليقين يرى ما لا يراه الناظرونا، وعندما يقول الكشف إن هناك «عين الحياة، وجبل قاف، و. . . . ، و. . .» فيجب أن نصدقه، لأنه

(1) حاشية العروسي: ٢ / ٦.

(2) طبقات الشعراني: ٢ / ٣٤.

كشف! وكشف على من؟ على أولياء صديقين أقطاب أغواث.

فصدق أيها القارىء، وسلم تسلم، أما عقلك وبصرك وسمعك فادفنها في أي مكان يعينه الكشف، وحسبك الكشف، أما القرآن والسنة فيجب عرضهما على الكشف - كما يقول حجة الإسلام الإمام الهمام - فما وافق الكشف قرروه، وما خالف أولوه . . .

*** من أحوال ومقامات «انتشار الحشيش في مصر» والإفطار في رمضان :-**

ومنهم سيدي الشريف المجذوب رضي الله تعالى عنه ورحمه؛ كان رضي الله عنه ساكناً تجاه المجانين بالمارستان المنصوري، وكان له كشف ومشاقلات للناس الذين ينكرون عليه، وكان رضي الله عنه يأكل في نهار رمضان، ويقول: أنا معتوق أعتقني ربي، وكان كل من أنكر عليه يعطبه في الحال!! . . . وكان رضي الله عنه يتظاهر ببلع الحشيش، فوجدوها يوماً حلاوة، وكان قد أعطاه الله تعالى التمييز بين الأشقياء والسعداء في هذه الدار. . .»[1]. ترلم ترلم . . .

- يفطر في رمضان رضي الله عنه! ويبلع الحشيشة متظاهراً، رضي الله عنه!

السؤال البسيط: ما هي الفائدة الدينية والدنيوية والشرعية والعقلية والمنطقية والصبيانية والغوغائية والجنونية والغبائية والذكائية . . . و . . . ؟ ما هي الفائدة، أية فائدة من التظاهر ببلع الحشيش؟ وهل يريد الله سبحانه من أوليائه أن يفطروا في رمضان ويتظاهروا بالخبائث؟! لكن ما شأننا نحن؟ فهؤلاء هم المقربون وكفى! ثم يتساءل المتسائلون: ما هو سبب فساد هذه الأمة؟ ويتساءلون: ما هو سبب انتشار الحشيش؟

*** ولايته تجمّده :-**

ومنهم سيدي علي الدميري المجذوب رضي الله تعالى عنه: كان رضي الله عنه جالساً ليلاً ونهاراً على دكان بياع الرقاق تجاه حمام المارستان، وكان رضي الله عنه لا يتكلم إلا نادراً، وكان مكشوف الرأس ملفوفاً في بردة كلما تتقطع يبدلونها له بأخرى، أقام

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.

على هذه الحالة نحو عشرين سنة!! وكان كلما رآني تبسم، مات رضي الله عنه سنة خمس وعشرين وتسعمائة، ودفن بالمسجد الذي بقرب باب النصر اليشبكي، وقبره ظاهر يزار رضي الله عنه[1]!!

ـ السؤال: ما هو قول القارىء بأمة تقدس المجانين ومرضى الأعصاب والحشاشين والأفيونيين؟!

*** الصوفي يصوِّر ما في الأرحام كيف يشاء :ـ**

يقول عبد الله اليافعي (الغوث):

. . . وروي عن بعض الأولياء الكبار أنه طلب منه بعض الناس أن يدعو له الله تعالى أن يرزقه ولداً ذكراً، فقال: إن أحببت ذلك فسلم للفقراء مائة دينار، فسلم إليه ذلك، ثم جاء بعد ذلك بمدة وقال له: يا سيدي وعدتني بولد ذكر وما وضعت امرأتي إلا أنثى، فقال له الشيخ: الدنانير التي سلمتها ناقصة. قال يَّا سيدي! ما هي ناقصة إلا شيئاً يسيراً. فقا له الشيخ: ونحن أيضاً ما نقصناك إلا شيئاً يسيراً، فإن أحببت أن نوفي لك فأوف لنا. فقال: نعم يا سيدي، ثم ذهب وعاد إليه بتوفية ذلك النقصان، فقال له الشيخ: اذهب فقد أوفينا لك كما أوفيْتَ، فرجع إلى منزله، فوجد غلاماً بقدرة الله تعالى وإكرامه لأوليائه عز وجل[2].

ويقول (مزهداً بالعلم):

ورُوي أن جماعة من أهل العلم قصدوا زيارة بعض الشيوخ، فلما أتوه وجدوه يَلْحَن في قراءته في الصلاة، فتغير اعتقادهم فيه، فلما ناموا تلك الليلة جنبوا كلهم، فخرجوا ليغتسلوا في بركة ماء، فوضعوا ثيابهم ودخلوا في الماء، فجاء الأسد وجلس على ثيابهم، فلم يقدروا يخرجون، فلاقوا شدةً من شدة البرد، فجاء الشيخ، وزجر الأسد، وقال له: ما قلت لك لا تتعرض لضيفاني، فبصبص وذهب، ثم قال لهم الشيخ: أنتم اشتغلتم بإصلاح الظاهر فخفتم الأسد، ونحن اشتغلنا بإصلاح الباطن فخافنا الأسد[3].

---

(1) طبقات الشعراني: ٢ / ١٥٠.
(٢) نشر المحاسن الغالية، ص٢٢.
(٣) نشر المحاسن الغالية، ص٣١ و٣٢.

● الملاحظة: التزهيد بالعلم والدعوة إلى الجهل هي من الواجبات الأولى للمتصوفة.

* الكعبة تذهب لتطوف حولهم :-

ويقول اليافعي أيضاً:

. . . وأعظم من ذلك وأفضل طواف الكعبة المعظمة بكثير منهم، وكل ذلك مشهور مذكور بالأسانيد الصحيحات[1]. . .

● تعليق:

قيل مرة (بل مرات كثيرة جدًّا): الحج هذه السنة هو حج أكبر، لأن الكعبة كانت، كل سنة، تأتي إلى شيخنا لتطوف حوله، أما هذه السنة فقد جاء الشيخ ليطوف هو حولها، فهنيئاً لحجاج هذا العام!.وفي الحقيقة إنهم يرون هذا في أحلام الجذبة.

- ثم يتساءلون عن سبب فساد الأمة؟ وسيطرة الجهل والتفكير الضبابي والخرافي عليها، مما سبب لها هذا العقم القاتل، والضياع الذهولي في مسارح التمثيليات الإبليسية.

* من أقوال جلال الدين الرومي :-

من ناحية تبريز أشرقت شمس الحق، فقلت لها: نورك مقترن بالأشياء، وهو في الوقت نفسه مفارق لها. إن شمس محيا «شمس الدين» بهاء الأفق، لم تشرق يوماً على ما هو فانٍ إلا وهبته طبيعة البقاء[2]. . .

- يعني بشمس الحق أستاذه شمس الدين، ووحدة الوجود ظاهرة في النص.

* من التفسير الصوفي :-

يقول ابن عربي في «تفسيره»:

(ق) إشارة إلى القلب المحمدي، الذي هو العرش الإلهي المحيط بالكل. . .

- والتعليق للقارىء، مع التنبيه إلى عقيدتهم في الحقيقة المحمدية.

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٣٣.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٧٣ و ٧٤

* من تفسيرهم أيضاً :ـ

للشيخ الأكبر والكبريت الأحمر نفسه :

﴿ن . والقلم وما يسطرون . . .﴾ : ﴿ن﴾ هو النفس الكلية ، ﴿والقلم﴾ هو العقل الكلي ، والأول من باب الكناية بالاكتفاء من الكلمة بأول حروفها . والثاني (أي القلم) من باب التشبيه . . .

ـ هذا تفسير يظهر ارتباط المتصوف بقناعاته المسبقة ، وأن كشفه تابع لتلك القناعات .

* من كذبهم على الأنبياء :ـ

يقول الغزالي في «الإحياء» :

. . . وروي أن عيسى عليه السلام مكث يناجي ربه ستين صباحاً لم يأكل ، فخطر بباله الخبز ، فانقطع عن المناجاة ، وإذا شيخ قد أظلّه ، فقال له عيسى : بارك الله فيك يا ولي الله ، ادع الله تعالى لي فإني كنت في حالة فخطر ببالي الخبز ، فانقطعت عني ، فقال الشيخ : اللهم إن كنت تعلم أن الخبز خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي ، بل كان إذا حضر لي شيء أكلته من غير فكر وخاطر[1] . . .

● الملاحظات :

الكذبُ على رسول الله عيسى ، وتعظيم أمر الجوع على الطريقة الهندوسية المحرمة في الإسلام ، وذلك لتبرير رياضتهم الصوفية ، ثم جَعْلُ الولي أفضل من النبي ، حيث إن عيسى عليه السلام قصَّر عن شأو الولي ! ! وكل هذه الثلاثة هي من الكبائر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم .

* حِكَم بدون تعليق :ـ

يقول الغزالي في «إحيائه» : . . . ثانياً : أن يكون مقلداً لمذهب سمعه بالتقليد وجمد

---

(١) إحياء علوم الدين : ٣ / ٧٢ .

عليـه وثبت في نفسـه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع، من غير وصول إليه ببصيرة ومشـاهـدة، فهـذا شخص قيَّده معتقـده عن أن يجاوزه، فلا يمكنـه أن يخطـر بباله غير معتقده، فصار نظره موقوفاً على مسموعه، فإن لمع برق على بُعْد وبدا له معنى من المعاني التي تبـاين مسمـوعَـه حمل عليـه شيطـان التقليـد حملة وقال: كيف يخطر هذا ببالك وهو خلاف معتقد آبائك؟ فيرى أن ذلك غرور من الشيطان، فيتباعد منه ويحترز عن مثله، ولمثـل هذا قالت الصـوفيـة: إن العلم حجـاب، وأرادوا بالعلم العقائد التي استمر عليها أكثـر النـاس بمجرد التقليد أو بمجرد كلمات جدلية حررها المتعصبون للمذاهب وألقوها إليهم؛ فأمـا العلم الحقيقي الـذي هو الكشف والمشـاهـدة بنـور البصـيرة فكيف يكون حجاباً وهو منتهى الطلب[1]..

وأتـرك التعليق لكـل من كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد. لكن أرجو الانتباه إلى الدعوة إلى الجهل.

ويقول الطوسي:

... قال أبـو بكـر الكتـاني: قال أبـو حمزة: دخلت على سري، فجـاءني بفتيت، فأخـذ يجعـل نصفـه في قدح، فقلت له: أيش هوذا تعمـل؟ أنا أشرب هذا كله في مرة. فضحك وقال: هذا أفضل لك من حجة[2].

ـ يا سلام! شرب الفتيت أفضل من حجة! نسأله: ما هو دليله؟ لعله الكشف؟ لا نعرف.

* نصوص يتسلى القارىء بتحليلها وفك رموزها «بهدوء»:-

قيـل لابن عطـاء: ما يفعـل الـذكـر بالسـرائـر؟ فقال: ذكر الله تعالى إذا ورد على السرائر بإشراقه أزال البشرية في الحقيقة برعوناتها[3].

وقـال الشبـلي: الأرواح تلطفت، فتعلقت عنـد لدغـات الحقيقـة، فلم تر معبـوداً يستحق العبادة عن أن تتقرب إلى ذلك الشاهد بغير ذلك المشاهد، وأيقنت أن الحدث

---

(١) الإحياء: ١ / ٢٥٥.
(٢) اللمع، ص٢٤٢.
(٣) اللمع، ص٢٩٠.

لا يدرك القديم بصفته المعلولة[1].

- تسهيلاً للتحليل: يعني بـ «صفته المعلولة» أي صفته على أنه غير الله، التي هي صفة معلولة وليست صحيحة.

وقال الشبلي أيضاً: كل إشارة أشار الخلق بها إلى الحق، فهي مردودة عليهم، حتى يشيروا إلى الحق بالحق، ليس لهم إلى ذلك طريق[2].

وسئل الجنيد مرة عن الإخلاص، فقال: إخراج الخلق من معاملة الله تعالى، والنفس أول الخلق[3].

سئل الزقاق عن المريد، فقال: حقيقة المريد أن يشير إلى الله تعالى، فيجد الله مع نفس الإشارة[4].

... وقال قوم: السرّ سران: سرٌ للحق، وهو ما أشرف عليه بلا واسطة؛ وسر للخلق، وهو ما أشرف عليه الحق بواسطة. وقال: سرٌ من السر للسر، وهو حق لا يظهر إلا بحق، وما ظهر بخلق فليس بسر[5].

- لتيسير التحليل: كل العبارات السابقة تشير إلى وحدة الوجود، وكذلك اللاحقة.

* من رسالة من الجنيد إلى أحدهم (يأمره بالتقية وكتم السر والتظاهر بما عليه الناس) :-

... فعليك رحمك الله بضبط لسانك، ومعرفة أهل زمانك، وخاطب الناس بما يعرفون، ودعهم مما لا يعرفون، فقلّ من جهل شيئاً إلا عاداه ... واخرجْ إلى الخلق من حالك بأحوالهم، وخاطبهم من قلبك على حسب مواضعهم[6]...

كتب أبو سعيد الخراز إلى أبي العباس أحمد بن عطاء: يا أبا العباس، تعرف لي رجلاً قد كملت طهارته، وبرىء من آثار نفسه عنه به له، موقوفٌ مع الحق بالحق للحق،

---

(1) اللمع، ص٢٩٣.
(2) اللمع، ص٢٩٥.
(3) اللمع، ص٢٩٠.
(4) اللمع، ص٢٩٥.
(5) اللمع، ص٣٠٣.
(6) اللمع، ص٣١٢.

من حيث أوقفه الحق، حيث لا له ولا عليه، فالحق يعلله امتحان[1] له، وامتحان للخلق به؟ فإن عرفت لي هذا فدلني عليه[2].

وكتب الجنيد إلى أحدهم: آثرك الله يا أخي بالاصطفاء، وجمعك بالاحتواء، وخصك بعلم أهل النهى . . . وتمم لك ما تريد منك له، ثم أخلاك منك له ومنه له به، ليُفْرِدَك في تقلبه لك، بما يُشهدك، من حيث لا يَلْحقك شاهد من الشواهد يخرجك، فذلك: أول الأول الذي محا به رسومَ ما ترادف مما غيَّبه به عنك بعلوِّ ما استأثر به منه له، ثم أفردك منك لك، في أول تفريد التجريد، وحقيقة كائن التفريد، فكذلك إذا انفرد بذلك أباد، وأفنى الإبادة ما سلف من الحق من الشاهد، بعد إفناء محاضر الخلق، فعند ذلك يقع حقيقة الحقيقة من الحق للحق، ومن ذلك: ما جرى بحقيقة علم الانتهاء إلى علم التوحيد على علم تفريد التجريد، فقد عزه الله وحجبه عن كثير ممن ينتحله ويدعيه، ويتحققه ويصطفيه[3].

وكتب الجنيد أيضاً: أكرمك بطاعته، وخصك بولايته، وجلّلك بستره . . . وألزمك بابه، وكلفك خدمته، حتى تكون له موافقاً، ولكأس محبته ذائقاً، فيتصل العيش بالعيش، والحياة بالحياة، والروح بالروح، فتتم النعمة[3].

يقول أبو نصر الطوسي واصفاً أقوال الجنيد هذه: . . . فيها إشارات لطيفة، ورموز خفية، تعبر عن الحقائق المشكلة، وتنبىء عن السرائر والخصوصية التي تفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد، وحقيقة التفريد . .

ـ انتبه إلى العبارة: «الخصوصية التي تفرد بها هذه العصابة في تجريد التوحيد وحقيقة التفريد»[4].

ومن رسالة بعثها أبو سعيد بن الأعرابي لآخر: أماتك الله عنك، وأحياك به، وأيدك بالفهم، وفرَّغ قلبك من كل وهم، وأفناك بالقرب عن المسافة، وبالأنس عن الوحشة[5].

---

(١) يجب أن تكون: «امتحاناً له».
(٢) اللمع، ص٣٠٥.
(٣) اللمع، ص٣١٣.
(٤) اللمع، ص٣١٤.
(٥) اللمع، ص٣١٥.

ومن رسالة لأبي سعيد الخراز بعثها إلى آخر: عصمك الله بذكره عن نفسك، وكاشفك بشكره عن وصفك . . . وأنا أسأل الله تعالى أن يجمع لك من نفسك ما فرّق، ويبين عنك منها ما جمع، إنه الولي لذلك والقادر عليه[1].

● التنبيه:

من نظر في هذه النصوص فليتأمل، وليحاول فهمها بهدوء، وليرجع إلى النصوص السابقة في الكتاب وخاصة فصل «المدخل إلى فهم النصوص الصوفية».

* تعريف الكشف:-

يقول مصطفى بن محيي الدين نجا[2]:

. . . والكشف لغةً رفعُ الحجاب، وفي اصطلاح أهل الحقيقة، هو الاطّلاع على ما وراء الحجاب من المعاني الغيبية والأمور الخفية وجوداً وشهوداً، وليس هو كما يُكْشف الغطاءُ عن الآنية والستر عن الباب، بل هو أمر إذا ظهر يرى العبد أن ذلك لم يكن مستتراً بشيء، وإنما الإدراك كان قاصراً عن الوصول، فقواه الحق تعالى، فأدرك ما كان ظاهراً[3].

* كل المعبودات حق:-

يقول ابن عربي «الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر»:

. . . فمن عناية الله بنا، لما كان المطلوب من خلقنا عبادته، أن قرّب علينا الطريق بأن خلقنا من الأرض التي أَمَرَنا أن نعبده فيها، ولمّا عبد منا من عبد غير الله، غار الله أن يُعبد في أرضه غيره، فقال: ﴿وقضى ربُّكَ ألا تَعْبُدوا إلا إيَّاه﴾، أي حكم، فما عَبَدَ من عَبَد غير الله، إلا لهذا الحكم، فلم يُعبد غير الله وإن أخطؤوا في النسبة، إذ كان لله في كل شيء وجه خاص، به ثبت ذلك الشيء، فما خرج أحد عن عبادة الله[4].

- إذن فالأوثان والأصنام وكل ما عبد من إنسان وشجر وقبر، كله هو الله. وقد مرّ

---

(1) اللمع، ص٣١٥.
(2) من تلاميذ نور الدين اليشرطي.
(3) كشف الأسرار لتنوير الأفكار، ص١٢٥.
(4) الفتوحات المكية: ٣ / ٢٤٨.

معنا في النصوص السابقة أمثلة كثيرة من نفس المعنى .

يقول الغزالي في «الإحياء» :

. . قال سهل : من طعن على التكسب فقد طعن على السنة ، ومن طعن على ترك التكسب فقد طعن على التوحيد[1] .

ـ نقول : هذا اعتراف من القطب سهل (ابن عبد الله التستري) ومن الحجة الغزالي أن الصوفية ليست من الإسلام . إذ يجعل (بل يجعلان) التوحيد مخالفاً للسنة في التكسب . ويقول الرسول ﷺ : «من رغب عن سنتي فليس مني» ، إذن فهم ليسوا من رسول الله .

ويقول الغزالي أيضاً :

. . . قال أبو سعيد الخراز : دخلت البادية بغير زاد ، فأصابتني فاقة ، فرأيت المرحلة من بعيد ، فسُررت بأن وصلت ، ثم فكرت في نفسي أني سكنت واتكلت على غيره (أي على غير الله) ، وآليت أن لا أدخل المرحلة إلا أن أُحمل إليها ! فحفرت لنفسي في الرمل حفرة وواريت جسدي فيها إلى صدري ، فسمعت صوتاً في نصف الليل عالياً : يا أهل المرحلة ، إن لله تعالى وليًّا حبس نفسه في هذا الرمل فالحقوه[2] . .

ـ التعليق : هذا شيطان يضحك على ذقنه وذقونهم ليدفعهم إلى التوغل في الضلال والزندقة . لأن خروجه هكذا ليس من الإسلام في شيء ، بل هو من الهندوسية ، وادّعاؤه الولاية هو افتراء على الله الكذب ﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم بل الله يزكي من يشاء ولا يظلمون فتيلاً . انظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾ .

* **الكذب على أنبياء الله ووصفهم بما لا يوصف به إلا المجانين :-**

يقول الغزالي نفسه :

. . . قال يحيى بن أبي كثير : بلغنا أن داود عليه السلام كان إذا أراد أن ينوح ، مكث قبل ذلك سبعاً لا يأكل الطعام ولا يشرب الشراب ولا يقرب النساء ، فإذا كان قبل

---

(1) الإحياء : ٤ / ٢٣٢ .

(2) الإحياء : ٤ / ٢٣٣ .

ذلك بيوم، أُخرج له المنبر إلى البرية، فأمر سليمانَ أن ينادي بصوت يستقري البلاد وما حولها من الغياض والآكام والجبال والبراري والصوامع والبيع، فينادي فيها: ألا من أراد أن يسمع نوح داود على نفسه فليأت، قال: فتأتي الوحوش من البراري والآكام، وتأتي السباع من الغياض، وتأتي الهوام من الجبال، وتأتي الطير من الأوكار، وتأتي العذارى من خدورهن، وتجتمع الناس لذلك اليوم، ويأتي داود حتى يرقى المنبر، ويحيط به بنو إسرائيل، وكل صنف على حدته، محيطون به، وسليمان عليه السلام قائم على رأسه، فيأخذ في الثناء على ربه، فيضجون بالبكاء والصراخ، ثم يأخذ في ذكر الجنة النار، فتموت الهوام وطائفة من الوحوش والسباع والناس، ثم يأخذ في أهوال القيامة، وفي النياحة على نفسه، فيموت من كل نوع طائفة، فإذا رأى سليمان كثرة الموتى قال: يا أبتاه، مزقت المستمعين كل ممزق . . . ثم إذا أفاق داود، قام ووضع يده على رأسه، ودخل بيت عبادته، وأغلق بابه، ويقول: يا إله داود، أغضبان أنت على داود؟ ولا يزال يناجي ربه، فيأتي سليمان ويقعد على الباب، ويستأذن ثم يدخل ومعه قرص من شعير، فيقول: يا أبتاه، تقوَّ بهذا على ما تريد . . .

وقال يزيد الرقاشي: خرج داود ذات يوم بالناس يعظهم ويخوفهم، فخرج في أربعين ألفاً، فمات منهم ثلاثون ألفاً، وما رجع إلا في عشرة آلاف. قال: وكان له جاريتان اتخذهما، حتى إذا جاءه الخوف وسقط فاضطرب، قعدتا على صدره وعلى رجليه مخافة أن تتفرق أعضاؤه ومفاصله فيموت[1]. . . اهـ.

- أرجو من القارىء الكريم، رجاءً حارًّا، أن يصدقني، وإن لم يصدقني فإني مستعد لتأدية اليمين، أن هذه القصص ليست من هذيانات صبي في أحلام اليقظة! وليست من ثرثرات حشاش تناول نصف رطل من الأفيون، وليست من خبالات مجنون في ثورة جنونه . . . وإنما هي دعوة غزالية إلى الأخلاق الغزالية، وإلى المقامات الصوفية، يقذف بها «حجة الكهانة» (وأقطابه السابقون واللاحقون)، يقذفون بها حمماً وسموماً ومخدرات، دمَّرت عقل المسلم وقتلت منطق المسلم وخدرت نفسية المسلم، وأوصلت المجتمعات الإسلامية إلى ما تتخبط فيه الآن من رؤى ضبابية لكل الأمور، في دينها ودنياها، حتى

---

(1) الإحياء: ٤ / ١٥٨ و ١٥٩.

أصبح المسلمون ألعوبة بيد كهان الشيوعية يقذفونهم يميناً وشمالاً كما يتقاذفون الكرة بينهم، يقيمونهم ببعض الشعارات ويقعدونهم ببعض آخر.

وهذه القصص هي قبل كل شيء كذب على رسل الله. كما أنها تذكرنا بالتمثيليات الوثنية التي كان يمثلها الكهنة الوثنيون في أعيادهم الوثنية ليبعثوا بها في الأذهان الوثنية، صوراً وثنية، يتصورون أنها حدثت لآلهتهم الوثنية، في أزمنتها الوثنية الأولى. وهي أنموذج لما يسميه الغزالي «المنجيات»!!

* من مقامات الصبر، أو الجوع :-

... سمعت الشيخ أبا عبد الرحمن السلمي رحمه الله يذكر بإسناده أن أبا عقال المغربي أقام بمكة أربع سنين لم يأكل ولم يشرب إلى أن مات[1].

- الجواب على هذا وأمثاله هو قول الرسول ﷺ في «صحيح مسلم»:

قال: «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ... كان يصوم يوماً ويفطر يوماً». وفي حديث آخر: «... ولا يفر إذا لاقى».

وقال ﷺ: «لا صام من صام إلى الأبد، لا صام من صام إلى الأبد، لا صام من صام إلى الأبد».

وقال: «... ولكني أصلي وأنام وأصوم وأفطر ... فمن رغب عن سنتي فليس مني».

هذه الأحاديث تخرج هذا «الولي» من رسول الله ﷺ، أي تخرجه (وزمرته معه أيضاً) من الإسلام، ومع ذلك تدرّس الرسالة القشيرية في مساجد المسلمين على أنها كتاب إسلامي، والمشتكى إلى الله.

* صورة من حالات الجذبة :-

يقول القشيري:

---

(١) الرسالة القشيرية، ص٣٥.

. . . دخل بعض الفقراء على أبي عقال، فقال له: سلام عليكم. فقال له أبو عقال: وعليكم السلام. فقال: أنا فلان. فقال أبو عقال: أنت فلان، كيف أنت وكيف حالك؟ وغاب عن حالته؛ قال هذا الرجل: فقلت له: سلام عليكم، فقال: وعليكم السلام. كأنه لم يرني قط! ففعلت مثل هذا غير مرة! فعلمت أن الرجل غائب فتركته وخرجت من عنده[1].

- هذه الصورة تساعد على فهم الحالة التي يكون فيها المجذوب أثناء جذبته، وهي تشبه تماماً حالة الحشاش أثناء تحشيشه.

*** علم الصوفي، الشيخ، مثل علم الله تماماً:-**

. . . وأما شيخنا سيدي علي الخواص، فسمعته يقول: لا يكمل الرجل عندنا حتى يعلم حركات مريده في انتقاله في الأصلاب وهو نطفة، من يوم: ﴿ألستُ بربِّكم﴾، إلى استقراره في الجنة أو في النار[2]. . .

- العجب العجاب، إن كشفهم يجهل مثلهم كل شيء، ولا يفهم مثلهم أي علم، ثم يدعون العلم الذي لا يعلمه إلا الله سبحانه، وهي صورة من الإحساسات الخداعة، التي يحسُّ بها المكاشف أثناء الجذبة، يحدث مثلها لمن يتعاطى المخدرات التحشيشية.

*** محاربة العلم:-**

يقول ابن عربي (الشيخ الأكبر):

لطيفة - من قال لك: لا تبرح من العلم، فقد قتلك بسيف الأبد.

إشارة - قالت طائفة: العلم حجاب. وذلك لأنه يعمر منك ما ينبغي أن تفرغه للرؤية (أي لرؤية الله)، فلا تتعلم، أي لا تقف مع العلم.

إشارة - العلم ليل لا صبح له، ومن قطع المفاوز في الظلمات وهو غير جرِّيت، زاد تيهاً على تيه[3].

---

(1) الرسالة القشيرية، ص٣٥.

(2) الكبريت الأحمر هامش اليواقيت والجواهر: ٢ / ٣.

(3) رسائل ابن عربي (كتاب التراجم)، ص٥٨.

● المناقشة :

الجهل ومحاربة العلم هي دعوة المتصوفة في كل زمان ومكان . وإذا عرفنا أن العارفين ألفٌ، وأن المتكلم واحد ـ كما يقول عبد القادر الجيلاني ـ عرفنا مدى الدور الرهيب الذي لعبته الصوفية في فساد الأمة الإسلامية وجهلها وانحطاطها وابتعادها عن الإسلام .

* ودائماً محاربة العلم :ـ

يقول ابن الملقن :

وروي عنه (محمد بن علي الكتاني) أنه قال : كنت وأبو سعيد الخراز وعباس بن المهتدي، وآخر لم يذكره، نسير بالشام على ساحل البحر، وإذا شاب يمشي ومعه محبرة، فظننا أنه من أصحاب الحديث، فتثاقلنا به، فقال أبو سعيد : يا فتى على أي طريق تسير؟ فقال . ليس أعرف إلا طريقين، طريق الخاصة، وطريق العامة، أما طريق العامة فهذا الذي أنتم عليه، وأما طريق الخاصة، فباسم الله، وتقدم إلى البحر، ومشى حيالنا على الماء، فلم نزل نراه حتى غاب[1].

ـ أما محاربة العلم في هذه القصة فظاهرة . وأما الشاب الذي مشى على الماء فهو أحد أمرين لا ثالث لهما : إما أنه شيطان تراءى لهم ليزيدهم غلوًّا في ضلالهم . أو هو إنسان صوفي استحوذ عليه شيطانه واتخذه شركاً يوقع به الناس في الضلال أو يزيدهم به غلوًّا فيه .

* مقام! لعله من مقام المجاهدة :ـ

. . . سمعت أبا الطيب العكّي يقول : ذكر لي أن سحنون كان جالساً على شاطىء الدجلة، وبيده قضيب يضرب به فخذه، حتى بان عظم فخذه وساقه، وتبدد لحمه، وهو يقول :

كان لي قلب أعيش به ضاع مني في تقلبه
رب فاردده عليَّ فقد ضاق صدري في تطلبه

(١) طبقات ابن الملقن، ص١٤٧ .

وأغـث ما دام بي رمـق يا غيـاث المسـتـغـيـث به[1]

ويـترك التعليق هنـا لكـل من يريـد التعليق، مع التذكير بأن مدمن الأفيون عندما ينقطع عنه مدة يُصاب بمثل هذه الحالات.

*** بدون عنوان :ـ**

عبـد الله بن علوي ابن الأستـاذ الأعظم[2]. . . . من كراماته : أن رجلاً أنشد أبياتاً تتعلق بالبعث والحسـاب، فتـواجـد صاحب الـترجمـة وخـر مغشيًّـا عليه، فلما أفاق قال للرجل: أعد الأبيات. فقال الرجل: بشرط أن تضمن لي الجنة. فقال: ليس ذلك إليَّ، ولكن اطلب ما شئت من المال، فقال الرجل: ما أريد إلا الجنة، وإن حصل لنا شيء ما كرهنـا؛ فدعـا له بالجنـة، فحسنت حالة الرجل وانتقل إلى رحمة الله، وشيعه السيد عبد الله المـذكـور، وحضـر دفنـه، وجلس عنـد قبره ساعة فتغير وجهه ثم ضحك واستبشر، فسئـل عن ذلـك، فقـال: إن الـرجـل لما سألـه الملكـان عن ربه، قال: شيخي عبد الله باعلوي، فتعبت لذلـك، فسألاه أيضـاً، فأجـاب بذلـك، فقالا: مرحباً بك وبشيخك عبد الله باعلوي.

قال بعضهم: هكذا ينبغي أن يكون الشيخ، يحفظ مريده حتى بعد موته[3].

● **الملاحظات** على هذا الشرك وما يرافقه من هذياناتٍ واضحة، لكن ألفت النظر فقط إلى دور شياطين الجن في المسرحية (هذا إن كان الشيخ صادقاً في قوله).

*** من مقام الغوثية (التصرف في الكون) :ـ**

ومنهم الشيـخ عبـد الله، أحـد أصحـاب سيـدي عمـر النبتيتي . . كتب لي أنه رآني بحضرة رسول الله ﷺ، وهو يقول للإمام علي بن أبي طالب رضي الله عنه: أَلْبِسْ عبد الوهاب (الشعراني) طاقيتي هذه وقل له يتصرف في الكون، فما دونه مانع[4]. . .

ـ الجواب: ﴿كَبُرَتْ كلمةً تخرُجُ منْ أفواهِهِم إنْ يقولونَ إلا كَذِباً﴾. لكن يجب ألا

---

(1) طبقات السلمي، ص197.

(2) مات سنة 731.

(3) جامع النبهاني: 2 / 244 و245.

(4) جامع النبهاني: 2 / 275.

نظن أنه يكذب في ادعائه الرؤ ية، بل هو صادق رأى ما رأى بالكشف وفي اليقظة؟

* **من تلاعبات الشياطين بعقولهم :-**

عبد الرحمن بن الأستاذ الأعظم . . . وكان لبعض الأولياء الأموات قنديل يسرج كل ليلة في مسجد بني علوي (في بلدة تريم في حضرموت)، فانكسر القنديل فتركوا تسريجه، وكان صاحبه لا يعرفه أحد، فرأى السيد عبد الرحمن المذكور صاحب القنديل (أي الميت) وهو يقول: أنا صاحب القنديل وتركتمونا بلا سراج، فقال له: قنديلك انكسر، فقال: في هذا الثقب درهم، وأشار إلى ثقب في داره، فلما أصبح أتى تلك الدار، ورأى الثقب، وإذا فيه درهم، وجاء إلى بائع القناديل، فقال: لم يبق شيء، فقال السيد عبد الرحمن: انظروا وراء الزير فإن فيه قنديلاً؛ ونظر فإذا قنديل لم يكن رآه قبل ذلك[1].

● **التعليق :**

لعن رسول الله ﷺ من يتخذ السرج على القبور، فالمتخذون السرج على القبور هم من الملعونين ومن أولياء الشيطان، وليسوا من أولياء الرحمن، ودور شياطين الجن واضح في مثل هذه المسرحيات.

* **فرعون صادق في ادعائه الربوبية وكل إنسان هو الرب :-**

يقول حجة الإسلام الغزالي (وفي الإعادة إفادة):

. . . ولذلك قال بعض مشايخ الصوفية: ما من إنسان إلا وفي باطنه ما صرح به فرعون من قوله: ﴿أنا ربُّكُمُ الأعلى﴾، ولكنه ليس يجد له مجالاً، وهو كما قال[2]. . .

● **التعليق**: مر هذا في مكان سابق، ونعيده لاختلاف اللفظ، مع الرجاء أن ينتبه القارىء إلى قوله: «ما من إنسان . .».

يقول عبد الغني النابلسي معارضاً من قصيدة:

---

(١) جامع النبهاني: ٢ / ١٤٧.

(٢) الإحياء: ٣ / ٢٤٣ و ٤ / ٦١.

وما الكل إلا صورة مستحيلة كماء له موج وفيه فواقع[1]

ـ السؤال: ما معنى هذا البيت؟ وما هو بيت الشعر الذي يعارضه به؟ ولمن؟

ويقول عبد الغني نفسه من موشح:

كل شيء عقد جوهر حلية الحسن المهيب

ويقول:

هذه الأكوان أجمعها شمة من وردة الأزل

أرجو من القارىء الكريم أن يتسلى بتفسير هاذين البيتين.

* من «الصلاة الكبرى» لسيدنا عبد القادر الجيلاني:ـ

. . . اللهم صل على محمد حتى لا يبقى من صلاتك شيء، وارحم محمداً حتى لا يبقى من رحمتك شيء، وبارك على محمد حتى لا يبقى من بركاتك شيء[2]. . .

ـ أرجو من القارىء أن ينتبه إلى قوله: «حتى لا يبقى من صلاتك شيء . . وحتى لا يبقى من رحمتك شيء . . وحتى لا يبقى من بركاتك شيء»، وما فيها من تجرؤ على الله وانتقاص لرحمته وبركاته، وما فيها من جهل بالعقيدة الإسلامية وانحراف عن النهج الذي جاء به محمد ﷺ.

وللعلم: هذه الصلوات هي من «الصلاة الكبرى» للشيخ عبد القادر الجيلاني، التي شرحها الشيخ عبد الغني النابلسي، ونقلها يوسف النبهاني من ذلك الشرح، وكلهم أقطاب مكاشفون. وهي واردة أيضاً في الكتاب المقدس «دلائل الخيرات» الذي يتخذونه بعد القرآن الكريم.

* الصوفية والجنون:ـ

(أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد المستعجل) الرفاعي، كان من أكابر الرجال وأعيان الأولياء وسادات الأصفياء. . .

(١) الرمز الشعري عند الصوفية، ص٢٤٧.

(٢) أفضل الصلوات على سيد السادات، ص١٧٤.

قال السـراج: . . . وروينـا أن هذا الشيـخ شمس الـدين تاب على يديـه بعض الأغنياء وقال: أعطني جنوناً، ومد يديه، فحثى له الشيخ حثيات في الهواء، وسماه أرطالاً معلومة، فصار مولهاً لوقته، وترك دنياه وأهله وخرج إلى نهر، ووقف في الماء إلى عنقة مدة سنة أو أكثر، فجاء جيرانه وأصحابه يسألون الشيخ رده إلى حاله الأول وعقله الدنيوي، فرسم بطلبـه، فلما حضـر حكى له قولهم، فقـال: بالله يا سيدي لا تفعل ولكن زدني كذا وكذا من أرطال الجنون؛ فزاده؛ وذهب إلى مكانه وبقي فيه حتى مات[1].

● الملاحظات:ـ

في واقع الأمر، إن ما يحصل للصوفي هو نفس ما يحصل للمجنون من خدر في مراكز الـوعي والضبـط في الـدمـاغ، مع فارق، أن ما يحصل للصوفي هو شيء شبه مرضي، لا مرضي، ولا يكون مرضيًّا مثل الجنون تماماً إلا عند الذين يستولي عليهم الجذب، والذين يقولون عنهم إنهم في مقام جمع الجمع.

وكثيراً ما سمعنا ممن يقول عن مجنون أو معتوه إنه سائح في حب الله. وهذا مما يفسر حالـة الضيـاع والجهل والهوان التي تتخبط فيها الأمة الإسلامية منذ القرون التي سيطرت فيها عليها الصوفية.

* كشف:ـ

(أحمد بن عبد الله البلخي)، قال بعضهم: رأيت الغوث أحمد بن عبد الله البلخي عند مكة سنة خمس عشرة وثلاثمائة على عجلة من ذهب والملائكة يجرون العجلة في الهواء بسلاسل من ذهب، فقلت: إلى أين تمضي؟ فقال: إلى أخ من إخواني اشتقت إليه[2]. . .

● الملاحظة:

ما أشبه هذه الرؤية بالرؤية التي رآها حشاش فطر المكسيك، والتي سنراها في فصل لاحق. وقد مر في صفحات سابقة كثير من أمثال هذه الرؤى التي تؤكد التشابه التام بين

---

(١) جامع الكرامات للنبهاني: ١ / ٥١٠. (٢) جامع الكرامات النبهاني: ١ / ٤٨٥.

جذبة الصوفية وكشوفها، وبين جذبة المهلسات (الحشيش والأفيون وأشباهها) وكشوفها.

* **أي الكشفين كذاب:ـ**

أورد مؤلف بهجة الأسرار في كتابه المذكور عدة روايات بأسانيدها، هذه إحداها:

... أخبرنا أبو محمد عبد السلام بن محمد ... قال: أخبرنا الشيخ الشريف أبو القاسم هبة الله بن عبد الله بن أحمد المعروف بابن المنصوري ببغداد سنة إحدى وثلاثين وستمائة قال: أخبر ني الشيخ العارف أبو محمد علي بن أبي بكر بن إدريس اليعقوبي بها سنة إحدى عشرة وستمائة قال: قال سيدي عبد القادر (أي الجيلاني) رضي الله عنه: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[1].

ويورد بعد صفحة أسماء الأولياء الذين حنوا رأسهم عندما قالها، يوردها بالأسانيد، ومن جملتها: ...

... (الشيخ سيدي أحمد بن الرفاعي) رضي الله عنه: أخبرنا أبو محمد سالم بن علي بن عبد الله بن سنان الصوفي.. أخبرنا.. أخبرنا.. قالوا: أخبرنا أبو الفرج عبد الرحيم وأبو الحسن علي ابنا أخي الشيخ القدوة أبي العباس أحمد الرفاعي ... قالا: كنا عند شيخنا الشيخ أحمد بن الرفاعي بزاويته بأم عبيدة فمد عنقه وقال: «على رقبتي»، فسألناه عن ذلك فقال: قد قال الشيخ عبد القادر الآن ببغداد «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[2]...

ثم يورد أسانيد أخر للرفاعي وغيره ممن حنوا رقابهم.

وفي كتاب بوارق الحقائق نرى القطب الغوث الفرد المتمكن العارف بالله ... بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي الشهير بالرواس ... الرفاعي الصيادي ... نراه يقول من قصيده يمدح فيها أحمد الرفاعي:

لم يجهل العزُّ من عالي تحجبه	عن قادة القوم إلا كل محجوب
على أرسلان والجيليّ قد ضربت	خيامه بعد عزّاز ومهيوب

---

(1) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١١.
(2) بهجة الأسرار ومعدن الأنوار، ص١٣.

وكـان سبـعـون فرداً تحت رايـتـه غير المـحـاذيـن من دان ومحـبـوب
العـرش والـفـرش والأكـوان تعـرفـه أنعم بسطـرٍ بلوح القـدس مكتـوب
تكـبكـبت همم الأقطـاب وانـجـمـعت به بتـمـكـين عزم غير مسـلوب[1]

إنه يجعل شيخه الأكبر، أحمد الرفاعي، فوق كل الأقطاب، ويجعل خيامه مضروبة على عبد القادر الجيلاني ومعه أرسلان الدمشقي وبقية الأقطاب والأغوات.

ويقول أبو الهدى الصيادي (المرشد الكامل):

. . . وأمـا الـواردات الثقيلة التي كانت ترد عليـه (أي على الجيـلاني) قدس سره وتأخذه من حال إلى حال، فينطق بكلمات تتجاوز حد الصحو، فإنها حالة بداية لا تضر بمقامه العالي، ولا تحجب نور إرشاده المتلالي، وهي كقوله حالة غيبته: «قدمي هذه على رقبة كل ولي لله»[2]. . .

وبعد صفحة، يقول: . . . فليس لنا إلا التأويل لهذه الألفاظ أدباً مع القوم، وباب التأويل واسع، فإنا نؤول . . . وأول من رواها ودوّن لها كتاباً صاحب البهجة (أي بهجة الأسـرار) الشيـخ علي الهمتداني . . . فإن صح الخـبر عن الشيـخ رضي الله عنه، فحالة شطح لا تفيد أمراً ولا غيره[3]. . .

ـ ولن أناقش هذه الأقوال، بل أتركها للقارىء، ليناقشها ويتأكد بنفسه أن كشوفهم كلهـا هذيـانـات، لأن رواة هذه الخـرافـات السمجـة كلهم أغـوات، وبـما أن كشفيهما متنـاقضـان، لذلـك، فإن كان أحـدهما صادقاً كان الآخـر كاذبـاً، والحق أنهـا كلها من تلبيسات الكشف.

* ملاحظة ثانية :ـ

يقول الوارث المحمدي الغوث محمد مهدي الصيادي الرفاعي:

. . . عبارات القوم لا تشير إلا إلى دولهم مع الله تعالى، ولا دخل لها بجيفة هذه

---

(1) بوارق الحقائق، ص٢٥.
(2) قلادة الجواهر، ص١١٣.
(3) قلادة الجواهر، ص١١٤، ومؤلف «بهجة الأسرار» هو علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي.

الدنيا، ويؤيد ذلك أن هذا الإمام ـ أعني السيد الرفاعي (أحمد) سلام الله ورضوانه عليه ـ مضى على إرث قلوب الخلق، وفي ذلك مملكة ربانية مصرحة بأن دوام القطبية الجامعة (أي الغوثية) في البيت الأحمدي محقق لا ينفصم عنهم ذلك بإذن الله تعالى.

ومثل هذا ما نصه الولي الصالح عبد الوهاب الشعراني في «منته»، وكثير من كتبه بروايته عن العارف السلماباذي وغيره كلهم يقول لسيدنا أحمد الرفاعي: «. . . والدولة لك ولذريتك إلى يوم القيامة».

ومثل هذا نقل العارف بالله صاحب «أم البراهين» في كتابه، وابن جلال اللاري الحنفي في «جلاء الصدا» وغير واحد[1].

● التعليق: هؤلاء الأغواث والعارفون يقررون أن الغوثية دائمة في ذرية أحمد الرفاعي.

وقد رأينا ابن قضيب البان يقرر أنه غوث زمانه، وهو ليس من سلالة أحمد الرفاعي.

ويقول ابن العماد الحنبلي عن أبي بكر بن عبد الله باعلوي: هو قطب زمانه كما شهد به العارفون بالله تعالى شرقاً وغرباً، ولم يمتر في ذلك ذو بصيرة من أهل الطريق[2]. وأبو بكر باعلوي هذا ليس من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

ويقررون أن عبد الله اليافعي كان غوث زمانه، ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر أحمد التجاني، ويقرر أصحابه معه، أنه غوث زمانه ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر علي اليشرطي، وقرروا معه، أنه غوث زمانه، ولم يكن من سلالة الرفاعي ولا من طريقته.

وقرر وقرروا أن محيي الدين بن عربي الشيخ الأكبر والكبريت الأحمر هو غوث

---

(١) فصل الخطاب، ص١٨٤ و ١٨٥.

(٢) شذرات الذهب، حوادث سنة ٩١٤هـ، وأبو بكر هذا من مدينة تريم في حضرموت، مات سنة ٩١٤هـ، ويقول ابن العماد: لعله هو مبتكر القهوة أو شخص آخر بنفس الاسم ومن نفس المدينة، مات سنة ٩٠٩هـ.

زمانه، ولم يكن رفاعيًا. . . إلى آخر القائمة.

فمن منهم الصادق؟ ومن الكاذب؟ أما الواقع فهو الكشف ورؤاه.

يورد الدكتور سيد حسين نصر لمن سماه «الشيخ العلوي»:

. . . وحده كان الله وليس معه أي شيء - وهو الآن كما كان، آخراً مثله أولاً. - من الأزل واحد هو، ليس معه أي شيء. - مستتر باطناً وبين ظاهراً. - لا أول له ولا نهاية لوجوده. - وكل ما تعلم منه إنما هو وجوده. - «وحدة مطلقة» بلا استدراك ولا استثناء. - كيف يمكن أن تحبس ذات الله في حجاب. - وليس ثم من حجاب سوى نوره الغامر[1].

هذا النص لتذكير القارىء ببعض العبارات الصوفية ومعناها الذي صرح به الشاعر.

يقول حافظ (شاعر إيراني):

إن صوت المولى الحكيم ما زال في أذني من قبل الأزل
ونحن باقون على مثل ما كنا، وكذلك سنبقى أبد الدهر[2]

الرجاء من القارىء أن يتسلى بتحليل هاذين النصين، وهما من العبارات الواضحة.

* قصة مرسلة:-

الشيخ (ج) من الواصلين الذي حظوا بزيارة الرسول لهم في اليقظة. حدَّث أمام جماعة خدعوه فوثق بهم، قال: زارني الرسول في اليقظة، وكان يلبس برنساً، فخلعه، وبقي عارياً تماماً، فنظرت إلى قُبُله فلم أر له شيئاً، ووجدت مكتوباً هناك كلمة «الله» - تعالى الله - ثم سجد الرسول، فنظرت إلى دبره وإذا بها أشد ضوءاً من الشمس.

- ولا تعليق، لكن تأكيد أن هذه «الكرامة» قد حدثت للشيخ فعلاً في اليقظة لا في المنام، ولم يكن فيها كاذباً، وقد حصلت له بالكشف، وقد ناقشه فيها جماعة، فأصر وأكد

(1) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٤٢.
(2) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٤٤.

أنها صحيحة وأنه يعتز بها. ومثل هذا يوضح لنا دور الكشف.

من قصيدة لنوربخش (مترجمة عن الفارسية):

منذ اليوم الذي استجليت فيه طلعة حبيبي
غدوت متميزاً من الخلائق أجمعين
وذلك أني صرت مبرأ من العقيدة والمذهب
والملة كليةً وأصبحت ولا دين لي[1]

ولا تعليق ولا غيره.

* أبو بكر الطرابلسي (نسبة إلى طرابلس الغرب):-

الطالب الأجل، الولي الصالح، المجذوب السايح. قال العلامة المؤرخ الشيخ محمد بن جعفر الكتاني الفاسي في كتابه «سلوة الأنفاس ومحادثة الأكياس فيمن أقبر من العلماء والصلحاء بفاس»: كان رحمه الله في أول أمره من الطلبة القاطنين بالمدرسة الصباحية ... حتى صار مجذوباً هائماً في الأسواق، ولا يشعر بحر ولا برد، ولا يبالي بوسخ ولا بغيره، ولا يكلم أحداً من الناس إلا قليلاً، ثم صار يحمل معه في ثوبه قلاليس القطران والزيت والسمن والشحم وأحجاراً وحدائد، ويحمل ذلك على عنقه يطوف به في الأسواق ... وهو من جملة الصلحاء الذين لقيهم العارف الأكبر مولاي العربي الدرقاوي وتبرك بهم، وقد أورده في رسائله قائلاً ما نصه: «كنت أعرف سيدي أبا بكر الطرابلسي ... وكان من المجاذيب الكبار، غائباً عن حسه دائماً، وقد شربت بوله يوماً لشدة تصديقي بولايته...

توفي بفاس سنة ١١٨٠هـ، وكانت له جنازة عظيمة حضرها الخاص والعام[2]. اهـ.

- الرجاء الانتباه إلى شرب بوله، وإلى موجبات الولاية عندهم، وإلى أن الخاص والعام حضر جنازته.

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٤٠. (٢) أعلام ليبيا، ص٣٤ و٣٥.

* معجزة لا تدرك إلا بالكشف :ـ

يقول القطب الرباني والغوث الصمداني سيدي عبد الوهاب الشعراني في ترجمته لأبي الحسن الشاذلي :

«كان كبير المقدار علي المنار . . . فوّق ابن تيمية سهمه إليه فرده عليه[1] . . . » اهـ .

ـ أقول : لمعرفة المعجزة المعجزة في هذا الخبر ، علينا أن نعرف أن أبا الحسن الشاذلي توفي سنة ٦٥٦هـ ، وأن ابن تيمية ولد سنة ٦٦١هـ ، أي بعد موت أبي الحسن بخمس سنوات .

* قصة يرويها شاهدها :ـ

«كُبّة كُبّة» معتوه يعرفه أهل حلب في العقدين الأخيرين من القرن الرابع عشر الهجري ، يدور في الشوارع مكشوف العورة ، يبول على ساقيه ، أكثر تواجده في حي «باب أنطاكية» ، يعتقد ولايته الكثيرون .

حدثنا شاهد قال : كنت مارًّا في شارع ، وإذا بكبة كبة جالس على الرصيف يستمني بيده أمام المارة من رجال ونساء ، فانتهرته وأردت طرده من المكان ، وإذا بعالم معروف يطل من نافذة بيته القريبة منا ، ويصيح عليَّ بلهجة تأنيبية شديدة وانفعال ، قائلاً : اتركه يا رجل ، العمى على قلة الفهم ! أنت تعرف ماذا يفعل ؟ هذه صواريخ يقذفها على إسرائيل ! الله أعلم كم يقتل منهم كل صاروخ ! ! . . (أو كما قال) .

* قاف :ـ

يقول أبو العباس المرسي (قطب الغوث) :

والله ما سار الأولياء والأبدال من قاف إلى قاف إلا حتى يلتقوا مع واحد مثلنا[2] .

● التعليق :

١ ـ أين هذا القاف؟

---

(١) طبقات الشعراني : ٢ / ٤ .

(٢) طبقات الشعراني : ٢ / ١٤ .

٢ ـ ما معنى قوله سبحانه : ﴿فلا تزكوا أنفسكم﴾ ، و﴿ألم تر إلى الذين يزكون أنفسهم . . . أنظر كيف يفترون على الله الكذب وكفى به إثماً مبيناً﴾؟

٣ ـ المرسي غوث يتصرف بالكون من العرش حتى الفرش ، وعارف بالله ، أفلم يسعفه كل هذا على معرفة أن جبل قاف لا وجود له وأنه محض خرافة كشفية؟

٤ ـ نفس السؤال يطرح على القطب الرباني والغوث الصمداني الذي أورد هذا الكلام؟

وعلى كل حال يجب أن نعرف أنهم كانوا يرون جبل قاف بالكشف ، فهم لا يكذبون ، لكن كشفهم هو الكذاب .

* من قبَّل قدمه دخل الجنة :ـ

مما يرويه عبد الله اليافعي في «نشر المحاسن الغالية» :

. . . ومن ذلك ما روي واشتهر واستفاض وتواتر في بلاد اليمن وما قرب منها أن الفقيه الإمام عالي المقام وصاحب الكرامات العظام الولي الكبير العارف بالله تعالى الشهير أبا الذبيح إسماعيل بن محمد الحضرمي رضي الله تعالى عنه قال : «من قبَّل قدمي دخل الجنة» ، ولم يزل يقبل قدمه كل من رآه من الأكابر والأصاغر من المشايخ والعلماء وغيرهم من كل باد وحاضر .

ومن ذلك ما اشتهر عن السيد الجليل إمام الطريقة ولسان الحقيقة العارف بالله تعالى أحمد بن الجعل اليمني رضي الله تعالى عنه أنه التزم الشفاعة لمن رآه ومن رأى من رآه[1] . . .

ـ والسؤال : هل يوجد ضلال يزيد عن هذا الضلال؟ مع العلم أن هاتين الفقرتين هما بعض من كثير .

ومما ينسبونه لرابعة العدوية :

«اللهم إني لا أعبدك طمعاً في جنتك ، ولا خوفاً من نارك ؛ وإنما أعبدك لأنك أهل للعبادة» .

---

(١) نشر المحاسن الغالية ، ص٢٩٨ .

أقـول: سمعنـا هذه الجملة مرات كثيـرة يطلقهـا الخطبـاء فوق المنـابر، أو يلقي بها «العلماء» في حلقات الوعظ، ولا يهمنا إن كانت صحيحة النسبة إلى رابعة أم لا؟ كما لا يهمنا إن كانت شخصية رابعة حقيقية أم لا؟

إن الذي يهمنا هو أن الصوفية يؤمنون بها، وقد انزلق إيمانهم هذا إلى غير الصوفية، وقد سمعناها كثيراً ممن يهاجمون التصوف! بله المتصوفة.

وهذه الجملة شطرها الأول كفر، وشطرها الثاني نقص؟

فعبارة: «اللهم إني لا أعبدك طمعاً في جنتك ولا خوفاً من نارك!»، تناقض ما أمر الله سبحـانـه به في عشـرات الآيات وكثير من الأحاديث أن تكون عبادة المسلم (أو الإنسان) طمعاً في الجنة وخوفاً من النار، مر بعضها في فصول سابقة. وهذا التناقض يجعل العبارة كفراً وزندقة.

وعبـارة: «إنـما أعبـدك لأنـك أهـل للعبـادة» هي عبارة ناقصة، لأنها لا تنفي أهلية العبادة عن ما عُبد من غير الله.

وهي صورة من الذين يقرؤ ون القرآن فلا يجاوز تراقيهم (وقد مر الحديث).

من «المنظومة على سفينة النجاة لسيدي أحمد زروق»:

ومـلكـت أرض الـغـرب طرًّا بأسـرهـا	وكـل بلاد الـشـرق في طي قبضـتي
فمـلكـنـيـهـا بعض من كان عارفـاً	وخـلفـني فيـهـا بأحـسـن سيرة
فارفـع قدراً ثم أخـفض منـصـبـاً	بأرفـع مقـدار وأرفـع همة
وأعـزل قومـاً ثم أولي سواهـم	وأعـلي مقـام البـعض فوق المنصـة
وأبـسـط أرواحـاً وأقـبض أنـفـسـاً	وأحيـي قلوبـاً بعـد موت القطيعـة
وأجـبر مكـسـوراً وأشـهـر خامـلاً	وأرفـع موضـوعـاً بأرفـع عمـق
وأقـهـر جبـاراً وأدحض ظالمـاً	وأنصـر مظلومـاً بسلطـان سطـوتي
فإن كنـت في كرب وضـيـق وشـدة	فنـاد أيـا زروق آتـي بسـرعـة
فكـم كربـة تجلى إذا ذكـر اسـمـنـا	وكـم كربـة تجلى بإفـراد صحبـتي[1]

---

(١) النفحة العلية في أوراد الشاذلية، ص٢٧.

ـ السؤال: ما هي الوثنية؟ وهل في الوثنيات أكثر من هذا؟ وما معنى ما نقرأه في كل ركعة من صلاة: ﴿إياك نعبد وإياك نستعين﴾؟ وما دام هؤلاء الأغواث يملكون هذه القدرة الإلهية فلم لا يغيثون هذه الأمة ويخلصونها من سرطانهم القاتل الذي أوصلها إلى ما هي عليه من ضياع وتشتت؟ وعلى كل حال يجب أن نعرف أنه يقول ما يراه في الكشف، فهو لا يكذب على الكشف، لكن الكشف هو الكذاب.

* يبيع الجنة :ـ

. . . وكان ابن أبي حاتم رضي الله عنه زاهداً ورعاً خاشعاً لا يكاد يرفع طرفه إلى السماء، وجاءه رجل وهو في الدرس فقال: إن سور طرسوس قد انهدم منه جانب واحتيج في عمارته إلى ألف دينار، فقال الشيخ للحاضرين: من يعمره وأنا أضمن له على الله قصراً في الجنة؟ فقام رجل أعجمي وجاء بألف دينار، وقال: اكتب لي ورقة بهذه الضمانة، فكتب له الشيخ، ثم إن العجمي مات، ودفنت معه الورقة، فحملها الريح حتى ألقاها في حجر الشيخ رضي الله عنه، فإذا مكتوب في ظهرها: قد وفينا ما ضمنته ولا تعد[1]. . .

ـ أقول: القصة مكذوبة، لكن المهم فيها هو أنهم يؤمنون بأن الأولياء يدخلون الجنة ويضمنون على الله وغير ذلك! مع سؤال: ما هو الفضل؟ أي فضل في عدم رفع طرفه إلى السماء؟ وملاحظة أن مثل هذا الورع والخشوع الذي جعلته الصوفية مثلاً أعلى في المجتمعات الإسلامية هو الذي أوصل هذه المجتمعات إلى الجهل والضياع والتخبط التي مرت بها.

* من مقام الورع :ـ

. . . وكان الشيخ عبد الرحمن الأنباري النحوي رضي الله عنه لا يوقد قط في بيته سراجاً لعدم صفاء ثمن ما يشتري به الزيت، وكان تحته حصير قصب وعليه ثوب خلق وعمامته من غليظ القطن، فيصلي فيها الجمعة، ما يفرق الناس بينه وبين الشحاتين في رثاثة الهيئة، وكان لا يخرج من بيته إلا لصلاة الجمعة[1]. . .

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٨٩.

ـ السؤال: هل هذا من هدي الإسلام؟ والباقي للقارىء.

*** ومن مقام الورع أيضاً ومعه مقام الزهد: ـ**

... كان الشيخ عبد الرحمن الداودي البوشنجي رضي الله عنه عالماً زاهداً لم يأكل اللحم منذ أربعين سنة من حين نهبت التركمان البهائم! وكان لا يأكل السمك فحكى له شخص أن بعض الجند أكل على شاطىء النهر الذي يصاد له منه ونفض سفرته في النهر تأكله السمك، فلم يأكل بعد ذلك منه سمكاً! وكان له أرض ورثها من آبائه يزرع فيها ما يقوته، وله فيها بقرة وبئر ماء، فمطرت يوماً، فأطلقت البقرة إلى أرض جاره ثم رجعت وفي حافرها وحل، فاختلط في أرضه، فترك تلك الأرض للناس وخرج منها ولم يزرع بعد ذلك فيها شيئاً إلى أن مات! وكان له فرن يخبز فيه في داره، فجاء فقراء يزورونه، وكان غائباً، فوجدوا باب فرنه قد انهدم منه جانب، فعجنوا طيناً وأصلحوه، فامتنع من الخبز فيه، وبنى له خلافه، لكون من ليس على قدمه في الورع بناه[1]. . .

ـ ويترك التعليق للقارىء، مع ملاحظة هامة هي أن هذا الورع، وهذا الزهد كانا من المثاليات التي تجتهد نخبة المجتمع على تطبيقها!! إلا من رحم ربك، ومن هنا تتوضح لنا الطريق التي سارت فيها الأمة حتى وصلت إلى الضياع الذي تخبطت فيه زمناً، وهي الآن تحاول التخلص منه، لكن شد الصوفية الشديد يمنعها من ذلك، مع بلاء شديد جديد، هو الشيوعية بأساليبها المبنية على قوانين علم النفس وعلم الاجتماع والدعاية والإشاعة والكذب، حتى تحول كثير من المسلمين الآن إلى آلات أوجرافات تفتح الطريق للشيوعية وهم يحسبون أنهم يجاهدون في سبيل الله ويعملون لإقامة دولة الإسلام!

وننهي هذا الفصل الذي لو بقينا مسترسلين معه لاحتجنا إلى ألوف الصفحات، ننهيه بكلمات لابن عطاء الله السكندري صاحب الحكم المشهورة التي يقارنونها بالقرآن الكريم، يقول:

... فما سوى الله عند أهل المعرفة لا يتصف بوجود ولا بفقد، إذ لا يوجد غيره

---

(١) الطبقات الكبرى: ٢ / ١٨٩.

معه، لثبوت أحديته؛ ولا فقد لغيره لأنه لا يفقد إلا ما وجد، ولو انتهك حجاب الوهم لوقع العيان على فقد الأعيان، ولأشرق نور الإيقان فغطى وجود الأكوان[1].

ويقول: . . . لأن من استرسل من إطلاق التوحيد، ورأى أن الملك لله وأن لا ملك لغيره معه، ولم يتقيد بظواهر الشريعة، فقد قُذف به في بحر الزندقة، وعاد حاله بالوبال عليه، ولكن الشأن أن يكون بالحقيقة مؤيداً، وبالشريعة مقيداً، وكذلك المحقِّق، فلا منطلقاً مع الحقيقة، ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة، وكان بين ذلك قواماً.

فالوقوف مع ظواهر الإسناد شرك، والانطلاق مع الحقيقة من غير تقييد بالشريعة تعطيل، ومقام أهل الهداية فيما بين ذلك[2]. . . اهـ.

- سؤال: هل مقام أهل الهداية هو الذي بين ذلك، أم مقام أهل الضلال البعيد؟!

● الملاحظات :-

- وحدة الوجود واضحة تماماً في النص الأول، ويجب أن نفهم العبارات التالية انطلاقاً منها.

- نفهم من العبارات: «إطلاق التوحيد»، و«رأى أن الملك لله»، و«أن لا ملك لغيره معه» استناداً إلى ما سبق أنها تشير إلى وحدة الوجود، وهي تذكرنا بعبارات كثيرة مرت في فصول سابقة، مشابهة لهذه، وتوضح لنا رموزها وإشاراتها، مثل: «الوحدة المطلقة» و«لا فاعل إلا الله» و«إن المنعم هو الله» و«هو المخوف والمرجو وعليه التوكل والاعتماد»، وغيرهما مما مر وكلها تشير إلى وحدة الوجود.

- قوله: «ولا واقفاً مع ظاهر إسناد الشريعة»، فما هو إسناد الشريعة؟ إنه القرآن والسنة، وطبعاً يمكنهم تأويل كلمة «إسناد» بأنها تعني «رواة الحديث»، رغم أن النص لا يحتمل مطلقاً هذا التأويل. فقوله: «ظاهر إسناد الشريعة»، تعني بوضوح: «ظاهر القرآن والسنة»، لأننا عندما نورد سند أي نص كان بقولنا: «رواه فلان عن فلان» فليس في هذا الإسناد ظاهر وباطن، وليس فيه إلا أسماء الرواة.

---

(1) التنوير في إسقاط التدبير، ص٣٠٦.

(2) التنوير في إسقاط التدبير، ص٢٨٤.

ـ ثم لنتنبه إلى قوله : «الوقوف مع ظواهر الإسناد شرك»، التي تعني : «الوقوف مع ظواهر القرآن والسنة شرك»، وهو مثل قول الصاوي الذي مر في مكان سابق : «إن ظاهر القرآن والسنة من أصول الكفر»، ويعني بقوله : «الوقوف مع ظواهر الإسناد شرك» أن ظاهر القرآن والسنة يقرر أن المخلوق غير الخالق، وبالتالي، هناك موجود آخر في هذا الوجود غير الله (طبعاً أوجده الله سبحانه من العدم، لا من ذاته) وهذا هو الشرك في عقيدة الصوفية لأنه يشرك مع الله وجوداً غيره.

ـ وفي النص ملاحظات أخرى، يستطيع القارىء أن يتسلى بتحليلها (مثلاً : قوله : قذف به في بحر الزندقة؟).

ـ أزيد : أردت أن أنهي هذا الفصل بكلمات ابن عطاء الله الآنفة، وأمامي في الكتب مئات الأمثلة من المضحكات المبكيات التي تستحق التسجيل ليطلع عليها المسلم الذي تهمه معرفة السبب الذي أوصل المجتمعات الإسلامية إلى ما وصلت إليه.

وهذه الأمثلة بالإضافة إلى كونها من المضحكات المبكيات هي أيضاً مسليات ومحزنات، وأراني مدفوعاً لتسجيل بعضها.

مما يورده ابن العماد الحنبلي في «شذارات الذهب» :

وفيها (أي سنة ٩٠٩هـ) أبو الخير الكليباتي (أي توفي)، قال النجم الغزي : الشيخ الصالح الولي المكاشف الغوث المجذوب، كان رجلاً قصيراً يعرج بإحدى رجليه، وله عصاً فيها حلق وخشاخيش، وكان لا يفارق الكلاب في أي مجلس كان فيه حتى في الجامع والحمام، وأنكر عليه شخص ذلك، فقال : رح وإلا جرسوك على ثور دائرَ مصر، فشهد ذلك النهار زوراً، فجرسوه على ثور دائرَ مصر، وأنكر عليه بعض القضاة ذلك، فقال : هم أولى بالجلوس في المسجد منك، فإنهم لا يأكلون حراماً ولا يشهدون زوراً ولا يستغيبون أحداً . . . وكان كل من جاءه في ملمة يقول له : اشترِ لهذا الكلب رطل شواء وهو يقضي حاجتك، فيفعل، فيذهب ذلك الكلب ويقضي تلك الحاجة، قال الشعراوي (أي الشعراني) : أخبرني سيدي علي الخواص أنهم لم يكونوا كلاباً حقيقية، وإنما كانوا جنًّا سخرهم الله تعالى له . . . وقال الحمصي بعد ترجمته بالقطب الغوث كان صالحاً مكاشفاً . . . وكان يصحو تارة ويغيب أخرى، وكان يسعى له الأمراء والأكابر فلا

يلتفت إليهم، وتوفي ثالث جمادى الآخرة وحمل جنازته القضاة والأمراء ودفن بالقرب من جامع الحاكم بالقاهرة وبني عليه عمارة وقبة.

- التعليق يترك للقارىء، وكذلك التساؤلات، وأنبه فقط إلى أنه حمل جنازته القضاة والأمراء، وبني عليه عمارة وقبة.

- كما أنبه أيضاً إلى أن القبة شعار وثني كانت تُبنى فوق الصنم المعبود على أنه إله في سمائه، وكانت القبة الكبرى تبنى من أجل الصنم الأكبر.

ويقول القطب الرباني والغوث الصمداني:

ومنهم الشيخ الصالح عبد القادر السبكي رحمه الله تعالى، أحد رجال الله تعالى، كان من أصحاب التصريف بقرى مصر رضي الله عنه، وكان رضي الله عنه كثير التلاوة للقرآن . . . وكان كثير الكشف لا يحجبه الجدران والمسافات البعيدة من اطلاعه على ما يفعله الإنسان في قعر بيته . . . وخطب مرة عروساً فرآها فأعجبته، فتعرى لها بحضرة أبيها، وقال: انظري أنت الأخرى حتى لا تقولي بعد ذلك بدنه خشن، أو فيه برص، أو غير ذلك، ثم مسك ذكره وقال: انظري هل يكفيك هذا؟ وإلا فربما تقولي هذا ذكره كبير لا أحتمله أو يكون صغيراً لا يكفيك، فتقلقي منه وتطلبي زوجاً أكبر آلة مني. وكان له بنت يحملها على ظهره أي موضع ذهب حتى كبرت وهو يحملها على كتفه وهو يقول: خوفاً من أولاد الزنا، وكان ربما ذهب ليغسل لها ثوبها في البركة، فيحفر لها الأرض ويردم التراب عليها حتى ينشف ثوبها[1] . . .

- وأترك التعليق لغير أهل الطريق.

*** يتركون العبادة مرضيين:-**

يقول مجدد الألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي:

. . . فما تكون نسبة الآخرين لهؤلاء الأكابر؟ وربما تصدر العبادة عن الآخرين وتكون غير مرضية، وهؤلاء الأكابر يتركون العبادة في بعض الأحيان ويكون ذلك الترك

---

(١) طبقات الشعراني: ٢ / ١٨٤.

مرضيًّا. فكان تركهم أفضل عند الحق جل وعلا من فعل غيرهم، والعوام حاكمون بخلاف ذلك يعتقدون ذلك عابداً وهذا مكّاراً أو معطلاً[1]...

ـ أقول: من مثل هذا يتبين لنا دور الكشف في تزوير عقول الأمة، لأن هذا القطب المجدد عرف هذا الحكم عن الله الذي هو هو، أثناء إحدى فناءاته، وهو طبعاً، يعتقد أن هذا هو حق لا ريب فيه.

ومما يورده القطب الرباني والغوث الصمداني:

... وكذلك وقع للإمام اليافعي التميمي رضي الله عنه، فحكى في كتابه «المنهاج» أنه مكث خمس عشرة سنة في نزاع، فخاطرٌ يدعوه إلى الاشتغال بالعلم على طريق العلماء، وخاطر يدعوه إلى الاشتغال بما عليه الصوفية، قال: وكان الفقهاء يأمرونني بموافقتهم ويقولون: طريقنا يتضمن طريق غيرنا وطريق غيرنا لا يتضمن طريقنا، فقلت في نفسي بتوجه تام: اللهم بين لي أي الطريقين أقرب إليك، فبينما أنا أمشي في شارع من شوارع زبيد، إذ لقيني شخص من أرباب الأحوال وقال: إلى متى تشك في طريق القوم؟ اسلك منها فإنها أقرب الطرق إلى الله تعالى. قال: فقلت له: أريد البيان. فقال: نعم. فدخل زاويته وقال: أرسلوا لنا خلف العالم الفلاني، ممن لا يرى الشيخُ إذ ذاك رد السلام عليه إذا سلم، فخرج النقيب إليه، فقال الشيخ للجماعة: لا أحد يرد عليه السلام إذا جاء ولا يقوم له ولا يفسح له، فقالوا: سمعاً وطاعة. فلما حضر قال: السلام عليكم. فلم يرد أحد عليه السلام، فقال: حرام عليكم. فجلس فلم يفسحوا له، فقال: خالفتم السنة، فقال الشيخ: الفقراء في أنفسهم منك شيء، فقال: وأنا في نفسي منهم أشياء، وأشار بأصابع كفه كلها. فقال الشيخ: انظر يا يافعي ما أثمره علم هذا. ثم قال للنقيب: أرسل وراء الفقير الفلاني، وأمرهم أن لا يردوا عليه السلام ولا يقوموا له ولا يفسحوا له، ففعلوا ذلك، فصار يبتسم ويقول: أستغفر الله تعالى، ثم وقف عند النعال، وأخذ النعال على رأسه وبكى، فلم يلتفت أحد إليه، فقال له الشيخ: الفقراء في نفوسهم منك شيء، فقال: أنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً

---

(1) المنتخبات من المكتوبات، ص١٥٢.

رسول الله . فقال الشيخ لليافعي : انظر ما أثمره صحبة الفقراء[1] . . .

ـ الملاحظات كثيرة، منها: «العالم الفلاني»، لم يتصرف إلا حسب توجيهات الإسلام، حيث لم يزد أن أمر بمعروف أو نهى عن منكر.

ونلاحظ أن الفقراء احتقروا هذا السلوك الإسلامي، واستحسنوا سلوك الفقير المزري، واللاإسلامي، وهكذا يتوضح لنا سبب انحطاط المسلمين، فالصوفية هي التي قادتهم إلى ما هم عليه.

ـ وأخيراً، وبعد قراءة هذا الفصل بهدوء، أظن أن القارىء الكريم توضحت لديه الرؤ ية، وأصبح على معرفة تامة بسبب انحطاط المسلمين. وفي فصل آت سوف نرى ما هو أكبر.

وفي هذا العصر أضيف إلى الصوفية التي سلبت من المسلمين سلامة التفكير، وأصبحوا لا يفكرون ولا يناقشون الأمور إلا بفهم سحري وإسقاط سحري لما يتوهمونه، على ما يتوهمونه، أضيف إليها بلاء جديد، هو الماركسية، التي وصلت إلى القمة في فن الجاسوسية، لأن العبادة عند اليهود هي الجاسوسية منذ ١٩٠٠ سنة، واليهودية هي الماركسية، أو بتعبير آخر، الماركسية هي التطبيق العملي لأسطورة الشعب المختار.

وقد استطاعت الماركسية أن تجعل من المسلمين أبواقاً للدعايات التي تخدم الماركسية، وتجعل كثيراً منهم أحجاراً في مقاليعها، أو قنابل في يدها ترمي بهم أعداءها وكل من يقف سدًّا في سبيلها، وكان أكبر مساعد لها على النجاح في هذا الميدان هو الأسلوب الصوفي في التفكير، الذي وصل إليه المسلمون، فالصوفية حرثت، والماركسية تزرع وتحصد، والماركسية هي هي اليهودية.

وهذا ورد من أوراد الطريقة الشبكية التي هي فرع من البكطاشية:

إن حقيقة كل الوجود عليٌّ جل جلاله، ملك العالي والداني عليٌّ جل جلاله، إذا تحررت من الكائنات أولها وآخرها فلن يبقى سوى عليٌّ جل جلاله، إن حارس جماعة

---

(١) الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية: ٢ / ٣٦ و ٣٧.

الواهين في حالتي الصحو والسكر عليٌّ جل جلاله، إن كنت تعبد الله فلا تدعوني مشركاً، فالله الذي تعبده عليٌّ جل جلاله، لا تكسر القلوب المنكسرة فإذا كسرتها فاعلم أن في القلب الذي كسرته عليٌّ جل جلاله، اعتصم بحبل علي واصعد إلى الذروة فسترى عليًّا جل جلاله بعد أن تحرر من القيود[1]...

● الملاحظة:

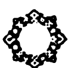
تتضح الروح الصوفية في هذا النص من العبارات «تحررتَ من الكائنات أولها وآخرها، جماعة الواهين، حالتي الصحو والسكر، اصعد إلى الذروة، تحرر من القيود».

وفي الختام...

هذه هي الكشوف الصوفية والعلوم اللدنية والكرامات، كلها جهل وضلال ووأد للعقل الذي كرم الله به بني آدم، ولو كانت إلهية لتنزهت عن الغلط (مجرد الغلط)، ولو كانت الصوفية سيراً إلى الله وعروجاً إليه، كما يدَّعون، لما كان كل هذا التخبط والضياع عن مبادىء الإسلام، وعن أبسط مقومات الوجود الإنساني.

وقد فطن بعض متأخريهم إلى هذا الخبط والخلط، فاعتذروا عنه بقولهم: «قد يخطىء الكشف»، وهو عذر أقبح من الكشف، والصحيح هو أن نقول: «قد يصدق الكذوب، وقد يحسن الشرير، وقد يصيب الكشف».

ولعل أهم ما يجب أن نلاحظه في كشوفهم أنها لا تزيد شيئاً عن معلومات المكاشف وأمانيه المسبقة إلا ما يقتضيه التصوير والتنسيق الموجَّهين بثقافته أيضاً، وطبعاً يستقي المكاشف معلوماته وأمانيه من الوسط الاجتماعي والوسط الصوفي الذي يتقلب فيهما، ولذلك لا نرى فيها أي شيء يزيد عن ثقافة مجتمعه، إلا بعض التخيلات التافهة.



---

(١) الشبك، ص٨٠.



القسم الثاني:

المناقشات

بدأ القسم الأول من الكتـاب بدراسـة ما يسمـونـه «الحقيقـة» ثم جاءت دراسـة «الطريقة» بعد ذلك.

أمـا في المناقشـة، فسيكـون البـدء أولاً بمناقشة الطريقة، ثم تأتي مناقشة حقيقتهم بعدها، ثم يأتي الباقي.

لكن قبل الشروع في المناقشة، لا بد من كلمة موجزة عن البدعة.

□ تقديم وجيز في البدعة:

القــول في البــدعــة مكــرور، ردده العلماء مئات المرات، ولا زالوا يرددونه، نورد هنا اقتباساً موجزاً مما قالوه ورددوه:

ما هي البدعة؟

يقول ﷺ في حديث: «... فإنه من يعش بعدي فسيرى اختلافاً كثيراً، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين، عضوا عليها بالنواجد، وإياكم والمحدثات، فإن كل محدثة بدعة». أخرجه أبو داود وابن ماجة والترمذي، وقال عنه: «حسن صحيح».

- كلمـة «الخلفـاء» هنا تعني كل أصحاب رسول الله ﷺ، وتابعيهم الذي خلفوه في السير على هديه والدعوة إلى الله حسب تعاليمه.

- في هذا الحـديث، بعـد أن يأمـرنـا ﷺ بالالتـزام بسنته وسنة أصحابه، يحذرنا من المحدثات التي تحدث بعدهم. وهذه المحدثات هي الاختلاف كما يفهم من الحديث.

لكن، هل كل أمر يحدث بعد الرسول وبعد أصحابه، كائناً ما كان هذا الأمر، هو بدعة؟

نعرف الجواب من قوله ﷺ في حديث: «. . . إنما أنا بشر، إذا أمرتكم بشيء من أمر دينكم فخذوه، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر»، رواه الشاطبي نقلاً عن مسلم.

ومن قوله في حديث تأبير النخل: «. . . أنتم أعلم بأمور دنياكم».

من هاذين الحديثين، نعرف أن البدعة هي كل محدثة في الاعتقادات والعبادات، أما الأمور الدنيوية، فقد تركت لنا الحرية فيها، (إلا ما ورد فيه نص).

ومن القواعد التي استنبطها الأصوليون قولهم: كل العبادات باطلة إلا ما ورد به نص، وكل العادات مباحة إلا ما ورد به نص.

وإذ عرفنا ما هي البدعة، فما هو حكمها في الإسلام؟

يقول ﷺ فيما يرويه الشاطبي في «الاعتصام»: «حلت شفاعتي لأمتي إلا صاحب بدعة».

ويقول: «إن الله حجر التوبة عن كل صاحب بدعة».

ويقول: «من أحدث حدثاً أو آوى محدثاً فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

ويقول: «من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد».

ويقول ﷺ: «ستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلهم في النار إلا ملة واحدة، قالوا: من هي يا رسول الله؟ قال: ما أنا عليه اليوم وأصحابي». رواه أحمد وأبو داود وغيرهما.

ويقول في حديث: «. . . وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة. وفي رواية: وكل ضلالة في النار». رواه أبو داود والنسائي وغيرهما.

وعليه، فلا يجوز مطلقاً تبني أية عقيدة، كائنة ما كانت، ولا القيام بأية عبادة، كائنة ما كانت، إلا إذا كان فيها نص بالعمل بها من قرآن أو سنة، وإلا فهي باطلة داخل صاحبها في لعنة الله ووعيده. هذا هو حكم البدعة في الإسلام.

أما في الأمور الدنيوية، فيجوز للمسلم أن يقوم بأي أمر منها، سواء كان محدثاً أو غير

محدث، إلا إن كان فيه نهي أو كان فيه ضرر بالدين أو ضرر بالناس.

لكن المتصوفة، كشأنهم في كل أمور الدين، رأوا هذه النصوص وغيرها، وعميت بصائرهم عنها، ﴿إنها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التي في الصدور﴾، فأولوها التأويلات المنكرة التي تدل على رفضها والكفر بها، وجعلوا بدعهم حلالاً، قياساً على الأمور الدنيوية، رغم كل النصوص، ونسوا أنه «لا اجتهاد في مورد النص». وقياسهم الفاسد المنكر هذا يدل على أنهم لم يكتفوا بخروجهم على النصوص، وبالإحداث في دين الله، بل أضافوا إليهما المكر والكيد لهذا الدين بالمغالطات والمراوغات، كما أضافوا إليها عدم الحياء من الله ومن الناس، حين يظهر أحدهم، في دفاعه عن بدعهم، بمظهر الجاهل الغبي المعاند.

خلاصة الكلام:

حيثما وردت كلمة «بدعة» فالمراد بها هو الإحداث في الاعتقادات والعبادات، لا في العادات والأمور الدنيوية، إلا عند المتصوفة، فإنها لا تعني عندهم إلا المغالطة «والمناورة»، للتظاهر بأنهم يسيرون على هدي الإسلام.

وهم عندما يغالطون ويراوغون، يعتقدون أن عملهم هذا من التقية، التي هي الحكمة التي أرادها الله من الشرائع لستر «حقيقتهم»، فسبحان الله عما يصفون.

● **ملاحظة هامة:**

هناك حجة واهية يتذرع بها المتصوفة لتأييد باطلهم؟ هي قولهم بـ «البدعة الحسنة»، ويحتجون بقوله ﷺ: «من سن سنة حسنة فله أجرها . . .»، وقول عمر بن الخطاب في الجماعة لصلاة التراويح: «نعمت هي البدعة».

وحجتهم واهية وداحضة:

١ ـ قوله ﷺ: «من سنة سنة حسنة. . .»، قد أشبعه العلماء بحثاً، وإنما أذكر الملخص:

من القواعد المعروفة في علم الأصول، وفي مصطلح الحديث، أنه إذا وجد نصان، وظهر للوهلة الأولى أنهما متناقضان، فيجب أن نفتش في أحدهما، أو في كليهما، عن المعنى الصحيح الذي يزول معه التناقض، لأن الوحي لا تناقض فيه: ﴿ولو كان من

عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً﴾ .

وعليه، فالذي يقول: إن معنى «السنة الحسنة» هو البدعة الحسنة، يكون قد أوجد في النصوص تناقضاً غير موجود في الأصل، ويكون قد خاض في الباطل خوضاً، لأن هذا المعنى المتوهم: «البدعة الحسنة»، مناقض لقوله: «كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة»، وغيرها مما مر.

أما المعنى الصحيح لـ «السنة الحسنة»، فهو: إماتة بدعة انتشرت، أو إحياء سنة اندثرت، أو افتتاح عمل خيري مشروع، أو إبداع في أمر من أمور الدنيا ينفع الناس في دينهم أو في دنياهم (دون ضرر بالدين).

هذه هي السنة الحسنة، وسبب قوله ﷺ للحديث هو من الأدلة على ذلك، فقد قاله يحض الناس على تقديم صدقات.

٢ ـ قول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «نعمت هي البدعة».

والجواب:

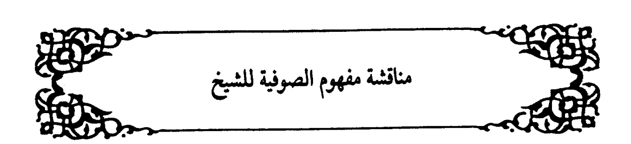
أ ـ الجماعة لصلاة التراويح ليست بدعة، بل هي سنة فعلها رسول الله ﷺ ثم تركها لئلا تؤخذ فرضاً، حتى إذا انقضى زمن التشريع، وزال سبب تركها، لم يبق بأس من العودة إليها.

ب ـ غلط الرجل الذي قال عنها: «هذه بدعة»، فأراد عمر رضي الله عنه أن يفهمه أنها ليست كذلك، وفي اللغة صيغ كثيرة مستعملة تصلح لهذا الهدف، منها هذه العبارة التي جاءت على لسان عمر: «نعمت هي البدعة»، فهو يريد أن يقول له: إنها ليست بدعةً، ولو كانت البدعة مثلها، فنعمت هي البدعة.

وضرب المثل قد يفيد: كثيراً ما نسمع مثل قول من يقول: فلان ضرب فلاناً بنصف كيلو كنافة مثلاً، فلو أجابه أحدهم ب «نعمت هي الضربة»، فماذا يفهم منها كل من يسمعها؟ إنه يفهم منها أنها ليست ضربة، ولو كانت كل ضربة هكذا، فنعمت هي الضربة . . . وهكذا . . . وهكذا يكون القول بالبدعة الحسنة هو بدعة ضلالة.

الباب الأول: مناقشة الطريقة





مناقشة مفهوم الصوفية للشيخ

عرفنا أن الطرق الصوفية كالقادرية والرفاعية والشاذلية والنقشبندية وغيرها، ما هي إلا مشيخات، ما هي إلا اتباع للشيوخ، فمناقشتها هي مناقشة عقيدة «الشيخ» عندهم.

كما عرفنا أن الطريقة الوحيدة الأهمية التاريخية والحالية والمستقبلية هي طريقة «الإشراق».

وأهم ما في الطريقة الشيخ

وصحبة شيخ وهي أصل طريقهم   فما نبتت أرض بغير فلاحة

كما عرفنا من النصوص السابقة، وهي جرعة من سيل، أنهم يتخذون الشيوخ آلهة يعتقدون أنهم ينفعون ويضرون، وأن بيدهم النجاة.

ومن أقوالهم في ذلك: الدين إطاعة رجل.

كما رأينا من أقوال عارفيهم وأقطابهم وعلمائهم البراهين الكافية الوافية على أنهم يتخذون الشيخ إلهاً من دون الله، أو شريكاً معه يسبغون عليه كل صفات الألوهية.

ومن أقوالهم التي مرت قول قائلهم «الغوث»: لو كشف عن نور الولي لعبد من دون الله.

ولا بأس على القارىء الكريم من الرجوع إلى تلك الفصول مرة أخرى، ليبعث أقوالهم حية في ذاكرته، ثم يعود لمتابعة المناقشة.

وطبعاً، ستكون المناقشة بعرض أقوالهم وأفعالهم وعقائدهم على القرآن والسنة قبل كل شيء.

١ - يقول سبحانه في كتابه العزيز: ﴿فإنْ تَنازَعْتُم في شيء فردُّوه إلى الله والرَّسول إنْ كُنْتُمْ تؤْمِنونَ بالله واليوم الآخر﴾.

واضح من الآية الكريمة كل الوضوح، وبدون لبس أو إشكال أو غموض، أن من يردُّ ما يُتنازع فيه إلى غير الله ورسوله، فهو لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر.

وردُّ الشيء إلى الله والرسول، يعني عرضه على الكتاب والسنة، فالقرآن كلام الله، والسنة كلام رسوله الموحى معناه من الله سبحانه.

والصوفية يردون كل شيء إلى شيوخهم، ويطلبون من الآخرين أن يردوه إليهم، ويكفي إيراد قولٍ واحدٍ لأحد أقطابهم:

«. . . وإن قال (قائل) للمريد: إن كلام شيخه معارض لكلام العلماء أو دليلهم، فعليه الرجوع إلى كلام شيخه . . . وإذا خرج المريد عن حكم شيخه وقدح فيه، فلا يجوز لأحد تصديقه لأنه في حال تهمة لارتداده عن طريق شيخه».

- السؤال: أيها المسلم المؤمن، ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا ومثله؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

إن الآية الكريمة تضع الجواب الكريم: ﴿. . . فردُّوهُ إلى الله والرَّسول إنْ كُنْتُم تُؤْمِنونَ بالله واليوم الآخر﴾، التي يُستنبَط منها: إن كنتم لا تؤمنون بالله واليوم الآخر، فردوه إلى الشيخ أو إلى من تريدون.

٢ - ويقول سبحانه: ﴿أمْ لهمْ شُرَكاءُ شَرَعوا لَهُم مِن الدينِ ما لَم يَأْذَنْ بِهِ الله ولولا كلمةُ الفصلِ لقضيَ بينَهم وإنَّ الظالمينَ لهمْ عذابٌ أليمٌ﴾.

فكل شرع في الدين، كائناً ما كان، لم يأذن به الله فهو شرك.

والشيوخ في الصوفية يشرعون في دينهم كل ما لم يأذن به الله ، ونكتفي بإيراد قول قطبهم المدّرك :

من يذكر الله تعالى بلا شيخ ، لا الله حصل ولا نبيه ولا شيخه .

فمن أين أتى بهذا التشريع؟ وما هو حكم من يأخذ بهذا التشريع الوثني؟

ونعود للسؤال؟ ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا ومثله؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

والآية الكريمة تقرر الجواب : ﴿وإنَّ الظالمينَ لهم عذابٌ أليمٌ﴾ .

٣ ـ يقول سبحانه في وصف أهل الكتاب : ﴿اتَّخَذوا أحْبارَهم ورُهْبانَهم أرْباباً مِن دونِ الله والمسيحَ بنَ مريمَ وما أُمِروا إلا ليَعْبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هوَ سبحانَه عمَّا يُشْركونَ﴾ .

يورد ابن كثير : سمع عدي بن حاتم الطائي (وكان نصرانيًا فأسلم) هذه الآية من رسول الله ﷺ ، فقال له : «إنهم لم يعبدوهم» ، فقال ﷺ ما معناه : بلى ، إنهم حرموا عليهم الحلال وأحلوا لهم الحرام ، فاتبعوهم ، فذلك عبادتهم إياهم .

وقد فعل الصوفية ذلك واتخذوا شيوخهم أرباباً من دون الله . ونكتفي بقولٍ لحجتهم الغزالي :

. . . فالعلم بحدود هذه الأمور (أي المجاهدات والمقامات) . . . هو علم الآخرة ، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة . . .

وهو كلام واضح صريح ، لا يُحتاج معه إلى غيره ، لأنه كلام من يسمونه «حجة الإسلام» ، مع أن غيره يملأ الكتب ، على أنهم يحلون ويحرمون ويفرضون الفروض ويسنون السنن .

والسؤال : قل لنا أيها المسلم المؤمن ، ما هو حكم الشريعة الإسلامية فيمن يقول مثل هذا؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

وفي الآية الكريم الجواب : ﴿سبحانَ الله عمَّا يُشْركونَ﴾ .

٤ ـ ويقول سبحانه : ﴿ومِن الناسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دونِ الله أنْداداً يُحِبُّونَهم كحُبِّ

الله . . . ﴾ .

وقد اتخذ المتصوفة من شيوخهم أنداداً يحبونهم كحب الله ، بل أشد حبًّا ، حتى كأن الآية أنزلت فيهم خاصة ، وهذا قول مر معنا لأحد أقطابهم العظام :

«حقيقة حب الشيخ أن يحب الأشياء من أجله ويكرهها من أجله ، كما هو الشأن في محبة ربنا عز وجل» .

وقول الآخر: الطريق ذكر الله ومحبة الشيخ .

والسؤال ؛ ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يقول هذا؟ أو يفعله؟ أو يعتقده؟

إن الآية الكريمة تعطينا الجواب الكريم : ﴿ولَوْيَرى الذينَ ظَلَموا إذْ يَرَوْنَ العذابَ أنَّ القُوَّةَ لله جَميعاً وأنَّ الله شديدُ العذابِ﴾ .

٥ ـ قال ربعي بن عامر لكسرى : «بعث الله إلينا رسولاً ليخرجنا من عبادة الناس إلى عبادة رب الناس» .

وجاءت الصوفية لتعكس الآية وتعيد الشرك إلى مساره ، فتخرج الناس من عبادة رب الناس إلى عبادة المشايخ وعبادة قبور المشايخ!

والسؤال : ما هو حكم الشريعة الإسلامية على هؤلاء؟ بل ما هو حكم الشريعة الإسلامية على من يتوقف في الحكم عليهم؟

٦ ـ سيقول لك المتصوفة وشيوخهم وكثير من الغافلين والمغفلين : «معاذ الله ، الصوفية لا يعبدون الشيوخ ، لا يعبدون إلا الله . . .» وقد يقدمون بعض الأمثلة الموهمة والمتداولة بينهم .

فنجيب : لا ، بل يعبدون الشيوخ ، وهذه أقوالهم وأقوال عارفيهم وأقطابهم الذين يتبركون بالركوع أمام قبورهم ولثم حجارتها والاستغاثة بها فيها من رمم ، وأمثلهم طريقة ذلك الذي يعتقد أنهم يقربونه إلى الله زلفى وحسن مآب ، وهذه أفعالهم كلها شاهدة عليهم بوضوح كوضوح الشمس في رائعة نهار مشمس ، على أنهم يؤلهون الشيوخ ويعبدونهم . ولو جمعت أقوال عارفيهم في تأليه الشيوخ لملأت ألوف الصفحات .

وإنكـارهم هذا، يسمى في الشـريعة الإسلامية وفي اللغة العربية وفي جميع ما تعارف عليه البشر من أخلاق «الفجور».

ـ وسيقـول بعضهم، متحـرفـاً لقتـال (وفي لغـة العصـر مناورة): هذا واقع كثير من المتصـوفـة، وهـو من الـدخن والانحراف الذي أصاب التصوف كما أصاب غيره من أمور الشريعة. والتصوف الحق بريء من ذلك.

فنقول: «شنشنة نعرفها من أخزم». إن واقع المتصوفة منذ أن وجدت الصوفية وفي كل الأمم، لا في المسلمين وحـدهم، هوتأليـه الشيخ وعبادته، وهي الطريق التي توصل المريد أو السالك إلى استشعار الألوهية، أما من يصل إلى الجذبة دون شيخ فيسمونه هم: «المـراد»، ويعنـون بها أن الله أراده فجذبه إليه. وهذا افتراء على الله الكذب، لأن القـرآن ينفي على لسـان المسيـح صلوات الله عليـه أن يعرف أحد ما يريده الله: ﴿ . . . إنْ كُنْتُ قُلْتُـهُ فقـدْ عَلِمْتَـهُ تعلمُ ما في نفسي ولا أعلمُ ما في نفسِكَ﴾، ونقول لهم: هذه صورة من مراوغاتكم (للالتفاف حول الهدف)، أتقتنموها أنتم وأشياخكم تظهـرونهـا وتخفـونهـا حسب الظـروف المحيطـة، وهي من أسـاليب التقية الواجبة في عقيدتكم الصوفية كما قال الغزالي:

وإن كان قد صح الخـلاف فواجـب ... على كل ذي عقـل لزوم الـتـقـيـة

٧ ـ وقد يأتي من لا يستحيي من أن يقول: إن كلام العارفين هذا له تأويل!!

فنقـول له: لقـد انتهينـا من خرافـة التأويـل، وأحبـولـة التأويل، ومغالطة التأويل، وخدعة التأويل، ﴿يُخادِعونَ الله والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلا أنْفُسَهُم وما يَشْعُرونَ . في قلوبِهِم مرضٌ فزادَهُمُ الله مَرَضـاً ولهُم عذابٌ أليمٌ بما كانـوا يَكْـذِبـونَ﴾. لأنهم إذ يقولون هذا له تأويل، فهم يخادعون ويكذبون ويدجِّلون ويمكرون لجر المسلمين إلى زندقاتهم.

٨ ـ يدَّعون حب الله، وما أكثر أقوالهم في ذلك وفي العشق الإلهي. ومن المقامات التي يدعيها بعضهم في السلوك إلى الجذبة ما يسمونه «المحبة والشوق» إلى الله.

والله سبحـانـه وتعـالى يقول آمراً رسوله أن يعلمنا: ﴿قلْ إنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ الله فاتَّبِعوني يُحْبِبْكُمُ الله﴾. فالله سبحانه يأمرنا إن كنا نحبه، أن نتبع رسوله، وهذا يعني أن اتباع

الرسول ﷺ هو الدليل على حب الله، وعدم اتباعه دليل على عدم حب الله، وهؤلاء القوم يتبعون المشايخ الذين يأمرونهم بتأليه الرسول لا باتباعه. فهل هم بعد ذلك صادقون بادعائهم حب الله؟

الجواب: هو ما تقرره الآية الكريمة، بأنهم لا يحبون الله، وهذا هو واقعهم، فهم يحبون الجذبة واللذة التي يجدونها أثناء الجذبة والتي تستغرق كل خلية في كيانهم، وهي لذة تحشيشية جنسية يتوهمون أنها إلهية، ثم بعد أن يقعوا في الجذبة عدداً كافياً من المرات، يصابون بمرض الإدمان، مثل الإدمان الذي يصيب متعاطي الأفيون تماماً، حتى إذا ما امتنعت عليهم الجذبة في بعض الأحيان لسبب ما، أصيبوا بنفس الأعراض التي تصيب مدمن الأفيون عندما ينقطع عنه، من وله قاتل وصداع وما يشبه الجنون. وهذا هو ما يسمونه «العشق الإلهي» الذي يظهر في بولهم.

النتيجة: الذين يتبعون المشايخ لا يحبون الله، إذ لو كانوا يحبونه لاتبعوا رسوله.

ويقول سبحانه: ﴿اتَّبِعوا ما أُنْزِلَ إليكُم مِن ربِّكم ولا تتَّبِعوا مِن دونِهِ أولياءَ﴾، هذا أمر من الله، يكفر من يخالفه.

وهؤلاء القوم يتبعون من دونه المشايخ، يأمرونهم بكل ما لم ينزل به الله سلطاناً فيأتمرون به! يأمرونهم بالركوع للشيخ فيركعون! يأمرونهم بالرابطة التي يسمونها «شريفة» فيطيعون! يأمرونهم بالرقص فيرقصون! يأمرونهم بأوهام كشوفهم في العقائد والعبادات فيأتمرون! فهل يكونون بعد ذلك من أهل القرآن؟!

إن أهل القرآن هم الذي يعملون بأوامره وينتهون عن نواهيه.

٩ - يقول سبحانه: ﴿ثُمَّ جَعَلْناكَ على شريعةٍ من الأمرِ فاتَّبِعْها﴾. فهل يتبعها هؤلاء القوم؟ طبعاً لا، لأنهم عندما يتبعون مشايخهم فقد خرجوا من اتباع الشريعة. وقد مر معنا قول أقطابهم للخادم: «كل ولك أجر صوم شهر، وكل ولك أجر صوم سنة»، وموافقة عالمهم القطب القشيري على ذلك.

فهل هذا هو اتباع للشريعة الإسلامية؟ طبعاً لا!

١٠ - رأينا قول أبي مدين المغربي في الشيخ:

ففي رضــاه رضـــا البـــاري وطــاعتــه   يرضى عليـك فكن من تركهـا حذراً

وقول عبد القادر الجيلاني: إذا لم تفلح على يدي لا فلاح لك قط.

وقوله: والتحبب إلى الشيوخ من الأولياء والأبدال إذ ذاك سبب لدخوله في زمرة الأحباب.

وغيرها وغيرها من الأقوال التي تملأ ألوف الصفحات. فما هو حكم الإسلام في ذلك؟

يقول سبحانه: ﴿فاعبدِ الله مُخْلِصاً لهُ الدينَ ألا لهُ الدينُ الخالِصُ والذين اتَّخذوا مِن دونـهِ أوليـاءَ ما نَعْبُـدُهُم إلا لِيُقَـرِّبـونـا إلى الله زُلْفى إنَّ الله يَحْكُمُ بينَهم فيما همْ فيهِ يَخْتَلِفونَ . إنَّ الله لا يَهْدي مَن هو كاذِبٌ كفَّارٌ﴾.

إن المتصوفة هم أول من تنطبق عليهم أحكام هذه الآية باتخاذهم أولياء من دون الله ليقربوهم إلى الله زلفى...

ـ والسؤال: لم إذن يقدسون الشيخ هذا التقديس؟ وما هي فائدته؟

ـ إن للخضوع الكامل للشيخ ولعبادته وتقديسه فائدتين عظيمتين:

أ ـ خرق العادة: فمن القواعد المقررة أن الشياطين لا تقدم خدماتها للساحر ألا بعد أن يكفر: ﴿وما يُعلِّمانِ مِن أحدٍ حتَّى يقولا لهُ إنَّما نحنُ فتنةٌ فلا تَكْفُرْ﴾، والسحر هو الكهـانـة، وهي الصـوفيـة؛ فكلما ازداد المـريـد غلوًّا في إشـراكـه الشيخ بالله، كلما ازدادت أمـامـه الخـوارق الشيطـانيـة، التي يسمونها «كرامات»، ويعزونها إلى المدد المفاض عليهم من الشيخ!

ب ـ التحقق أثنـاء الجـذبـة بالفناءات في الله: «الفناء في صفات الله وفي أسمائه وفي ذاتـه»، أو «التحقق بالألـوهيـة»، وذلك أن المجذوب يرى في أحلام جذبته، صوراً هي خليط من انطباعات قديمة وحديثة مستقرة في أعماق لا شعوره، تختلط مع أماني وطموحات تسربت إلى أعماق نفسه من المحيط الذي يعيش فيه، وهذا هو نفس ما يراه متعــاطي الحشيش والأفيــون وعقـار الهلوسـة، وبـدون الشيـخ تكـون رؤ ى المجذوب مثل رؤ ى الحشاش، تدور حول الجنس واللهو واللذة أو الحقد والحسد،

لكن الشيخ، بخبرته التي استقاها هو أيضاً من شيخه، يغرس في نفس المجذوب طموح العروج إلى السماوات والعرش والجلوس مع الله (جل الله)، ثم الفناء فيه بحيث يرى نفسه أنه جزء منه (سبحانه)، أو أنه هو هو بكامل أسمائه وصفاته (سبحانه وتعالى عما يصفون)، ويرى في أحلام جذبته أنه يتصرف بالكون، ويقول للشيء كن فيكون. ولا ينجح الشيخ بهذه المهمة إلا إذا كان المريد قد عجن عقله وعواطفه ونفسه كلها بحب الشيخ وتقديسه وطاعته، بحيث تغدو كلمة الشيخ جزءاً من كيان المريد لدى التلفظ بها.

ويجب أن لا ننسى أن قوة شخصية الشيخ وجاذبيته تلعبان دوراً هامًا في استقطاب قلوب مريديه وعواطفهم حوله وتساعدان على تهيئتهم لرؤى (تحشيشهم الروحاني) التي يسمونها «الكشف».

وفي هذا يقول الغزالي:

. . . فكذلك المريد يحتاج إلى شيخ وأستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه إلى سواء السبيل، فإن سبيل الدين غامض، وسبل الشيطان كثيرة ظاهرة، فمن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان إلى طرقه لا محالة، فمن سلك سبل البوادي المهلكة بغير خفير فقد خاطر بنفسه، وأهلكها، ويكون المستقل بنفسه كالشجرة التي تنبت بنفسها . . . فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه، فليتمسك به تمسك الأعمى على شاطىء النهر بالقائد[1]. . أهـ.

ولذلك قالوا أيضاً: «من لا شيخ له فشيخه الشيطان»، لأن رؤاه تكون مثل رؤى الحشاشين تماماً.

ـ وأخيراً، لنقرأ قوله سبحانه: ﴿قد أفلحَ المؤمنونَ . الذين هم في صلاتِهم خاشِعونَ . والذينَ هم عن اللغوِ مُعْرِضونَ . والذينَ هم للزَّكاةِ فاعِلونَ . والذينَ هم لفُروجِهم حافِظونَ . إلا على أزواجِهم أو ما مَلَكَتْ أيمانُهم فإنَّهم غيرُ مَلومينَ . فمَن ابْتَغى وراءَ ذلك فأُلئك همُ العادونَ . والذينَ هم لأماناتِهم وعهدِهم راعونَ .

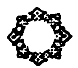
---

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٦٥.

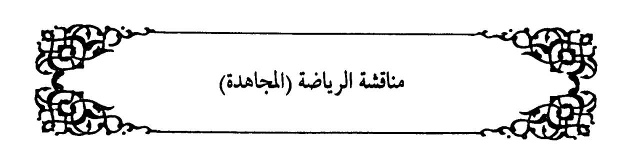
والذينَ هم على صلواتِهم يُحافِظونَ . أولٰئكَ همُ الوارِثونَ﴾ .

ولم يقل سبحانه : قد أفلح الذين يتمسكون بالشيخ، أو لا فلاح إلا باتباع شيخ، أو من لا شيخ له فشيخه الشيطان . . . أو بقية الشركيات .

ـ وهنـا يقف المسلم الصـادق أمـام أمرين لا ثالث لهما، إما أن يؤمن بالقرآن الكريم ويكفـر بهؤلاء القـوم وبعقيـدتهم، وإمـا أن يؤمن بهم وبعقيـدتهم ويكفـر بالقـرآن الكريم، وأي طريق آخر لا وجود له إلا بالمراوغة والدجل .







مناقشة الرياضة (المجاهدة)

لنبدأ المناقشة بقراءة آيات من كتاب الله:

﴿قلْ لا أقولُ لكم عندي خَزائِنُ الله ولا أعلمُ الغيبَ ولا أقولُ لكُم إنِّي مَلَكٌ إنْ أتّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ قُل هل يَسْتوي الأعْمى والبَصيرُ أفلا تَتَفَكَّرونَ﴾.

﴿قلْ إنَّما أتّبع ما يُوحى إليَّ مِن رَبِّي﴾.

﴿قلْ ما يكونُ لي أنْ أبدِّلَه مِن تِلقاءِ نَفْسي إنْ أتّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ إنِّي أخافُ إنْ عصيتُ ربِّي عذابَ يومٍ عظيمٍ﴾.

﴿إنْ أتّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ وما أنا إلا نذيرٌ مُبينٌ﴾.

فهذا رسول الله ﷺ، وهو رسول الله، لا يأتي من عنده بشيء في التشريع مطلقاً، وكل شيء يأمر به وينهى عنه فهو اتباع لما يوحى إليه.

﴿وما ينطِق عنِ الهَوى . إنْ هُو إلا وحيٌ يُوحى﴾.

ويأمره الله سبحانه، والأمر موجه لكل من يتبع الرسول:

﴿ثمَّ جَعَلْناكَ على شَريعةٍ مِن الأمرِ فاتَّبِعْها﴾.

﴿اتَّبِعوا ما أُنزِلَ إليكُم مِن ربِّكم ولا تَتَّبِعوا مِن دونه أوْلياءَ﴾.

﴿ومَنْ يتَّبِعْ خُطُواتِ الشيطانِ فإنَّه يأمرُ بالفَحْشاءِ والمُنْكَرِ﴾ .

﴿فإنْ لمْ يَسْتَجيبوا لكَ فاعْلَم أنَّما يتَّبِعون أهْواءَهُم﴾ .

والآيات كثيرة . والأحاديث كذلك كثيرة . منها :

«وإياكم ومحدثات الأمور، فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» .

«من أحدث في أمرنا ما ليس منه فهو رد» .

ومن القواعد الأصولية المقررة : كل العبادات باطلة إلا ما نزل به نص .

فهل يتبع الصوفية آيات الله وأحاديث رسوله ، فيما يسمونه افتراءً «السير إلى الله» ، وما هو إلا السير إلى الجذبة ، وإلى الرؤى العصابية والشيطانية التي يستشعرونها في الجذبة . هل يتبعون آيات الله وأحاديث رسوله؟؟

١ - الخلوة :

ليست من العبادات الإسلامية ، ولا خلوة في الإسلام ، وهي بدعة محدثة بعد رسول الله ﷺ ، وبعد أصحابه وتابعيهم وتابعي تابعيهم .

إنها بدعة محدثة في الإسلام ، أما في الأمم الأخرى فهي قديمة قدم الكهانة .

٢ - الصمت :

وهو مناقض للعبادة في الإسلام ، إذ العبادة هي أقوال وأعمال معينة ، علمها الرسول للمسلمين ليتبعوها ولا يتبعوا غيرها . (وإلا فما هي الفائدة من رسالته؟) .

ولا يوجد أي نص يجعل الصمت من العبادة الإسلامية ، فهو بدعة .

وهو موجود في كل الأمم التي بنيت عقائدها على الكشف والإشراق .

٣ - الجوع :

فرض الله سبحانه صيام رمضان ، وسن رسوله ﷺ صيام أيام أخر ، وحرم الوصال في الصيام ، كما أمر أن يكون الصيام في غير رمضان متقطعاً .

وجوع الصوفية هو صيام أيام كثيرة لا يفطرون فيها مع المغرب ، ولا سحور فيها بل

جوع مستمر حسب الأسلوب الكهاني الموجود في الهندوسية والبوذية والجينية والطاوية وغيرها. فهو ليس من العبادات الإسلامية، وليس من الإسلام في شيء، وهو بدعة.

٤ ـ السهر:

الوارد في الإسلام هو قيام الليل ضمن الحدود التي رسمها الرسول ﷺ عندما قال: «... ولكني أصلي وأنام، وأصوم وأفطر ... فمن رغب عن سنتي فليس مني»[١].

فليس السهر من الإسلام، ولا من عبادات الإسلام، ولا من المعمول به في الإسلام، وقد رأينا قول رسول الإسلام فيه وفي الجوع: «فمن رغب عن سنتي فليس مني»، أي إن الذين يقومون بهذه الطقوس ليسوا من رسول الله، وبالتالي ليسوا من الإسلام.

٥ ـ تعذيب النفس بالضرب (كما كان يفعل الشبلي وغيره)، أو بالوقوف على رجل واحدة طيلة الليل، أو غير ذلك مما هو مستفيض في كتبهم، فهذا واضح البطلان، وهو من تلاعب الشياطين بهم، وليس الله سبحانه بحاجة أن يضربوا أنفسهم ويعذبوها ليرضى عنهم: ﴿هوَ اجْتَباكُم وما جَعَلَ عليكُم في الدين مِن حَرَجٍ﴾، إنما يرضى الله عن المؤمنين إذا عبدوه كما أمرهم (لا كما يبتدعونه أو يقلدون به أصحاب الوثنيات)، ويرضى سبحانه عن المؤمن إذا أدى لكل ذي حق حقه.

● ملاحظة هامة:

من أساليب القوم في المغالطة والمخادعة، قولهم: إنهم يتأسون، في الخلوة وتوابعها، بمحمد ﷺ، لأنه كان قبل الرسالة يختلي أياماً كثيرة في غار حراء.

هذه المغالطة، مثل غيرها، فيها جهل غبي، أو تجاهل ماكر، لأن الآية الكريمة تقول: ﴿لقدْ كانَ لكُم في رسولِ الله أُسوةٌ حسنةٌ...﴾.

ولم يصبح محمد «رسولَ الله» إلا بعد أن نزل عليه الوحي بالرسالة. أما قبلها فقد كان إنساناً كبقية الناس على الإطلاق، لا يمتاز عنهم إلا بأخلاقه الكريمة. يقول

---

(١) صحيح مسلم، كتاب النكاح.

سبحانـه : ﴿قـلْ إنَّـما أنا بَشَرٌ مثلكُم يُوحى إليَّ﴾، وهذه الآية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها ولا غموض، بأن الفرق بينه ﷺ وبين بقية البشر، هو الوحي.

ويقول سبحانه : , ﴿قلْ سبحانَ ربِّي هل كنتُ إلا بشراً رسولاً﴾. ويقول: ﴿قالتْ لهم رسُلُهُم إنْ نحنُ إلا بشرٌ مثلُكُم . . ﴾. ويقول ﷺ: «أنا فيها لم يوح إليَّ كأحدكم».

ونعـود إلى آيـة التأسي، إنهـا تأمـرنـا أن تكون أسوتنا برسـول الله (الذي يتزل عليه الـوحي)، وذلـك لأن (رسـول الله) معصـوم بالوحي؛ أما قبل الرسالة فلم يكن معصوماً لأنه لم يكن يوحى إليه ﷺ.

وفي واقع الأمر، إصرارهم على القول بالتأسي بمحمد قبل الرسالة، منبثق عن:

١ - عقيدتهم أن محمداً ﷺ وصل إلى النبوة بالمجاهدة والرياضة، وأن النبوة هي فتح مثل فتوحهم، وهم بالتالي، لا يعتقدون أن النبوة فضل من الله سبحانه يجعلها حيث يشاء.

٢ - منبثق عن عقيدتهم بما سموه «الحقيقة المحمدية» النابعة من «وحدة الوجود»، الباطلة الكافرة.

٣ - عن إنكارهم للمعنى الشرعي الصحيح لآيات القرآن وأحاديث السنة، وتأويلهم لها لتتفق مع كشفهم، كما صرح بذلك حجتهم الغزالي[1]، وكما نراه معمولاً به في كتبهم.

٤ - عقيـدتهم أن محمـداً ﷺ معصـوم عصمة ذاتية، وليس بالوحي! وأنه أخذ علومه عن طريق الكشف، لا عن طريق جبريل عليه السلام، كما صرح بذلك حجتهم الغزالي[2] وغيره.

أخيراً . .

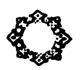
المجاهـدة، أو الـريـاضـة، بكـل عنـاصرها، ليست من الإسلام، ولا من عقيدة الإســلام، ولا من عبـادات الإســلام، ولا من سنن الإســلام، ولا من مستحبـات

---

(١) انظر المدخل إلى فهم النصوص الصوفية. (٢) انظر فصل: «نماذج من حكايات الصوفية».

الإسلام، ولا من فضائل الإسلام، ولا من ممارسات الإسلام، ولا من عادات الإسلام، ولا من الأعمال المأجورة في الإسلام، ولا من الأعمال المشكورة في الإسلام.

إنما هي طقوس كهانية، مارستها وتمارسها الأمم الوثنية، تقود إلى الجذبة، لا إلى رضى الله تعالى.



□ مناقشة الذكر:

لم أعثر في حدود اطلاعي، عند إشراقيي الأمم الأخرى، على وجود ممارسة للذكر بمداه الواسع وشكله الأساسي الموجودين عند متصوفة المسلمين.

ففي الأمم الأخرى، يعتمدون أساساً على الرياضة (الخلوة والجوع والصمت والسهر)، مع تركيز البصر على نقطة ما، مدة طويلة، مع تعذيب النفس في أكثر الأحيان، وهم - أثناء الرياضة - يركزون الفكر ويثبتونه على كلمة ما، فعند الهندوس مثلاً، يأخذ السالك في رياضته إحدى وضعيات اليوغا[1]، ويركِّز بصره على شيء ما، ثم يركِّز فكره في كلمة «أوم» التي هي عندهم الاسم المستتر لبراهمان[2]، أو «راهام».

قد تدوم مثل هذه الرياضة مدة طويلة جدًّا، ومن حين لآخر يعمدون إلى الرقص العنيف والموسيقى الصاخبة المدوية يصاحبها الزعاق، ثم يعودون إلى رياضتهم.

- والخضوع المطلق للشيخ (السامانا) الأكبر هو محور كل مجاهداتهم.

تسبب هذه المجاهدة؛ مع الاستمرار والزمن، إفراغاً لمراكز الوعي والشعور في الجملة العصبية، وهي حالة «الاستخدار» التي تجعلها في استرخاء يفقدها كثيراً من

---

(١) اليوغا رياضة تعبدية هندوكية.

(٢) براهمان الإله الخالق عند الهندوك.

فعـاليـاتهـا، ويهيؤها للتأثر بكمية من المخدر، أي مخدر، أقل من الكمية المؤثرة في الحالة العادية، كما تدفع الجسم لأفراز المادة المخدرة بكمية أكبر من المعتاد.

لكن هذه الرياضة تحتاج إلى كثير من قوة الإرادة والصبر، كما تحتاج إلى العزلة التامة.

على أن متصوفة المسلمين عرفوا أسلوباً سهّل عليهم الأمر كثيراً.. إنه ترديد كلمة ما، كائنة ما كانت، بشكـل مستمـر دون انقطـاع، ليـلاً ونهاراً، وهو ما سموه «الذكر». وهـذا الـذكـر المستمـر يسـاعـد كثيراً على الوصول إلى حالة الاستخدار، ثم إلى الخدر «الجذبة» بمدة أسرع.

لكن هل صحيح ما يدعيه متصوفة المسلمين أمام الناس، أن ذكر الله، سواء بالاسم المفـرد «الله» أو بالأذكـار الإسلامية الأخرى، أو بأذكارهم وصلواتهم التي يبتدعونها، هي التي تقود إلى الجذبة؟

الـواقـع خلاف ذلك! فها هم أقطابهم وعارفوهم وعلماؤهم، يؤكدون أن ترديد أي كلمة كانت، أو أي جملة، بصورة مستمرة، مئات الألوف من المرات، أو ملايينها، يؤدي إلى الجذبة، بعد مدة قد تطول وقد تقصر.

وهذه أدلة من أقوالهم في ذلك:

يقول ابن عطاء الله السكندري:

«... والذكر تختلف أنواعه وتتعدد، والمذكور واحد لا يتعدد ولا يتحدد...»[1].

- لننتبه إلى قوله: «لا يتحدد» وماذا تعني.

ويقـول: ... وروي أن أبـا القـاسم الجنيـد رحمـه الله تعـالى قال لبعض خواص أصحـابـه: إن اسم الله الأعظم هو «هـو» ... وذُكر أن أهل المعرفة في هذا الاسم على أربعـة أصنـاف أيضـاً: فعـارف قال: «الله»، وعارف قال: «هو»، وعارف قال: «أنا»، وعارف بهت[2]...

---

(1) القصد المجرد، ص٨٢. (2) القصد المجرد، ص٥٦.

- ما هو معنى قوله: «وعارف بُهت»؟ ولِمَ بُهت؟ أظن الجواب واضحاً، إنه بُهت لأنه عرف أن كل شيء هو اسم الله الأعظم.

ومن النصين نفهم أن الذكر يمكن أن يكون بترديد كلمة «الله الله الله الله»، أو «هو هو هو هو»، أو «أنا أنا أنا أنا»، أو الأشياء التي جعلت العارف يُبهت.

ويقول ابن عطاء الله أيضاً:

. . . أما المسلوب الاختيار فهو مع ما يرد عليه من الأذكار وما يرد عليه من جملة الأسرار، فقد تجري على لسانه «الله الله الله»، أو «هو هو هو هو»، أو «لا لا لا لا»، أو «اه اه اه»، أو صوت بغير حرف، أو تخبط، فأدبه التسليم للوارد. وبعد انقضاء الوارد يكون ساكناً ساكتاً، وهذه الآداب لمن يحتاج إلى ذكر اللسان، أما الذاكر بالقلب فلا يحتاج إلى هذه الآداب[1]. . .

ويورد عبد الوهاب الشعراني ما يشبه هذا، يقول:

. . . وقال سيدي يوسف العجمي رحمه الله: وما ذكروه من آداب الذكر محله في الذاكر الواعي المختار، أما المسلوب الاختيار، فهو مع ما يرد عليه من الأسرار؛ فقد يجري على لسانه «الله الله الله الله»، أو «هو هو هو هو»، أو «لا لا لا»، أو «آه آه آه»، أو «عا عا عا عا» أو «آ آ آ آ»، أو «هـ هـ هـ»، أو «ها ها ها»، أو صوت بغير حرف، أو تخبيط، وأدبه عند ذلك التسليم للوارد[2].

ويقول ابن عربي:

. . . فأغلق بابك دون الناس، وكذلك باب بيتك بينك وبين أهلك، واشتغل بذكر الله بأي نوع شئته من الأذكار، وأعلاها الاسم، وهو قولك: «الله الله الله»[3]. . .

- نفهم معنى قوله: «بأي نوع شئته من الأذكار» من قول آخر له: «. . . فما عُبد غير الله في كل معبود. . .»[4].

---

(1) مفتاح الفلاح، ص٣٠ و٣١.

(2) الأنوار القدسية في معرفة القواعد: ١ / ٣٩.

(3) رسالة الأنوار، ص٦.

(4) فصوص الحكم، ص٧٢.

ـ يعني أن كل ما عبد من صنم وشجر وبشر وغيره هو الله، ويمكن للذاكر أن يذكر بما يريد من أسماء المعبودات التي عبدت في كل الوثنيات، كأن يردد مثلاً: «هبل هبل هبل . .»، أو «جيلاني جيلاني جيلاني . .»، أو «جذبة جذبة جذبة جذبة . .»، أو «لينين لينين لينين . . .»، أو «إنتاج إنتاج إنتاج إنتاج . .»، أو «مقام مقام مقام مقام . .»، أو «ضريح ضريح ضريح ضريح . .»، أو «رفاعي رفاعي رفاعي . .»، وغيرها.

ويروي ابن عجيبة قصة الششتري فيقول:

. . . وكذلك قصة الششتري رضي الله عنه مع شيخه ابن سبعين؛ لأن الششتري كان وزيراً وعالماً، وأبوه كان أميراً، فلما أراد الدخول في طريق القوم، قال له شيخه: لا تنال منها شيئاً حتى تبيع متاعك وتلبس قشابة وتأخذ بنديراً وتدخل السوق؛ ففعل جميع ذلك، فقال له: ما تقول في السوق؟ فقال: قل: «بدأت بذكر الحبيب»، فدخل السوق يضرب بنديره ويقول: «بدأت بذكر الحبيب»، فبقي ثلاثة أيام وخُرقت له الحجب[1] . . .

ـ نلاحظ أن ذكره هنا ليس فيه شيء من أسماء الله الحسنى.

وكتب ابن سبعين إلى أحد مريديه «في الرسالة النورية»:

. . . وجميع ما توجه الضمير إليه، اذكره به ولا تبال، وأي شيء يخطر ببالك سمّه به، ومَن اسمه «الوجود» كيف يخصص بأسماء منحصرة؟! هيهات! الله لا اسم له إلا الاسم المطلق أو المفروض، فإن قلت: نسميه بما سمى به نفسه أو نبيه، يقال لك: إن من سمى نفسه «الله» قال لك: أنا كل شيء، وجميع من تنادي أنا . . . وبعضهم كان يقول: قد قد قد هذا هذا هذا له له له[2] . . .

ويقول ابن أنبوجة الشنقيطي في «وصف العارف»:

. . . فهو (أي العارف) الخليفة الأعظم، إذ لا اسم له يختص به، فإن أسماء الوجود كلها أسماؤه، لتحققه بمراتبها، ولكونه هو الروح في جميع الموجودات، فما في الكون ذات

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٢٨.
(٢) رسائل ابن سبعين، ص١٨٤.

إلا وهو الروح المدبر لها والمحرك والقائم فيها، ولا في كرة العالم مكان إلا وهو حالٌ فيه ومتمكن منه. فبهذا الاعتبار لا اسم له يتميز به عن الوجود[1]. . .

- نرى في هذا النص أنهم يسبغون على العارف صفات هي نفس ما يسبغونه على الله (تعالى الله عما يقولون)، وعليه يمكن ذكر الله بترديد كلمة: «عارف عارف عارف. .» أو «عمر بن الفارض عمر بن الفارض عمر بن الفارض. . .»، أو «الغزالي الغزالي الغزالي. .»، أو «الشيخ الشيخ الشيخ. . .»، أو «سيدي سيدي سيدي سيدي. .» إلخ.

ويقول أبو الهدى الصيادي الرفاعي:

. . . والفناء، حقيقة سر الاعتقاد به من سر قوله عليه الصلاة والسلام: «لو اعتقد أحدكم على حجر لنفعه»[2].

- الحديث مكذوب، والاعتقاد به كفر، لكن يهمنا أنهم يؤمنون به، ويؤمنون أن الاعتقاد به ينفع، ومنه إن ذكر ذاكر اسم «حجر حجر حجر حجر»، أو «قبة قبة قبة قبة»، أو «صخرة صخرة صخرة صخرة. .» نفعه (في الوصول إلى الجذبة طبعاً).

يردد علي نور الدين اليشرطي نفس القول:

. . . لو اعتقد أحدكم بحجر لنفعه. وقال: ليس الحجر الذي ينفع، إنما هو الاعتقاد[3].

- طبعاً، إنهما لم يقررا هذا الحكم إلا بعد تجارب، ويجب أن ننتبه إلى أنه ينفع في التصوف والكهانة والسحر فقط، (لأن الصوفية هي نفس الكهانة، والسحر بعضها)، ولا ينفع في شيء غيرها.

ويقول محمد بهاء الدين البيطار:

. . . فأسماء الله على الحقيقة أعيان العالم وحقائقه، ومظاهر الأسماء هي صور

---

(1) ميزان الرحمة الربانية، ص١١٥.
(2) قلادة الجواهر، ص٢٩٢.
(3) نفحات الحق، ص٢٢٩.

العالم، فلكل اسم إلهي من الصور ما لا يتناهى، فكل ما أمات مثلاً من ثعبان أو سيف أو رصاص أو حجر أو عصا فهو صورة من صور الاسم «المميت»، ومعنى المميت: شأن من شؤون الذات الإلهية، وهو عين الذات[1] . . .

ويقول ابن سبعين في «الرسالة النورية» يخاطب أحد المريدين:

. . . هذه الكلمات التي نذكرها لك مرموزة مني، غير أن الذاكر ينتفع بها، وهي: عمرش أش عمر صح راهيا إيداحا أيهم اردع صعر عرجم كعلم ... . فقل إذا وجدت البحر والوجود والحمد: قهوم طمس هوالم صعنج ذلك الله ربكم يايايا[2] . . .

- بدهي أن ابن سبعين لم ينصح مريده بالذكر بهذه الأسماء إلا بعد تجريبها.

- وكما فهمنا من نصوصهم. الذكر يقود إلى الجذبة التي هي الغاية. وفي الطريق قد يحصل للذاكر بعض الخوارق، وينصحونه ألا يهتم بها لأنها تحجبه عن الغاية المنشودة.

والطريق إلى الجذبة قد يقصر وقد يطول، حسب استعداد السالك النفسي والفيزيولوجي. ولعل الذكاء الفطري العالي يبعد الوصول إلى الجذبة! ولعل الغباء الفطري يقصر الطريق إليها.

* وخلاصة لما تقدم:

الذكر بترديد أي كلمة كانت مقرر من كبار عارفيهم، فلا مجال للاعتراض عليه أو الشك فيه، إنهم يقدمونه لمريديهم قاعدة يسيرون عليها في مسيرهم إلى . . . الجذبة.

ومن البدهي أنهم لم ينصحوا به مريديهم إلا بعد تجربة.

ومنه تعلم أن حقيقة ذكرهم ليست مرتبطة بذكر الله سبحانه. وما التزامهم الاسم «الله» أو عبارات الثناء عليه ودعائه إلا أسلوب ذكي لإلباس التصوف رداء الإسلام، وضعه لهم سيدهم الجنيد، وتوسع فيه حجتهم الغزالي، وهو أحد مظاهر الطريقة البرهانية الغزالية، التي يسمونها «التصوف السني».

---

(1) النفحات الأقدسية، ص٥.
(2) رسائل ابن سبعين، ص١٨٢.

وذكرهم كله، موضوعه، وشكله، وزمانه، ومكانه، هو بدعة كله، غريب عن الإسلام كله، ومن الردود المفيدة عليه وعليهم، هو رد الإمام النووي رحمه الله.

لقد اتصل الإمام النووي في أول وصوله إلى دمشق، وهو صغير، بالمتصوفة، وسار في طريقهم، وعندما اتسعت معارفه وفهم الإسلام، ترك الصوفية بدون ضجيج، ورد عليهم بكتابين:

١ - **رياض الصالحين**، يبين فيه بالنصوص الصحيحة (إلا قليلاً منها) طريق الصلاح، وحيث يتبين طريق الصلاح، فكل الطرق من دونه ضلال.

٢ - **الأذكار**: يبين فيه الأذكار الإسلامية، نصوصها، وأوقاتها، وأماكنها، كل ذلك بأسانيد أكثرها صحيح، وإذ يتبين ذلك، يتبين أن الذكر الصوفي الذي يستعمله السالكون إلى الجذبة، ليس من أذكار الإسلام.

- من جهة ثانية:

كل عبادة في الإسلام لها شروط وأركان.

ويوجد شرط مشترك لكل العبادات الإسلامية (مر معنا في بحث «البدعة»)، وهو: «كل العبادات باطلة إلا ما ورد به نص»، وبصيغة أخرى: «لا عبادة بدون نص».

والذكر عبادة، فهو يحتاج إلى النص، وإلا فلا يكون عبادة.

وذكر الصوفية من حيث الشكل واللفظ (إذا كان بالاسم المفرد أو «بما شئت من الأذكار» الواردة آنفاً)، لا نص فيه. والنصوص التي يقدمونها، إنما يلفقونها بالتأويل والترقيع، إذن، فهو ليس عبادة.

كما أن للذكر في الإسلام أركاناً: نجدها في الآية الكريمة: ﴿واذْكُرْ ربَّكَ في نفسِكَ تَضَرُّعاً وخيفةً ودونَ الجهرِ مِن القولِ﴾.

يهمنا في بحثنا هنا قوله سبحانه: ﴿في نفسِكَ ... ودونَ الجهرِ مِن القولِ﴾، فعبارة ﴿في نفسك﴾، تعني ألا تسمع نفسك، وعبارة: ﴿دون الجهر من القول﴾، تعني ألا يسمعك جارك، لأن الجهر هو ما يستطيع سماعه الجار.

إذن، فيجوز في الذكر أن يُسمِع الإنسان نفسه وأن لا يُسمعها.

وأما الجهر، فمنهيٌّ عنه بأكثر من آية وأكثر من حديث.

مع ملاحظة أن هناك حالات نص عليها الشارع، يجب فيها رفع الصوت بالذكر أو يجوز، كما في التلبية بالحج، وقبل صلاة العيدين، وفي التعليم، والحالة العفوية، ولتذكير الغافلين (حيث يجهر بعبارة الذكر مرة أو مرتين فقط)، وليس تفصيل هذه الأمور داخلاً في موضوعنا.

وكل محاولة أو مراوغة لاختراق الحدود التي رسمها الشارع من أجل التوسع بمدلول النص لتبرير الأساليب المبتدعة، هي محاولة باطلة، وهي بدعة وهي ضلالة، ﴿ومَن يَتَعَدَّ حدودَ الله فقدْ ظَلَمَ نفسَهُ﴾.

وتعرف الحدود الشرعية من النص، أو من فعل الرسول ﷺ، ومن فعل أصحابه.

والأذكار التي يستعملها الصوفية في الخلوة أو السياحة وفي الحضرة وفي مجلس الذكر أو مجلس الصلاة على النبي أو بعد الانتهاء من الصلاة، كلها فاقدة لشرط وركن معاً، أو لأحدهما على الأقل، لذلك فهي باطلة، وهي بدعة، وهي ضلالة.

والباطل لا يقود إلا إلى باطل.

وإن كلمة قالها الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان «أمين سر رسول الله ﷺ» لهي كافية لحسم هذا الموضوع. قال: كل عبادة لا يتعبدها أصحاب رسول الله ﷺ فلا تَعَبَّدوها، فإن الأول لم يدع للآخر مقالاً.

- هذا إن كان الذكر بالأسماء الحسنى أو بعبارات الثناء على الله.

أما إن كان بغيرهما مما يقرره كهانهم من أسماء حجارة أو أوثان أو قبور أو غيرها فهي واضحة الزندقة بينة الكفر، وهي من الوثنية التي جاء الإسلام ليحاربها باعتبارها المصدر الرئيسي لكل الشرور، وهي السحر وهي الكهانة.

*** قصة مرسلة :-**

مستشار في محاكم الاستئناف في مدينة حلب، كانت تجمعه الصلاة في المسجد مع

بائع شراب متجول، وفي ذات مرة، طلب إليه البائع أن يجرب أن يقرأ بعد كل وقت من أوقات الصلاة، الكلمات: «بطدٍ زهجٍ واحٍ ياحي ياو» مائة مرة، وبعامل الفضول، صار المستشار يرددها بعد كل صلاة...

بعد ثلاثة أيام، بينما كان جالساً على قوس المحكمة يفصل في قضايا الناس، إذا به يرى أمامه بيته وأهله يقومون بأعمالهم حسب المعتاد، وعندما رجع إليهم بعد الظهر، سألهم عما كانوا يفعلونه في ذلك الوقت؟ فكان في بعض ما رآه بعض ما كانوا يفعلونه.

وصارت مثل هذه الحالة تتكرر أمامه كلما كرر تلاوة الأسماء[1].

*** فقرة من كتاب صوفي :-**

... ولحرف الباء خلوة، وخادمه مهيائيل، فإذا أردت استخدامه اكتب الحرف وضعه في رأسك بعد الرياضة، واتل الدعوة والقسم دبر كل صلاة ٣١ مرة، واتل العزيمة والرياضة ٤٠ يوماً، فإن الملك يحضر ويقضي حاجتك، ومهما أردته تبخر وتقول: أجب يا خادم حرف الباء، فإنه يحضر[2]...

- إن كتب التصوف المحض، والتي لم تؤلف للخداع والتضليل والمراوغة، ملأى بمثل هذه الفقرة، وهي واضحة كل الوضوح في أن التصوف هو السحر، والفرق بينهما أن الصوفي مخدوع مراوغ، والساحر صادق.

ويكفي للدلالة على أن الصوفية هي السحر، الرجوع إلى كتاب «شمس المعارف الكبرى» للبوني[3]، وكتاب «مجموع ساعة الخير» لابن عربي، و«المضنون به على غير أهله» للغزالي، و«صفحات من بوارق الحقائق» للمهدي الصيادي، وغيرها..

لكن أقطاب التصوف العارفين بالله يتواصون فيما بينهم بتأليف الكتب الموهمة أنها من الإسلام، ذات المظهر الإسلامي الخداع، لأن الحكمة تقتضي ذلك، وطبعاً هم يفعلون ذلك عن إخلاص وإيمان بما يفعلون، شأن أي متدين مخلص لدينه ومؤمن به.

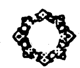
---

(١) لم يتيسر استئذانه لذكر اسمه.

(٢) شمس المعارف الكبرى، ص٤٠١.

(٣) أحمد بن علي البوني من بونة في الجزائر، واسمها الآن عنابة، مات سنة ٦٢٢هـ.

ـ وقبل الانتقال إلى البحث التالي، يجدر الانتباه إلى أن المتصوفة قد يستعملون الأذكار الإسلامية حسب المنهج الإسلامي، ويكون هذا منهم عملاً صحيحاً، لكنه لا يكون أبداً تبريراً لأذكارهم الصوفية حسب المنهج الصوفي.



□ مناقشة الحضرة :

عرفنـا أن الحضـرة تكـون : جالسـة صامتة ، أوجالسة صائتة ، أوراقصة (بنقص أو بدون نقص) .

١ ـ الجالسة الصامتة :

في الرد عليها يكفي حكم عبد الله بن مسعود ، الذي قال فيه رسول الله ﷺ (كما يرويه الحافظ الذهبي في «التذكرة») : «خذوا عهدكم عن ابن أم عبد» .

نجد حكم عبد الله بن مسعود هذا في «سنن الدارمي» :

. . . عن عمـر بن يحيى قال : سمعت أبي يحدث عن أبيـه ، قال : كنـا نجلس على باب عبـد الله بن مسعـود قبـل صلاة الغـداة (أي الفجـر) ، فإذا خرج مشينا معه إلى المسجد ، فجاءنا أبوموسى الأشعري فقال : أخرج عليكم أبوعبد الرحمن بعد؟ قلنا : لا ، فجلس معنا حتى خرج ، فلما خرج قمنا إليه جميعاً ، فقال : يا أبا عبد الرحمن إني رأيت في المسجد آنفاً أمراً أنكرته ، ولم أر والحمد لله إلا خيراً . قال : فما هو؟ قال : إن عشت فستـراه . . رأيت في المسجـد قومـاً حلقاً جلوساً ينتظرون الصلاة في كل حلقة رجـل ، وفي أيـديهم حصى ، فيقول : كبروا مائة مرة ، فيكبرون مائة ، فيقول : هللوا مائة مرة ، فيهللون مائة ، فيقول : سبحوا مائة مرة ، فيسبحون مائة . قال : فماذا قلت

لهم؟ قال: ما قلت لهم شيئاً انتظار رأيك أو انتظار أمرك، قال: أفلا أمرتهم أن يعدوا سيئاتهم وضمنت لهم أن لا يضيع من حسناتهم شيء. ثم مضى ومضينا معه حتى أتى حلقة من تلك الحلق، فوقف عليهم فقال: ما هذا الذي أراكم تصنعون؟ قالوا: يا أبا عبد الرحمن، حصى نعد به التكبير والتهليل والتسبيح والتحميد، قال: فعدوا سيئاتكم، فأنا ضامن أن لا يضيع من حسناتكم شيء، ويحكم يا أمة محمد ما أسرع هلكتكم، هؤلاء أصحابه متوافرون، وهذه ثيابه لم تبل، وآنيته لم تكسر، والذي نفسي بيده، إنكم لعلى ملة هي أهدى من ملة محمد، أو مفتتحو باب ضلالة. قالوا: والله يا أبا عبد الرحمن ما أردنا إلا الخير. قال: وكم من مريد للخير لن يصيبه، إن رسول الله ﷺ حدثنا أن قوماً يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم، وايم الله، لا أدري، لعل أكثرهم منكم. . .

ـ الرجاء ملاحظة أن الجلسة النقشبندية هي مثل هذه الجلسة.

٢ ـ الحضرة الجالسة الصائتة:

في الرد عليها نذكر ما يلي:

ـ الآية الكريمة: ﴿واذكُرْ ربَّك في نفسِكَ تَضَرُّعاً وخِيفةً ودونَ الجهرِ من القولِ . . .﴾، وهؤلاء يجهرون بذكرهم، كما يخلو ذكرهم من التضرع والخيفة.

ـ الحضرة بجميع أنواعها، ومثلها هذه، بدعة تنطبق عليها كل الأحاديث الواردة في البدعة، والتي رأيناها قبل قليل.

ـ حديث ابن مسعود السابق هو رد عليها كما هو رد على الجالسة الصامتة.

ـ قول حذيفة بن اليمان: «كل عبادة لم يتعبدها أصحاب رسول الله فلا تعبدوها»، رد عليها وعليهم.

وبالتالي، هذه الحضرة «الجالسة الصائتة» هي مثل غيرها، بدعة، فهي مردودة عليهم.

٣ ـ الحضرة الراقصة (وكلها صائتة):

إن جميع الردود على البدعة وعلى أساليبهم في الذكر، وعلى الجالسة الصامتة، وعلى

الجالسة الصائتة، هي ردود على الحضرة الراقصة، يضاف إليها:

- هي نفس صلاة اليهود!

جاء في المزمور (١٤٩) عدد (٣): «وليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له..».

وفي المزمور (١٥٠): «سبحوه بدف ورقص، سبحوه بأوتار ومزمار، سبحوه بصنوج التصويت، سبحوه بصنوج الهتاف...».

- وثنيو إفريقيا السوداء «الفيتيشيون» عباداتهم كلها رقص وسماع.

- الهندوس، صلاتهم لأصنامهم مثل الحضرة الراقصة، يتوسطهم الكاهن أمام الصنم، يرقصون ويهزجون، أي إن صلاتهم هي رقص وسماع وقرع أجراس.

● الخلاصة:-

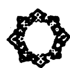
الحضرة الصوفية بجميع أشكالها، بدعة، ونقض للآيات والأحاديث، وتشبه كامل بالطقوس اليهودية والوثنية، (فيتيشية وهندوسية وجينية وطاوية...).

- أما كونها بدعة، فهي ضلالة، وكل ضلالة في النار.

- وأما كونها نقضاً للآيات والأحاديث، فهي كفر وزندقة وردة.

- وأما كونها تشبه الطقوس الوثنية واليهودية، فالرسول ﷺ يقول: «من تشبه بقوم فهو منهم».

ولا حاجة للزيادة.



□ مناقشة السماع:

إن كل النصوص الواردة في السماع، حلاله وحرامه، وكل بحوث العلماء (وأقول: العلماء)، هي نصوص وبحوث فيه على أنه أمر دنيوي، ودنيوي فقط، لا علاقة له بعبادة ولا بتقرب إلى الله.

ولم يرد فيه نص (علمي) قط، بتحليل أو تحريم، إلا على أنه أمر دنيوي يمارس في الأعياد والأعراس والحرب أو في التسلية واللهو والطرب.

أما أن يكون طقساً تعبُّديًّا، كما هو عند المتصوفة، فهذا شيء ما عرفه التشريع الإسلامي، ولا تكلم فيه عالم، لأنه، بدهيًّا، غير وارد في العبادات الإسلامية.

أما المتصوفة، فيتخذون السماع طقساً تعبديًّا روحانيًّا يسهل عليهم ما يسمونه ظلماً وعدواناً «السير إلى الله». وهنا يكمن الداء، ويعشش البلاء.

إن السماع عند المتصوفة عبادة، وفي الغالب يكون مصحوباً بالآلات، وهذا كله:

١ ـ بدعة، وذلك بيِّن لا يحتاج إلى دليل، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

٢ ـ تشبه بالوثنيين وأهل الكتاب، يقول سبحانه في وصف صلاة المشركين: ﴿وما كانَتْ صلاتُهم عندَ البيتِ إلا مُكاءً وتَصْدِيةً﴾.

وجاء في التوراة (الحالية) في المزمور (١٤٤) عدد ٩: «يا الله، أرنم لك ترنيمة جديدة. . .».

وفي المزمور (١٤٦) عدد ٢ : «أسبح الرب في حياتي وأرنم لإلهي ما دمت موجوداً».

وفي المزمور (١٤٩) عدد ٣: «ليسبحوا اسمه برقص، بدف وعود، ليرنموا له . . .».

وكذلك هو في الديانات الوثنية طقس تعبدي.

إذن فالصوفية يتشبهون بالسماع بالوثنيين وأهل الكتاب، «ومن تشبه بقوم فهو منهم».

● **ملاحظة هامة جدًا:**

من العجب العجـاب، مغـالطتهم، في كل مقـولاتهم عن السـماع، في كل كتبهم (ابتداء من أمهات كتبهم «اللمع»، «التعرف»، «قوت القلوب»، «الرسالة القشيرية»، «إحيـاء علوم الـدين» إلى بقيـة ما كتبـوا ومـا دونـوا)، حيث يبدؤ ون بمناقشة السماع حسب الشـرع والنصـوص المـزور بعضهـا، وطبعـاً كل النصوص الشرعية في السماع إنما تتكلم عنه على أنه أمر دنيوي يمارس للتسلية واللهو، لكن الصوفية يتوسعون في التحليل حسب طريقتهم في التزوير، ثم يطبقون ذلك على سماعهم التعبدي الذي يجعلونه قربى يتقربون به إلى الله.

ولعل الأمثلة التالية يمكنها توضيح مدى الفساد والضلال في أسلوبهم هذا:

- يبيح الشرع أكل الشاورما، فهل يصبح أكل الشاورما بهذه الإباحة طقساً يعرج به إلى الله؟

- يبيـح الشـرع البصـاق الذي ليس فيه أذى، فهل يجوز بناءً على ذلك، أن نجعل البصاق طقساً تعبديًا في «السير إلى الله»!

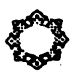
لا يعترض الشرع على أحد إذا خطر له أن يحك أذنه بإبهام رجله، فهل يصح، بناء على هذا، أن يكون حك الأذن بإبهام القدم طقساً تعبديًا يمارس تنشيطاً على «العروج إلى الله»؟!

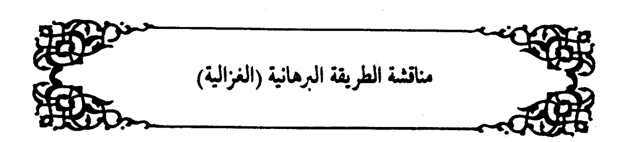
عجيب أمر هؤلاء القوم! هل هم لا يكادون يفقهون حديثاً؟ أم ﴿يُخادِعونَ الله والذينَ آمَنوا وما يَخْدَعونَ إلا أَنْفُسَهم وما يَشْعُرونَ . في قلوبِهم مرضٌ فزادَهُمُ الله مَرَضاً ولهم عذابٌ أليمٌ بما كانوا يَكْذِبونَ﴾؟

وغاية الطريقة الإشراقية هي الوصول إلى الجذبة التي هي الولاية (كما يتوهمون)، وهي حالة خدرية تشبه الحالة التي يقع فيها متعاطي الحشيش والأفيون ورفاقهما شبهاً تامًا.

● النتيجة :

هذه هي طريقة الإشراق، كلها كفر وضلال وزندقة، إنها ليست مجرد بدع ساذجة أو انحرافات بسيطة، بل هي الطقوس الوثنية (وأقول : «الطقوس») التي تعبدت بها كل وثنيات التاريخ (في الحال والماضي والاستقبال)، والعقائد الوثنية التي دانت بها أو حامت حولها كل وثنيات التاريخ في ماضي الزمان وحاضره، إنها ليست مجرد اجتهادات شاذة في الفروع أو في الأصول، أو حتى في العقائد؟ إنها طقوس وممارسات وعقائد غريبة عن الإسلام كل الغرابة، بعيدة عن الإسلام كل البعد، أقحمت على الإسلام ومزجت به بأساليب إبليسية لتشكل ما يسمونه «الطريقة البرهانية» ولو أنصفوا لسموها «الديانة البرهانية».





مناقشة الطريقة البرهانية (الغزالية)

«ويسمونها عادة التصوف السني»

رأينا في النصوص السابقة أن الطريقة البرهانية ليست إلا الطريقة الإشراقية مزجوها بالإسلام.

إن أول من اشتهر عنه هذا الأسلوب هو الجنيد، الذي كان يتستر بالفقه[1] على مذهب أبي ثور، تلميذ الشافعي، وهو أول من نادى به وطالب المتصوفة بتطبيقه.

ورأينا قول أبي الحسين النوري عندما خاطب الجنيد قائلاً: يا أبا القاسم، غششتَهم فأجلسوك على المنابر، ونصحتُهم فرموني على المزابل.

لقد غشهم الجنيد بتكلمه عليهم بالفقه! ونصحهم النوري بعرضه عليهم الحقيقة الصوفية!

وكانت تجربة الجنيد ناجحة، سار المتصوفة على خطاها، وهذه التجربة مضاف إليها تحبيره مصطلحات الصوفية، وإيجاده أسلوب «العبارة الصوفية» بإشاراتها ورموزها وألغازها، كل هذا جعل منه سيد الطائفة بلا منازع، لأنه رسم لهم الطريق التي يسيرون

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٤٢٢، وطبقات الشعراني: ١ / ١٦١، وغيرها.

فيها بأمان، ويستطيعون بواسطتها نشر عقيدتهم الإشراقية في المجتمعات الإسلامية من دون ضجة.

وسار المتصوفة على خطاها، ومن شذ عنها واجه سيف الردة والتكفير، فقُتل من قُتل، وطُرد من طُرد، واستتيب من الكفر من استتيب.

ومن أبرز من أصّل طريقة الجنيد بعده، هو أبو طالب المكي في كتابه «قوت القلوب» الذي بدأه بعرض بعض آيات من القرآن الكريم، انتقاها بحيث يمكن أن يكون لها (بعد ليّ عنقها) علاقة بالتصوف، وجاء بشيء من الأحاديث في الأوراد وما دار حولها، ثم دخل في علم الباطن وأتبعه بفقه العبادات، وحشا ذلك كله بما يستهوي قلب القارىء نحو التصوف.

ولا يستبعد أن يكون هذا هو منهج الطريقة السالية التي تخرج فيها أبو طالب؟

وجاء من بعده حجتهم الذي سموه «حجة الإسلام» أبو حامد الغزالي، فألف في الفقه على مذهب الشافعي، وألف في علم الأصول، ومواضيع أخرى، ثم وضع عشرات الكتب في ما سماه «العلم المضنون به على غير أهله» في قمتها كتابه المشهور «إحياء علوم الدين»، ولو أنصف لسماه «إعياء علوم الدين»، أو «إحياء علوم الكهانة».

وبسبب هذا الكتاب، نسبت الطريقة البرهانية إلى الغزالي.

فلنلق عليه نظرة عابرة لنصطدم بما يلي:

١ - تقسيم الكتاب: قسم الغزالي إحياءه إلى أربعة أرباع: ربع العبادات، وربع العادات، وربع المهلكات، وربع المنجيات.

حيث نرى في هذا التقسيم الظالم أنه جعل المنجيات غير العبادات، وجعل العبادات غير منجيات.

ونترك الحكم على هذا التقسيم لكل إنسان عرف بدهيات الدين الإسلامي، بل وبدهيات الأديان جميعها من أولها إلى آخرها، ولكن نسأل: كيف يكون المروق من الإسلام؟

٢ - لم يكن هذا التقسيم صادراً من الغزالي عن غفلة أو عن غلط أو عن غير قصد؟ بل

كان مقصوداً عن وعي وتصميم واعتقاد، وقد مر معنا قوله: (بعد أن تكلم عن المقامات الصوفية): «فالعلم بحدود هذه الأمور . . . هو علم الآخرة، وهو فرض عين في فتوى علماء الآخرة (أي الصوفية)، فالمعرض عنها هالك بسطوة ملك الملوك في الآخرة، كما أن المعرض عن الأعمال الظاهرة (أي العبادات) هالك بسيف سلاطين الدنيا، بحكم فتوى فقهاء الدنيا (أي علماء الشريعة)». وقد تكرر هذا المعنى في الإحياء في أكثر من موضع، مر بعضها في الفصول السابقة.

وهذا الكلام هو، تماماً، مثل قول عبد القادر الجيلاني الذي مر في فصل سابق: «تدري كم عنده من الطاعات والصوم والصلاة لا يعبأ بها، إنما مراده منك قلب صاف من الأقدار والأغيار»، والفرق بين العبارتين هو الفرق بين المهارتين في استعمال الإشارة والرمز واللغز.

وهذا يعني أن هذه العقيدة هي عقيدة كل الصوفية، لأن الرجلين عندهم في قمة التقديس.

ـ المهم، أن الغزالي يقرر في «إحيائه» أن العبادات لا قيمة لها عند الله، لأنها لإرضاء السلاطين والفقهاء فقط.

٣ ـ مر معنا في ثنايا الكتاب النصوص الكثيرة المنقولة من «الإحياء»، والمشحونة بالكفر والزندقة، وهي بعض من كثير.

٤ ـ يضاف إليها أكثر من أربعمائة حديث موضوع ومكذوب. يقول الحافظ العراقي (مخرج أحاديث «الإحياء»)، عن قسم منها: «لم أجده»، أو: «لم أجد له أصلاً»، مما يجعلنا نظن أن الواضع لها، أو لبعضها على الأقل، هو الغزالي نفسه، أو كشفه. (أما إذا أردنا الحق، فيبقى الغزالي متهماً بوضعها كلها، حتى يثبت العكس).

٥ ـ يضاف إليها أكثر من هذا العدد من الأحاديث الضعيفة. وبذلك يكون مجموع الأحاديث الموضوعة والضعيفة قريباً من نصف مجموع أحاديث الكتاب، إن لم تكن أكثر.

وموقف الإسلام من هذا وذاك هو قوله ﷺ في ما رواه مسلم: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»، وقوله: «من حدث عني بحديث يرى أنه كذب فهو

أحد الكاذبين».

أما الذين يبتغون الهدى في مثل هذا الكتاب الذي يحتوي على مثل هذا العدد الضخم من الأحاديث الموضوعة والضعيفة، فحكم الإسلام فيهم هو قوله سبحانه: ﴿إنَّ الله لا يَغْفِرُ أنْ يُشْرَكَ به ويَغْفِرُ ما دونَ ذلك لِمَن يشاءُ﴾، لأن الأخذ بالأحاديث الموضوعة هو من أعظم الشرك إلى جانب كون الذي يحدث بها أحد الكاذبين. أما الأخذ بالأحاديث الضعيفة فطريق إلى التهلكة؟ وذلك لأن ضخامة عددها في الكتب المختلفة هي دليل على أن أكثرها من الموضوعات. وهذا يجعل خطر الأخذ بها كبيراً جدًّا، أكبر من أية فائدة متوهمة.

ومن أعاجيب المتصوفة في المغالطة، أنهم عندما يقول لهم قائل: إن كتاب «الإحياء» مشحون بالأحاديث الموضوعة والضعيفة. يكون الجواب الذي سمعناه مراراً: «لقد خرجها الحافظ العراقي وانتهى الأمر!!»، أو ما يدور حول هذا المعنى! فنقول:

- يا هؤلاء! اتقوا الله واخشوا يوماً تقفون فيه بين يديه، حيث لن تنفعكم جذباتكم ولا شياطين الجن التي تمسرح لكم مشاهداتكم في جذباتكم، ولا شيوخكم الذين يوصلونكم إلى جذباتكم.

- يا هؤلاء! إن الأخذ جهلاً بالحديث الموضوع، يمكن أن يكون معه عذر الجهل، أما الأخذ به بعد تخريجه، ومعرفة وضعه، فهو الشرك الأعظم!.

والأخذ بالأحاديث الضعيفة بعد معرفة ضعفها هو طريق يؤدي في النهاية إلى الضلال.

ولا بأس من إيراد كلمة في وصف «الإحياء» لأبي بكر الطرطوشي[1]، يقول: «شحن أبو حامد «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، فما أعلم كتاباً على بسيطة الأرض أكثر كذباً منه».

- نقول: إن قول أبي بكر الطرطوشي هذا، كان قبل تأليف كتب المتصوفة الأخرى.

---

(١) محمد بن الوليد بن محمد . . . القرشي الفهري الأندلسي، ويقال له أيضاً: ابن أبي رندقة، توفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠هـ، وله كتاب في الرد على إحياء علوم الدين، لم أقف عليه.

٦ - يضـاف إلى ما سبق، تفسير آيات القرآن الكريم تفسيراً لا تعرفه اللغة العربية، ولا أصول التفسير، وما عرفه أصحاب رسول الله ﷺ ولا من اتبعهم بإحسان، وقد مرت نماذج منها في الفصول السابقة، منها على سبيل المثال: ﴿إنَّ إلى ربِّك الرُّجعى﴾، و ﴿إنَّ إلى ربِّك المُنْتهى﴾، التي يجعلها إشارة إلى وحدة الوجود.

والغـزالي لا يتفـرد بهذا الأسلوب، بل كلهم في كل كتبهم يحرفـون الكلم من بعـد مواضعه، وما أكثر الأمثلة التي مرت في هذا الكتاب، وهي بعض من كل.

٧ - يضاف إليها: أخبار غيبية عن الله سبحانه وتعالى، وعن الملائكة واللوح المحفوظ، وعن الـرسـل، وهي أخبـار لا يمكن أن تعـرف إلا عن طريق الوحي الذي نزل على محمد ﷺ، ولم يرد فيها أي دليل من هذا الوحي، ولعل الغزالي عرفها بالكشف!؟ وقد رأينا نماذج منها.

وهي بالتالي كذب على الله، وكذب على ملائكته، وكذب على رسله، وكذب على اليـوم الآخـر، وكـذب على القضـاء والقـدر (خيره وشره)، وكذب على الصحابة، وكذب على التاريخ، وكذب، وكذب، وكذب.

٨ - يضاف إليها دعوة إلى أخلاق غريبة؟ فالتواضع هو الذل والمهانة، والورع هو التفاهة والبـلاهـة، والتوكل هو الاستسلام تطوعاً للجوع والعطش والعري والمرض، والزهد هو التسوُّل وأكل القمامات وروث الحيوانات، وقد رأينا نماذج منها.

٩ - يضاف إليها تعطيل أحكام الإسلام بحجج فيها الكثير من المكر؟ فهذا لم يغير منكراً أو لم ينه عنه، أو لم يقم بعمل خير خوفاً من أن يكون عمله رياءً، وذاك لم يأمر بمعروف خوفاً من أن يكون داخلاً في حكم الآية: ﴿أتأمُرونَ الناسَ بالبِرِّ وتَنْسَوْنَ أنْفُسَكُم﴾، وذلك لم يتضرع إلى الله ولم يسأله خوفاً من أن يكون دعاؤه اعتراضاً على قضاء الله، ورابـع لم يتـزوج خوفـاً من أن يكـون الـزواج ركـوناً إلى الدنيا، وآخر ينهى عن طلب الحـديث والعلم لأنـه طلب للرئـاسـة، وآخرون ينهون عن تعلم القراءة والكتابة لأنه أجمع لهمة المريد . . . إلى آخر ما مر وما لم يمرّ مما أفسد المسلم في دينه ودنياه.

١٠ - يضاف إليها علم الكلام الذي أنكره نظريًا واستخدمه عمليًا في كل كتبه، وخاصة في «الإحياء»، استعمله بمهارة ولباقة، وأدخله في أصول العقائد والعبادات، حيث

جاء إلى الاعتقادات الغيبية التي لا يمكن معرفتها إلا عن طريق الوحي، فأخذ يستنبطها بأساليب علم الكلام، ليبرر تلقيها عن الكشف، بعد أن كانت لا تؤخذ إلا من نصوص القرآن وصحيح السنة.

واستعمله بمهارة ولباقة، فأقحم به الصوفية على الإسلام، حتى جعل المتصوفة هم «الخصوص»، وجعل أقطابهم «خصوص الخصوص»، وجعل أهل الشريعة هم العامة.

واستعمله بمهارة ولباقة، فجعل العبادات غير منجيات، وجعل المنجيات هي مقاماتهم الصوفية التي تدمر الأخلاق والإيمان والإسلام.

١١ ـ يضاف إليها مجموعة وافرة من المعلومات الخرافية المبثوثة في الكتاب، والتي شكلت جزءاً هامًّا من المعارف والثقافة عند المسلمين طيلة القرون، وكانت سبباً لما وصلت إليه المجتمعات الإسلامية من ضياع وتفتت، وقد مرت صور منها في الفصول السابقة.

ـ وهناك ملاحظة جديرة بالاهتمام، وهي أن قسماً من «إحيائه» هو نصوص منقولة حرفيًّا من «قوت القلوب» للمكي، وبعضاً من «اللمع» للطوسي...

كما أنه يأخذ أفكاره وفلسفاته وأقواله في التربية والنفس والمجتمع، من أفكار وفلسفات إخوان الصفا، وقد انتبه إلى هذا كثيرون منهم ابن سبعين[1] والمازري[2] والذهبي[3] وغيرهم.

لقد استطاع الغزالي، بهذه الأساليب، أن يمزج التصوف بالإسلام، ويجعل الآخرين يعتقدون أنهما شيء واحد.

وتبعه مثقفو المتصوفة على هذا النهج، وشيئاً فشيئاً، فشا هذا في الأمة، إلا من رحم ربك، وشيئاً فشيئاً، أصبح الإشراق وعلم الكلام آلة لاستنباط العقائد والعبادات في الإسلام، وشيئاً فشيئاً، جعلوا التصوف قمة الإسلام، وقبلوا تسميته «الإحسان»!

---

(١) بد العارف، ص١٤٥. (٢) نرى هذا في فصل لاحق.

ولهذا السبب، أطلقوا على الغزالي لقب «حجة الإسلام»، وما هو إلا حجة الكهانة.

ولهذا السبب، جعلوا كتابه «إحياء علوم الدين» كتاباً مقدساً، ففي كل بلاد المسلمين، نرى من يسمّون «العلماء» وأتباعهم، يقرؤ ون القرآن للتبرك، ولترديد كلمة «الله» عندما يقف القارىء على الآي، يمطونها ويكررونها! وكأنهم لم يقرؤ وا قوله سبحانه: ﴿وإذا قُرِىء القرآنُ فاسْتَمِعوا له وأَنْصِتوا لعلَّكُم تُرْحَمونَ﴾، كما يقرؤ ون «صحيح البخاري» في المساجد جماعة إذا حزبهم أمر، بينما يقرؤ ون «الإحياء» و«الرسالة القشيرية» و«الحكم العطائية»، وغيرها من كتبهم، ليطبقوها ويتخذوها منهجاً طاغوتيًّا من دون القرآن والسنة، وأحسنهم طريقة من يشرك كتب التصوف بالوحي المحمدي، يأخذ منها اعتقاداته وعباداته.

هذه هي الطريقة البرهانية بإيجاز، وهي لا تزيد عن كونها أسلوباً ذكيًّا لاستدراج المسلمين وجرهم إلى نقمة «حكمة الإشراق»؛ إلى ضلالات الكهانة والكهان؛ إلى تلبيسات الخوارق الشيطانية وتفاهات العلوم اللدنية؛ إلى الوهم الممسرح الذي سموه معرفة، والكفر المموه الذي سموه توحيداً، إلى الصوفية التي سموها «الإحسان».

ويجب أن لا ننسى الجهود، التي نشكوها إلى الله، والتي قدمها في خدمة التصوف كثير من شيوخ الجامع الأزهر، عبر تاريخ الجامع الأزهر، حيث كان طلاب العلم يأتونه من مختلف البلاد الإسلامية، فيتعلمون فيه العلوم الإسلامية ممزوجة بالتصوف وعلم الكلام (أي الطريقة البرهانية الغزالية) ثم يعودون إلى بلادهم لنشرها في مجتمعاتهم التي كانت تحترمهم وتأخذ عنهم لأنهم «خريجو الجامع الأزهر» (!).

وهكذا صار التحشيش الإشراقي المتستر بالإسلام، وجذبات التحشيش الإشراقي المتلفعة بالإسلام، وهلوسات التحشيش الإشراقي الممزوجة بالإسلام، هي الموجه الحقيقي للمجتمعات الإسلامية طيلة القرون الطويلة، حتى وصلت المجتمعات الإسلامية إلى ما هي عليه من جهل وتخبط وذل وانحطاط وتمزق.

وأعود فأذكر أن المتصوفة وعلى رأسهم شيوخهم وأقطابهم هم من أوائل المخدوعين والمضلَّلين، فهم، قبل غيرهم، يعتقدون أنهم على منهج الإسلام، وأن الإسلام

كذلك! لأنها لا تعمى الأبصار.

وهم عندما يخادعون ويراوغون ويغالطون، فإنما يعتقدون أن هذا من الحكمة وأن الله سبحانه يريد منهم ذلك، وأن الرسل كلهم أرسلوا من أجل ستر الحقيقة التي هي وحدة الوجود.

وهذا الحكم صحيح بالنسبة للذين أخذوا التصوف ممزوجاً بالإسلام (أو لغالبيتهم العظمى)، أما أوائل المتصوفة في الإسلام، الذين أخذوا الصوفية عن كهانها غير ممزوجة بشيء، فأولئك كانوا خلاف ذلك، لأنهم هم الذين وضعوا لأخلافهم قواعد المكر والكيد حينما مزجوا الإسلام بالتصوف وأوصوا بالتقية ووضعوا العبارة الصوفية.

وماذا يُنتظر من مجتمعات تتعبد الله بمثل هذا منذ أكثر من تسعة قرون، إلا من رحم ربك؟ أليس ما وصلت إليه هذه المجتمعات هو نتيجة منطقية لهذا؟

ولا ننسى ملاحظة هامة، وهي أنهم نادراً ما يستعملون عبارة «الطريقة البرهانية» أو «الطريقة الغزالية»، وإنما يستعملون في العادة عبارة «التصوف السني» وقد يعبرون عنها أيضاً بمثل قولهم: «حقيقتنا مقيدة بالقرآن والسنة»، أو «طريقتنا سلفية وحقيقتنا صوفية»، وغيرها من العبارات التي مرت في هذا الكتاب والتي لم تمر.

ونختم هذا الفصل بفقرة لابن الطفيل، يقول:

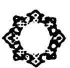
وأما كتب الشيخ أبي حامد الغزالي، فهو بحسب مخاطبته للجمهور، يربط في موضع ويحل في آخر، ويكفر بأشياء ثم ينتحلها، ثم إنه من جملة ما كفر به الفلاسفة في كتاب «التهافت» إنكارهم لحشر الأجساد، وإثباتهم الثواب والعقاب للنفوس خاصة، ثم قال في أول كتاب الميزان: «إن هذا الاعتقاد هو اعتقاد شيوخ الصوفية على القطع»، ثم قال في كتاب «المنقذ من الضلال والمفصح بالأحوال»: إن اعتقاده هو كاعتقاد الصوفية، وإن أمره إنما وقف على ذلك بعد طول البحث. وفي كتبه من هذا النوع كثير يراه من تصفحها وأمعن النظر فيها. وقد اعتذر عن هذا الفعل في آخر كتاب «ميزان العمل»، حيث وصف أن الآراء ثلاثة أقسام:

١ ـ رأي يشارك فيه الجمهور فيما هم عليه.

٢ ـ ورأي يكون بحسب ما يخاطب به كل سائل ومسترشد.

٣ ـ ورأي يكون بين الإنسان وبين نفسه لا يطلع عليه إلا من هو شريكه في اعتقاده[1].

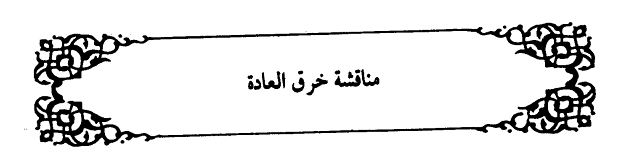
ـ نقول: إن ما أورده ابن طفيل هنا، وارد في كتاب «الإحياء»، وقد مرت نصوصه في الفصول السابقة، ورغم هذا كله وغير هذا كله، يسمون الغزالي «حجة الإسلام»؟!



(١) حي بن يقظان، ص١١٣ و ١١٤.

الباب الثاني: مناقشة الوصول





مناقشة خرق العادة

لمناقشة خوارق العادة عند الصوفية، يجب أخذ فكرة - ولو موجزة - عن تلك المخلوقات التي ترانا ولا نراها، والتي يجري خبثاؤها من ابن آدم مجرى الدم، هذه المخلوقات هي الجن، وخبثاؤها هم شياطين الجن.

لكن قبل المضي في ذلك، أحب أن أنبه إلى أمر:

يوجد في مجتمعاتنا، كما في كل المجتمعات، متعالمون يدّعون العلمية، والفكر العلمي، والأسلوب العلمي في التفكير، وقد يكونون علماء - في اختصاصهم - فعلاً.

وإلى جانب هذه الميزة، توجد عند بعضهم ميزة أخرى، هي مقدرتهم على الكتابة بأسلوب قد يكون رائعاً وقد يكون مقبولاً، كما قد يحمل بعضهم ألقاباً علمية عالية.

قد يخطر على بال أحد هؤلاء العلميين أن يتكلم عن «الخرافة»، فيكتب مقالة في جريدة أو مجلة أو بحثاً في كتاب، يوزع فيه لقب «الخرافة» على كل ما يخالف قناعاته الفكرية التي لم يكلف نفسه بدراستها دراسة علمية عميقة.

ومن جملة ما يقذفونه في زنبيل «الخرافة» الجن وخرق العادة.

هنا، أرجو من القارىء الكريم أن يغلق أذنيه؟ لأنني أريد أن أهمس في أذن هؤلاء «العلميين» همسة صغيرة، فأقول لهم:

١ ـ مرحباً يا علميون (لأن السلام قبل الكلام).

٢ ـ من منسياتكم: أساليب البحث العلمي ووسائله تختلف حسب الموضوع المعروض للبحث!

فمثلاً: وسائل البحث العلمي وأساليبه في مسألة فلكية، تختلف كليًّا عنها في مسألة كيميائية، وهذه تختلف كليًّا عنها في مسألة تاريخية ... وهكذا.

وكلها تختلف كليًّا عن جلسة الصفا أمام الكأس المفعمة في جو الموسيقى الراقصة في ماخور عام أو خاص.

كذلك البحث العلمي في مسألة الجن وخرق العادة له أساليبه ووسائله الخاصة، التي تختلف كليًّا عنها في غيرها، ويمكن لكل من يريد متابعتها أن يتابعها، ليتأكد بنفسه من وجود الجن، ومن حدوث خرق العادة، وبذلك سيعرف أنه كان يغرف من زنبيل الخرافة عندما كان يظن أن الجن وخرق العادة من الخرافة.

لكنه سيجد ـ في خوضه هذا البحث ـ أناساً يخوضون فيه، وقد مسخت الخرافة عقولهم! فهم يعزون كل شيء إلى الجن! ويؤمنون بخوارق لا وجود لها إلا في مخيلاتهم المريضة، فهم بفهمهم السقيم للجن وخرق العادة، يغرفون أيضاً من زنبيل الخرافة، ولكن من الجانب المقابل وبنهم لا يشبع.

فكلا الأخوين خرّاف، ولكن ذوي الفهم السقيم في الجن وخرق العادة، هم أخرف من أولئك، لأن أكثر ما لا يفهمونه خاضع لسنن الله في خلقه، عدا عما يضخمونه من الأمور العادية.

وعلى كل حال، الجن موجودون، وخرق العادة موجود، وكاتب هذه الكلمات، خرقت أمامه العادة مرات ومرات.

ـ نعود لأخذ فكرة موجزة عن الجن:

للجن قدرات وخواص مادية وتشريحية وفيزيولوجية ونفسية، تختلف كثيراً عما يقابلها لدى الإنسان، يهمنا منها ما يلي:

١ ـ يستطيعون التراثي للإنسان بأشكال مختلفة، وحجوم تتراوح أطوالها بين ميلليمترات

(أو أقل)، وبضعة أمتار لا يستطيعون تجاوزها، وإن استطاعوا فغير كثير، وذلك تبعاً لحجومهم الطبيعية، ولعل التراثي بالحجوم الصغيرة جداً يكون بجزء من أجسامهم.

٢ - يستطيعون، عندما يتراءون ألا يتركوا أحداً من الناس يراهم، إلا من يريدونه أن يراهم.

٣ - «إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم»، وبذلك يستطيع أن يدغدغ مراكز الحس التي يريد، فيثير البسط والقبض، واللذة والانزعاج، والتجلي الجمالي والتجلي الجلالي، مع العلم أن هذه الإحساسات وأمثالها، لها في الأساس أسباب فيزيولوجية.

٤ - يستطيعون قطع المسافات بسرعات كبيرة، فقد يقطعون في الثانية الواحدة مسافة تقاس بالكيلومترات، إن لم يكن أكثر من ذلك.

٥ - يستطيع الواحد منهم (أو بعضهم) حمل ثقل يعجز عنه عدد من أفراد الإنس.

٦ - يظهر أن للجن متعة خاصة بالتلهي ببني الإنسان والتلاعب بعقولهم وعواطفهم، وملازمتهم.

بهذه الميزات، وبغيرها، يستطيع شياطين الجن أن يصنعوا لوليهم «العارف» بعض الأعمال الخارقة للعادة.

فقد يأتونه بخبر جديد من بلد بعيد بعض البعد، بعد وقوعه بدقائق، فيخبر به الناس، الذين عندما يتأكدون من وقوعه، يعتبرونه كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يوسوسون لإنسان ما، بفكرة ما، ثم يلقونها إلى الشيخ، فيخبره بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يلقي الشيطان إلى الشيخ أسماء أشخاص لا يعرفهم، فينبئهم بها، فيعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقد يكون الشيخ في بلد ما، في وقت ما، ويتمثل به شيطان في بلد آخر في نفس الوقت، وقد يتمثل به شيطان ثالث في بلد ثالث في نفس الوقت أيضاً، فيرى أهل كل

بلد أن الشيـخ كان عنـدهم في ذلـك الـوقت! دون أن يعـرفـوا ـ لجهلهم ـ أنهـا خدعة شياطين! ويعتبرونها كرامة من كرامات الشيخ.

وقـد يتراءى شيطـان، أو شيـاطـين، أمـام الشيـخ، بشكل شخص، أو أشخاص غائبين أو أموات، فيعدها الشيخ كرامة له.

وقد يتراءى شيطان الشيخ أمام الشيخ بشكل ما ويوهمه أنه محمد رسول الله ﷺ، أو أحد غيره من الأنبياء.

وقد يتراءى شيطان أو أكثر، أمام الشيخ بشكل أشباح تتطاير، فيظنهم من الملائكة أو من أرواح الأولياء.

وقد يحمل الشيطان وليّه العارف في الهواء وينقله من مكان إلى مكان وقد يمشي به على سطح الماء.

. . . وقـد . . وقـد . . إلى آخـر ما يسمـونه ـ جهلاً أو افتراءً ـ الكرامات! والتي لا تزيد عن كونها ألاعيب شياطين يخدعون بها وليهم العارف، ثم يخدعون به وبها الآخرين.

وهنـا نصطـدم مع هؤلاء القوم، بفهمهم السقيم للغة العربية، وبالتالي، لنصوص الحديث الشريف، ومن قبله القرآن الكريم.

إنهم، في رؤ يتهم لما يتوهمونه أنه محمد صلى الله عليه وآله وسلم، يظنون أنهم يرونه حقًّا، ويحتجون لذلك بالحديث الشريف: «من رآني في المنام فقد رآني حقًّا، فإن الشيطان لا يتَمَثَّلُ بي».

والحـديث واضـح البيـان، لا لبس فيـه ولا غموض! فهويقول: «من رآني . . .»، والفرق كبير جدًّا بين هذا القول وبين: «من رأى شخصاً يدَّعي أنه أنا . .»، أو: «من رأى شخصاً وظن أنه أنا . .»، أو: «من رأى شخصاً وقيل له: إنه أنا . .»! الفرق كبير جدًّا بين هذه العبـارات وبـين عبـارة الحـديث: «من رآني . . .»، التي تعني رؤ يته ﷺ، بشكله وصورته التي كان عليهما، بل وزيه أيضاً.

ويقول في الحديث أيضاً: «. . فإن الشيطان لا يتمثل بي»، وفي رواية: «لا يتمثل

بصـورتي»، والمعنى واحـد. وهنـا أيضـاً الفـرق كبير جدًّا بين هذا القول، وبين قوله لو قال: «. . فإن الشيطان لا يدعي أنه أنا»، أو: «لا يستطيع شيطان أن يقول عن شيطان آخر: إنه أنا»، أو: «لا يستطيع أحد أن يُخدع فيتوهم شيطاناً يراه أنه أنا»!

إن عبـارة «فـإن الشيطـان لا يتمثـل بي» تعني أن الشيطـان لا يستطيـع أن يتراءى بصـورة الـرسـول وشكله وزيه التي كان عليها ﷺ في حياته، بحيث لو رآه أي إنسان من أصحابه لعرفه أنه هو.

وقد يتساءل متسائل: كيف نعرف إن كان من نراه في المنام هو الرسول أم لا؟

الجواب: تورد كتب الحديث وكتب الشمائل أوصافه ﷺ، فمن رأى في منامه إنسـاناً تجتمـع فيـه كل تلك الأوصـاف، دون استثناء، فهناك احتمال أن يكون هذا الذي رآه هو الرسول ﷺ.

وأقـول هنـاك احتـمال أن يكـون هو الـرسـول، لأن الأوصاف المذكورة هي أوصاف إجمـاليـة لا تفصيليـة، وغير دقيقة، حيث يمكن أن نراها مجتمعة في عشرات الأشخاص الذين يختلفون عن بعضهم بدقائق صورهم وتفاصيلها.

وفي قصة جماعة الحرم عبرة لأولي النهى، فقد رأى عشرات منهم الرسول في المنام، وأخـبرهـم أن محمـد بن عبـد الله القحطاني هو المهدي المنتظر، ولا يخلو أن يكون بعضهم على علم بأوصـاف الـرسـول المـوجودة في الكتب، وأن يكون رآه حسب تلك الأوصاف المجملة، ثم كانت النتيجة أن القحطاني لم يكن المهدي، وبالتالي كانت كل تلك الرؤى من وسوسات الشياطين، أو من حديث النفس.

إن في هذه الحـادثـة برهان عملي ساطع على أن الشيطان يدعي أنه محمد ﷺ، وأن معنى الحـديث: «لا يتمثـل بي»، أي لا يظهر بصورته وشكله الكاملين اللذين كان ﷺ عليهما في حياته.

كما يجب أن لا ننسى العـدد الـوافـر من الأوليـاء العـارفـين الـذين رأوا الرسول ﷺ وأخـبرهـم أنهم هم «المهـدي المنتظـر»، ثم كانت النتيجـة أن الـذي رأوه كان إما وسوسة شيطان، أو حديث نفس، أو كشفاً إن كان الرائي من المكاشفين.

هذا بالنسبة للرؤية في المنام أو في الجذبة.

أما ما يقوله المتصوفة من الرؤية في اليقظة فهذا واضح البطلان والضلال، كما هو واضح أن المترائي هو شيطان يضحك على أذقانهم، ويسلبهم عقولهم وإيمانهم، ويضل بهم غيرهم.

إن الشيطان يدّعي أنه الله، فهل كثير عليه إن ادّعى أنه الرسول؟

وهناك خارقة يؤخذ بها المخدوعون أكثر من غيرها، هي ضرب الشيش في الخدّين والبطن حيث الأمعاء، وفي الجلد، وهي مشتهرة بين أتباع المشيخة الرفاعية والجزولية والعيسوية، يمارسونها في حضراتهم التظاهرية، وهي مثل غيرها لا تزيد عن كونها شيطانيات. بدليل أنها تحصل مع الكفرة، بل يحصل منهم ما هو أكبر منها، وفي فصل لاحق سنرى شيئاً من هذا. ولعله من الجائز أن يكون تفسير هذه الخارقة كما يلي:

أ ـ لجلد الإنسان خاصة مطاطية، وكذلك الخدان والبطن والأمعاء، وهذا مشاهد ملموس.

ب ـ إن الشيطان ليجري من ابن آدم مجرى الدم، فهو بذلك يستطيع التخلل في أي مكان من الجسم.

ولعله يجد بذلك متعة خاصة نجهل طبيعتها.

وتتم العملية حسب الآتي:

يوجه الشيطان يد الشخص المتخلل فيه، ليضع الشيش في المكان المناسب من البطن، وعندما يضعه على الجلد، يباعد الجني بين خلايا النسيج الجلدي، وما تحته، بمقدار ما يمر الشيش بسلام دون أن يمزق شيئاً من الخلايا، وعندما يصل الشيش إلى الأمعاء (في المكان المناسب) يباعد الشيطان بينها، كما يباعد بين خلايا النسيج الذي يضمها بمقدار ما يمر الشيش بسلام أيضاً.. وهكذا.. يساعده على ذلك الخاصة المطاطية في هذا الأجزاء من الجسم، وسرعة الحركة التي يمتاز بها الجن.

ومثل هذا يحدث في الخدين وفي الجلد.

لكن مهما كانت الدقة التي ينفذ بها الجن هذه العملية بالغة، فلا بد من تمزق بعض الخلايا، مما يسبب سيلان قطيرة أو قطيرات من الدم عند سحب الشيش.

كما يبقى المكـان الـذي حصلت فيه العمليـة أحمر بعض الشيء لمدة ما، بسبب الضغط التي عانته الأنسجة.

ـ طبعـاً، هذا تفسـير ظني، أمـا الحق، فيجب أن تخضع هذه الظاهرة ومثيلاتها إلى دراسـة علميـة جادة. وستكـون وسيلة لاكتشاف مساحات مجهولة من النفس الإنسانية، بل والحيوانية أيضاً، كما ستكون وسيلة لاكتشاف وظائف فيزيولوجية مثيرة.

أما عملية قطع العنق بالسيف، أوقطع اليد، وما شابهها، فهي خداع بصري يقوم به أيضاً خبثاء الجن، وكذلك ضرب الرصاص.

وهنـاك عمليـة الـدخول في النار التي تكاد تنعدم عند متصوفة المسلمين، بينما توجد بين كهنـة الهنـادكة، وهي عملية يقوم بها الجن أيضاً، يساعدهم عليها سرعتهم الهائلة، وقوتهم على الحمل، ومقدرتهم على التراثي بشكل الإنسان، وأن النار العادية لا تؤثر فيهم.

كما يسـاعـدهم أيضـاً، خاصـة بصـرية عند الإنسان، فالعين الإنسانية لا تحس بما يحدث أمامها في مدة تقل عن عُشر الثانية.

تحدث العملية بأن يحمل شياطين الجن الفقير الذي يتظاهر بالعزم على دخول النار وتنقله إلى مكان آخر، ثم يتراءى شيطان مكانه بشكله.

تتم هاتـان العمليتـان في مدة تقـل كثـيراً عن عُشر الثانية، فلا يرى أحد من الناس الحاضرين شيئاً مما حدث، ويرون الفقير مازال في مكانه يستعد للدخول في النار!

يدخـل الجني المـتراثي بشكـل الفقير إلى النار، ويخرج منها، دون أن تؤذيه طبعاً، وبعـد خروجـه، يعيـدون الفقير، ويتلاشى الجني بنفس السرعة السابقة، ولا يرى أحد من الناس الحاضرين إلا أن الفقير دخل في النار وخرج منها سالماً، بل والفقير نفسـه، قد لا يحس بما حدث، وقد يظن أنه دخل النار في حالة غيبوبة.

* الخلاصة:

خوارق الصـوفيـة، التي يسمـونهـا كرامـات، كلهـا ألاعيب شيطـانية، وهي نفس الخوارق السحرية، ونفس الخوارق الكهانية التي تحدث في كل الوثنيات.

وللعلم: تعلم السحر يتم بالشرك الكامل في الشيخ الساحر (تماماً كالشرك في الشيخ الصوفي)، وبالقيام بنفس الرياضة الصوفية، وخاصة ما يسمونه «الذكر»، والذي يسمونه في السحر «القَسَم» أو «الطلّسم» وليس هنا مكان هذا البحث.

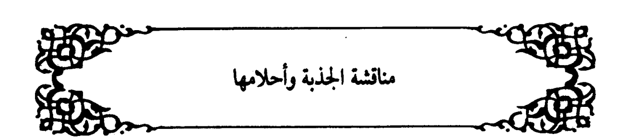
إن الفرق بين الصوفية والكهانة والسحر هو الادعاء فقط، فالصوفي والكاهن يدعيان بغرور السير إلى الله والعروج إليه، والساحر أصدقهم. والصوفي والكاهن غايتهما الجذبة، والساحر يقف عند خرق العادة، وإذا أراد الجذبة اختصر الطريق إليها بتناول شيء من الحشيش أو الأفيون وما شابههما، وقد يصل إلى الجذبة بالرياضة.

إن هذه الخوارق الشيطانية، التي يسمونها «كرامات» لا تكفي لدفع الشيخ وأتباعه إلى مستنقع الكفر؟ إلى وحدة الوجود! لأن الأمر يحتاج إلى تمثيليات من نوع آخر، تظهر فيها مناظر غريبة ذات أبعاد كبيرة، لا يستطيع شياطين الجن تمثيلها لصغر أجسامهم بالنسبة لها! لذلك كان لا بد من خواص الجذبة ليستطيعوا تنفيذ تلك التمثيليات.

فلننتقل إلى مناقشة الجذبة وخواصها.

وقبل الانتقال، نذكر أن الكرامات الصحيحة موجودة، لكن الطريق إليها هو طريق الإسلام الذي أنزله الله على محمد ﷺ، وكانت تظهر أكثر ما تظهر في الانتصارات العجيبة التي تشبه الأساطير، وفي الأخلاق الكريمة والسلوك العادل المتسامح مع المسلم ومع غير المسلم، والدعوة إلى الله بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وقول الحق بصراحة تامة مع المقدرة على الاحتفاظ بصداقة الذي يدعونهم وينهونهم . . . وهكذا انتشر الإسلام.

مع ملاحظة هامة، هي أن الذي ينتهج النهج الصحيح في الإسلام، لا يعني أن كل خرق عادة يحصل أمامه هو كرامة، وعلينا أن نتذكر، بل علينا ألا ننسى الآية: ﴿فبما أَغْوَيْتَني لأقْعُدَنَّ لهُم صِراطَكَ المُسْتَقيمَ﴾، وهذا يعني أن الخوارق التي تحصل أمام الذي ينتهج نهج الإسلام الصحيح، كما كان ينتهجه سلف الأمة من الصحابة وتابعيهم، هذه الخوارق سيكون أكثرها من الشيطانيات، وأقلها، إن لم يكن أندرها، من الكرامات الحقيقية.



مناقشة الجذبة وأحلامها

لمحة عن المخدرات

من المفيد، قبل الدخول في مناقشة الجذبة، أن نلقي نظرة سريعة على مفعول المخدرات: الحشيش والأفيون والكوكائين وعقار الهلوسة (إل، إس، دي، ٢٥) وغيرها.

* من تأثير الحشيش :-

يقول الدكتور محمد رفعت (نقلاً عن أحد الباحثين يصف تجربته مع الحشيش) :

. . . أحسست كأن جسدي يتحلل أو يذوب . . بدوت وكأنني شفاف تماماً.

جفون عيني تطول إلى ما لا نهاية، هذه الجفون مالها تسقط وحدها هكذا ككرات من ذهب، سرعتها تثيرني، ألوان جميلة تحيط بي، هل أنا أنظر في منظار سحري صغير يقدم تلك الأشكال الزخرفية الملونة . . .

. . . إن سمعي أصبح فجأة حادًا تماماً . . إنني أستمع إلى صوت الألوان، كنت لا أستطيع أن أسمع للألوان صوتاً من قبل . . الألوان الحمراء والزرقاء والخضراء لها

موجات صوتية تصلني وأميزها بوضوح[1] . . اهـ.

ـ هنا نسأل الأولياء الذين ذاقوا الفناءات وتحققوا بالأسماء، أليست هذه الرؤى، وما بعدها، هي صور من مكاشفاتهم؟

ويقول نفسه:

والحشاش قد يقنع نفسه بقدرته على إيجاد حل لكل مشكلة، وهذا طبعاً نتيجة ما يعتريه من هبوط في المراكز العصبية العليا، ومنها حاسة التقييم والتقدير، فيظل يهوم في آفاق وتصورات كلها سراب خادع وضلال مبين[2] . . . اهـ.

ـ لنتذكر هنا قول الصوفية عن كشوفهم: إنها حق اليقين وعينه ونوره، وعن أنفسهم: إنهم العارفون الذين عرفوا الأمور على ما هي عليه . . .

ويقول: عندما يتعاطى الشخص الحشيش لأول مرة فإنه يشعر بهذه الأعراض:

ارتعاشات عضلية في جسمه . . . إحساسات جسمية خاطئة أو وهمية . . . مثل الشعور بطول في الأطراف . . . اضطراب في الحواس، خصوصاً السمع والبصر[3]. اهـ.

ـ لنتذكر وصف عبد العزيز الدباغ لمبدأ حاله بالجذبة.

ويقول: الآثار النفسية لإدمان تعاطي الحشيش: اضطراب الحواس، خصوصاً السمع والبصر، فتصبح الحواس حادة للغاية، إلا أن المدركات كلها تبدو في صورة مغايرة ومحرفة، سواء من ناحية الشكل أو اللون، كما يعاني المدمن من الهلاوس . . . فيرى أشكالاً ويسمع أصواتاً ليس لها وجود مادي، كما يعاني من خداع الحواس . . . فإذا رأى حبلاً ظنه أفعى، وإذا رأى كلباً خيل إليه أنه أسد . . . وهكذا . . .

واختلال إدراك الإنسان للزمان والمكان، فيبطىء إحساس الإنسان بالزمن . . . فإذا قضى دقائق في عمل ما، يخيل إليه أنه قضى فيه ساعات طوال . . . أما بالنسبة

---

(1) إدمان المخدرات، ص١١٤ و١١٥.

(2) إمان المخدرات، ص٥١ و٥٢.

(3) إدمان المخدرات، ص١٢٤.

للمسافات فإنها تطول جدًا . . فإذا سار عشرة أمتار خيل إليه أنه قطع عدة كيلومترات . .

اضطرابات في التفكير تؤدي إلى اختلال في حكم الشخص على الأمور . . .

بطء شديد في عمليات التفكير بسبب التخدير الذي يشمل قشرة المخ، ويدفع الإنسان إلى عدم الاكتراث بما حوله، ويفقد المبادأة . . كما يعطل مراكز الضبط والتحكم وتمحيص الأمور . . . مما يجعل المتعاطي قابلاً للإيحاء . . .

اضطرابات وجدانية، فيشعر المتعاطي بشعور زائف بالسعادة الوهمية . . . وإحساس بالرضا والراحة . . يصل أحياناً إلى درجة النشوة. إلا أن هذه السعادة الزائفة تحمل في طياتها وسائل التدمير لشخصية الإنسان[1]. اهـ.

وسئل حشاش: بماذا تحس وأنت تحشش؟ فأجاب:

أحس بفرح، وربما بحزن، وقد أضحك كثيراً، أو أبكي كثيراً، حسب الحالة التي تجلبها الحشيشة، فليست كل الحالات سواء، ولكنني أشعر بحاجة إلى الهدوء . . . مرة شعرت بأنني أسابق السيارة المنطلقة في الشارع، بينما كنت جالساً في مكاني! والحالات مختلفة على كل حال[2]. اهـ.

ـ نعيد نفس السؤال موجهاً للأولياء المكاشفين: أليس مثل هذا ما يشاهدونه في مكاشفاتهم؟ وخاصة الفرح والحزن، اللذين يسمونهما «البسط والقبض»، وكذلك طول المسافات، وطول الزمن، والشعور بالسعادة، والوصول أحياناً إلى درجة النشوة؟ . . .

*** من تأثير الكوكائين :ـ**

يقول الدكتور محمد رفعت:

ولعل أغرب مظاهر الشذوذ الحيوي في جسم المدمن، الهلوسة التي تصيب جلد مدمن الكوكائين . . . إلى أن المدمن هنا يحس وكأن آلاف القمل والبراغيث وشتى أنواع

---

(١) إدمان المخدرات، ص١٢٦ و١٢٧.

(٢) الحشيش قاتل الإنسان، ص٢٤ و٢٥.

الهوام تنهش في جلده، وتجري تحت جلده مباشرة[1]. . .

والكائين ضئيل الأثر، ويشبه الكوكائين في إحداثه نوعاً من الخدر أو التنميل[2]. . .

ويقول أحد الباحثين (دكتور لوغر):

يشعر مدمن الكوكائين بآلاف الهوام تدب على جلده وداخل جسمه، ويحس بلدغات مئات القمل والبق و. . . إلخ. وبظاهرة حسية غريبة ما اعتادت المخدرات الأخرى توليدها، تبلغ هذه الظاهرة حدًّا يرى فيه المدمن حشرات لا وجود لها على جلده فيأخذها متوهماً ويحبسها ويضعها في علبة، حتى إنه ينظر إليها بمكبرة. ويالغرابة الأمر . . . إنه يراها وقد تجسمت أمام عينيه كما لو أنها موجودة فعلاً. وغالباً ما يلاحق مدمن المخدرات هذه الطفيليات المزعجة يبحث عنها على الأبواب وفوق الكراسي وفي الفراش وبين الأظافر وفي جميع أجزاء جسمه وحتى داخل فمه ومنخريه وأذنه. وقد يغدو هذا النمط من الهذيان والهراء (الهلوسة) جماعيًّا . . . إذ لا غرابة أن تجد مدمنين اثنين يبحث كل منهما عن هذه الهوام على جلد الآخر مخففاً عنه العذاب على حد اعتقاده[3].

● **الملاحظة:**

لنتنبه إلى أنه يرى حشرات وقد تجسمت أمام عينيه، حتى إنه ينظر إليها بمكبرة. . أي يرى ما لا وجود له في الحقيقة؛ وكذلك الرؤى الكشفية.

*** من تأثيرات عقار التهليس (L. S. D. 25):-**

يقول محمد رفعت:

وهذا العقار يعتبر من السموم الكبرى ذات الأثر العميق فيما يتعلق بانتقال المتعاطي من عالم الهلوسة والهذيان، وهم يطلقون عادة على الحالة الجديدة للمريض المدمن اسم (رحلة)، وهذه الرحلة لا يلزمها الكثير من هذا السم الزعاف، إذ يكفي من ٢٠٠ إلى ٤٠٠ ميكروغرام.

---

(١) إدمان المخدرات، ص٤٣.
(٢) إدمان المخدرات، ص٥٤.
(٣) المخدرات، ص٦١ و٦٢.

وبعـدهـا يكـون الـرحيل إلى سفر يستغرق ثماني ساعات من الزمن يتخيل المريض وكأنهـا رحلة عمـر كامل من الهلوسة والهذيان والتخيلات التي يسودها اللامعقول والإثارة الحسية، والنشاط الحيوي المزعوم بينما يكون المدمن في واقع الأمر جثة هامدة طيلة السفر بعد الرحيل[1]. . .

. . . وتختلف آثار هذا العقار على الإنسان باختلاف شخصيته، وتركيبه النفسي، وكذلك باختلاف الجو العام الذي يتم فيه التعاطي، وهذه بعض الأعراض (التعاطي ٣ ميكروغرام):

زغللة بالعينين، واضطراب في شكل المرئيات، وظهور بعض الأشياء التي لا تحمل أي معنى، كعلامة في الحائط مثلاً، كما لو كانت كلمات مفهومة مثلاً، أو وجه إنسان، أو أي شيء آخر له معنى.

- هلاوس بصـريـة . . . أي رؤيـة أشياء ليس لها وجود مادي . . فيكفي أن يتخيل الفرد شيئاً أو يتمنى رؤيته، حتى يراه أمامه مجسماً، وبالألوان الطبيعية أيضاً . . فهلاوس هذا العقار تتميز بأنها تظهر بالألوان، عكس هلاوس الحشيش والأفيون التي تظهر أبيض وأسـود فقـط . (في الواقع، هلاوس الحشيش والأفيون ليست واحدة عند كل الأشخاص فمنها ما يكون بالألوان الطبيعية).

- اضطراب في إحساس الفرد بالزمن . . فقد يتوقف الزمن تماماً، أو يمر ببطء شديد . . وقد يسرع جدًّا، فيبدو كأن آلاف السنين قد مرت في لحظات.

- توقف كامل للنشاط العقلي . . فيصبح من الصعب على الإنسان أن يبت في أي أمر، أو يفكر في أي مشكلة، أو حتى يقوم بالعمليات الحسابية البسيطة.

- إحسـاس زائف بالـراحـة والسعـادة الدافقة . . أو يحدث العكس تماماً . . فيشعر الإنسان باكتئاب شديد ورعب . . . (لنتذكر البسط والقبض).

ولكن أعجب شعور يمكن أن يحسه الإنسان هو ذلك الشعور بتداخل الحواس . . . عندما يتداخل السمع مع البصر مع الشم مع الذوق مع اللمس، فينتج عنه ذلك الخليط

---

(١) إدمان المخدرات، ص٤٥.

العجيب من الحواس الذي يعتبر من الأعراض المميزة لعقار الهلوسة . . . عندما يسمع الإنسان لون الورد، ويشم صوت الموسيقى، ويرى الطرق على الباب، ويشم جرس التلفون[1] . . . إلخ.

ـ وهنا نعيد السؤال، نوجهه إلى أي صوفي مكاشف: أليست رؤاه الكشفية مثل هذه الرؤى الهلوسية؟ يمر بفكره شيء فيراه مجسماً أمامه؟ يحسب اللحظات سنين طويلة؟ ثم الرؤى الناتجة عن تداخل الحواس؟ وغيرها؟

ومما يذكره مكتشف العقار (هوفمان) عن تجربته له

يقول: وجدت نفسي عند العصر مجبراً على التوقف عن العمل . . فأغمضت عيني . . لأرى، كما يرى الناظر في المنظار السحري، عرضاً لسبحة لا تنقطع من صور عجيبة مجسمة وغنية بألوان غير عادية، وقد دام ذلك العرض ساعات عديدة[2] . . . اهـ (أليست رؤى الجذبة هكذا؟).

ومما حدث له، في تجربة ثانية:

بعد أربعين دقيقة، شعر بدوار خفيف وإثارة واضطرابات في الرؤية ونوبات حمقاء من الضحك ما استطاع لها ردعاً . . . كانت الوجوه تبدو له كأقنعة مضحكة . . . وأكثر ما أدهشه هو التلون الشديد الذي كانت تتلون به الأشياء ويتلون به الأشخاص، وعلى خلفيات يسيطر فيها اللونان الأخضر والأزرق كانت تضطرب ألوان ذات صفاء ولدونة مدهشين، كان كل شيء ينقلب إلى ألوان، حتى إن أصوات البوق الآتي من الشارع كان يراه كشعاع ملون، وكانت المشاهد تترى، كان يرى نفسه يومىء، ويصمت ويتحرك[3].

*** من تأثير الهروئين (من مشتقات الأفيون):ـ**

الهروئين، يحمل الإنسان إلى جنان خيالية، وخيالات من نوع أنه أصبح من

---

(1) إدمان المخدرات، ص١٣١ و١٣٢.
(2) المخدرات، ص١٤٦.
(3) المخدرات، ص١٤٧.

الملائكة، أو أنه أصبح نبيًّا، أو أن له موعد مغازلة مع القمر (الذي هو الشمس)، ثم يدفعه ذلك أن يتصرف حسب تصوره هذا، فيحاول الطيران من أعلى البناية باتجاه السماء، فيسقط على الأرض وتتهشم ضلوعه[1]. . .

* من تأثير الإيتير:-

يقول أحد الذين جربوه (الكاتب الفرنسي غي دوموباسان):

كان أول ما شعرت به همساً خفيفاً ناعماً ومهدهداً، ثم ما لبثت أن لاحظت بأن جسمي أخذ يخف . . . أخذ يخف ويخف، حتى بدا لي فيها كما لو أنه كان يتبخر، احسست بأنه لم يبق لي من جسمي سوى الجلد . . لم يبق سوى ما يكفي لأشعر بلذة العيش، بأن أشعر بأنني أتأرجح في هذه السعادة التي تغمرني . . . ما كنت أرى أحلاماً كالتي يسببها الحشيش، وما كان ذهني يمتلىء بالرؤى التي يسببها الأفيون، لقد كان إحساساً بحدة ذهنية كبيرة، إحساساً بشكل جديد من الكينونة والتفكير والإحساس والحكم على الحياة؛ إحساساً بالاقتناع بأنني كنت أدرك عندئذ الواقع الحقيقي للعالم . . كان يبدو لي بأنني تذوقت ثمرة شجرة الحياة، وأن كل الأسرار تنكشف أمامي[2] . . .

- وهنا أيضاً نتوجه إلى أي صوفي وصل إلى مقام الجمع، وذاق الفناءات، ونسأله: أليست هذه الحالة وهذا الشعور والهمسات المهدهدة الناعمة تشبه ما ذاقه أثناء فناءاته وما سمعه من خطابات توهمها إلهية، وذلك الإحساس الزائف بأنه صار يدرك واقع العالم؟.

* من تأثير فطر المكسيك المقدس:-

قام بالتجربة شخص اسمه (آلان ريشاردسن) مع رفيق له اسمه (غوردن واسن): وقد تمت التجربة في أعالي المكسيك بين الهنود الأصليين:

كانت الغرفة مظلمة ومزدحمة بالناس. كانوا جميعاً هنوداً مكسيكيين . . . وكانت هناك كاهنة تغني ملوحة بالفطر في دخان لهب نار تتقد في المذبح لتطهر الفطر من أدرانه فيغدو جاهزاً للتناول.

---

(١) الحشيش قاتل الإنسان، ص٩. (٢) المخدرات، ص١١٥.

قدم الهنود للرجلين اثني عشر فطراً مطهراً فأخذا يأكلانها . . . لكن الكاهنة انبرت تغني بمزيد من النشاط، مصفقة بطريقة غريبة وبلحن مهدهد، وفجأة دار «ريشاردسن» نحو رفيقه هامساً في أذنه بأنه يرى أشياء غريبة. فأجابه «واسن» إن الرؤى سترى، وإنك ستراها سواءً أسدلت جفنيك أو فتحت عينيك.

بدأت الرؤى تظهر رسوماً فنية، كسجادة تبرق بزينتها وتتألق، ثم تتحول إلى قصور وباحات وأقواس وحدائق . . تراءى لريشاردسن حيوان أسطوري يجر عربة ملكية ذات عجلتين، ثم بدت له الجدران وكأنها تنحل . . . وأحس بروحه تطفو . . وشعر بأن نظره يحيط بفراغات لا متناهية . . . كان يرى نماذج من الأفكار الأفلاطونية، وصوراً غير كاملة للحياة اليومية[1] . . . اهـ.

ـ السؤال: أليست هذه الرؤى هي نفس ما يراه الأولياء العارفون المكاشفون؟ مع العلم أنه لو كان جلوسه في مكان غير الغرفة المظلمة، أو لو كانت ثقافته غير ثقافته، لأمكن أن تتغير رؤاه قليلاً أو كثيراً.

ويقول الدكتور صلاح يحياوي:

يستهلك سكان بولينزيا «الكافا» بكميات كبيرة ليعيشوا دائماً تقريباً في رؤى جنة صنعية يهيؤها لهم هذا المخدر[2] . . . اهـ.

ـ ونفس السؤال إلى نفس الأولياء المكاشفين: أليست هذه الهلوسات هي نفس الهلوسات التي تهيؤها لهم جذباتهم؟

ـ كيف كان الناس ينظرون إلى المخدرات؟

يقول الدكتور صلاح يحياوي:

. . . كان من المعروف بأنهم (الكهان) كانوا في طقوس «المسارة» يستخدمون مخدرات ما كان يعرفها غيرهم، وبذلك كانوا يعمرون أذهان المبتدئين بأحلام مرعبة وواضحة إلى درجة كانت تجعل هؤلاء يعتقدون أنها واقعية[3].

---

(1) المخدرات، ص١٥٢.
(2) المخدرات، ص١٠٦.
(3) المخدرات، ص٩.

. . . كان «باراسلو» يحمل الأفيون دائماً معه، مطلقاً عليه اسم «حجر الخلود»[1].

. . . ففي القرن الحادي عشر، وبعد ثلاثمائة عام من نشر العرب لاستخدام الأفيون، بدأ يظهر ثناء العامة وإطراؤهم على هذا المخدر، فكانوا يتغنون به كـ «شراب الآلهة»[1].

. . . لقد أكد الإينكا (سكان البيرو الأصليين) للإسبان بأن الكوكا (منها يستخرج الكوكائين) نبتة إلهية أوصى بها الإلهان «مانوكو كاباك» وزوجته «ماما أوكيو».

لقد خصت هذه الصفة الإلهية، والتي لازال بعض هنود أمريكا الجنوبية يؤمنون بها، خصت حكام الإينكا وحدهم بحق امتلاك مزارع هذه الشجيرة، ويقاسم الكهان الحكام هذا الامتياز[2].

ومما يذكره صلاح يحياوي أيضاً:

كانت جميع شعوب العالم القديم تعرف هذا المخدر (الحشيش) . . . وقد أحاطت الهالات خواصه، فنسب إليه الهندوس أصلاً إلهياً، فقالوا بأن الإله «فيشنو»[3] قد نصح جميع الآلهة الصغار وجميع الشياطين بأن يجتمعوا في يوم حدده لهم للحصول على إكسير الخلود . . . وكانت النتيجة أن إكسير الخلود هو القنب الهندي الذي استخلص منه الحشيش[4]. .

● وملاحظتان هامتان من المفيد إيرادهما:

يقول الدكتور محمد رفعت:

من الطريف أن نعرف ماذا يفعل المخدر بالإنسان . . . مع ملاحظة أن هذه الأعراض لا تظهر جميعاً في نفس الوقت ولا بنفس الشدة في جميع الحالات . . . كما لا تظهر عند كل الناس[5].

ويقول الدكتور صلاح يحياوي:

---

(١) المخدرات، ص٢٣.
(٢) المخدرات، ص٥١.
(٣) فيشنو هو الإله الحافظ عند الهندوس.
(٤) المخدرات، ص٦٦ و٦٧.
(٥) إدمان المخدرات، ص١٢٣.

. . . إن أفعالها (أي المخدرات) مطابقة لما يسببه الجنون في أطواره البدائية[1].

ـ أقول: إن هذه الملاحظة الأخيرة التي يذكرها الدكتور صلاح يحياوي تدلنا على أن باستطاعة الجسم أن تتولد فيه مادة تفرزها غدة ما، لها نفس مفعول المخدرات، وهذه المادة هي التي تسبب الجنون.

ـ وقبل الانتقال إلى الفصل التالي، نسأل أي صوفي فتح عليه فوصل إلى الجذبة ورأى الكشوف وذاق الفناءات، أليست هذه الرؤى والمشاهدات الهلوسية التحشيشية هي صوراً مشابهة لرؤاه ومشاهداته في جذباته ومعارفه المتوهمة؟

إن كان الصوفي الذي سيُسأل هذا السؤال صادقاً مع الله تعالى ومع الناس ومع نفسه فسيقول الحق ويعترف أنها شيء واحد، وإن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، ويرجو رحمة الله ويخاف عذابه فسيتوب ويرجع ويحاول إصلاح ما أفسد، وإلا فلا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنك لا تهدي من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء، وليعلم أن عليه آثام من استجرهم والمستجَرِّين بمن استجرهم إلى يوم القيامة.

ويجب أن لا ننسى أن الحشاشين لو كان لهم شيخ يوجههم لكانت مشاهداتهم مطابقة كل المطابقة لمشاهدات الصوفية في فتوحهم وكشوفهم وفناءاتهم، وذلك لأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان (لكن من هو الشيطان؟).



---

(1) إدمان المخدرات، ص١٥٥.

◻ مناقشة الجذبة :

لنناقشها أولاً على ضوء القرآن والسنة :

يدعي الصوفية، دون خوف من الله، أن رياضتهم التي ما أنزل الله بها من سلطان، هي الطريق إلى الله سبحانه ومعراجهم إليه، لأنها توصلهم إلى الجذبة! ويعتقدون أن الله سبحانه يجذب بها العبد إليه، ولذلك سموها الجذبة، ومفهوم لفظ الجلالة «الله» عندهم يعني - كما أصبح واضحاً الآن - كل الموجودات بما في ذلك ذواتهم، ومعنى «يجذبهم إليه»، أي: يزيل عنهم الحجاب، الذي هو الوهم بأنهم غير الله، ويبعدهم عنه، ويجذبهم إلى استشعار الألوهية في أنفسهم، أي: يشعرون أنهم الله «سبحان الله»، ويشاهدون أن كل شيء هو الله، وهذا هو ما يسمونه الوصول إلى الله، والجذبة هي الولاية والصديقية . . . الخ، وهي عندهم حال يتدرج ويمر بأطوار من الرؤى والمشاهدات المختلفة والاستشعارات حتى تصبح مقاماً.

ففي بادىء الأمر، قد يصل السالك إلى الجذبة بعد رياضة، طويلة أو قصيرة، لكن الجذبة تزول بسرعة ثم لا تعود إلا برياضة مثل الأولى، أو أكثر أو أقل، فالولاية هكذا هي حال.

ومع المثابرة يصل إلى درجة يقع فيها في الجذبة بشيء من الذكر، وتطول مدتها، فتكون ولايته هنا مقاماً، ويصير وليًّا صديقاً مقرباً . . . مقيماً إذا صارت الجذبة دائمة.

فهل في هذا التصور شيء من الصحة؟

الجواب: لا! للأسباب التالية:

١ - إن كون الجذبة ولاية وصديقية وقرباً و. . هو، في أحسن الحالات، أمر غيبي لا

يعرف إلا بنص من الوحي الذي أنزل على محمد ﷺ، أي بنص من القرآن والسنة الصحيحة، ولا وجود لمثل هذا النص، إلا ما كان من تأويلاتهم الباطلة وافتراءاتهم الظالمة. ﴿ومَن أظْلَمُ مِمَّنِ افْترى على الله كَذِباً لِيُضِلَّ النَّاسَ بغيرِ عِلْمٍ﴾.

٢ ـ إن ادعاء الولاية والصديقية هو هو تزكية النفس على الله، وهو من كبائر الإثم: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الـذينَ يُزَكُّـونَ أنْفُسَهُم بلِ الله يُزكِّي مَن يَشـاءُ ولا يُظْلَمونَ فَتيلاً. انظُرْ كيفَ يَفْتَرونَ على الله الكَذِبَ وكَفَى به إثْماً مُبيناً﴾ و ﴿فلا تُزَكُّوا أنْفُسَكُم هو أعْلَمُ بمَنِ اتَّقى﴾.

وكـذلـك اتهـام الآخرين بالولاية والصديقية هو من كبائر الإثم. لقوله سبحانه مخاطباً رسـولـه ﴿قـل ما كنت بدعـاً من الـرسل وما أدري ما يفعل بي ولا بكم إن أتبع إلا ما يوحى إليّ﴾ ولغضب رسوله عندما سمع صحابية جليلة تزكي صحابياً جليلاً، فقال لها: «والله ما أدري ما يفعـل بي وأنـا رسـول الله» ثم أقرها عندما قالت: «فلن أزكي بعدها على الله أحداً»، أي إنه ﷺ يأمرنا أن لا نزكي على الله أحداً.

وهكـذا كان فهم الصحـابـة الكـرام، فهـذا علي بن أبي طالب يثني على عبد الله بن مسعود فيقول: «إنه لخيرنا، ولا أزكي على الله أحداً»! إن علياً بن أبي طالب لم يزك عبد الله بن مسعود على الله!

إذن، فتـزكيـة النفس وتـزكيـة الغـير هما من كبائر الإثم، والإصرار على ذلك هو كفر بالقرآن والسنة.

وبذلك يكون الادعاء بأن الجذبة صديقية وقرب وولاية هو كفر بنصوص القرآن والسنة.

٣ ـ رأينـا في الفصـول السـابقـة أن السالك يدخل في الشرك الأكبر منذ الخطوة الأولى في طريق الصـوفيـة، ثم يسـير في طريق كلهـا بدع وضـلالات وطقـوس طاغوتية وتشبه بالكفرة ومخـالفـة للقـرآن والسنة وتزوير لنصوصهما وافتراء على الله سبحانه، وخداع لعباده (بل ولنفسه أيضاً) بادعائه اتباع القرآن والسنة، وكذب على الله وعلى ملائكته وكتبـه ورسله واليـوم الآخـر، وكذب على الحقائق، وكذب على التاريخ والجغرافيا، واحتقار للعقل والعلم اللذين كرم الله بهما بني آدم، وتقديس للجهل والعته والجنون!

ثم لم يكتفوا بهذا حتى مزجوه بالإسلام! فشوهوا الإسلام وحرفوه! وهنا الطامة الكبرى، وقد رأينا كل هذا في ما مضى من فصول الكتاب من نصوصهم وأقوال أقطابهم وعارفيهم وعلمائهم.

فهل يمكن لمسلم في قلبه إيمان بالله وكتابه ورسوله واليوم الآخر أن يعتقد أو يظن أن هذه الطريق هي الطريق إلى الله؟ أو أنها تقود إلى حق أو حقيقة؟

بل هل يمكن لذي عقل سليم كائناً من كان، أن يعتقد أو يظن أن طريق إبليس هذه هي طريق السير إلى الله والعروج إليه؟ سبحان الله عما يصفون.

إن طريق الشيطان لا تقود إلا إلى مسارح الشياطين ومتاهاتهم.

والجذبة مسرح شيطاني ومتاهة إبليسية، وليست صديقية!

٤ - إن الجذبة الإشراقية تشبه الجذبة التحشيشية الأفيونية تماماً مظهراً ومخبراً وجملة وتفصيلاً، فإن كانت جذبة الصوفية ولاية وصديقية فجذبة التحشيش مثلها، ويكون الحشاشون والأفيونيون أولياء صديقين، ويكون الهيبيون هم الأبدال والأقطاب والأغواث.

* **الخلاصة:**

ليست الجذبة ولاية ولا صديقية، وإنما هي مسرح شيطاني، وكذب وباطل ما يدّعون.

وفي الجذبة تكشف لهم الكشوف ويتلقون العلوم اللدنية ويرون المناظر الغيبية والمشاهدات الإلهية، إلى آخر الهلوسات الجذبية.

فإلى مناقشتها وعرضها على الكتاب والسنة.



□ مناقشة أحلام الجذبة:

التي يسمونها: الكشف، أو العلوم اللدنية، أو المناظر الإلٰهية، أو المشاهدات

(قبل البدء، أرجو من القارىء الكريم أن يعيد قراءة مفعول المخدرات، ويكرر قراءتها).

نستطيع أن نقسمها، من حيث مصدرها، إلى قسمين:

١ ـ **هلوسات فيزيولوجية**: وهي تسربات من الأماني والمعلومات (الصحيحة أو المتوهمة) المختزنة في اللاشعور، تتسرب من مخازنها، لتنزلق مباشرة إلى مراكز التفسير الحسي في الدماغ، فما كانت منها صوراً بصرية، انطبعت في مركز التفسير البصري، فيراها المجذوب وكأنها ماثلة أمامه، سواء فتح عينيه أم أغمضها! لأنها لم تصله عن طريق العين. وما كانت منها صوراً سمعية، انطبعت في مركز التفسير السمعي، فيسمعها أصواتاً لا يعرف مصدرها بالضبط! لأنها لم تصله عن طريق الأذن. ومثلها ما كان صوراً شمية أو ذوقية أو لمسية.

٢ ـ **هلوسات شيطانية**: يتراءى بها شيطان المجذوب أمامه، مستفيداً من خاصة الجذبة في تضخيم الأطوال، أو ينفثها في لا شعوره، وهو الميدان الذي يستطيع الشيطان أن ينفث فيه وسوساته، لتتسرب منه إلى مراكز الحس في الدماغ، مثل بقية الهلوسات الفيزيولوجية.

لا يكون هاذان القسمان منفصلين عن بعضهما، بل ممتزجين، إلا فيما ندر، وفي حالات كثيرة يمكن التمييز بينهما.

وإن تسميتهم لها المناظر الإلٰهية، أو الكشف، أو نور اليقين وعين اليقين وحق

اليقين، أو غيرها مما مر في هذا الكتاب ومما لم يمر، ما هي إلا جهل مغرور، وافتراءات على الله الكذب، وضلالات موغلة في الجرأة عليه سبحانه وجل عما يفترون. والبراهين ما سبق وما يلي:

١ - إن الله سبحانه كرم الإنسان ﴿ولقد كرّمنا بني آدمَ﴾ عندما خلق فيه مراكز الوعي، ووهبه بها العقل وتوابعه، كالإدراك والفهم والعلم، ومنها التكاليف.

فالله سبحانه، عندما يخاطب الإنسان، فإنما يخاطب فيه العقل والوعي والشعور، وعندما أرسل الرسل بالدين والتكاليف، فإنما أرسلهم يخاطبون العقل والوعي والشعور. والآيات المبينة الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لأولي النُّهى﴾. ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يَعْقِلونَ﴾. ﴿كذلك نُفصِّل الآياتِ لقومٍ يعقلونَ﴾. ﴿إنَّ في ذلك لَعبرةً لأولي الأبصارِ﴾. ﴿فاعْتَبِروا يا أولي الأبصارِ﴾. ﴿وما يذَّكَّرُ إلا أولو الألبابِ﴾. ﴿ليَدَّبَّروا آياتِه وليَتَذَكَّرَ أولو الألبابِ﴾. ﴿إنَّ في خلقِ السماواتِ والأرضِ واختلافِ الليلِ والنهارِ لآياتٍ لأولي الألبابِ، الذينَ يذكرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهم ويَتَفكَّرونَ في خلقِ السَّماواتِ والأرضِ﴾. ﴿كذلك نُفَصِّلُ الآياتِ لقومٍ يتفكَّرونَ﴾. ﴿إنَّ في ذلك لآياتٍ لقومٍ يتفكرونَ﴾. ﴿لنجعَلَها لكم تذكِرَةً وتَعِيَها أذنٌ واعيةٌ﴾. ﴿وتلك حدودُ الله يبيِّنُها لقومٍ يعلمونَ﴾. ﴿كذلك نفصِّلُ الآيات لقومٍ يعلمونَ﴾. ﴿فنُخْرِجَ به زرعاً تأكُلُ منه أنعامُهُم وأنفُسُهم أفلا يُبْصِرون﴾. ﴿إن في ذلك لآيات لقومٍ يسمعونَ﴾. ﴿فتكونَ لهم قلوبٌ يعقلونَ بها أو آذانٌ يسمعونَ بها﴾. ﴿انظُرْ كيف نصَرِّفُ الآياتِ لعلهم يفقهونَ﴾. ﴿قد فصَّلْنا الآياتِ لقومٍ يفْقَهونَ﴾. ﴿قد فصَّلْنا الآياتِ لقومٍ يذَّكَّرونَ﴾. ﴿إن في ذلك لآية لقومٍ يذَّكرونَ﴾ ...

والآيات كثيرة، كلها تبين أن الوعي في الإنسان هو الذي أعده الله تعالى لتلقي كلماته، وهو الذي أعده لفهم الحقائق وإدراكها، وخاطبه بالوحي، ليكون الوحي المرتكز الأساسي الذي ينطلق منه العقل الواعي في جميع ميادينه.

وعندما يكون الخطاب الإلهي موجهاً إلى الوعي والشعور، فهذا يعني أن الطريق إلى رضوان الله لا يمكن أن تكون إلا عن طريق الوعي والشعور التامين.

أما الشيطان، فاللاشعور في الإنسان هو ميدانه الذي يصول فيه ويجول، والآيات الدالة على ذلك كثيرة، منها:

﴿قل أعوذُ بربِّ الناس . . . من شرِّ الوسواسِ الخنَّاس . الذي يوسْوسُ في صدورِ الناس . مِن الجِنةِ والناسِ﴾ . ﴿فوَسْوَسَ لهما الشيطانُ ليُبْدِيَ لهما ما ووريَ عنهما من سَوْءاتِهما﴾ . ﴿إنَّ الذين ارتدُّوا على أدبارِهِم مِن بعدِ ما تبيَّنَ لهمُ الهُدى الشيطانُ سَوَّلَ لهُم﴾ . ﴿إنَّ الشياطينَ لَيوحون إلى أوليائِهِم لِيُجادِلوكُم﴾ . ﴿وقُل ربِّ أعوذُ بك مِن همَزاتِ الشَّياطين﴾ . . .

وعلى ذلك لا تكون الجذبة فتحاً إلهياً، بل استحواذاً شيطانياً، ولا تكون هلوساتها نور اليقين ولا عين اليقين ولا حق اليقين، وإنما وحي إبليس وجنوده، ولا تكون مناظرها إلا مسارح الشياطين وهلوسات الحشاشين.

٢ ـ مر في بحث سابق الآيات التي تبين أن طريق الضلال لا تقود إلا إلى ضلال، وأن سبيل الشيطان لا تؤدي إلا إلى غرور ﴿وما يَعِدُهم الشيطانُ إلا غُروراً﴾.

ورأينا ما هي الطريق إلى رؤية هذه المناظر وتلك الكشوف، إذن فهي كلها باطلة، وهي كلها شيطانية.

٣ ـ إذا كانت هلوسات جذبة الإشراق كشوفاً إلهية، فهلوسات جذبة المخدرات مثلها تماماً، لأن الجذبتين شيء واحد، وكل ما بينهما من فرق أن المخدر في جذبة التحشيش يأتي من خارج الجسم بينما يأتي المخدر في جذبة الإشراق من داخل الجسم، والنتيجة واحدة في الحالتين!

وإذا كانوا يصرون على أن هلوساتهم هي فتوحات إلهية وعلوم لدنية! فلِمَ لا يختصرون الطريق ويوفرون الوقت والجهد؟ إذ بدراهم معدودة يستطيعون شراء شيء من الحشيش أو الأفيون أو عقار التهليس أو الايتير أو غيرها، وبثواني معدودة تشرق عليهم الأنوار، وتنكشف أمامهم الأسرار، ويعرجون في السماوات العلى ويتمتعون بالمحاضرة والمكاشفة والمشاهدة، ويذوقون معاني الأسماء كلها، ويتنقلون في الفناءات . . إلى آخر الهلوسات!!.

مادام كلا الطريقين إلى جهنم، فلم لا يتبعون الأقل مشقة؟؟!

٤ - بالرغم من أن كل الصفحات السابقة هي براهين ساطعة واضحة على أن رؤاهم هي هلوسات شيطانية، وأن فيها الكفاية وأكثر من الكفاية. ومع ذلك فهناك الكثير من الأدلة غيرها من كشوفهم وعلومهم اللدنية ومشاهداتهم . . . فإلى كشوفهم وعلومهم اللدنية ومشاهداتهم:

ولنبدأ بجبل قاف. ولنستعد قبل ذلك بعض خواص الجذبة:

- تضخم الأطوال (الجفون تطول إلى ما لا نهاية، والأطراف تطول والمسافات حتى يرى الأمتار طول ما بين المشرق إلى المغرب).

- رؤية أشكال وسمع أصوات ليس لها وجود. . وأحياناً رؤيتها بمجرد تمنيها أو مرورها بالفكر. .

- رؤية الحبل أفعى والكلب أسداً . . . وما شابهها.

ولا بأس من الرجوع إلى أول هذا الفصل لمراجعة المخدرات ومفعولها.

*** جبل قاف:-**

كان كثير من الأقطاب العارفين الأبدال يرونه (أثناء الجذبة طبعاً)، ويصعدون عليه، ويذهبون إلى ما وراءه، ويرونه محيطاً بالأرض، يبلغ ارتفاعه ثلاثمائة سنة (أي ما يزيد عن بعد القمر بأكثر من تسع مرات) ويرى بعضهم الحية المحيطة به (وبالتالي بالأرض) وذيلها عند رأسها . . .

كانوا يرون هذه الأمور بالكشف! بينما الآن، صار من البدهيات عند الجميع، حتى الصوفية، أن الأرض كروية، وقد دُرس سطحها كله إلى أعماق محترمة دراسة دقيقة؛ فقد دُرس سطح اليابسة بدقة بالغة، جبالاً وودياناً وسهولاً وصحاري وبحيرات وأنهاراً، ودرست تربتها إلى أعماق تقاس بالكيلومترات بدقة أيضاً. ودرست طبقات الأرض دراسة إجمالية، لكنها صحيحة، إلى أعماق تقاس بألوف الكيلومترات، كما درست البحار كلها سطحاً وأمواجاً ومداً جزراً، وعرفت أعماقها بدقة، ووضع لقيعانها الخرائط الصحيحة، ووضعت الأسماء لما فيها من جبال ووديان ومنبسطات، أي إن سطح الأرض كله درس دراسة دقيقة إن لم يكن بالمتر المربع فبالكيلومتر المربع.

ويعرف الجميع أن جبل قاف محض خرافة لا وجود له، وأن الأبعاد التي قدروها له وللأرض، لا تدل إلا على جهل كامل بجغرافية الأرض، وجهل مخز بحساب المسافات، فكشوفهم لم تفدهم شيئاً، بل هي التي دفعتهم إلى وهدة الجهل الذي يتخبطون فيه.

ومادام جبل قاف لا وجود له! فماذا كانوا يرون إذن؟

الواقع، إنهم كانوا يرون بالكشف جبل قاف، والذين كانوا يرونه هم من الأقطاب الأبدال الأولياء العارفين! ورؤ يتهم له بالكشف هي برهان ساطع قاطع جديد على صحة كل ما ورد في الفصول السابقة من أن الجذبة ليست إلهية وإنما تحشيشية، وأن كشوفهم ما هي إلا هلوسات الحشاشين وتمثيليات الشياطين!.

رأينا أن الخلوة عنصر أساسي في المجاهدة، وقد كانوا كلهم - أو أكثرهم - يعتزلون الناس في البراري أحياناً وفي الخرائب أحياناً، خوفاً من سيف الحلاج.

والخرائب، كما هو معروف، هي بيوت خربة هدمت جدرانها، لكن بعضها، كما هو معروف أيضاً، يبقى حولها شيء من جدرانها المهدومة، بارتفاعات مختلفة (قامة أو نصف قامة أو أكثر أو أقل).

من البدهي، أن المرتاض الذي كان يرتاد الخرابات، كان ينتقي إحدى تلك الغرف الخربة المحاطة ببقايا جدرانها، لأن هذه البقايا تعزله عن رؤ ية الناس.

ومن البدهي أنه كان يسوي أرضها، أوجزءاً من أرضها، إلى حد يستطيع معه الإقامة عليه أثناء خلوته فيها.

ومن البدهي أيضاً أن كثيراً منهم - إن لم يكن كلهم - وصلوا إلى الجذبة أثناء إقامتهم في تلك الخرائب، وأن بعض تلك الجذبات كان من النوع المضخم للأبعاد، فماذا كان يرى المجذوب في مثل تلك الحالة؟

- كأن يرى البقعة التي يقيم عليها أرضاً شاسعة واسعة، يقدر بوهم جذبته، أو بإيهام شيطانه له، أن طولها من الشرق إلى الغرب مئات السنين، ومن الشمال إلى الجنوب كذلك.

ويرى بقايا الجدران التي تحيط بها، جبلاً شاهقاً ذاهباً في السماء، يحيط بالأرض من جميع جهاتها.

وطبعاً كانوا يقصّون مشاهداتهم على بعضهم، وكانت قصة الجبل الشاهق المحيط بالأرض تتردد كثيراً في مشاهداتهم وقصصهم، لكثرة خلواتهم في الخرائب.

وربما كان يخطر لأحدهم، على بال جذبته، أن يصعد فوق جبل قاف، فينهض، ويقترب من الجدار المتهدم، ويعتلي فوقه، فيرى نفسه قد قطع الدنيا بخطوة أو خطوتين أو ثلاث، ويرى نفسه قد صعد فوق جبل قاف، بخطوة أوخطوتين أو ثلاث، حسب المكان الذي صعد عليه.

وقد يهبط خلف الجدار المتهدم فيرى نفسه وراء جبل قاف، وقد يتراءى له شيطانه، وقد يكون معه رفقة شياطين آخرون، فيتسلون بالتلاعب بعقله والضحك على ذقنه، ويفهمونه أنهم أولياء مثله يقيمون وراء جبل قاف، أويزورونه من حين إلى آخر، كما قد يكون هؤلاء الأولياء مرتاضين مثله يختلون في الخرائب المجاورة لخرابته، وقد يكونون مجرد صور هلوسية.

وقد يحدث لجذبة الفقير (على وزن حضرة الفقير) أن يرى خلف جبل قاف حية، أو حبلاً يتوهمه حية، فيراها طويلة طول ما بين المشرق والمغرب، وقد تكون هذه الحية وسوسة من شيطانه ينفثها في روع جذبته فيراها مجسمة أمامه.

وبما أنهم كانوا، لجهلهم، والجاهل عدو نفسه، وعدو دينه، يؤمنون أن كشوفهم هي نور اليقين وعين اليقين، وحق اليقين، لذلك آمنوا أن الأرض محاطة من جميع جهاتها بجبل شاهق جداً! وعرف بعضهم بالكشف أن اسمه قاف، وانتشرت الأسطورة، وأخذت حيزاً هاماً من الثقافة العامة في المجتمعات الإسلامية حتى زمن قريب! بل لايزال كثير من الأبدال العارفين وعابديهم (المريدون) والمخدوعين بهم يؤمنون حتى الآن بجبل قاف.

وقد كانت الخرابات ضرورية لرؤية جبل قاف قبل أن يعرف، أما بعد ما شاع اسمه واشتهر واحتل مكانه من الثقافة العامة، فقد صار بإمكان الفقير أن يراه في أي مكان تأتيه فيه الجذبة، كما يرى بقية التخيلات والصور المختزنة في اللاشعور، (وسنرى

توضيح هذا بعد صفحات).

إن رؤية جبل قاف وغيره من الخرافات، بالكشف، هي برهان واضح جداً وساطع جداً على أن كشوفهم هلوسات تحشيشية شيطانية، وليست فتوحات إلهية كما يفترون.

٥ - **بقية كشوفهم الجاهلة**: رأينا، فيما سبق من فصول؛ نماذج كثيرة من كشوفهم التي سموها علوماً لدنية، وما فيها من جهل، ولا بأس من إضافة الملاحظات التالية:

أ - من كشوف الأقطاب الأغواث العارفين أن الأرض محمولة على حوت اسمه «نون»، والحوت على الماء المحيط . . إلى آخر الهذيان، ولم يستطع واحد من أولئك العارفين الذين عرفوا الأمور بنور اليقين - كما يقول حجتهم - أن يعرف أن ذلك هراء، وأن الأرض كروية مدحوة في الفضاء[1] وأنها تدور حول الشمس، وأن ماءها خرج منها ﴿أَخْرَجَ منها ماءَها ومَرْعاها﴾، وهذا يعني أن الماء محمول عليها، وليست هي محمولة عليه، وهذا دليل على أن كشوفهم ليست إلهية، بل هي هذيانات هلوسية، لأنها لم تستطع معرفة الحقيقة ولا فهم الآية الكريمة.

ب - رأى قطب منهم الشمس في عجلة يجرها ملكان لهما مخالب . . . وهذا يذكرنا بالحيوان الأسطوري الذي يجر عجلة ملكية والذي رآه حشاش فطر المكسيك، ولم يستطع الكشف الجاهل ولا كل كشوفهم أن تعرفهم أن الشمس كتلة ملتهبة مضطربة تكاد تميز من الغيظ أكبر من الأرض بمليون وثلاثمائة ألف مرة، وأنها ليست محمولة على عجلة بل مدحوة في الفضاء.

إذن فكشفهم ليس إلهياً وإنما هو هلوسة هذيانية.

ج - لم يعرف أي قطب منهم أو غوث من الذين يتصرفون في الكون أن القمر مثل الأرض فيه صخور وأتربة، وأنه كروي خال من الهواء والماء! ولم يعرف عارف منهم أن المريخ والزهرة والكاتب[2] وغيرها كلها مثل الأرض تتألف من صخور وأتربة وفيها أجواء غازية وفي بعضها ماء . . . لأن كشفهم ليس إلهياً بل هلوسات تحشيشية.

---

(١) مدحوة، أي مقذوفة ومدحرجة.

(٢) الكاتب هو عطارد.

د ـ لم يستطع أي غوث منهم من الذين يتصرفون في الكون أو من الذين تحققوا بأسماء الله الحسنى، ومنها الاسم «العليم» ومنها «علام الغيوب»، أن يعلموا شيئاً عن الذرات والجواهر والنوى وكهاربها وحركاتها . . . لأن كشفهم ليس إلهياً بل هلوسة أفيونية يرون فيها ما كانوا يتوهمونه عن الكون من خرافات وأساطير.

٦ ـ لم يستطع كشفهم الجاهل أن يميز الحديث الموضوع من الصحيح، حتى كانوا وراء تزوير الأحاديث ووضع أكثر الموضوع منها والمكذوب، فكانوا من الأدوات التي هدمت الإسلام في نفوس المسلمين، إذن فكشفهم ليس إلهيًا وعلومهم اللدنية هي جهالات لدنية.

ولا نريد أن نزيد، فما على القارىء الكريم إلا الرجوع إلى فصل «نماذج من حكايات الصوفية وكراماتهم . . .»، أو إلى كتبهم، ليري ما يكشف عن الجهل والغباء والخرافة والاستحواذ الشيطاني، فحكاياتهم وكراماتهم أبلغ من أي حديث آخر.

ـ ونذكر أن العروج في السماء، والفناء في الله (تعالى الله) وتوابعها، لا يستطيع شياطين الجن تمثيلها أمام السالك، أو العارف، أثناء اليقظة، لأن أجسامهم أصغر من أن تستطيع التمثل بتلك الأشياء الضخمة جداً.

لذلك كانوا بحاجة إلى الجذبة وخواصها، وأحياناً إلى الخاصة المضخمة لصغائر الأشياء تضخيماً كبيراً! ليستطيعوا أن يوهموا الفقير بتلك الأمور ثم يوهموه أنه صار «عارفاً بالله» بينما هو في الحقيقة، صار من أجهل خلق الله وأضلهم، وصارت نفسه مركباً ومسرحاً وملهاة للشياطين يعبثون فيها كما يريدون!



□ فيزيولوجية الجذبة :

ما هي الجذبة؟ وكيف تحدث؟

- من المعروف أن العمل العضلي المجهد يسبب إفراز مادة «حامض اللبن» في الدم الـذي يوصله إلى أنحـاء الجسم، وبمـلامسته للأنسجة العصبية يؤثر فيها تأثيراً تترجمه الجملة العصبية إلى شعور بالتعب.

وشبيه بهذا ما يحدث نتيجة المجاهدة الصوفية.

لنسأل أي عالم صادق من علماء التشريح والفيزيولوجيا؟ وسيخبرنا أن العزلة والسهر والجـوع والـذكـر الإرهـاقي وتـوابعهـا واستمـرارها مدة طويلة تحدث في الجسم الإنساني تحريضـاً يجعله يفـرز مادة تؤثـر على الجملة العصبيـة تأثيرات هدفها الأول التلطيف من شدة الألم الناتج عن تلك الممارسات.

فما هي هذه المادة؟ وما هو تأثيرها؟

يمكن معـرفـة هذه المـادة بالتحـاليـل المخـبرية الدقيقة، (وقد تفيد معها الفحوص الشعـاعيـة والسـريرية على أن تجري على عدة سالكين في أكثر من حالة صحو وأكثر من حالة جذبة لكل واحد منهم. وقد يكون من المفيد بدء الفحوص مع بدء سيرهم في التصوف).

ومع ذلك نستطيع، بصورة أولية، معرفة الوظيفة الكيميائية لهذه المادة من تأثيرها؟ إذ إن تأثيرها يشبه تماماً تأثير المواد المخدرة، إذن فهي من نوعها، وهي بالتالي من أشباه القلويات.

لكن يظهـر من تجارب القـوم وتـوصيات الشيوخ أن هذه المادة المفرزة، لا تؤثر على

الأعصاب التأثير المطلوب إلا عندما تكون الجملة العصبية في حالة «الاستخدار»، ورأينا أن الوصول إلى هذه الحالة يكون بخلع النعلين، الدنيا والآخرة، أي بإفراغ مراكز الوعي في الجملة العصبية من جميع مشاغلها الدنيوية والأخروية! إفراغاً كاملاً، حتى تصاب هذه المراكز، (بسبب تعطيلها عن العمل)، بالكسل والضمور والاسترخاء، أي «الاستخدار»، حيث تغدو قابلة للتأثر بكمية من المخدر أقل من الكمية التي يمكن أن تتأثر بها في الحالة العادية.

وهكذا يلتقي الهبوط الكافي في نشاط القشرة الدماغية ومقاومتها مع الزيادة الكافية في دفقة المخدر، فتكون الجذبة المورفينية التي يسمونها بغرورهم: الفتوح، أوكشف الحجب، أو الإشراق، أو الولاية، وغيرها . . . وما هي في حقيقتها إلا «أَفْيَنَةٌ ذاتية»[1] تشبه الأفينة التي يسببها الأفيون والمورفين والحشيش وعقار الهلوسة وفطر المكسيك وغيرها شبهاً كاملاً، مظهراً ومخبراً ومشاهدات وهلوسة وحالة نفسية.

ولو أُخضِع الذين يتعاطون هذه المهلّسات إلى إيحاءات الشيخ والجو الصوفي مدة كافية من الزمن، لصارت هلوساتهم مثل هلوسات الصوفية تماماً: عروجاً إلى السماء، واجتماعاً بالملائكة والأنبياء، ووصولاً إلى العرش، وحضوراً مع الله (جل وعلا)، وفناءً فيه حلولاً أو اتحاداً أو وحدةً، حسب الإيحاءات التي يُحقنون بها.

وفي هلوسات الصوفية التي يسمونها الكشف والفتح والعلم اللدني، والتي يرونها أثناء الجذبة، براهين تُضاف إلى ما سبق، على أن جذبة الإشراق هي نفس جذبة التحشيش والأفينة، لأن مشاهداتهم في هذه نفس مشاهداتهم في تلك، والفرق بينهما ناتج عن الفرق بين الأمانيّ والمعلومات المختزنة، ولأن الحالة النفسية في كلتيهما واحدة.

وتبرز ملاحظة مفيدة؟ فقد رأينا في فصل سابق أن هزّ الرأس على الطريقة النقشبندية قد يوصل إلى الجذبة بعد إحدى وعشرين هزة، أو بعد تكرارها، مما يدل على أن المادة المهلّسة المفرزة إنما تفرزها بعض أنسجة الدماغ أو بعض الغدد القابعة في ثناياه.

فهل الأمر كذلك؟

---

(١) أطلق عليها أحد الأدباء الشباب اسم «التحشيش الروحاني».

نعم إنـه لكـذلـك! ففي الدماغ منطقة تُفرز مادةً شبه قلوية لها مفعول المرفين، هذه لمنطقـة «تحت المهـاديـة» واقعـة في الجـزء الأسفـل من المخ، تفرز مادة «الأنْدُورفين» أي (المورفين الداخلي) وهي أقوى من المورفين المعروف، وظيفة هذه المادة هي تخفيف الآلام لشديدة التي يمكن أن تكون قاتلة، تلطِّفهـا وتجعلها ـ بآلية معقدة ـ في الحدود غير لمميتة.

كما أن هناك مادة ثانية يفرزها الدماغ اسمها «أنكيفالين»[1] لها نفس التأثير المخفف للآلام ونفس المفعول المورفيني، لكنها أضعف من المورفين.

نقرأ في المعجم الفرنسي (Larousse) تعريفاً لهاتين المادتين، ترجمته:

ـ أنـدورفـين[2] (Endorphine): هرمـون تفـرزه الغدة تحت المهادية (Hypothalamus) له حصائص المورفين المسكِّنة.

ـ أنكيفالين[2] (Enképhaline): مادة يفرزها الدماغ تؤثر في نقل السيالة العصبية ولها مفاعيل المورفين المسكِّنة.

ونقرأ للدكتور أكرم المهايني[3] في كتابه (علم الأدوية «الفارماكولوجيا») قوله:

ـ مماثـلات المـورفـين: أقرّ العلماء مؤخراً، إثر الدراسات الحديثة لفسيولوجية المراكز العصبية، وجود ببتيدات . . . تبدي قدرةً تحاكي فعل المورفين في عدد من النسج الحية، ولا سيـما في الجملة العصبيـة والنخامى والأنبوب الهضمي، وقد تم حتى الآن، الكشف عن مجموعتين من هذه الببتيدات الداخلية المنشأ التي عرفت باسم «مماثلات المورفين» أو «الببتيدات نظيرة الأفيون» وهما:

١ ـ مجموعة الأنكه فالين . . . (اكْتُشِفت سنة ١٩٧٧).

٢ ـ مجموعة الأندورفين[4] . . . (اكْتُشِفت سنة ١٩٧٦).

---

(١) ليس لدي من المراجع ما يعينني على معرفة المنطقة التي تفرزها.
(٢) يوجد عدة أنواع لكل من الأنكيفالين والإندورفين.
(٣) أستاذ في كلية الطب بجامعة دمشق حتى كتابة هذه الكلمات.
(٤) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٤ و٣٠٥.

(ليس من موضـوع كتـابنـا أن ننقـل تجارب الفارماكولوجيين ومناقشاتهم في موضوع هذه الببتيدات، وإنما نورد منها ما يمس موضوع بحثنا).

ـ إن دفقة كافية من الأندورفين، أو من الأنكيفالين، أو منهما مجتمعين توقع السالك في الجـذبـة المماثلة للجـذبة التي يسببها المورفين، حيث ينال السعادة الأبدية التي تستمر دقـائق أو سويعـات، يرتقي أثنـاءهـا في المعارج، وينتقل في الفناءات، ويتحقق بالأسماء والصفات ويذوق من معاني اسمه الصمد. . .

فلكـما التقـديس يا إنـدورفين ويا أنكفالين، يا هرموني الولاية وإكسيري المعرفة، يا سُرارتي التوحيد وقرارتي التفريد.

يا إنـدورفـين ويا أنكفالين، يا من بكما تعلقت همم الرجال، وإليكما تطاولت أعناق المحبين العاشقين الأبطال، ومن أجلكما اقتحموا الأهوال.

يا إنـدورفـين ويـا أنكفـالـين، إليكـما حقيقـةً توجهت صلوات الصـوفيـة في الجهـر والإسـرار، وبكـما حقيقـة تعلقت قلوبهم والأسـرار، وفي سبيلكـما حقيقة واصلوا اجتهاد الليل بالنهار.

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا منتهى أمل السائرين، وغاية غايات السالكين، إليكما صبت قلوبهم، ولكـما عَنَت وجـوههم، وبتجليـاتكـما التي لا توصف بلسان، ولا تفصل ببيان، باعوا الدنيا والآخرة، ورضوا بجهنم مستقرًّا ومقاما.

يا نور يقينهم، وعين يقينهم، وحق يقينهم.

يا هرموني الفناءات، وإكسيري التجليات، يا مانحي التحقق بالأسماء والصفات.

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا كاشفي الحجب، يا مقدسي الأسرار، يا رافعي الغين عن العين.

يا سر الجذبات التي أوهمتهم شياطينهم من الإنس والجن أنها ولاية وقرب وتحقق بالألوهية.

□ كيف يسبب الإندورفين والأنكفالين الجذبة:

الألم الشـديـد حافـز يدفـع الغدد الدماغية المختصة لإفراز هاتين المادتين أو إحداهما بشكل دفقات كافية لتخدير المراكز العصبية، بما في ذلك القشرة الدماغية، تخديراً خفيفاً كافياً لإبقاء الألم في حدود غير قاتلة.

كما يظهـر من تجارب القـوم (الصوفية) أن الاهتزازات العصبية العادية (غير الحادَّة) إذا استمـرَّت مدة كافيـة (تختلف من شخص لآخـر) تدفـع هذه الغدد لإفراز دفقات من هاتين المادتين أو من إحداهما، وقد رأينا أن هز الرأس بعنف على الطريقة النقشبندية قد يثير الدفقات.

والـريـاضـة الإشـراقية عند الأمم الأخرى (الخلوة، والجوع، والسهر، والصمت، وتـركيـز الفكـر في كلمـة، وتـركيـز النظـر على نقطة، وأخذ بعض الأوضاع غير المريحة، والاستمرار على ذلك مدة طويلة)، يقود إلى نتيجتين:

١ - إفراغ مراكز الوعي من أي شيء يشغلها على الإطلاق، فتتعطل القشرة الدماغية من وظائفها الطبيعية التي طبعها الله سبحانه عليها، ومع المثابرة والاستمرار تصاب بشيء من الكسـل والارتخـاء، ومـع المثـابرة والاستمرار أيضاً، يزداد الكسل والارتخاء حتى تصـل إلى درجـة كافيـة للتأثـر تأثـراً كافيـاً بكميـة المهلِّس (إندروفين أو إنكيفالين أو كليهما)، الضئيلة التي تفرزها الغدد المختصة، كما أن تكرار الرقص العنيف، يساعد في زيادة كسل القشرة الدماغية واسترخائها، أو انكماشها.

إن عملية عدم التفكير المطلق وإفراغ الذهن من كل ما يشغله عمليةٌ صعبة للغاية، بل تكـون متعـذرة للكثـير من الأشخاص، فأعانهم إبليس بأن دلَّهم على فائدة تركيز الفكـر في كلمـة ما كائنـة ما كانت هذه الكلمـة، فالهنـدوسي، مثلاً، يستعمل كلمة

«أوم» أو «راهام»، والطاوي يستعمل كلمة «طاو» . . . وإذا أراد أحد متصوفة المسلمين ممارسة رياضة الصمت (وهذا نادر جدًا) ركز تفكيره في شيخه.

ويستطيع القارىء أن يجرب ذلك بنفسه، فيركز تفكيره في كلمة ما، ولتكن «زيز»، يرددها في ذهنه دون أن يحرك لسانه أو شفتيه أو أي جزء من فمه، مع الانتباه إلى هذا الترديد، وسيشعر أن ذهنه كان فارغاً من أية فكرة أثناء ترديدها.

٢ ـ النتيجة الثانية، هي الإرهاق المؤلم المستمر الذي يدفع الغدد الدماغية المختصة إلى إفراز مخزونها من المهلّس، واستمرار الألم وتزايده يدفع هذه الغدد إلى العمل المتزايد وإلى تزايد الإفراز، حتى تغدو الكمية المفرَزة كافية للتأثير على المراكز العصبية التي وصلت إلى درجة كافية من الارتخاء؛ فتكون الجذبة التي يسمونها فيما يسمونها: «كشف الحجب، أو الفتح، أو الولاية، إلى آخر الأسماء الظالمة»، مع العلم أن ازدياد الإفراز عن الحدود المحتملة يقتل صاحبه.

أما متصوفة المسلمين:

فقد حذفوا من رياضتهم الصمت وتركيز الفكر والنظر وأخذ الأوضاع المؤلمة، واستبدلوها بما سمّوه «الذكر». إن ترديد كلمة ما، يقود بعد مدة قد تطول وقد تقصر (حسب الأشخاص) إلى نفس النتيجتين السابقتين:

١ ـ إفراغ الذهن من خواطره، والاستمرار على هذا الإفراغ بالذكر الإرهاقي المستمر ليالي وأياماً يدفع القشرة الدماغية إلى الاستخدار.

وكذلك الخضوع الكامل للشيخ هو عامل مساعد وقوي للوصول إلى الاستخدار لأنه يحول دون تشغيل الفكر، بل يشلّه.

٢ ـ من المعروف أن الإنسان إذا مارس حركة ما مدةً طويلة، تغدو لديه عادةً يقوم بها دون إرادة أو شعور.

وكذلك ترديد كلمة ما، ليلاً ونهاراً، يغدو بعد مدةٍ عادةً، يرددها المرتاض دون إرادة أو شعور، ويزيدها الترديد الإرادي تمكناً، حتى إنه يكون نائماً، فيستيقظ، أو يوقظه أحد، فيلهج بها لسانه مباشرة دون وعي منه؛ بل قد يصل إلى ترديدها أثناء نومه.

ومثله الأعصاب التي تربط اللسان بالدماغ، والتي تسري فيها التموجات العصبية النطقية المتناغمة مع الكلمة المردّدة ومقاطعها وحروفها، تعتاد على ترديد تلك النبضات مع اللسان دون وعي .

ومثلها المراكز المختصة في الدماغ .

وبطبيعة الحال، تنتقل هذه النبضات إلى الأنسجة المحيطة بأعصاب اللسان وبمراكزها في الدماغ حيث تصبح لها عادة مثل اللسان وأعصابه . ومع الزمن يشعر المرتاض أن أعصابه كلها تردد تلك النبضات ، وكلما زاد من ترديده الإرادي للكلمة كلما تمكنت تلك العادة من دماغه وأعصابه .

فلم يزل مستعملاً للذكر — فيصمت اللسان وهو يجري
وقَدْرَ ما تجوهر اللسان — بالاسم يستثبته الجَنان
ثم جرى معناه في الفؤاد — جَرْيَ الغِذا في جملة الأجساد

هذه الاهتزازات (الميكرونية طبعاً) المستمرة، تنتشر في الدماغ حتى تصل إلى الغدد المختصة التي تأخذ بالاهتزاز مثل بقية الدماغ ؛ واستمرار هذه النبضات يفضي إلى إفراغ المخزون أو المهيّأ من هرمونها .

واستمرار الاهتزاز، باستمرار الذكر، يؤدي بعد مدة إلى إصابة هذه الغدد بالخلل، فيزداد إفرازها ويسهل قذفها، وقد تصاب بالتضخم، كما يؤدّي هذا إلى خلل في التفكير السليم .

وهكذا . . . حتى تغدو كمية الدفقة كافية لأَفْيَنَةِ المراكز العصبية المستخدرة، فتكون الجذبة، ويغدو السالك ولياً لله بكمية من الإندورفين والأنكيفالين قد تقاس بأجزاء من الغرام ! .

فلكما التمحيد والنعمى يا إندورفين ويا أنكيفالين، ولكما توجههم الأسمى يا إندورفين ويا أنجيمالين، لوجهكما الرقص مع النقص وبدون نقص، يا مقدسي الأسرار ويا باعثي الأنوار .

ما كان هائمهم إلا وراء سرابكما، ولا هيامهم إلا بما يمنيهم إبليس فيكما من الخلد وملكٍ لا يبلى، يعدهم ويمنيهم وما يعدهم الشيطان إلا غروراً .

يا إندورفين ويا أنكيفالين، يا قدس أسرارهم، ويا جاذبيهم إلى الأوهام الشيطانية التي ضلّوا بها وأضلّوا.

وعندما تصير زيادة الإفراز وسهولة قذفه مقاماً بعد أن كانت حالاً، عندئذ يكون السالك قد وصل إلى الدرجات العلى، ونال القرب والسعادة العظمى، وصار بدلاً أو قطباً أو غوثاً، حسبما توهمه شياطينه من الإنس والجن.

فيا عبّاد الإندورفين، احمدوه واشكروه على ما أولاكم من نِعَمه، ولا تنسوا الأنكيفالين.

إلى جانب هاذين الهرمونين، يجب أن نذكر عاملاً مساعداً هو الأكسجين. ففي الحضرة الراقصة، وبعد دقائق قليلة من القفز، يأخذ الراقص باللهاث والتنفس العميق، وهذا ما يسمّى «التهوية» حيث يدخل إلى رئتيه كمية من الهواء، وبالتالي من الأكسجين، أكبر من الكمية العادية.

عندما تستمر عملية التهوية مدة كافية، ترتفع نسبة الأكسجين في الدم، وللأكسجين تأثير أفيونيٌّ ضعيف، وارتفاع نسبته في الدم يصيب المراكز العصبية بأُفْيَنَةٍ خفيفة، يختلف الإحساس بها من شخص إلى آخر.

لذلك نرى بعض الراقصين في الحضرة يأخذه الحال، فيزعق ويثور، إن كان الوارد قبضيّاً، أو يشعر بشيء من السرور والخدر اللذيذ، إن كان الوارد بَسْطيّاً، وقد يقع على الأرض، وقد يرى صوراً ينقصها الوضوح أو بعضُه، وهذا يثير فيه الشهية الجارفة للوصول إلى الجذبة ويدفعه إلى المثابرة على الرياضة، مع العلم أن بعض الذين يأخذهم الحال كاذبون لا يحسّون بشيء، وإنما يتظاهرون بذلك طمعاً في أن يحقّق الحال المقال.

كما أن للتهوية دوراً آخر، إذ إن ارتفاع نسبة الأكسجين في الدم يؤثر على المراكز العصبية في جميع الحالات، ويجعل فعاليتها تهبط، ولو لم يشعر الراقص بذلك، وكلما زاد عدد الحضرات كلما زاد الهبوط، وهذا يساعد السالك كثيراً على الوصول إلى مقام الاستخدار، لذلك جعلوا الحضرة من المنشطات وأصرّوا عليها.

□ ترنيمة إلى الإندورفين (مع حفظ المقام للأنكيفالين):

كنت مزّقتُ شعري، لكن البادىء أو الباده أو الطالع أو اللائح أو البارق أو اللامح، (وكلها مترادفة تعني بدايات الحال). أو الهاجم أو الوارد أو الحال (وهذه أيضاً مترادفة)، أو المقام، أيها لا أدري، أجرى في الخاطر هذه المقيصيرة فسجلتها.

أأندرفين والمسعى   إلى إشراقك الأسنى
له التسبيحُ في الإعلا   نِ والتمجيدُ في النجوى
له أبدالهم تعنو   وفيه قُطبهم يفنى

* * *

أأندرفين هرمونَ الولاية مانحَ الحسنى
إليك عروجُ سالكهم   ومنك سحائبُ النعمى
طَبَتْ سُبُحاتُ سرِّكَ سِرٌّ   قلب العارف المُظما
وقرّحَ جفنَه وَلَهٌ   بخمرة ذلك المجْلى
يهيم بسُكْر جذبتها   يعبُّ يعبُّ لا يروى
بها قد باع دنياه   وعاف لأجلها الأخرى
رضي بجهنمٍ سكَناً   مُقابل ساعةٍ تُجْلى

* * *

أأندرفين كنتَ لهم   معين الخدعة الكبرى
سرابُك عندهم خلْدٌ   ومُلْكٌ جلّ لا يبلى
وفيضك قدْسُ سِرّهمُ   يُقدّسُ قدْرَ ما تطغى

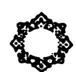
فأنت محطّ قِبلتهمْ — وأنت الغاية القصوى
إليك صلاتُهمْ حقّاً — وذكرهُمُ وما يُتْلى
أضاعوا فيك رُشْدَهُمُ — فضلّوا، السعْي والمسعى

ـ الترنيمة للأندرفين لأنني أظن أن له الدور الأساسي في الجذبة.

وقبل الانتقال إلى الفصل التالي، من المفيد ملاحظة ما يلي:

المنطقة تحت المهادية (Hypothalamus) هي منطقة من الدماغ الأوسط في قاعدة المخ حيث توجد عدة مراكز منظمة لوظائف فيزيولوجية هامة: «الجوع، والعطش، والنشاط الجنسي، والنوم، والاستيقاظ، وتنظيم الحرارة في الجسم».

وبدهي أن هذه المراكز هي أول ما يتأثر بالإندورفين، وبدهي أن هذا التأثر يغيّر كثيراً أو قليلاً من فعاليات هذه المراكز، وهذا يفسّر ما يحدث لبعض الواصلين من بقاء مدة طويلة دون طعام أو شراب أو نوم، ومقدرة بعضهم على تحمّل البرد الشديد أو الحر الشديد، وغير ذلك. مما يظنّونه كرامات دالّة على ولايتهم.



□ فيزيولوجية الرؤى أثناء الجذبة:

مادامت مكـاشفـاتهم ومشـاهـداتهم وإشـراقـاتهم باطلة كلها! لأنها مدحوضة كلها! بنصوص القرآن والسنة.

ومادامت دون أي رصيد في واقع الحياة والوجود!

ومادام كل ما يشاهدونه ويسمعونه ويكاشفونه هذيانات وهلوسات إندورفينية أنكيفالينية!

مادامت كذلك! إذن فما هي؟ وكيف تحدث؟

١ ـ هنـاك التمثيليـات الشيطـانية، لكنها في واقع الأمرثانوية، وقد لا تقتضيها الحاجة في كثـير من الأحيـان، وأكثـر ما تكون في حالة الصحو، فيسمّونها الكرامات، ومع ذلك فهي وسيلة الخداع الأولى في الصوفية.

٢ ـ عملية الكشف والمشاهدة تجري في الدماغ، في مركز التفسير البصري، كالتالي:

من المعروف أن الصور الحسّية (البصرية والسمعية والشمّية والذوقية واللمسيّة) عندما تتلقاها أعضاء الحسّ (العين والأذن والأنف واللسان والجلد) تحولها إلى سيالة عصبية تنقلهـا الأعصـاب المختصـة (بشكـل تموجـات قطعـاً) مبـاشـرة وبسرعة، إلى مراكز التفسـير الحسّي في الـدمـاغ، فما كانت بصـرية انتقلت إلى مركز التفسير البصري، حيث يتم هناك الإحساس بالرؤ ية، أي إن مركز التفسير البصري في الدماغ (تحت القشرة) هو الذي يحس بوجود الأشياء وبأطوالها وأحجامها وأبعادها وألوانها وحركاتها، أي هو الذي يفسّرها بالصورة التي يعرفها كل من وهبه الله سبحانه نعمة البصر. وما كان سمعيـاً انتقـل من الأذن إلى مركـز التفسـير السمعي الـذي يتمّ به الإحسـاس بالصوت وارتفاعه وحدّته وقربه وبعده . . . وهكذا.

فمراكز التفسير في الدماغ هي التي تفسّر السيّالة (أو الموجات) الواردة إليها ذلك التفسير الذي يعرفه كل حي.

من مراكز التفسير الحسّي تنتقل الصور مباشرة وبسرعة إلى مخازن الحفظ في الخلايا الدماغية المتخصصة بذلك والقابعة في منطقة اللاشعور في الأجزاء الداخلية من الدماغ.

وكذلك يحدث للأفكار والتخيلات والأماني والطموحات، تُخزن كلها في خلايا مخازن الحفظ المخصّصة لها.

ويلاحظ بوضوح أن منطقة اللاشعور ليست مجرد مخازن صامتة تكَدّس فيها الصور والأفكار بجمود، وإنما هي عالم حي تجري فيه بنشاط عمليات تحليل وتركيب وإنشاء، لكن يغلب على هذه العمليات التنسيق مع العواطف والأماني المختزنة والتخيلات.

ويقرر علماء التشريح والفيزيولوجيا، بناءً عل دراساتهم وتجاربهم الكثيرة، أن مراكز الوعي (التذكر والإدراك والمحاكمة والضبط وتمحيص الأمور) تقع في القشرة الدماغية.

ويظهر أن خلايا المراقبة والانتقاء تتوزع بين القشرة وتمتد إلى داخل الدماغ.

ومراكز التفسير الحسّي (البصري والسمعي وبقيتها) تقع تحت القشرة داخل الدماغ أيضاً.

ومن ملاحظة أحلام اليقظة، والأفكار الشاردة أثناء الاسترخاء، والأحلام المنامية، ومن دراسة أوصافهم لأحلام جذباتهم الأفيونية والإشراقية، نستطيع أن نتخيل ما يلي:

أن هناك طرقاً عصبية (حبال) بعضها صادر عن مراكز الوعي في القشرة الدماغية (التذكر والإدراك وبقيتها) وبعضها صادر عن مراكز التفسير الحسّي تحت القشرة (البصرية والسمعية وبقيتها) وكلها تصبُّ مباشرة في مخازن الحفظ في مناطق اللاشعور في الدماغ، والتي هي خلايا عصبية تعد بالمليارات وأن هناك قنوات مباشرة من مراكز

التفسير الحسّي إلى مراكز الوعي في القشرة (الإدراك والضبط وغيرها).

كما يلاحظ؛ مع شيء من القبول، أن هناك طريقاً، أو قناة عصبية (حبل) صادرة عن مخازن الحفظ في اللاشعور، تصبُّ، حسب مقتضى الحال، في مركز التذكر أو التخيل في القشرة، ومن هناك تتوزع إلى المراكز الأخرى في القشرة الدماغية حسب مطلوب الفرد أو حالته.

ويلاحظ أن الطريق الواصلة بين مراكز الوعي في القشرة وبين مخازن الحفظ في اللاشعور هي، في الحالة العادية، ذات اتجاهين: من القشرة إلى مخازن الحفظ، ومن مخازن الحفظ إلى القشرة (أي ذهاب وإياب).

والطريق الواصلة بين مراكز التفسير الحسّي تحت القشرة وبين مخازن الحفظ هي، في الحالة العادية، ذات اتجاه واحد: من مراكز التفسير الحسّي إلى مخازن الحفظ فقط.

كما أنه من الملاحظ أيضاً أن خروج الصور الحسّية والأفكار من مخازن الحفظ في اللاشعور يكون بأحد أسلوبين.

أ ـ **أسلوب إرادي انتقائي**، لا تخرج فيه إلا الصور المطلوبة، وهذا يدل على وجود خلايا دماغية وظيفتها الإشراف على إفراز الصور والأفكار المطلوبة وإخراجها إلى مركز أو أكثر من المراكز المناسبة في القشرة الدماغية، أي إن هذه الخلايا الدماغية هي مراكز مراقبة أو «رقيب» ويظهر أن جزءاً من هذه الخلايا (أو الحبال) الرقيبة واقع في منطقة اللاشعور، فهو يعمل دون أن يشعر به الكائن الحي.

ب ـ **أسلوب لا إرادي**، تتسرب فيه الصور والأفكار عفوياً (حسب الظاهر) وتجري هذه العملية في حالة الشرود الذهني والاسترخاء وفي حالة النوم (الأحلام) وفي الجذبة (الكشف)، عندما تكون مراكز الوعي والرقيب فاقدة فعالياتها.

كما يلاحظ أيضاً وبوضوح، أن عمليات التحليل والتركيب التي تجري في مناطق الوعي تكون متناسقة مع واقع الحياة والوجود على قدر استيعابها لهذا الواقع.

وأن عمليات التحليل والتركيب التي تجري في منطقة اللاشعور تكون متناسقة مع العواطف والأماني والمخاوف الكامنة، تأخذ موادّها الأولية منها ومن المعلومات

المختزنة، فتحللها وتركب منها صوراً جديدة تتفق والأماني المختزنة والعواطف، ويلعب فيها الذكاء الفطري للفرد وسعة خياله دوراً ملحوظاً، لذلك، غالباً ما تقفز فوق الواقع والمعقول.

ـ وهناك حقائق تشريحية وفيزيولوجية تساعد معرفتها على معرفة كيفية حدوث الرؤى الجذبية، بل والمنامية أيضاً:

ـ يتألف الحبل العصبي من خلايا عصبية متصلة ببعضها، تنتقل السيالة العصبية فيها من خلية إلى جارتها حتى تصل إلى مراكز التفسير الحسي في الدماغ، أو إلى القشرة الدماغية.

ـ الخلية العصبية، ويسمونها «العصبون» أو «النورون» تعريباً من (neurone) لا تستطيع الانقسام، وينتهي طرفاها بخيوط دقيقة متشعبة، تجتازها السيالة باتجاه واحد[1].

ـ بالقرب من منتهيات العصبونات، بملامسة التلاحمات العصبية، توجد حبيبات[2] تحتوي على مكونات آمينية يسمونها «الأمينات الوسيطة».

ـ ما بعد منطقة التلاحم هذه يوجد تلاحم آخر غني بحويصلات كبيرة (نسبياً) كروية تختزن مادة ببتيدية (أي لها نفس مفعول الأندورفين) يسمونها «المادة P». وقد أثبتت الدراسات أن المادة «P» والانكيفالين والمستقبلات المورفينية تبدي نفس التوزع. والمادة «P» هذه هي حموض نووية (كالأمينات) لها دور هام في تأمين نقل الشيفرات الألمية عبر الألياف الناقلة للألم.

ـ تمر السيالة العصبية الحاملة لحسٍّ ما من أول العصبون إلى آخره، وهناك يتحرر عدد من الأمينات الوسيطة من حبيبات ادخارها لتصطدم بمنتهيات العصبون المجاور لتنقل إليه السيالة، أو لتحرّض فيه سيالة مماثلة، أما المادة «P» ففي نقل الألم.

ـ تقوم أدوية الجملة العصبية المركزية (الأفيونيات ومعها الإندورفين والأنكيفالين)

---

(١) عن المعجم الفرنسي (Larousse).

(٢) التعامل مع هذه الحبيبات يكون بالمجهر الالكتروني لصغرها.

بتأثير منتشر، منبّه أو مثبّط، لجميع التلاحمات العصبية (أي مكان اتصال العصبونين المتجاورين) . . . ويتم هذا التأثير بطريقة اصطفائية مختلفة الشدة، وذلك بتنشيط أو إبطاء استقلاب الأمينات الوسيطة، أو بالتدخل في وظائف هذه المواد (الأمينات الوسيطة) . . . .

ـ وفي الحقيقة أصبح من المقبول اليوم أن السيّالة العصبية عندما تبلغ نهاية النورون العصبي حذاء المركز، يتحرر من هذه النهاية عدد من الأمينات الوسيطة وتنتشر لتنبه أو تثبط نوروناً آخر[1] . . . اهـ.

ـ ألفتُ النظرَ إلى قوله: «ويتم هذا التأثير بطريقة اصطفائية».

ويقول في مكان آخر:

إن آلية التأثير العام لهذه الأدوية (المخدرات العامة) التي تستند على وجود ولعٍ اصطفائي مختلف الشدة بينها وبين المراكز العصبية المنتشرة على طول المحور الدماغي النخاعي[2] . . .

ويقول: إن اكتشاف بعض المركبات الكيمياوية، كعقار الهلوسة (LSD) والمسكالين وغيرهما، وملاحظة أن هذه المواد قد تسبب تبدلات عميقة في التصرفات تصل لدرجة الإهلاس، كل هذا لفت انتباه الدوائيين الجدد إلى إمكان وجود علاقة بين اضطرابات السلوك والتصرف، وبين بعض المركبات الكيمائية التي تبدي ولعاً اصطفائياً خاصاً بالمناطق الدماغية الخاصة بوظائف الكيان النفسي. وقد ارتقت نظرية التأثير الاصطفائي إلى أبعد من ذلك[3] . . . اهـ.

ـ هذه التقارير منقولة عن الدكتور أكرم المهايني في كتابه علم الأدوية الخاص مع قليل من التصرف للتخلص من التعقيدات والتفصيلات التي لا تهمنا في بحثنا.

يهمنا من هذه التقارير:

---

(١) علم الأدوية الخاص، ص٤، مع شيء من التصرف، (المادة P ص٣٠٨ و٣٠٩).
(٢) علم الأدوية الخاص، ص٦.
(٣) علم الأدوية الخاص، ص٧.

ـ الأمينـات الـوسيطة التي تنتقل من نهاية عصبون إلى بداية جاره لتنبيهه بتحريض السيالة، أو تثبيطه.

ـ دور الأدوية المؤفينة (ومعها الإندورفين والأنكيفالين) بتنشيط الأمينات أو إبطائها (تثبيطها) أو تقويتها.

ـ تأثير هذه العقّارات الأفيـونيـة على أماكن مصطفاة من الأعصاب ومن الدماغ، وخـاصـة بالمنـاطق الـدماغية الخاصة بوظائف الكيان النفسي، وهو الموضوع الذي نحن بصدده في كتابنا.

ـ وهـذه الأمـاكن والأجـزاء العصبية التي لديها القابلية للتأثر بهذه العقّارات المخدرة يسمونها «المستقبِلات».

يقول الدكتور أكرم المهايني عن مجموعة الأنكيفالين:

. . . تتثبت بشدة على المستقبِلات المورفينية، وتتوزع في الجسم بشكل يتماشى مع توزع هذه المستقبلات[1] . . .

ويقول عن مجموعة الأندرفين:

. . . وأثبتت الدراسات التجريبية . . . عام ١٩٧٦، بأن لهذه الببتيدات أيضاً ولع شديد بالمستقبلات المورفينية[2] . . .

ـ من كل هذا، نرى أن الإنـدورفـين والأنكيفـالين اللذين يفرزهما الدماغ لهما نفس مفعـول المـورفـين بصـورة دقيقة، وإن كان الأنكيفالين أضعف منه، والأندرفين أقوى في بعض الحالات. وهـذه التقـاريـر العلميـة، مضاف إليها مارأيناه في الفصول السـابقة من تشـابـه كامـل بين حالـة الجـذبـة الأفيـونيـة الهلوسية ورؤ اها وبين حالة الجذبة الصوفية ورؤ اهـا، كل هذا يجعـل التأكـد كامـلاً، ولا يترك مكاناً لأي شك أو تسـاؤ ل أو تردد بأن الجـذبـة الصـوفيـة ورؤ اها هي تهليس إندرفيني أنكيفاليني، وأن الرياضة الصوفية وعلى رأسهـا الـذكر الإرهاقي تعمل على زيادة الكمية المفرزة من هاتين المادتين بشكل مَرَضيّ

(١) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٤.

(٢) علم الأدوية الخاص، ص٣٠٥.

دائم، كما تعمل، بإرهاقها الدماغ مدة طويلة، على إضعافه إضعافاً كافياً للتأثر بهذه الكمية الجديدة من إحدى هاتين المادتين أو كلتيهما.

وبالتالي تكون الصوفية، أو الإشراق، أو المعرفة، أو الكهانة، أو ما شئت غيرها من الأسماء التي أطلقوها، تكون خدعة إبليسية كبرى، وهي السبب الأساسي لانحراف الإنسانية عن الفطرة التي فطرها الله سبحانه عليها.

ولزيادة الفائدة وزيادة تأكيدها، نصان آخران.

يقول الدكتور أكرم المهايني:

. . . ويحسن بنا التذكير، بأن زوال الألم بفعل المورفين (ومثله الإندورفين والأنكيفالين طبعاً) لا يؤلف سوى وجه واحد من أوجه تأثيراته المتعددة، فطيف تأثيره يشمل أيضاً - بشكل أعم - السلوك والتصرفات.

. . . ولوحظ أيضاً وجود فرط نشاط إندورفيني في السائل الدماغي الشوكي لدى المصابين بالفصام (الجنون) المترقي[1] . . .

- أقول: يعرف القارىء الآن أن الفصام المترقي هو مقام «جمع الجمع»، وأن المصاب به هو الذي يسمونه «المراد»، ولو أجريت الفحوص اللازمة لهؤلاء الأولياء الأحياء الذين نسمع بهم، وخاصة عندما يكونون في مقام القُرْب، لوُجد فرط النشاط الإندورفيني في السائل الدماغي الشوكي عندهم.

ومن هنا يبرز الترجيح، أن الإندورفين هو صاحب الدور الأساسي، أو الرئيسي في الجذبة.

- والآن نستطيع أن نتخيل كيفية حدوث الرؤى الكشفية والأفيونية:

الظاهر أن مناطق اللاشعور في الدماغ تبقى في نشاط مستمر في جميع الحالات، شأن أجهزة الجسم اللاإرادية.

وواضح للمتأمل أن القناة العصبية التي تخرج فيها الصُّوَر من مخازنها في خلايا

(١) علم الأدوية الخاص، ص٣١٠ و ٣١١.

اللاشعور إلى مراكز الوعي في القشرة الدماغية، هذه القناة، أو القنوات، هي من مستقبلات المورفين، ولذلك، عندما تغدو كمية الإندورفين المفرزة كافية، بتحريض الرياضة الصوفية، تتفاعل معها هذه المستقبلات، فتتثبط الأمينات الوسيطة على طول الحبل العصبي الواصل بين المخازن والقشرة، وتغدو هذه الطريق مغلقةً، ويظهر أن خلايا الرقابة العليا يصيبها نفس الشيء، كما أن مستقبلات الأفيون في كل الجملة العصبية يصيبها نفس الشيء، وهذه هي الجذبة.

إن فقدان المجذوب الإحساس بما حوله جزئياً أو كلياً (حسب كمية المهلّس) هو دليل لازم كاف على أن الأمينات الوسيطة قد ثُبّطت، فتوقفت السيالات التي تحمل الإحساسات من أعضاء الحس (العين والأذن . . .) إلى القشرة الدماغية.

هذه هي الجذبة، وهذه هي الولاية (مرحباً ولاية).

ويظهر أن هذه الولاية تصيب أيضاً خلايا الرقابة في الدماغ، فتأخذ خلايا اللاشعور حريتها بتحليل الصور والمعلومات المختزنة، وغيرها، لتركب منها صوراً جديدة متناسقة مع عواطف المجذوب ورغباته، بل، لعل العواطف والرغبات هي التي تحرك عملية التحليل والتركيب.

تخرج هذه الصور الجديدة، وغالبيتها بصرية، على غفلة من الرقيب المخدّر بشكل سيالات عصبية، لعلها موجيّة (وهو المنطقي)، في الطريق المعتاد الذي طُبعت عليه، أي إلى مراكز الوعي في القشرة الدماغية، لكنها تجد منافذها مغلقة، وتجد إلى جانبها منفذاً آخر، وهو الطريق ذات الاتجاه الواحد التي تخرج من مراكز التفسير الحسي وتصب في المخازن، وهي، بدهياً، تقع داخل الدماغ، فتعبرها اضطراراً مخالفة للعادة في الحالة العادية، حيث تصل إلى مراكز التفسير الحسي. ولعل المادة «P» لها دور في فتح هذه القناة بصورة معكوسة.

بما أن غالبية الصور بصرية، لذلك تذهب إلى مركز التفسير البصري، فيفسرها ويحس بها كما لو كانت آتية عن طريق العين، ويراها المجذوب مجسّمةً ماثلة أمامه كأنها شيء واقع حقيقي، لأن مركز التفسير مطبوع على التأثر بأية موجة تصله، ليفسرها ويرسلها مفسرة إلى مركز الإدراك في القشرة، ولا علاقة له بمصدرها ولا بالطريق الذي

سلكته.

وتذهب الصور السمعية إلى مركز التفسير السمعي، واللمسية إلى مركز التفسير اللمسي . . . وهكذا.

وعندما يصل الخدر خفيفاً إلى الطرق الواصلة بين المخازن ومراكز التفسير الحسّي، عندئذ يختلط الحابل بالنابل، ويختلط السمع بالبصر بالشم بالدوق باللمس، فتذهب الموجات البصرية إلى مركز تفسير حسّي (بصري أو غير بصري) وكذلك السمعية والشمّية والذوقية واللمسية، فتحدث لهم الرؤى التي لا يستطيعون وصفها، وتوهمهم شياطينهم، ويصور لهم غرورهم أن الأنبياء كانوا كذلك! وتوهمهم جذباتهم أن الجنة كذلك.

وعندما يزيد المخدّر عن حده، ويتغلغل في الدماغ يصاب المجذوب بالجنون أو الشلل أو الموت.

هكذا تحدث أحلام الجذبة بجميع أنواعها سواءٌ أكانت مورفينية أو إندورفينية، أي سواءٌ كانت جذبة تحشيش أو جذبة إشراق.

ولعل من آثار الأندورفين أيضاً تمييع الخلايا العصبية، وخاصة خلايا القشرة الدماغية، تمييعاً خفيفاً طبعاً، لأن هذا يمكن أن يكون تعليلاً لما يرونه من تضخيم الأبعاد قليلاً أو كثيراً، ومن إطالة الزمن أو تقصيره، ومن رؤية فراغات لا نهائية أو رؤية الأشياء شفافة أو لا وجود لها . . . وذلك لأن الخلايا المدْركة في القشرة، عندما تتميع، يمكن أن يتغير شكلها باتجاه أو بآخر بسبب الضغوط حولها، فيحدث ذلك التشويه في الإدراكات، كما يمكن أن يكون حدوث هذا التميع في مراكز التفسير ذاتها.

وهنا يأتي دور الشيخ؟

فلولا الشيخ لكانت الرؤى متشابهة مع بعضها في الجذبتين «جذبة التحشيش وجذبة الإشراق». لكن توجيهات الشيخ وإيحاءاته المتناسقة مع تجاربه السابقة، تحقن المريد بالعواطف والطموحات التي توجه رؤاه إلى العروج في السماوات والمحاضرات والمكاشفات والمشاهدات والفناءات والتحقق بالأسماء والصفات، ورؤية جبل قاف وكاف وعين وصاد، وغيرها، حيث يرى السالك منها ما يتناسب مع استعداداته الفكرية

والإندورفينية.

ولهذا السبب كان الشيخ هو الأصل في طريقهم، ولهذا السبب قالوا من لا شيخ له فشيخه الشيطان، لأن من لا شيخ له تكون رؤاه مثل رؤى حشاشي الحشيش والمورفين وزمرتهما، ولهذا السبب كان الخضوع الكامل للشيخ أساسيًا ليسهل انطباع توجيهاته وإيحاءاته في أعماق المريد.

مساكين الحشاشون والمورفينيون! مساكين؟.

فلو كان لهم شيخ يوجههم، لذاقوا أيضاً الفناءات، وتحققوا بالأسماء والصفات، وتصرفوا بالكون، ولكان منهم الأبدال والأقطاب والأغواث.

أما قولهم بالتصرف في الكون، هذا الهذيان المضحك المبكي (وكلهم هذيانات مضحكة مبكية) فقد رأينا مثله عند حشاش عقار الهلوسة، الذي يكفي، في بعض الحالات، أن يتخيل شيئاً أو يتمنى رؤيته حتى يراه أمامه مجسماً.

ومثل هذا يحصل لبعض الواصلين الذين صار خَلَل غددهم المفرزة للهرمونين مقاماً عالياً، فقد يمر بخاطره عرش الرحمن مثلاً، فيراه أمامه مجسّماً كما يتصوره بوهم جذبته، لا كما هو على حقيقته التي لا يعلمها إلا الله.

وقد يخطر على بال جذبته أن ينقله من مكان إلى مكان، فيقول له «انتقل» فيراه قد انتقل.. وهكذا. وهذا ما يسمونه «التصرف في عالم الملكوت».

وكذلك ما يحدث لبعضهم أحياناً من اضطراب في إحساسه بالزمن، حيث يحسّ أنه قطع سنين طويلة في جذبة لم تدم سوى دقائق قليلة! مثل هذا ما رأيناه يحدث لمجذوب المهلّسات...

والرجاء من القارىء أن يعود إلى مفعول المخدرات في أول هذا الفصل لتتوضح أمامه ما هي كشوفهم ومعارفهم وعلومهم اللدنية.

والآن، نستطيع أن ندرك بصورة أوضح وأدق، دور الرياضة الصوفية. فهي بعناصرها التي عرفناها والتي يُجملها قولهم: «اخلع نعليك، الدنيا والآخرة»، تقلّل الإحساسات الذاهبة إلى الدماغ تقليلاً كبيراً، وهذا يعني أن السيّالات العصبية تقل

كثيراً، وهذا يعني كذلك أن الآمينات الوسيطة يقل عملها كثيراً، ومع الزمن تصاب بالكسل، ومع تطاول الزمن بالمثابرة على الرياضة، ومع تكاثر الإندورفين والأنكيفالين بسبب الرياضة أيضاً، يغدو كسل الآمينات الوسيطة مقاماً عالياً، وتغدو مستعدة للشلل أو ما يشبهه بكمية من المخدر أقل من الذي تحتاجه في الحالة العادية، أي تصل إلى مقام الاستخدار، والذكر الإرهاقي يقوم بنفس المفعول، وإذا ساعدته عناصر أخرى من الرياضة كان أسرع، ولعل التلاحمات العصبونية المحيطة بالدماغ هي محل العمليات المذكورة، وذلك لتكاثر الإندورفين في السائل الدماغي الشوكي أثناء الجذبة.



□ **فقرات معترضة:**

* **إكسير الولاية :-**

تسهيلاً على المريدين وتيسيراً لهم للوصول إلى الولاية والصديقية والغوثية والألوهية بيوم أو يومين، وبدون تعب ولا خلوة ولا جوع ولا سهر، نقترح على الشيوخ العارفين الكمل، ذوي المدد العظيم من الأموال التي تنهمر عليهم من المخدوعين والغافلين، أن يكلفوا واحداً أو أكثر من علماء الكيمياء الطبّية، لتحضير نوعين من العقاقير :

أ - عقّار يسبب هبوط فعالية الأمينات الوسيطة بشكل دائم (الاستخدار).

ب - عقّار آخر يحدث خللاً يضخم الغدد الدماغية المفرزة للمخدرين ويزيد إفرازها زيادةً كافية.

عندئذ تصبح الولاية والقطبية والألوهية في متناول الجميع! فكل من يريد التحقق بالأسماء والصفات والفناءات في الذات والتصرف في الكون، ما عليه إلا أن يذهب إلى صيدلية يشتري منها «إكسير الولاية» المكون من عقارين:

- العقار الأول يأخذه في اليوم الأول، حيث يجتاز كل المقامات في ساعات، ويصل إلى مقام الاستخدار.

- العقار الثاني يأخذه في اليوم الثاني، حيث تخرق له الحجب وتكشف الغيوب بعد ثواني أو دقائق.

لكن الشيخ يبقى لازماً لا بد منه في جميع الحالات! إذ بدون إيحاءاته وتوجيهاته لن يستطيع المريد الوصول إلى الألوهية، لأن من لا شيخ له فشيخه الشيطان، ومن لم يكن بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل فلا يمكن لإيحاءات الشيخ أن تنطبع في أعماقه

لتصبح جزءاً هاماً من أمانيه وطموحاته.

وصحبة شيخ وهو أصل طريقهم   فما نبتت أرض بغير فلاحة

ولهذا، فلن يكون إكسير الولاية خطراً على المدد الذي ينهمر على الشيوخ، بل بالعكس، سيزيد كثيراً عدد السالكين بسبب سهولة (الطريقة الإكسيرية)، وبذلك سيزداد كثيراً مدد الشيخ، كما سيحتاجون إلى عدد أكبر من الشيوخ الكمّل.

*** أحلام النوم:-**

فيزيولوجية أحلام النوم تشبه فيزيولوجية أحلام الجذبة، مع فارق هو: في الجذبة: يبقى خدر الدماغ سطحياً وثابتاً في موضعه طيلة الجذبة، بينما تكون بقية أجزاء الدماغ متمتعة بنشاطها المعتاد إلا في حالة «الفناء عن الفناء» أو جمع الجمع.

وفي النوم: يبدأ النوم سطحياً (في القشرة الدماغية) حيث تحدث الأحلام، وتكون أجزاء الدماغ الأخرى في حالة هبوط تدريجي نحو النوم، فحالة الهبوط تجعل الحلم غامض الموضوع، والتدرج نحو النوم الكامل، أو بالعكس، يسبب القفزات في تسلسل حوادثه.

وعندما يصل النوم إلى مراكز التفسير الحسي تنقطع الأحلام.

*** هل سيبصر الأعمى:-**

لا أظنه بعيداً، ذلك اليوم الذي يذهب فيه الأعمى إلى الصيدلية ليشتري «جهاز إبصار» يضعه على رأسه، ترتبط به نظارات يضعها على عينيه، ثم يخرج وهو يرى الحياة كما يراها البصير العادي. وتحدث عملية الرؤية كالتالي:

تقع الأشعة المنعكسة عن الأشياء على نظارات الجهاز (مثل وقوعها على العين العادية) وترتسم صورها عليها.

تتحول هذه الصور إلى موجات كهرطيسية تسري عبر شريط ناقل إلى الجهاز الموضوع في مكان معين فوق الرأس.

يحوّل هذا الجهاز الموجات الكهرطيسية إلى موجات عصبية مناسبة تخترق الجمجمة

والقشـرة الـدمـاغية حتى تصل إلى مركز التفسير البصري الذي يفسرها كما لو كانت آتية إليه عن طريق العين، إذ كل ما يريده مركز التفسير البصري هو أن تصله موجات عصبية مناسبة، ليفسرها ويحس بها ذلك الإحساس الذي يعرفه كل كائن حي بصير.

أما من أين أتت تلك الموجات؟ وكيف؟ وفي أي طريق؟ فهذا لا شأن له به.

وهكذا تحل مشكلة العميان حلاً جذرياً أو شبه جذري، كما يستطيع أي إنسان أن يستعمل هذا الجهاز للتسلية، أو لضرورة ما.

* جهاز فيديو يغني عن الشيخ والرياضة وعن إكسير الولاية :-

نفس جهـاز الإبصـار الـذي يضعه الأعمى على رأسه، يرتبط به جهاز فيديو خاص (بدلاً من النظارات).

يستطيـع صاحب الجهـاز أن يقتني مجمـوعـة كبـيرة من أشرطة الفيديو التي سجلت عليها مناظر متنوعة الأشكال والمواضيع.

فما على المرء إذا أراد أن يقوم بسياحة إلى إندونيسيا، مثلاً، إلا أن يضع الجهاز على رأسه، ويضع في الفيديو الشريط المناسب، ويحرك الزر المطلوب، ثم تبدأ الرحلة!

فيرى نفسه ذاهباً إلى وكالة سفريات، حيث يشتري بطاقة طائرة، وفي اليوم التالي يستيقظ من النوم باكراً، ويذهب إلى المطار، ويختلط بالمسافرين، ويقف بدوره أمام رجل الأمن المكلف بمـراقبـة الأمتعـة، وبعـد أن ينتهي من كل المشـاكـل، يعبر إلى المدرج، ويصعد إلى الطائرة ليجلس على مقعد فوق مؤخرة جناح الطائرة الأيمن، ويجلس إلى جانبه شاب يمضغ لباناً في فمه مما يثير في نفسه الضيق والحنق معاً . . . وتتحرك الطائرة وتحلق في الجو، وينظر صاحبنا من النافذة ليمتع نظره بالأرض التي تطوى تحته ببطء لتظهر أرض غيرهـا . . . وهكـذا حتى يصـل إلى مطار لاهور . . . إلى آخر الرحلة وتفاصيلها . . . بينما هو في حقيقة الأمر قابع في غرفته لم يتحرك من مكانه!.

وإن كان صاحبنـا من المـريـدين الـذين لا يريـدون إلا وجهه (؟) فيضع في الڤيديو شريـط الـولاية، وإن أراد الحسنى (؟) وضع شريط العروج إلى الله (جل الله وعلا علواً كبيراً)، فيرى الملائكة تتنزل عليه وتقول له: «لا تخف ولا تحزن» . . . ويرفعه أحدهم

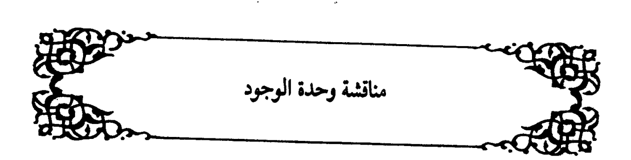
. . . حتى يعبر السماوات ويصل إلى العرش (في قصة طويلة ومناظر متنوعة مذهلة) وهناك تحدث له الفناءات والتحققات والتصرفات، ويذوق من معاني اسمه الصمد والرب والرحمن، حتى الاسم الأعظم.

وهكذا . . . إلى آخر المناظر المسجلة على الشريط، وعلى بقية الأشرطة.



الباب الثالث: مناقشة الحقيقة





مناقشة وحدة الوجود

١ ـ يقول سبحانه: ﴿وجَعَلوا لهُ مِن عبادِهِ جُزْءاً إنَّ الإنْسانَ لَكَفورٌ مُبينٌ﴾.

الآية واضحة كل الوضوح، لا لبس فيها ولا غموض.

فوحدة الوجود تجعل من كل مخلوق جزءاً من الله جل وعلا.

وتقرر الآية الكريمة الحكم على الذين يؤمنون بهذه العقيدة الذين يجعلون من عباد الله (سبحانه عما يصفون) جزءاً منه، تقرر الحكم عليهم بالعبارة: ﴿إنَّ الإنسانَ لَكَفورٌ مُبينٌ﴾، التي نفهم منها ما يلي:

أ ـ قوله: ﴿إنَّ الإنسانَ﴾، يدل على أن المؤمنين بوحدة الوجود هم من بني الإنسان فقط، فلا يوجد بين الجن مثلاً، بله الملائكة، من يؤمن بهذه العقيدة الكافرة

ب ـ قوله: ﴿لكفور﴾، على وزن «فعول»، وهي صيغة تدل على المبالغة والاستمرار، تعني: إن المؤمن بوحدة الوجود هو شديد الكفر مستمر عليه، بمسع رجوعه عنه أو يصعب.

وتعني: إن شدة الكفر واستمراريته الموجودة في نوع الإنسان تجعله يؤمن بمثل هده العقيدة.

ج - قولـه: ﴿مُبِينٌ﴾، أي: مظهـر للكفـر، مفصـح عنه، موضح له، وهذا يعني أن الفكرة واضحة الكفر، والذي يؤمن بها مبين للكفر، الكفر ظاهر له وعليه، وذلك لأن الفطـرة السليمـة (وبعض غير السليمـة)، تقشعـر رعبـاً من سماع هذا التطاول على القدسية الإلهية، وترتجف هلعاً من هذا الغرور الغبي الجريء الظالم، لمجرد سماعها ذلك.

٢ - يقـول سبحـانـه: ﴿وجَعَلوا بينَه وبـينَ الجِنَّة نَسَباً ولقدْ علِمَتِ الجِنَّةُ إنَّهم لَمُحْضَرون سبحانَ الله عما يَصِفونَ﴾

طبعـاً، وحـدة الـوجود تجعل الجن جزءاً من الله تعالى، وليس بعد هذا النسب ما هو أقوى منه، لأنه نسب بعض الذات إلى الذات.

لكن الآية الكريمة تستهجن هذه الفكرة، نفياً لها ودحضاً، وتنزه الله سبحانه وتعالى عما يصفه هؤلاء الواصفون.

والعبارة: ﴿ولقدْ علمتِ الجِنَّةُ إنَّهم لَمُحْضَرونَ﴾، واضحة الدلالة على أن الجن - لو كانوا يتصلون بنسب إلى الله سبحانه - لما جعلهم من المحضرين.

وعدم وجود النسب بينه سبحانه وبين الجنة ينفي وحدة الوجود نفياً كاملاً.

٣ - يقـول سبحـانـه: ﴿وقـدْ خَلَقْتُـكَ من قبـلُ ولم تكُ شيئـاً﴾، ويقول: ﴿أولا يَذْكُرُ الإنسانُ أنَّا خَلَقْناهُ من قبلُ ولم يكُ شَيْئاً﴾

الآيتـان واضحتـان كل الـوضـوح: إن الله سبحـانه خلق الإنسان من لا شيء، من العدم، ولو كانت وحدة الوجود واقعة لكان الإنسان شيئاً قبل أن يوجد، كما هو الآن شيء بعد وجوده.

فكون الإنسان خلق من لا شيء، من العدم، ينفي وحدة الوجود جملة وتفصيلاً، لأن الله تعالى ليس عدماً، إنه الحي القيوم الخالق البارىء المصور.

٤ - عشرات الآيات في الكتاب الحكيم تقرر أن المخلوق غير الخالق. منها:

﴿ويـعـبُـدونَ مِن دونِ الله ما لا يمْلِكُ لَهُم رِزْقـاً مِن السَّـماواتِ والأرضِ﴾، إذن

فالأصنام والأوثان (وهي خلق) هي من دون الله تعالى، وليست جزءاً منه، ولا هي هو.

﴿وقالَ الذينَ أشْرَكوا لو شاءَ الله ما عَبَدْنا مِن دونِهِ مِن شيءٍ﴾ . ﴿قلْ إنِّي نُهيتُ أن أعبدَ الذين تدعونَ مِن دونِ الله﴾ . ﴿إنْ كنتُم في شكٍّ مِن ديني فلا أعبدُ الذي تعبُدون مِن دونِ الله﴾ . ﴿إذْ قالوا لِقَوْمِهم إنَّا بُرآءُ منكُم ومِمَّا تَعْبُدونَ مِن دونِ الله كَفَرْنا بكُم وبدا بيننا وبينَكُم العداوةُ والبغضاءُ حتَّى تُؤْمِنوا بالله وحدَه﴾.

ومنها: ﴿قلْ أفَغَيْرَ الله تأمُرونّي أنْ أعبدَ أيُّها الجاهِلونَ﴾، طبعاً، كانوا يأمرونَه أن يعبدَ أصنامَهم وأوثانَهم. والآية الكريمة تقرر أنها غير الله، وبما أنها جزء من الخلق، إذن فالخلق غير الله، والمخلوق غير الخالق.

﴿إنَّما حرَّم عليكُم الميتةَ والدَّمَ ولحمَ الخِنزيرِ وما أهِلَّ بهِ لغيرِ الله﴾، والذي أهِلَّ به لغير الله إنما أهِلَّ به للأوثان والأصنام ولمن يسمونهم «الأولياء»، وهؤلاء كلهم خلق، والآية الكريمة تقرر أنهم غير الله. ومن هذه الآيات:

﴿ولوْ كانَ مِن عندِ غيرِ الله لَوَجَدوا فيه اخْتلافاً كَثيراً﴾ . ﴿قلْ أغيرَ الله أتَّخِذُ وَلِيًّا فاطِرِ السَّماواتِ والأرض﴾ . ﴿أفغيرَ الله أبتغي حكماً وهو الذي أنزلَ إليكم الكتابَ مفصَّلاً﴾ . . .

هذه الآيات هي بعض من آيات كثيرة غيرها تقرر أن المخلوق هو من دون الله، وغيره، وهي كافية للرد على كل جحود مؤمن بوحدة الوجود، ولو سماها وحدة الشهود.

٥ ـ لو كان الخلق هو الحق، كما يفترون، وكانت المخلوقات جزءاً من الله سبحانه تعينت بهذه الأشكال المختلفة، لما بقي أي معنى للأسماء الحسنى: (الخالقُ، البارىءُ، الفاطر، بديع السماوات والأرض)، التي تعني كلها «الإيجاد من العدم».

٦ ـ لو كانت وحدة الوجود صحيحة، لكان الإنسان جزءاً من الله، ولكانت الآية: ﴿إنَّ الإنسانَ لَفي خسرٍ﴾ باطلة! ولكان الإنسان في ربح سواء آمن أم لم يؤمن، وعمل صالحاً أم لم يعمل، وتواصى بالحق والصبر أم لم يتواص؟ لأنه جزء من الله.

وبما أن الآية الكريمة لا يمكن أن تكون باطلة، لأنها وحي من عند الله، إذن فعقيدة الصوفية هي الباطلة، إذ لو صحت عقيدتهم لأصبح معنى الآية: (إن جزءاً من الله لفي خسر)! وهذا واضح البطلان.

٧ - في القرآن الكريم آيات كثيرة تصبح شتماً لله (تعالى)، لو صحت عقيدة الصوفية بوحدة الوجود، مثل قوله سبحانه: ﴿وأُتْبِعوا في هذه الدُّنيا لعنةً ويومَ القيامةِ ألا إنَّ عاداً كَفَروا ربَّهم إلا بُعداً لعادٍ قومِ هودٍ﴾، لأن عاداً، حسب عقيدتهم الباطلة، هم جزء من الله سبحانه، حيث يصبح معنى الآية الكريمة «إن جزءاً من الله (تعالى عما يصفون) أُتبع في هذه الدنيا؟؟ ويوم القيامة!؟ (وناقل الكفر ليس بكافر).

ومثل هذه الآية كثير في الكتاب والسنة.

٨ - آيات كثيرة في كتاب الله تفهمنا أن العمل السيء لا يرضي الله ولا يقود إلا إلى السوأى، وأن الحسنى لا يوصل إليها إلا بالعمل الصالح، من هذه الآيات:

﴿مَن يعملْ سوءاً يُجْزَ به ولا يجدْ له من دونِ الله وليًّا ولا نصيراً﴾. ﴿ثم كان عاقبةُ الذينَ أساؤوا السوأى أنْ كذَّبوا بآياتِ الله﴾. ﴿فلا يُجْزى الذينَ عَمِلوا السيِّئاتِ إلا ما كانوا يَعْمَلونَ﴾. ﴿أمْ حَسِبَ الذينَ اجْتَرَحوا السيِّئاتِ أنْ نَجْعَلَهم كالذينَ آمَنوا﴾. ﴿للذينَ أحْسَنوا الحُسْنى وزيادةٌ﴾. ﴿لِيَجْزِيَ الذين أساؤوا بما عمِلوا ويجزيَ الذينَ أحسنوا بالحُسْنى﴾، وغيرها الكثير.

وطريق الصوفية تبدأ منذ الخطوة الأولى بالشرك الأعظم، فالمريد عندما يضع رجله في عتبة رحاب الشيخ مريداً له ولطريقه، فقد قبل عبادته وقبله ربًّا من دون الله، سواء عرف ذلك أم لم يعرف، ثم يسير المريد في الطريق الشركية مضيفاً إليها طقوساً ومجاهدات وثنية حتى يصل إلى الجذبة التي تشرق عليه بوحدة الوجود.

إذن، فوحدة الوجود ضلال وباطل، لأن الطريق إليها ضلال وباطل.

ثم إن الطريق الذي يتبعه المتصوفة للوصول إلى الجذبة هو طريق الشيطان، ﴿ومَن يتَّخِذِ الشيطانَ وليًّا مِن دونِ الله فقدْ خَسِرَ خُسراناً مبيناً﴾، ﴿ومَن يَكُنِ الشيطانُ له قريناً فساءَ قَريناً﴾.

والشيطان لا يقودهم إلى الله كما يتوهمون، بل يضحك عليهم ويوهمهم ويستجرهم، ويعدهم، ويمنيهم، وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

٩ ـ يقولون في فريتهم هذه، بالقدرة والحكمة؟

فالقدرة: هي تعيينه سبحانه الخلق من ذاته، وهذا ما يسمونه الحقيقة.

والحكمة ـ عندهم ـ: هي ستره سبحانه «الحقيقة» عن خلقه. ويقولون: إن الله سبحانه أرسل الرسل بالشريعة من أجل هذا الستر.

ـ والجواب:

أ ـ مقولتهم في القدرة والحكمة هي، على كل حال، من الأمور الغيبية التي لا تُعرف إلا بنص من الوحي الذي أُنزل على محمد ﷺ، والنص لا وجود له، إذن فمقولتهم كاذبة، يكذبون بها على الله ورسوله، ﴿وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرى على الله كَذِباً﴾.

ب ـ بما أن عقيدتهم في «القدرة والحكمة» وفي وحدة الوجود، لا يوجد أي دليل عليها في الكتاب والسنة إلا ما كان من تأويلاتهم الباطلة، لذلك لا يعدو الإيمان بها أن يكون واحداً مما يلي:

ـ إما اتهاماً لله (سبحانه وتعالى عما يصفون) بالخوف والكذب!؟

ـ أو اتهاماً له (سبحانه وتعالى) بالجهل، وأنهم هم عرفوها (لأنهم عارفون)!؟

ـ أو اتهاماً للرسول ﷺ بالخيانة والجبن!؟

ـ أو اتهاماً للدين الإسلامي من أساسه بالبطلان، لأنه أُنزل ليحارب، فيما يحارب، هذه العقيدة التي هي أساس العقائد الوثنية.

١٠ ـ يفترون على الرسول ﷺ، أنه أمر مرة بإغلاق الباب، وسأل أصحابه إن كان فيهم غريب؟ فلما أجابوه بالنفي، بدأ معهم علوم الطريقة . . . ويقولون: إنه فعل هذا تعليماً لأصحابه على التستر على «حقيقتهم»! وهذا ما يسمونه «الحكمة».

ـ الجواب على هذه الفرية المجردة من الإيمان ومن الإسلام ومن كل معاني الحياء:

الهندوس والبوذيون والطاويون والمجوس (مع اختلاف في الشكل) كلهم يؤمنون بوحدة الوجود ديناً، يعلنونها ويبنون عليها كل فلسفاتهم في كل كتبهم، وهؤلاء كانوا وما زالوا يشكلون أكثر من نصف سكان الأرض.

والسؤال: ما هي هذه الحكمة (الخنفشارية) التي تسمح لأكثر من نصف سكان الأرض أن يعلنوا إيمانهم بوحدة الوجود ويبنوا عليها حياتهم وفلسفتهم ولا يكتموا منها شيئاً! ثم تمنع ذلك على المسلمين وعلى رسول الإسلام فقط؟! فأي حكمة هذه؟ إنها مهزلة وليست حكمة!

وإن من يعتقد صحة هذه الحكمة المفتراة، يحكم ضمناً أن الإسلام غير صحيح، وأن الديانات الوحدوية هي الديانات الصادقة! عرف ذلك أم لم يعرف؟ لأن الجهل أيضاً فنون.

١١ ـ ماذا كان يخشى محمد ﷺ من إعلان وحدة الوجود، لو كان يؤمن بها؟ ولو أعلنها لاستجاب له الألوف الكثيرة في مدة قليلة، لأنها لن تكون غريبة على الأسماع، ولاستراح هو وأصحابه من كثير من الآلام التي عانوها.

١٢ ـ الهندوس والبوذيون والطاويون والمجوس، كانوا وما زالوا يؤمنون بوحدة الوجود عقيدة وحيدة.

وأهل الكتاب كانوا وما زالوا يؤمنون بخالق في السماء، خلق الخلق من العدم مع شرك وتشبيه، وبعض رشفات من الوحدة (ما عدا متصوفيهم طبعاً).

فجاء الإسلام ليعلن كفر أولئك المطلق، ويحرم على المسلمين ذبائحهم والزواج منهم...

بينما وقف من اليهودية والنصرانية موقفاً أخف بكثير، وسماهم «أهل الكتاب»، ووسع حدود التعامل معهم (وخاصة مع النصارى)، وأجاز ذبائحهم وطعامهم ومصاهرتهم...

فلو كان في دين الإسلام من وحدة الوجود ما يفتري به الصوفية، لانعكست الآية، ولصار النصارى هم الأبعدين، ولصار الهندوس والباقون هم الأقربين.

١٠ ـ عندما انتصر الفرس المجوس على الروم النصارى، كانت عواطف المسلمين مع النصارى، وحزنوا لهزيمتهم لأنهم أقرب إليهم من الآخرين ﴿غُلِبَتِ الرومُ في أدنى الأرض وهُم مِن بعدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبونَ في بضعِ سنينَ﴾.

فلو كان الصحابة يعرفون أباطيل وحدة الوجود، أو يؤمنون بشيء منها، كما يفتري عليهم المتصوفة، لكانت عواطفهم مع الذين يشبهونهم في العقيدة، مع المجوس الذين يدينون بشكل من أشكال وحدة الوجود، لا مع النصارى الذين يؤمنون أن الله في السماء وقد خلق الخلق من العدم، (مع شرك عظيم طبعاً).

١١ ـ كل الأحاديث التي يرويها المتصوفة عن الرسول ﷺ وعن أصحابه في موضوع الوحدة هي:

ـ إما مكذوبة! وهم أنفسهم يعرفون أنها مكذوبة! ومع ذلك يوردونها دون خوف من الله، وكأنهم لم يسمعوا قول رسوله: «من كذب عليَّ متعمداً فليتبوأ مقعده من النار». وأسلوبهم أنهم يروونها، ثم يعلقون عليها بعبارة ما، مثل: «تكلموا فيه»، أو: «فيه نظر»، أو ما شابه ذلك، ثم يبنون عليها ما يشاؤون من أحكام ظالمة!

وكأنهم إذا قالوا عن الحديث المكذوب: «فيه نظر»، أصبح من الأحكام الشرعية، وأصبح العمل به شرعيًّا!؟

ـ وإما أن يكون حديثهم صحيحاً، لكنهم يلوون عنقه، فيؤولونه، ويعطونه معنى ما أنزل الله به من سلطان! وكذلك يفعلون مع الآيات القرآنية.

وقد مرت في الفصول السابقة أمثلة كثيرة على ذلك، وهو نماذج لما شحنوا به كتبهم من هذه التحريفات، ومنها على سبيل المثال أيضاً:

تفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿الذينَ يَذْكُرونَ الله قِياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهِم﴾، بالحضرة الصوفية والرقص. وتفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿فلمَّا اعْتَزَلَهُم وما يَعْبُدونَ مِن دونِ الله وَهَبْنا لهُ إسحاقَ . . .﴾ بالخلوة. وتفسيرهم لقوله سبحانه: ﴿وذَكَرَ اسمَ ربِّهِ فصلَّى﴾، بأن الذكر بالاسم المفرد (الله الله الله) هو صلاة. وتفسيرهم لقول الرسول ﷺ في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًّا آذنته بالحرب. . .»، أن

الـولي هو الصـوفي. وقـولـه في بقيـة الحديث: «. . . فإذا أحببتُه كنتُ سمعَه الذي يسمـع به، وبصـرَه الـذي يبصـر به، ويـدَه الذي يبطش بها، ورجله الذي يمشي بها. . .» بأنه يعني وحدة الوجود.

وقـد أشبـع العلماء هذا الحـديث بحثـاً، ونكتفي هنا بالإشارة إلى أن نص الحديث ينفي وحـدة الـوجـود! إذ لو كانت وحـدة الـوجـود موجودة، لكـان الله (سبحانه عما يصفون) سمع الإنسان وبصره ويده وكله! سواء أحبه أم لم يحبه، وقبل أن يحبه وبعد أن يحبـه، وفي جميـع الأحـوال، ولا تكون هناك حاجة لأداء الفروض والنوافل، ولا لأي شيء أبداً لتحقق ذلك.

وكـون هذا الـوصـف: «كنت سمعـه . . . وبصـره . . .» لا يتحقق إلا بعـد أداء الفـروض والتقـرب بالنـوافل. . . ثم بعد أن يحبه الله، يعني بكل وضوح أن هذا لم يكن قبـل أن يحبـه الله، أي: إن هذه المـزيـة (كـون الله تعـالى سمـع المـرء . . . وبصـره. . .) هي غير متحققـة في الإنسان العادي، وبذلك تنتفي وحدة الوجود، وينتفي معها فهمهم الخاطىء.

ويكـون معنى الحـديث: إن الله سبحـانـه إذا أحب العبـد أعـانه إعانة تامة في كل شيء، ولا يكله إلى نفسه أبداً في أي شيء، وطبعاً تكون إعانة الله للعبد كما يريد الله سبحانه لا كما يريد العبد.

١٥ - الصـوفيـة أنفسـهم يعلمـون علم اليقـين أن وحـدة الوجود هي كفر وزندقة بالنسبة للشريعة، ولذلك يُتاقون ويكتمونها عن غير أهلها ويتواصون بذلك.

● **النتيجة:**

وحدة الوجود كفر مبين، ومعتقدها كافر مبين، كافر حسب الشريعة، وكافر حسب الحقيقة الحقة التي هي الشريعة الإسلامية، له في الدنيا عقوبة المرتد عن الإسلام، وله في الآخرة عذاب أليم، إلا أن يتداركه الله سبحانه بلطفه وعفوه.

والصوفي الحق هو الذي يبطن وحدة الوجود، ويظهر التمسك بالشريعة، وهو منافق حقّـاً، بل هو شر أنـواع المنـافقين، وليكن مطمئناً (من مقام الطمأنينة) أن مقامه الحقيقي

هو في الدرك الأسفل من النار إن لم يتداركه الله برحمته.

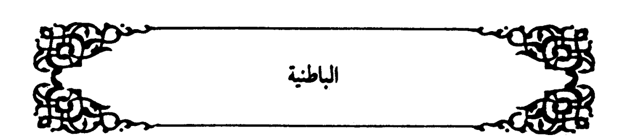
والعقيدة الإسلامية هي أن الله جل وعلا خلق الخلق من العدم، وقد مرت الآيات الدالة على ذلك، والمخلوقات هي مِن دونِ الله وغيرُه، أي إنها ليست تعينات من ذاته العلية، جل جلاله، وهو سبحانه فوق خلقه: ﴿وهو القاهرُ فوقَ عبادِهِ...﴾، ﴿الرحمٰنُ على العرشِ اسْتَوى﴾، ﴿أأمِنْتُم مَن في السماءِ أن يَخْسِفَ بكمُ الأرضَ﴾، (والسماء هنا بمعنى العلو).

وهو سبحانه فوق السماوات، بدليل قول رسوله ﷺ معقباً على حكم سعد بن معاذ في بني قريظة: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرْقِعَة»، والأرقعة هي السماوات، واحدتها «رقيع».

وقول زينب رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ: «زوجكن أهاليكن وزوجني الله مِن فوق سبع سماوات» (رواه البخاري).

وغيرها وغيرها من الآيات والأحاديث.





الباطنية

- عرفنا من الفصول السابقة أن الصوفية عقيدة باطنية، ولا باطنية في الإسلام.

يقول سبحانه: ﴿لقدْ بيَّنّا الآياتِ لقومٍ يوقنونَ﴾. ﴿قد جاءَكُم رسولُ يبينُ لكم على فَتْرَةٍ من الرُّسُلِ﴾. ﴿وما أرْسَلْنا مِن رسولٍ إلا بلسانِ قومِهِ ليُبَيِّنَ لهم﴾. ﴿لا إكراهَ في الدينِ قد تَبَيَّنَ الرشدُ من الغَيِّ﴾. ﴿لقدْ أنزلنا آياتٍ مبيناتٍ والله يهدي مَن يشاءُ إلى صراطٍ مستقيمٍ﴾. ﴿لقد جاءَكُم مِن الله نورٌ وكتابٌ مبينٌ﴾. ﴿قلْ يا أيُّها الناسُ إنَّما أنا لكم نذيرٌ مبينٌ﴾. ﴿قد جاءَكُم برهانٌ مِن ربِّكُم وأنْزَلْنا إليكم نوراً مُبيناً﴾. ﴿ونَزَّلْنا عليكَ الكِتابَ تِبْياناً لكلِّ شيءٍ﴾... والآيات في هذا المعنى كثيرة.

ويقول ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها»[1].

- من هذه النصوص الكثيرة، ومن عشرات غيرها، كلها واضحة جلية، نعرف أن ليس في الإسلام باطن وظاهر بالمعنى الصوفي.

ويكون الإيمان بأن في الإسلام ظاهراً وباطناً كفراً بآيات القرآن وأحاديث الرسول ﷺ، وتكذيباً لها.

(١) سنن ابن ماجة، المقدمة، حديث ٤٣.

- كما أن من الحقائق التاريخية، أنه لم يحدث قط وجود عقيدة باطنية في جماعة إلا إذا كانت هذه الجماعة تضمر الشر والكيد للمجتمع الذي تعيش فيه.

ولم تخرج الصوفية على هذه القاعدة، فقد رأيناها كيداً للإسلام ومكراً بالمسلمين.

- ويقول أحد الباحثين: حيثما وجدت الباطنية ففكر باليهودية. وفي الواقع سنرى بعد قليل أن لليهودية دوراً في نشر الصوفية بين المسلمين، وعلى كل: «الحضرة» يمكن أن تكون أثراً من آثارها، ومثلها السماع، وتقديس القبور، وبناء القبب، واستعمال السبحة، والجهر بالذكر، وهز الجذع أثناءه إلى الأمام والوراء، أو إلى اليمين والشمال، كل هذه طقوس وممارسات موجودة في اليهودية كما هي موجودة في كل الوثنيات أيضاً! وهي موجودة في الصوفية! فما هي العلاقة؟؟ مع العلم أن كل هذه الأمور لا أساس لها في الإسلام البتة.

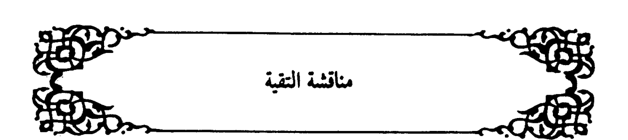
ولن نعدم مكابراً يقول: ليس في الصوفية باطنية، لن نعدمه رغم كل كتبهم ورغم كل أفواههم، ورغم مئات الصفحات المدرجة في هذا الكتاب.

ولا جواب لنا على أمثال هؤلاء إلا أن نشكوهم إلى الله تعالى.

وللباطنية لغة اسمها «التقية»، يتعلمونها فيما بينهم، يخاطبون بها الناس، ويتسترون بها على ضلالاتهم، ويمكرون بها بالمسلمين، ويكيدون بها للإسلام، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فإلى مناقشة التقية.

ولنتذكر قوله ﷺ: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها إلا هالك» (إلا هالك).





مناقشة التقية

من فعـل: تاقى، يتـاقي، متاقاة، وتقيَّة (بتشديد الياء)، ومُجرَّده هو فعل تَقى يَتْقي تقيَّة، بمعنى اتقى.

التقيـة هي لغـةُ الحـركـات الباطنية والمجال الذي تتفسح فيه ألسنتها، وفي مقدمتها الصـوفيـة، وقـد رأينـا أنهم يجعلونهـا جزءاً من حقيقتهم، وقرأنا مثل قولهم: «التقية حرم المؤمن»، و«إذا كان قد صح الخلاف، فواجب على كل ذي عقل لزوم التقية»، ومئات الأمثلة غيرها.

وهم يجعلون لها أصلاً قرآنيًّا في قوله سبحانه: ﴿. . . ومَن يَفْعَلْ ذٰلك فليسَ مِن الله في شيءٍ إلا أنْ تَتَّقوا منهُم تُقاةً ويحذِّرُكُمُ الله نفسَهُ. .﴾.

لكن الفـرق بين التقـاة التي يسمـح بها الإسـلام، وبين تقيتهم هو نفس الفرق بين الإيمان والكفر.

فالتقاة الإسلامية تكون في حالة واحدة هي: «من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان»، إذ في حالـة الإكـراه هذه فقـط يمكن للمسلم المـؤمن أن يتظاهر بما يرضي القوة التي تكرهه ريثما يفلت منهـا، مع بقـاء قلبـه مطمئنـاً بالإيـمان، أي إنها حالة استثنائية وطارئة تضمر الإسلام وتظهر غيره.

بينما التقية الصوفية هي عكس ذلك، إذ هي أولاً: إبطان وحدة الوجود، أي: إبطان الكفر وإظهار الشريعة الإسلامية، وهذا هو النفاق عينه الذي هو شر أنواع الكفر، وأصحابه في الدرك الأسفل من النار. وهي ثانياً: قاعدة مستمرة عندهم، وليست استثناء ولا هي حالة طارئة.

إذن فهي مناقضة للإسلام تناقضاً كاملاً واضحاً لا نقص فيه ولا لبس ولا غموض.

وأسلوب التقية في الصوفية يتركب من:

الكذب، والتأويل، والمغالطة، والمراوغة، والمخادعة.

*** الكذب:-**

مر معنا في الفصول السابقة عشرات النماذج من كذبهم، وهي جرع من بحر، وبتأمل هذه النماذج، وغيرها مما في كتبهم، نرى أنها:

كذب على الله سبحانه، وكذب على ملائكته، وكذب على كتبه، وكذب على رسله، وكذب على اليوم الآخر، وكذب على القضاء والقدر (خيره وشره)، وكذب على الصحابة، وكذب على أهل الكتاب، وكذب على التاريخ...

أما الكذب على الجغرافية والفلك والجيولوجيا والفيزياء والكيمياء فهو من علومهم اللدنية التي عرفوها بالكشف الذي هو حق اليقين ونور اليقين وعين اليقين!؟

ويكفي القارىء - إذا لم يرد ترويح النفس بقراءة النصوص الكثيرة - أن يقرأ مثلاً (في فصل: نماذج من حكايات الصوفية...) النص الذي عنوانه: «وجعلوا الملائكة معاتيه ومخابيل».

*** التأويل:-**

للتأويل معنيان:

١ - المعنى المعروف في اللغة العربية والواردة به الكلمة في القرآن الكريم:

وهو - كما في «تفسير ابن كثير» -: التفسير والبيان والتعبير عن الشيء.

وهو أيضاً: حقيقة الشيء وما يؤول أمره إليه.

وبشيء من إمعان النظر في المعنيين، نرى الثاني امتداداً للأول وتكملة له، ولتوضيح ذلك:

نقرأ في الكتاب الحكيم: ﴿ليسَ كمِثْلِهِ شيءٌ وهوَ السميعُ البصيرُ﴾ و﴿إنَّا خَلَقْنا الإنسانَ مِن نطفةٍ أمشاجٍ نبتليهِ فجَعَلْناهُ سميعاً بصيراً﴾.

فالله سبحانه سميع بصير، والإنسان كذلك سميع بصير!

لكننا نعرف ـ بدهيًّا ـ وبدون أي تلكؤ، أن الله سبحانه وتعالى سميع بصير، بالمعنى الكلي الكامل المحيط للكلمتين، فهو سبحانه سميع بصير بلا حدود.

وأن الإنسان سميع بصير، بالمعنى الجزئي الناقص المحدود للكلمتين، فسمع الإنسان وبصره تحدهما عوامل كثيرة.

ومثلها: الحي، الملك، المؤمن، العزيز، الجبار... إلخ.

ومثلها الأفعال التي يمكن أن تعزى إليه سبحانه، وإلى مخلوقاته، مثل: شاء، أراد، وغيرها.

ومثلها: الأسماء التي يمكن أن تضاف إلى الخالق والمخلوق، مثل: أمر، إرادة، مشيئة... ومنها كلمة «تأويل».

فعندما تضاف كلمة «تأويل» إلى الإنسان، يفهم منها التأويل الجزئي الناقص المحدود.

أما التأويل الذي يعلمه الله سبحانه، فهو تأويل كلي كامل محيط، يشمل التفسير والبيان والتعبير عن الشيء وحقيقته، وما يؤول إليه أمره، وتفصيله الدقيق المحيط...

ومثلاً على ذلك، قوله سبحانه: ﴿اقتربتِ الساعةُ﴾.

فنحن نعرف أن تأويل: ﴿اقتربتْ﴾، (أو تفسيرها)، هو: صارت قريبة «ضد بعيدة»، لكن، ما هي مدة هذا الاقتراب؟ كم عدد أيامه وساعاته ودقائقه؟ ما هي تفصيلاته بدقة؟ وكيف يتم؟ ... إلى آخر الأسئلة، وكلها من تأويل ﴿اقتربتْ﴾،

الذي لا يعلمه إلا الله.

ونعرف أن ﴿الساعةُ﴾، هي نفخة الصور الأولى! لكن، كيف تقوم الساعة؟ ما هي عواملها بالتفصيل؟ وما هي نتائجها بالتفصيل أيضاً؟ والأسئلة كثيرة، والأجوبة عليها من التأويل الذي لا يعلمه إلا الله.

هذا هو المعنى اللغوي القرآني لكلمة «تأويل».

ومن هنا نعرف أن معرفتنا بمعاني القرآن الكريم، مهما تعمقت، تبقى ناقصة، وأن المعنى الكامل يبقى غائباً عنا، وهو ما يمكن أن يسمَّى «المعنى الباطن»، وهذا هو التأويل الذي يأتي يوم القيامة: ﴿ولقدْ جِئْناهم بكتابٍ فصَّلْناهُ على علمٍ هُدى ورحمةً لقومٍ يؤمنونَ. هل ينظُرونَ إلا تأويلَهُ يومَ يأتي تأويلُهُ يقولُ الذينَ نَسوهُ مِن قبلُ قد جاءت رسلُ ربِّنا بالحقِّ فهل لنا مِن شُفعاءَ فيَشْفَعوا لنا أو نُرَدُّ فنَعْمَلَ غيرَ الذي كنا نعملُ قد خَسِروا أنفُسَهم وضلَّ عنهُم ما كانوا يَفْتَرونَ﴾، كما أن دخول أهل الجنة الجنة وأهل النار النار هو أيضاً من تأويله.

٢ ـ المعنى الاصطلاحي الذي تتبناه الحركات الباطنية، من صوفية وغيرها، والذي هو موضوع بحثنا:

وهو إعطاء الكلمة معنى يخالف المعنى اللغوي والشرعي المجمع عليه في كتب اللغة والأصول، ويتفق مع العقيدة الباطنية للمؤولين، يفتشون فيه، أو فيها (في اللفظ أو في الجملة) عن أي شيء يمكن أن يكون رمزاً أو إشارة إلى شيء من العقيدة الباطنية، فيبرزونه، موهمين أنه المعنى الحقيقي.

وفي التقية الصوفية، نواجه نوعين من التأويل:

■ تأويل نصوص القرآن والسنة لتتفق مع باطلهم، ويسمونه أيضاً «التفسير الإشاري»، نذكر ببعضها:

ـ (لا إله إلا الله)، تأويلها: لا موجود إلا الله.

ـ و ﴿إن إلى ربك الرجعى﴾، تأويلها: إن المخلوقات ترجع إلى ربها الذي صدرت عنه لتندمج فيه.

- ﴿الـذين يذكـرون الله قيـامـاً وقعوداً وعلى جنوبهم﴾، تأويلها: عبارة: ﴿يذكرون الله﴾، يدخـل فيهـا ترديـد كلمة: «الله حي» بتقاطيعها لا بألفاظها. وعبارة: ﴿قياماً وقعوداً﴾ تشير إلى القفز، وبذلك تكون الآية مشيرة إلى الحضرة الصوفية! وينسون طبعاً أو يتناسون عبارة: ﴿وعلى جنوبهم﴾!

- . . . ﴿قل الروح من أمر ربي﴾: معنى كونه ربانيًا أنه من أسرار علوم المكاشفة ولا رخصة في إظهاره إذ لم يظهره رسول الله ﷺ[1]. .

- ونـزيـد في التأكيـد بإضـافـة نص للغـزالي في «إحيـائه»، مر في مكان سابق من هذا الكتاب. يقول:

. . . ثم إذا انكشفت لهم أسرار الأمور على ما هي عليه، نظروا إلى السمع والألفاظ الواردة، فما وافق ما شاهدوه بنور اليقين قرروه، وما خالف أولوه[2]. .

إذن، فهم يؤولون نصوص القرآن والسنة التي تخالف كشفهم! وهذا يعني:

أ - لا يؤمنون إلا بكشوفهم وهلوساتهم كمصدر للاعتقادات والعبادات.

ب - ينكرون المعنى الصحيح للنص القرآني أو السني، ويرفضونه.

ج - يخافون من إعلان هذا الرفض لأنه يجرد عليهم سيف الردة (سيف الحلاج).

د - لذلـك يتظـاهـرون بالإيـمان بنصوص القرآن والسنة المخالفة لكشوفهم، ولكنهم يقولون: إن لها معنى باطناً، هو معناها الصحيح.

هـ - يفتشون في النص عن أي شيء يمكن أن يروا فيه إشارة أو رمزاً لما يعتقدون.

و - يسلطون الأضواء على هذا الشيء، ويبرزونه، وكأنه المعنى الحقيقي للنص!

ز - وإذا لم يستطيعـوا إقنـاع الآخـرين لقبـول تأويـلاتهم، عمدوا إلى خدعة أخرى؟ فقالوا عن المعنى الصحيح للنص: إنه المعنى الظاهر! وقالوا عن تأويلهم الباطل: إنه المعنى الباطن!

---

(١) إحياء علوم الدين: ٣ / ٢٤٣.

(٢) إحياء علوم الدين: ١ / ٩٢.

والنتيجة :

تأويل نصوص القرآن والسنة ، هو كفر صراح بالنصوص ، وأسلوب للتخلص من عقوبة هذا الكفر ، وخداع للمسلمين لجرهم إلى ضلالات التصوف .

■ النوع الثاني من التأويل الذي يمارسه المتصوفة في كل مناسبة هو تأويل ضلالاتهم ، وتأويل نصوصهم الدالة على ضلالاتهم لإظهارها وكأنها لا تخالف الشريعة الإسلامية . يفعلون ذلك لأهداف :

أ ـ التستر على باطلهم ، والتظاهر بأنهم لا يخالفون القرآن والسنة !

ب ـ الضحك على أذقان المغفلين لئلا يتهموهم بالكفر والزندقة .

ج ـ خداع المسلمين لإقناعهم أن الصوفية من الإسلام ، ثم جرهم إليها .

د ـ خداع الذين لا يقتنعون بضلالات الصوفية ، ليتركوا تلك النصوص تسري بين المسلمين بهدوء ليستطيعوا هم أن ينصبوا شباكهم بهدوء ، ويصيدوا بها فرائس جديدة بهدوء . وبهذه الفرائس الجديدة يزيد مدد الشيخ وتستمر مسيرة الكهانة . وبهذه الفرائس الجديدة تزداد قناعة المجاذيب بأن جذباتهم التحشيشية الإشراقية هي فتوحات إلهية ، وبأن هلوساتهم هي نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين .

وغَفلة المسلمين جعلت المتصوفة يتمادون بالقول بالتأويل ! فكلما جئتهم بنص من نصوصهم الضلالية ، قالوا لك : هذا له تأويل ! فنقول :

إن هذا التأويل ، والقول بهذا التأويل ، هو كفر وزندقة وردة ، وهو كيد للإسلام ومكر بالمسلمين ، وضحك على ذقون المغفلين لجرهم إلى أحضان الشياطين ، ثم إلى جهنم وبئس المصير .

● **الخلاصة :**

للكفر مدخلان :

١ ـ رفض ما جاء به محمد ﷺ بصراحة . وهذا كفر فيه صدق ووضوح .

٢ ـ تأويل ما جاء به محمد ، أو بعض ما جاء به . وهذا رفض متستر ، وهو كفر فيه خبث

ومكر وكيد وخداع، فهو شر من الكفر الأول.

*** المغالطة والمراوغة والمخادعة :-**

سنورد صُوراً سريعة من مغالطاتهم ومراوغاتهم ومخادعاتهم، حيث يأتي في قمتها أمران :

- الطريقة البرهانية الغزالية، أي : مزج الإسلام بالتصوف، وهو ما اعتادوا على تسميته بالتصوف السني.

- التأويل الاصطلاحي.

وتكاد كل خدعهم ومغالطاتهم ومراوغاتهم أن تكون فروعاً لهاذين الأصلين، منها :

- لو قال قائل : إن الصوفية كفر، لسمع أجوبة كثيرة مثل : الذي يصلي ويصوم ويقرأ القرآن . . . هل هو كافر؟

الجواب : إن الصلاة والصيام وقراءة القرآن ليست من الصوفية، بل هي من الإسلام الذي مزج به التصوف. والخمر لا يصير طيباً ولا حلالاً إذا مزج بالماء أو بالعسل، بل يبقى خبيثاً ومحرماً. وكذلك الصوفية تبقى زندقة وكفراً ولو مزجت بالصلاة والصيام وقراءة القرآن والزكاة والقتال مع المجاهدين في سبيل الله . . .

- من المغالطات أن نسمع من يتظاهر بنقد التصوف، ويقول برزانة : إنهم يبالغون في التعبد، والمبالغة في التعبد ليست حراماً، ولكنها قد تثير الملل عند بعضهم . . .

- مما يرددونه دائماً وبعناد قولهم عن الآية : ﴿الذينَ يذكرونَ الله قياماً وقُعوداً وعلى جُنوبِهِم﴾، تعني الحضرة الصوفية!

الجواب : لا تساعد اللغة العربية على هذا الفهم، كما لم يفهمها أصحاب رسول الله ﷺ كذلك، ولا التابعون ولا تابعوهم. ومعنى الآية هو أن يذكر المسلم الله في جميع الحالات.

- لو عرضت عليهم أحد النصوص الصوفية المشحونة بالكفر والزندقة، فسترى الجواب حاضراً : «هذا له تأويل!!»، أو يقولون : «هذا مدسوس».

- وهذه صورة من أساليبهم في المراوغة، يتسلى القارىء بتحليلها، يقول ابن عجيبة:

. . . ولـذلـك كان النظـر في الكتب يضعف المسالك لتشعبها وكثرتها عند اختلاف الهمم، لا سيما من جُبلت طبيعتـه على علم الظـاهر، فإنه أبعد الناس عن الطريق ما لم يدَّاركـه الله بفتـح منـه، لأن التشـريع كلُّ حكْمة منها تحتها حِكَم، مَن لم يفهمها فبستانه مزهـر غير مثمـر، ومن هنـا وقـع الإنكار، حتى امتحن الله كثيراً من الصوفية على أيدي علماء الظـاهـر عندما نسبوهم للكفر والزندقة والبدعة والضلال! وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة، سنة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنة الله تبديلاً. ولو جعلناه ملَكاً لجعلنـاه رجـلاً وللبسنـا عليهم ما يلبسون. وما هلكت الأمم السـابقة إلا بقولهم إنا وجدنا آبـاءنـا على أمـة وإنـا على آثارهم مقتدون. فتحصَّل أن الإنسان إذا جال مع النفس في ميدانها فجاهدها حتى هذبها وطهرها من الأوصاف الحاجبة لها، رجعت نفسه حينئذ إلى أصلهـــا، وهي الحضــــرة التي كانت فيهـــا، إذ لم تكن بينهـــا وبـين الحضـرة إلا الحجب الظلمانية، فلما تخلصت منها رجعت إلى أصلها نوراً مشرقاً[1]. . .

- نترك للقارىء التسلية بتحليل ما فيها من المخادعات والمغالطات، لكن ننبه إلى نقطة واحدة فقط، هي قوله: «حتى امتحن الله كثيراً . . . وسر الخصوصية يقتضي ذلك لا محالة، سنة الله التي قد خلت من قبل . . .»، فنقول له:

هذا افـــتراء على الله الكـــذب، فأكثــر من نصف سكـــان الأرض يؤمنـون بسـر الخصـوصيـة، هذا الـذي تدعيـه، ولم يمتحنوا لا هم ولا كهانهم، فالأيونيون والرواقيون والإيلوسيـون والغنـوصيون والهنادكة والبوذيون والطاويون وغيرهم، كلهم كانوا وما زالوا يحترمون كهانهم الذين تحققوا بسر الخصوصية ويبجلونهم، ولم يُمتحن أصحاب هذا السر إلا في الإسلام!

لذلك، فإما أن يكون أصحاب سر الخصوصية كفاراً زنادقة، أو يكون الإسلام غير صحيح، ولا ثالث لهاذين الاحتمالين.

---

(١) إيقاظ الهمم، ص٣٤٩.

ـ ومن مغـالطـاتهم، قول محمـد المهـدي الصيـادي (الرواس): «ومما لا يلتفت إليه التشدق بما أبهمه وأوهمه المبتدعة أهل الوحدة المطلقة[1]. . .».

هذا القول هو مثل قولهم: «علومنا مقيدة بالقرآن والسنة»، ومثل قول قائلهم: «لا يكـون الصـديق صديقـاً حتى يشهد له في حقه سبعون صديقاً أنه زنديق، لأن الصديق يعطي الظاهر حكم الظاهر والباطن حكم الباطن»، ويحمل نفس معنى العبارة: «اجعل الفـرق في لسـانـك موجـوداً والجمـع في جنـانـك مشهوداً»، وأترك تحليلها للقارىء، مع التذكير بأن أهل الوحدة المطلقة هم الذين يصرِّحون بوحدة الوجود ولا يقيِّدون عباراتهم بالرمز واللغز.

ـ ومن أساليبهم في المغالطة قول عبد الكريم الجيلي:

. . . فلا بد لمنْ يقصـد معـرفـة علمنـا هذا . . أن يقيس العلوم الـواردة إليـه على الأصـول المشـروعـة التي قد ثبتت بالكتـاب والسنـة والإجماع، فما وجده من تلك العلوم موافقاً للشريعة فيقصده ويتجلى به، وما وجده مخالفاً توقف عن استعماله إلى أن يفتح الله على ما يؤيده من الشريعة، فيستعمله حينئذ[2]. . .

لملاحظـة المغـالطة هنا يجب أن ننتبه إلى قوله: «وما وجده مخالفاً توقف عن استعماله إلى أن يفتح الله على ما يؤيده من الشريعة».

إذن، فما يخالف القـرآن والسنـة ليس كفـراً، ولا يجب تركه ونبذه، وإنما يتوقف فقط عن استعماله ريثما يفتح الله عليه (تعالى الله عن الخداع)، بنص يمكن تأويله بما يوافق المخالفة.

ـ ومن مغالطاتهم ومراوغاتهم قول الجيلي نفسه:

. . . ثم قال الإمام الأكمل: كل حقيقة لا يؤيدها شريعة فهي زندقة، يريد أن كل علم يَردُ عليك من الحقائق التي لا تؤيدها الشريعة، فاستعمال ذلك العلم زندقة منك، لأنك تفعل خلاف الشرائع، لأن الحقائق فيها زندقة، إذ ليس في الحقائق مسألة إلا وقد أيدها الكتاب والسنة[3]. . .

---

(1) فصل الخطاب، ص٢٠٣.

(2) المناظر الإلهية، ص٩.

أرجو من القارىء أن ينتبه إلى قوله: «فاستعمال ذلك العلم زندقة منك . . .»، وأن يحلل بنفسه المغالطة والمراوغة في هذه العبارة وفي النص كله.

- ومن أشهر مغالطاتهم قولهم بالدس عليهم، وهذا مثل منها:

يقول عبد الوهاب الشعراني:

. . . وكان (ابن عربي) متقيداً بالكتاب والسنة . . . وجميع ما عارض من كلامه ظاهر الشريعة وما عليه الجمهور فهو مدسوس عليه، كما أخبرني بذلك سيدي الشيخ أبو الطاهر المغربي نزيل مكة المشرفة، ثم أخرج لي نسخة «الفتوحات» التي قابلها على نسخة الشيخ التي بخطه، في مدينة قونية، فلم أر فيها شيئاً مما كنت توقفت فيه وحذفته حين اختصرت «الفتوحات»[1].

- جوابنا: لم يبين لنا القطب الرباني شيئاً من هذه المدسوسات. ثم إن كل ما في «الفتوحات» يدور حول وحدة الوجود، إما تصريحاً، أو بالعبارة الصوفية، ولو حذفناها لما بقي من «الفتوحات» شيء! فما الذي يمكن أن يدس عليها؟ وهل يحتاج البحر الميت إلى دس الملح عليه ليغدو ملحاً؟؟ ثم إن الفتوحات لا يطبعها إلا المتصوفة وأقطابهم، ولا يهتم بدراستها إلا المتصوفة وأقطابهم، فلِمَ لا يحذفون هذا المدسوس؟ . . . والأسئلة كثيرة.

- ويتمم الشعراني مراوغاته:

وقد دس الزنادقة تحت وسادة الإمام أحمد بن حنبل في مرض موته عقائد زائغة، ولولا أن أصحابه يعلمون منه صحة الاعتقاد لافتتنوا بما وجدوه تحت وسادته.

وكذلك دسوا على شيخ الإسلام مجد الدين الفيروزبادي صاحب «القاموس» كتاباً في الرد على أبي حنيفة وتكفيره، ودفعوه إلى أبي بكر الخياط اليمني البغوي، فأرسل يلوم الشيخ مجد الدين على ذلك، فكتب إليه الشيخ مجد الدين: إن كان بلَغك هذا الكتاب فأحرقه فإنه افتراء من الأعداء، وأنا من أعظم المعتقدين في الإمام . . .

---

(١) اليواقيت والجواهر: ١ / ٦.

الجواب على هذا الكلام (مع غض النظر عن صدقه أو كذبه):

عرف أصحاب أحمد بن حنبل العقائد الزائفة المدسوسة فنبذوها، ولم يبق لها أثر، فلِمَ لا تفعلون مثل ذلك وتنبذون ما في كتب المتصوفة من وحدة الوجود وأساليب التقية، وخداع المسلمين؟؟ لِمَ لا تفعلون ذلك؟ إذ لو فعلتم ذلك لأصبحت كتب الصوفية شبه بيضاء.

- يتمم:

وكذلك دسوا على الإمام الغزالي عدة مسائل في كتاب «الإحياء»، وظفر القاضي عياض بنسخة من تلك النسخ فأمر بإحراقها.

وكذلك دسوا عليَّ أنا في كتابي المسمى بـ «البحر المورود» جملةً من العقائد الزائفة وأشاعوا تلك العقائد في مصر ومكة نحو ثلاث سنين، وأنا بريء منها...

- نقول: بمثل هذا يخادعون الذين آمنوا ويغالطونهم ويستجرونهم إلى ظلمات التصوف، أو على الأقل يوهمونهم أن المتصوفة مظلومون مكذوب عليهم. والقول بأنهم دسوا على الغزالي مسائل في «الإحياء» هو كذب. وقوله: إنهم دسوا عليه في «البحر المورود» هو كذب، ومثل هذا الكذب يدل على أن قائله لا يخاف الله ولا يرجو اليوم الآخر، مع العلم أن كتاب «الإحياء» الذي أمر القاضي عياض بإحراقه هو نفس هذا المتداول بين الأيدي الآن.

- ومن أبشع مغالطاتهم ومخادعاتهم في كتبهم التي يترجمون فيها لأعيانهم، أنهم يوردون قبل كل شيء أسماء كبار الصحابة على أنهم من أولياء الله المتصوفة ثم يوردون أسماء كهانهم، ويخلطون معهم علماء أجلاء مثل ابن حنبل أو الشافعي أو الثوري أو العز بن عبد السلام أو ابن الجوزي أو غيرهم، فيوهمون الغافلين ويستجرونهم إلى أحضان إبليس.

- وهذا نص من كتاب حديث العهد، قد يزيد عدد الأكاذيب فيه عن عدد سطوره:

«ولما كان أهل الله هم أهل الرحمة الواسعة، وهم أهل الفتوة والشفقة على عباد الله عامةً، فما بالك بمن وقع فيهم من الأمة المحمدية خاصة، سواء كان هذا الوقوع منهم

عن قصد أو خطإ في الاجتهاد، فإلى الإمام ابن تيمية ومقلديه من أصحاب سوء الظن بعباد الله، أنقلُ هذه العبارة من «الفتوحات المكية» الجزء الأول الصفحة ٦١٦:

يقول الشيخ الأكبر: «إن من فتوة أهل هذا الطريق ومعرفتهم بالنفوس أنهم إذا كان يوم القيامة، وظهر ما لهم من الجاه عند الله، خاف منهم من آذاهم هنا في الدنيا...».

- للقارىء أن يتسلى بتحليل هذا النص، لمعرفة ما فيه من افتراء على الله سبحانه ومخادعة ومراوغة ومناقضة للقرآن والسنة وتعالم بالغيب.

لكن هذا الإصرار على الكيد للإسلام والمكر بالمسلمين، بأسلوبه العميق الهادىء الأملس المتلوي الذي يحشو زعاف السم في برشامات جميلة المظهر مكتوب عليها: «أهل الله، أهل الرحمة، الشفقة على عباد الله..»، هذا الإصرار بهذا الأسلوب الخبيث يجعلنا نتوجه إلى الله سبحانه بقلوبنا وكل حواسنا سائلين إياه أن يهدي هذه الطائفة الضالة المضلة، أو أن يكبتها فيقف كيدها ومكرها بالإسلام والمسلمين.

- ومن الملاحظات: يتحدث عن أهل الله الذين هم أهل الرحمة... والجواب:

نعم يوجد في بني آدم من هم من أهل الله ومن أهل الرحمة... ولكن ما هو برهان هذا الدعي أنهم هم المتصوفة؟ وهل تكفي وسوسات إبليس للبرهنة على ما يدعيه؟!

- ثم هو يهاجم بأسلوب فيه نعومة أولئك الذين يسميهم: «أصحاب سوء الظن بعباد الله..»، والجواب:

إن الذين يحكمون على التصوف بأنه مستنقع الكفر والزندقة والضلال، إنما يعتمدون في ذلك على النصوص المبينة من القرآن والسنة، وعلى مخالفة الصوفية الواضحة وضوح الشمس في رائعة نهار مشرق لهذه النصوص، جملة وتفصيلاً، وعلى التزام المتصوفة بالكذب الفاجر الذي لا حدود له، عندما يقولون دون خوف من الله تعالى ولا خجل من عباده: إنهم ملتزمون بالقرآن والسنة! بينما هم في الحقيقة ملتزمون بهلوسات الجذبة التي يسمونها الكشف.

فهل المسلمون الذين يبينون للناس هذا المنكر الماحق، هم من أصحاب سوء الظن بعباد الله؟!

إن إحسان الظن واجب عندما يتعلق الأمر بمسائل شخصية بحتة..

أما إن كان يمس دين الإسلام وأمة الإسلام، فإحسان الظن والسكوت هما دخول في لعنة الله: ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَروا مِن بني إسْرائيلَ على لسانِ داودَ وعيسى بنِ مريَمَ ذلك بما عَصَوا وكانوا يَعْتَدون، كانوا لا يَتَناهَوْنَ عن منكرٍ فَعَلوهُ لَبِئْسَ ما كانوا يَفْعَلونَ﴾.

وواجب المسلم العمل على إزالة المنكر، وواجب أصحاب المنكر أن يسرعوا في ترك المنكر مع التوبة الاستغفار، فإن أصروا على منكرهم وعلى الدعوة إلى منكرهم! فهل يستطيع مسلم يخاف الله ويرجو اليوم الآخر أن يحسن الظن بهم؟!

ـ ثم يورد المؤلف قول شيخه الأكبر: «إن من فتوة أهل . . . وظهر ما لهم من الجاه عند الله، خاف منهم من آذاهم . . .» والجواب:

أ ـ إن تزكية النفس هي من كبائر الإثم: ﴿ألَمْ تَرَ إلى الذينَ يُزَكُّونَ أنْفُسَهُم بل الله يزكّي مَن يشاءُ ولا يُظْلَمونَ فَتيلاً. انظُرْ كيفَ يَفْتَرونَ على الله الكَذِبَ وكَفَى به إثْماً مُبيناً﴾، ﴿فلا تُزَكُّوا أنفُسَكم هو أعلَمُ بمَنِ اتَّقى﴾، ﴿وما أدْري ما يُفْعَلُ بي ولا بِكُم إنْ أتَّبعُ إلا ما يُوحى إليَّ﴾.

ب ـ قوله هذا هو، على كل حال، أمر غيبي لا يُعرف إلا بنص من القرآن والسنة، ونصوص القرآن والسنة تحكم عليهم أنهم من أضل عباد الله.

ـ وهذا نص آخر من نفس الكتاب الذي قد يزيد عدد الأكاذيب فيه عن عدد سطوره، يقول:

وكان الشيخ أبو مدين . . . إذا قيل له: قال فلان عن فلان عن فلان، يقول: «ما نريد نأكل قديداً، ائتوني بلحم طري»، وفي رواية: «أطعمونا لحماً طريًّا، كما قال الله تعالى: ﴿لتأكُلوا منهُ لَحْماً طَرِيًّا﴾، لا تطعمونا قديداً».

يعلق المؤلف فيقول: أي لا تنقلوا إلينا إلا ما يُفتح به عليكم في قلوبكم، لا تنقلوا إلينا فتوح غيركم . . .

ـ الجواب: نستطيع أن نعرف المغالطة في هذا الأسلوب والمخادعة، إذا عرفنا أنهم يعتقدون أن الوحي الذي كان ينزل على محمد هو فتوح مثل فتوحهم.

- وكـل كتبهم هي من مخادعـاتهم ومـراوغاتهم، وفي مقدمتها: «اللمع» (ولو أنصف لسماه الظلم)، و«إحياء علوم الدين» (ولو صدق لسماه إحياء علوم الكهانة)، و«الرسالة القشـيريـة» (رسـالـة الضـلال والـدجـل)، و«الحكم العطـائية» (حي هي نقم ضلالية كفرية)، مروراً بكل كتبهم حتى الوصول إلى الحديث منها، وإلى ما سيؤلف في آت من الزمن.

إن كل كتاب جديد يؤلف في التصوف، إنما هو أسلوب جديد في المخادعة والمراوغة والدجل يقدمه مؤلفه ليدعم به مسيرة الكهانة في الأمة الإسلامية.

ومثلاً منها: كتاب من كتبهم الحديثة التي يقتنونها بنشاط، نرى عناوين فصوله كما يلي:

- **التعـريف**: نقـرؤه فلا نجد فيه شيئاً من التعريف، وإنما نجد جملاً دعائيه يزينون بها الصوفية للقارىء ليخدعوه ويضللوه.

- **الاشتقـاق**: نقـرؤه فلا نجـد فيـه أي بحث علمي صحيح عن الاشتقاق إلا جملاً للدعاية للصوفية.

- ثم نقـرأ - كما في كل كتبهم - فصـولاً عما يسمـونـه المقـامـات، مثـل التوبة والزهد والـورع والتـوكـل . . . إلى آخـر ما هنـالـك، وهي كما رأينـا، لا علاقة لها بالطريقة ولا بالحقيقـة، وإنـما هي أسـاليب دعـائيـة يزينـون بها الـدعاية للصوفية بأسلوب ماهر ذكي يخدعون به القارىء الذي يجهل ما هي الصوفية.

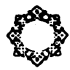
- ومن أسـاليبهم النـاعمـة في المغـالطـة، إيـرادهم قصصاً عن بعض شيوخهم تظهر تمسكهم بالإسلام أو ببعض سننه، وكيف أنهم ينفرون من الإخلال بالآداب الإسلامية، ويجعلون هذا دليلاً على صحة الصوفية.

والجواب: إن التمسك بالتعاليم الإسلامية وسننها وآدابها هو من الإسلام وليس من الإشراق، والتمسك بالإسلام وآدابه لا يجعل الإشراق إحساناً، ولا الزندقة إيماناً، وهم عندما مزجوا الإشراق بالإسلام أساؤوا إلى الإسلام ولم يغيروا شيئاً في الإشراق.

- ومن أساليبهم الناعمة في المغالطة: ذكرهم لبعض الطرق التي عمل بعض أتباعها

أو مشـايخهـا على نشـر الإسـلام بين غير المسلمـين، أوقاتلوا الاستعمار وجاهدوا لإعلاء كلمة الإسلام.

والجـواب على هذا مثـل الجـواب على سابقـه، هو أن العمـل على نشـر الإسلام والجهـاد في سبيـل الله هو من تعـاليم الإسـلام ولا علاقـة له بالإشراق، ويبقى الإشراق زندقة وكفراً ولو جاهد أصحابه في سبيل الله، ويبقى مزج الإشراق بالإسلام ضلالاً بعيداً وإساءة كبرى للإسـلام وتدميراً للعقيدة في نفوس المسلمين. وهل يصبح الزنا (مثلاً) ولاية إذا مزجه مازج بالإسلام؟!



□ الوحدة المطلقة:

الوحدة المطلقة هي التصريح بوحدة الوجود بالعبارة المطلقة، أي غير المقيدة بالإشارة والرمز واللغز، وهذا هو الكفر والزندقة عندهم؛ وهم لا يعنون بالكفر والزندقة الخروج من الولاية والصديقية، لا، وإنما يعنون بها أنها كفر وزندقة بالنسبة للشريعة (التي هي الظاهر) لا بالنسبة للحقيقة، إذ هي عندهم، بالنسبة لحقيقتهم، ولاية وصديقية وقرب ومعرفة لكن يجب أن تبقى مكتومة وألا يعبر عنها إلا بالعبارة الصوفية، وهم في واقع الأمر يستعملون عبارة «الوحدة المطلقة للخداع والتضليل والتهرب من سيف الحلاج.

وقد مر معنا قول قائلهم: إن الجنيد والشبلي أفتيا بزندقة الحلاج وبقتله، وهما يعلمان أنه ولي الله حقًّا، كما رأينا قول عارفهم الغوث: «وبويعت في الحضرة على التباعد عن أناس ابتُلوا بالانتقاد والاعتراض على أولياء الله تعالى، وذلك فيما يقبل التأويل»! وهو يعني بهذا أن العبارة الصوفية يجب أن تكون قابلة للتأويل ليمكن بذلك خداع المسلمين! أما إن لم تكن قابلة للتأويل فالذنب ذنب الصوفي عندئذ، لأنه سيكون من أهل الوحدة المطلقة، الذين لا يقيدون عبارتهم بالإشارة والرمز واللغز التي تجعل التأويل ممكناً، والتي هي مجن الطريقة البرهانية الغزالية التي تترست به، فاستطاعت أن تخدع المسلمين وعلماء المسلمين طيلة تسعة قرون أو تزيد، واستطاعت بذلك أن تصل إلى غاية إبليس من ورائها بتحريف العقيدة الإسلامية في النفوس، ودفعها إلى التخبط في ظلمات بعضها فوق بعض، وإيصال المجتمعات الإسلامية إلى ما هي عليه من فساد وضياع.

ومثال ممن يقولون عنهم إنهم من أهل الوحدة المطلقة «ابن سبعين» لمثل قوله:

كم ذا تموه بالشعبين والعلم   والأمر أوضح من نار على علم

فهـو يطلب ترك التمـويـه بالإشارة والرمز (كم ذا تموه بالشعبين والعلم)، ويدعو إلى الصـدع بحقيقتهم التي هي في نظـره أوضـح من نار على علم. وقـولهم عنه إنه من أهل الوحدة المطلقة لا يعني مطلقاً أنهم لا يعتقدون بولايته العظمى وقطبيته، هذا إن لم يكونوا يعتقدون بغوثيته.

ومثله عمر بن الفارض، لمثل قوله:

وصـــرح بإطــلاق الجـمـال ولا تقـــل بتــقـــيـــيـــده ميـــلاً لزخــرف زيــنــة

وكلنا يعلم أن عمر بن الفارض عندهم هو سلطان العاشقين، حتى قال فيه شاعرهم:

لم يبـق صيـب مزنـة إلا وقـد وجبـت عليـه زيـارة ابـن الفـارض

ومن المشيخات الصوفية التي يجعلونها من أهل الوحدة المطلقة «الطريقة السبعينية»، لأن ذكرهم كان: «ليس إلاّ الله» بدلاً من: «لا إله إلا الله»، لأن عبارة: «ليس إلا الله» تصرح بوحدة الوجود، ولا تقيدها بالإشارة والرمز واللغز.

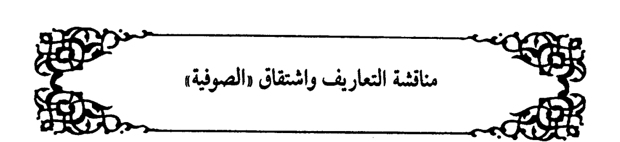
وأعيـد القـول: إنهم يعنون بعبارة «الوحدة المطلقة» أي الوحدة غير المقيدة بالإشارة والرمز واللغز.





الباب الرابع : مناقشات ودراسات مختلفة





مناقشة التعاريف واشتقاق «الصوفية»

□ التعاريف :

كثيراً ما تورد كتب التصوف تعاريف للصوفية .

وكل تعاريفهم ليس فيها شيء من التعريف، إلا لافتات دعائية، هي عبارات مرموزة منمقة لا يفهمها إلا المتمرس بأساليبهم، ومع ذلك فهي بعيدة عن أن تكون تعاريف، وهذه أمثلة منها :

ـ التصوف : علم تعرف به أحوال تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق، وتعمير الظاهر والباطن لنيل السعادة الأبدية .

ـ التصوف : استعمال كل خلق سني، وترك كل خلق دني .

ـ التصوف كله أخلاق، فمن زاد عليك بالأخلاق، زاد عليك بالتصوف .

ـ التصوف : علم يعرف به كيفية ترقي أهل الكمال من النوع الإنساني في مدارج سعاداتهم .

هذه نماذج من تعاريفهم، لو قرأها القارىء ألف مرة وألف مرة وألف مرة لما استطاع أن يتوصل إلى معرفة أي شيء عن الصوفية .

على أن المتمرس بأساليبهم يعرف أن عبارتي «تزكية النفوس، وتصفية الأخلاق»

تعني التخلص من الشعور بالمخلوقية (أو العبودية) وتوابعها . وأن «السعادة الأبدية» تعني ذوق الألوهية (أو استشعار الألوهية ، أو الفناء في الله) . . . وكذلك معنى بقية العبارات .

وبدون إطالة ، التعريف الصحيح هو:

الصوفية هي رياضات يقوم بها السالك حتى يصل إلى الجذبة ، حيث يرى - بتأثير إيحاءات شيخه المؤله - رؤى يتوهم في بعضها أنها تحقق بالألوهية ، وبالتالي استشعار لوحدة الوجود .



◻ اشتقاق كلمة الصوفية :

كتبوا وقالوا كثيراً عن أصل الاسم «الصوفية» فكان مما كتبوا :

الصوفية من الصوفة ، (أي : كالصوفة المطروحة استسلاماً) ، وقيل : من الصفّة ، وقيل : من الصّفَة ، وقيل : من الصفاء ، وقيل : من الصفوة ، وقيل : من صوفة (لقب رجل في الجاهلية) ، وقيل : من الصوف ، وقيل : من الصوفانة (بقلة زغباء قصيرة) .

وهم غير متفقين في شيء منها ، بل إن كل واحدة منها مردودة أو مرفوضة من أكثرهم ، وهذا يريحنا من مناقشتها ، فهي كلها غير صحيحة ، وهي كلها عبارات دعائية .

ونكتفي بإيراد كلمة للقشيري أوردها ابن خلدون في فصل «علم التصوف» في مقدمته ، يقول : «لا يشهد لهذا الاسم - أي التصوف - اشتقاق من جهة العربية ولا قياس ، والظاهر أنه لقب» . .

وقد تحمس بعض الباحثين - منهم زكي مبارك مثلاً - لكلمة «الصوف» وأنهم نسبوا إليه لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه .

إن صح هذا الاشتقاق ، فقد بنوا بنيانهم على باطل؟ فليس في لبس الصوف فضيلة ، وليس في الانتساب إليه شرف! وذلك للأسباب التالية :

أ - عدم التأسي بالرسول ﷺ :-

في البخاري ومسلم (لباس) عن أنس : كان أحب الثياب إلى النبي ﷺ أن يلبسها الحبرة .

وجاء في شرحها للحافظ ابن حجر في الفتح : « . . وقال ابن بطال : هي من برود اليمن تصنع من قطن . . . » .

إذن فقد كان أحب الثياب إلى الرسول ثياب قطن، لا ثياب صوف، والتأسي به ﷺ يقتضي لبس ثياب قطنية، أو لبس ما يوجد ـ عدا المحرم ـ كما كان يفعل ﷺ، ولبس الصوف ليس من التأسي به، فليس فيه فضيلة.

بل قد أورد ابن القيم رحمه الله في كتابه «زاد المعاد»: (١ / ١٤٤) عن عائشة رضي الله عنها: «أنها جعلت للنبي ﷺ برداً من صوف، فلبسها، فلما عرق فوجد ريح الصوف طرحها . . .». قال المعلقان على «زاد المعاد»: «هو أيضاً في «سنن أبي داود» (٤٠٧٤) لباس، و«مسند أحمد» (٦ / ١٣٢ و١٤٤ و٢١٩ و٢٤٩)، وإسناده صحيح». وهذا يقلب للصوف ظهر المجن.

ب ـ التشبه بغير المسلمين:

يقول زكي مبارك في كتاب «التصوف الإسلامي» في «الاشتقاق»: . . . يهمنا أن نقيد في هذا البحث أن لبس الصوف كان من تقاليد النصرانية . .

ويقول: والجاحظ يحدثنا أن النصراني يلبس الصوف حين يتنسك، وفي رسائل إخوان الصفا أن راهباً قدم في ثوب من صوف.

ويقول رينولد نيكلسون: كانت الثياب المصنوعة من خشن الصوف علامة على الزهد قبل الإسلام[1].

ويقول عمر فروخ: كلمة «تصوف» مشتقة من الصوف الذي هو لباس العباد وأهل الصوامع[2]. . .

إذن فلبس الصوف كان من تقاليد زهاد الديانات الأخرى، الذين كانوا ينقطعون في الصوامع للعبادة والتنسك، وقد أمرنا أن نخالفهم، وألا نتشبه بهم، وخاصة في الأمور التعبدية، فقد قال رسول الله ﷺ: «من تشبه بقوم فهو منهم»، رواه أبو داود (لباس) وأحمد بن حنبل عن ابن عمر، وغيرهما.

والأحاديث كثيرة تأمرنا بمخالفتهم:

---

(١) في التصوف الإسلامي وتاريخه، ص٤٨.

(٢) التصوف في الإسلام، ص٢٤.

ج ـ الرياء:

عندما كانوا يلتزمون بلباس الصوف فقد كانوا يريدون إشعار الناس أنهم من الزهاد والعباد وغير ذلك، وفي مثلهم يقول الرسول ﷺ: «من لبس لباس شهرة ألبسه الله يوم القيامة ثوباً مثله»، ويزيد في رواية ثانية: «ثم تلهب فيه النار». رواه أبو داود (لباس).

وأظن أن القشيري فطن إلى عورات اشتقاق التصوف من الصوف، فرفضه واقترح كلمة «الصفوة» كمصدر آخر للاشتقاق! وهو بعيد كل البعد.

النتيجة: إذا كان التصوف مشتقاً من الصوف، لأنهم كانوا يلتزمون بلبسه، فعملهم باطل لأنه مبني على باطل، وهو من الكبائر، وعلى كل حال، النسبة إلى الصوف غير صحيحة.

ـ إذن، فمن أين جاءت الكلمة «صوفية»؟

الجواب: جاءت من أحد مصدرين، أو منهما مجتمعين. الأول هو كلمة «صوفيا» اليونانية بمعنى «الحكمة» ومنها «حكمة الإشراق»[1]. والثاني كلمة «صوفي» اليهودية التي كانت تطلق على الشيخ المسلّك (المرشد) في حلقات المعارف السرية التي كان يتخرج فيها الأنبياء (الكذبة طبعاً) ويتأكد المصدر الأول «صوفيا» اليونانية بالمعطيات التالية:

١ ـ كون الفرضيات الأخرى مردودة لغوياً، لا تتفق مع قواعد اللغة في الاشتقاق.

٢ ـ كون كل فرضية منها مرفوضة من أكثرهم، ويدل على هذا كثرة التعاريف التي وضعوها.

٣ ـ وجود من رفضها كلها من علمائهم.

٤ ـ الناحية اللفظية:

إذ أن النسبة إلى «سوفيا» المعربة هي «سوفي» للشخص. و«سوفية» للفكرة، لكن عندما انتشرت هذه الكلمة، سرعان ما خضعت للذوق العربي في اللفظ،

---

(١) «حكمة الإشراق» كتاب للسهروردي الحلبي.



القرن الثاني الهجري وهذا له دلالته القوية.

٨ ـ المكان:

كانت مراكز الترجمة هي بغداد وبعض المدن حولها، وخاصة في فارس. وفي هذه الأماكن ظهر أوائل الذين عرفوا بهذا الاسم «المتصوفة» ممن مر معنا بعضهم في هذا الكتاب. بينما لم يعرف هذا الاسم في جنوب العالم الإسلامي ومغربه إلا بعد ذلك بمدة ملحوظة.

وهذا له دلالته أيضاً.

٩ ـ التشابه في العقيدة والطريقة:

ظهر في اليونان القديمة فلسفات ونحل متعددة، من أشهرها: أسرار إلوسيس

وإلوسيس مدينة يونانية كانت تعبد الإلهة «ديمثير» التي كانت إلهة الخصب والزراعة والخلود.

ما إن جاء القرن الخامس قبل الميلاد، حتى كانت هذه النحلة قد غزت العالم، فصارت المدينة طوال العصر القديم مزاراً يتقاطر إليه اليونان والرومان، ويحج إليه بعض أباطرة الرومان (إلى معبد ديمثير في المدينة).

تقوم العبادة في هذه النحلة على أسطورة غامضة ظلت سراً مكتوماً ألف عام، وكان المريدون يمثلون قصة ميثولوجية لكي يبعثوا في نفوسهم العواطف التي انفعل بها الإله أو الإلهة، ويتلون عبارات مبهمة، ويرقصون ويصيحون على صوت موسيقى صاخبة، لكي يحققوا حالة الجذب أو الاتحاد بالإلهة[1].

وفلاسفة اليونان الأقدمون (الأيونيون طاليس[2] وتلامذته: انكسيمندريس وأنكسيمانس وهرقليطس) كانوا يؤمنون بوحدة الوجود. فمن كلام هيرقليطس، مثلاً: أنه كان يرى أن النار هي المبدأ الأول الذي تصدر عنه الأشياء وترجع إليه، لا النار التي ندركها بالحواس، بل نار إلهية لطيفة للغاية؛ أثيرية، نسمة حارة حية عاقلة

---

(١) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٦.

(٢) ولد سنة ٦٢٤ق.م، ومات سنة ٥٤٦ق.م.

أزليـة أبـديـة. هي حياة العالم وقانونه «لوغوس»[1] . . . (ترجمت عبارة «لوغوس» فيما بعد بـ «الكلمة»).

والرواقيون كانوا يؤمنون بوحدة الوجود.

والغنـوصية (من gnosis في اليونانية = المعرفة)، وكان المريدون يتناقلونها سراً ويزعمون أنها وحي أنزله الله منذ البدء. وهي هي الصوفية ظاهراً وباطناً، بطريقتها وعقيدتها، وهي نحلة إلوسيس نفسها (مع اختلاف في الأسماء فقط)، وكانت تعدو على الأديان والمذاهب بالتأويل والتحوير، مدعية تحويلها إلى معنى أعمق، فعلت ذلك مع جميع الأديان حتى وصلت إلى الإسلام، وسميت فيه «الصوفية» أو «المعرفة» أو «الإشراق» وهي نفس العبارات والأسماء التي كان كهانها يستعملونها دائماً[2].

إن هذا التشـابـه في العقيـدة والطريق إليها بين الفلسـفات اليونانية، وخاصة الإلوسية والغنـوصيـة، وبـين الصـوفيـة ـ مضافاً إلى الأدلة السابقة ـ يجعل اعتقادنا أن الاسم «الصوفية» انزلق إلى المجتمعات الإسلامية من اليونانية قريباً من اليقين.

١٠ ـ يضاف أيضاً إلى ما سبق، اعتقاد بعض العلماء من كبارهم أن الصوفية وصلت إلى المجتمعـات الإسـلامية عن طريق اليونان بصورة رئيسية، وأن فلاسفة اليونان كانوا الشيوخ الأوائل المعروفين.

فمثلاً، يقول السهروردي المقتول: إنه رأى أستاذه أرسطو في النوم، فسأله رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أو تكلم فيه من مثـل أبي يزيـد البسطـامي وسهـل التسـتري وذي النـون المصري والحسين بن منصور الحلاج[3]؟ . .

ويقول أيضاً:

. . . وأمـا أنـوار السلوك في هذه الأزمنـة القريبة، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى أخي أخميم (أي ذي النون المصري) ومنه نزلت إلى سيارتستر وشيعته (أي سهل

---

(١) تاريخ الفلسفه اليونانية، ص١٨.

(٢) تاريخ الفلسفة اليونانية، ص٢٤٤ بتصرف.

(٣) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧٠.

التستري)[1].

ويورد ابن سبعين في الرسالة النورية أقوالاً لسقراط وأفلاطون وأرسطو يعبرون بها عن وحدة الوجود وعن أحوالهم وأذواقهم في معرفتها والتحقق بها[2].

والششتري يجعل سقراط وأفلاطون وأرسطو من مشايخ المعرفة ويذكر إلى جانبهم الحلاج والشبلي والنفري والشوذي والسهروردي وغيرهم، وذلك في قصيدته التي مطلعها:

أرى طالباً مني الزيادة بالحسنى بفكر رمى سهماً فعدّى به عدنا[2]

١١ - يضاف أيضاً إلى ما سبق، أن هذا الاسم «الصوفية» ظهر في فترة تفشت فيه ظاهرة استعارة الكلمات اليونانية واستعمالها في مختلف الفنون، حيث نقرأ مثلاً: الفلسفة، الفيلسوف، الموسيقا، الموسيقار، الأرثماطيقي، الإسطرلاب، البركار، الهيولى، السفسطائية، المجسطي، الماليخوليا، الأقراباذين، الأسطقسات . . . الخ. وعليه فليس مستهجناً ولا غريباً أن يستعيروا كلمة «سوفيا» للتسمي بها، بل كان مثل هذا قاعدة متبعة.

١٢ - في واقع الأمر وحقيقته، وإذا أردنا أن نكون موضوعيين، فإن كل مصطلح ظهر في القرنين الثاني والثالث الهجريين، وأردنا معرفة مصدره، فعلينا أن نفتش قبل كل شيء عن أصل له في اليونانية، إما عن طريق الترجمة أو الاستعارة والتعريب، فيما عدا مصطلحات أصول الفقه والفقه والحديث واللغة.

إن هذه المعطيات مجتمعة، تشكل برهاناً قوياً على أن كلمة «صوفية» لها أصل يوناني.

- ويتأكد المصدر الثاني «صوفي» اليهودية بالمعطيات التالية:

١ - إن المعطيات (١ و ٢ و ٣ و ٤ و ٩) السابقة، هي أيضاً معطيات لهذا المصدر.

---

(١) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧٠.

(٢) روضة التعريف بالحب الشريف، ص٦٠٩.

٢ ـ يقول البروفيسور عبد الأحد داود[١]:

وكان الرجل الذي ينظر أو يرقب من البرج «المصفا أو المسفا» يسمى «صوفي SOPHI»[٢].

. . . ففي الأصل كانت «المسفا» (مكان ينصب فيه صفاة، أي حجر) مجرد نصب أو مزار على مكان منعزل مرتفع في «جلعاد» حيث كان يعيش المراقب (SOPHI) مع أسرته، ولكن بعد فتح إسرائيل لأرض كنعان واحتلالها ازداد عدد «المسفايات»، وسرعان ما أصبحت مراكز دينية عظيمة، وتطورت إلى معاهد للتعليم والجمعيات الدينية. ويبدو أنها تشبه الجماعات الصوفية والإسلامية مثل المولوية والبكداشية والنقشبندية وغيرها، وكل واحدة منها كانت تحت إشراف شيخها ومرشدها، وكانت هناك مدارس ملحقة بالمسفا حيث كان يجري تدريس الشريعة والدين والأدب العبري وغير ذلك من فروع المعرفة، ولكن فوق هذا العمل التعليمي، كان الصوفي رئيس جماعة الداخلين في هذه المجموعة، وقد اعتاد أن يدرسهم ويلقنهم الدين السرّي الذي يعرف الآن بالصوفية. والواقع أن من نعرفهم الآن باسم الصوفية كانوا يسمون عندئذ «نبييم NBIYIM» أو أنبياء[٣]. . . اهـ.

انطلاقاً من هذا النص ومما تورده كتب التاريخ، يمكن وضع النقاط التالية:

ـ كانت الصوفية (الدين السري) منتشرة في اليهودية وكانت «المسفايات»[٤] هي مراكز التسلك فيها.

ـ كان الشيخ المسلِّك (المرشد) في المسفاة يسمى «صوفي SOPHI»[٤].

---

(١) كان اسمه القسيس دافيد بنجامين الكلداني وهو من كبار علماء اللاهوت المسيحي، أسلم سنة ١٩٠٤م، أو بعدها بقليل، وتسمى عبد الأحد داود، وقد كان حياً حتى بعد الحرب العالمية الأولى، ولم أقف على تاريخ وفاته، وهو من أورميا بفارس.

(٢) محمد في الكتاب المقدس، ص٧٢.

(٣) محمد في الكتاب المقدس، ص٧٢ و٧٣، وهؤلاء الأنبياء هم الأنبياء الكذبة.

(٤) الصفاة كلمة ساميّة معناها «الحَجَر»، فيكون المعنى الأساسي لكلمة «سفا» هو المحجرة، والمعنى الأساسي لكلمة «صوفي» هو الحَجَري أو الحجّار، ثم تطورت لتأخذ معناها الاصطلاحي.

- كان الواصل من غير «صوفي» يسمى «نبي» وهي كلمة عبرية معناها «ناطق»، وهؤلاء هم الأنبياء الكذبة، وكان بنو إسرائيل يعظمونهم ويقدسونهم، بينما يقتلون الأنبياء الحقيقيين! ويتبع متصوفة المسلمين سننهم في ذلك؟ فهم يقدسون مشايخ الصوفية ودعاتهم، بينما يحاربون من يدعو إلى ما جاء به رسول الله ﷺ! وهذا من مصداق قوله ﷺ: «لتتبعن سنن من كان قبلكم ...».

- كان في بغداد - شأن أكثر المدن الإسلامية - جالية يهودية تعرف باسم «الجالوت»، ومن البدهي أن ذلك الدين السري كان منتشراً بينهم، وأن الشيخ المرشد في كل مسفاة كان يسمى «صوفي SOPHI»، لأنه لم يحدث في اليهودية ما يمكن أن يغير ذلك.

- في القرنين الأول والثاني الهجريين ظهر في البلاد الإسلامية عدد ممن ادعى النبوة، ومما لا شك فيه أن أكثر هؤلاء المدّعين - إن لم يكن كلهم - كانوا من خريجي تلك المسفايات التي كانت معاهد لإعداد الأنبياء، وكانت تجري على أيديهم الخوارق، ولعل أشهرهم الحارث الدمشقي، وكان نصيبهم القتل أو التوبة.

- إن سلوك هؤلاء والخوارق التي تحدث على أيديهم تدل على أنهم سلكوا طريق الإشراق ومارسوا رياضته حتى وصلوا. وتسميتهم أنفسهم أنبياء تدل على أنهم أخذوا الطريقة في مسفاة من المسفايات اليهودية وتسلكوا على يد شيخها «صوفي»، وذلك لأن اليهود هم وحدهم الذين كانوا يسمون الإشراقي «نبياً»، بينما كان غير اليهود يسمونه الكاهن أو العراف أو القديس. وهذا يعني أن من المسلمين من كان ينضم إلى حلقات الإشراق اليهودية ويتسلك على يد صوفيها مستَجرًا بما كان يجري على يده من خوارق.

- إن أول من عرف باسم «صوفي» في المجتمع الإسلامي هو «أبو هاشم الصوفي» المتوفى قبيل منتصف القرن الثاني الهجري.

- ومن غير المستبعد، بل من المقبول، أن يكون أبو هاشم هذا قد تسلك في «مسفا» (سرية طبعاً) في بغداد، ووصل إلى الإشراق (الجذبة) على يد صوفيها، وبتوجيهه تطور في المشاهد والكشوف والعلوم اللدنية (نبي ثم رائي ثم بصير) وأخيراً وصل إلى مقام الإرشاد، وأسس مسفا إسلامية (سرية طبعاً)، فاستحق بذلك لقب «صوفي»، وصارت

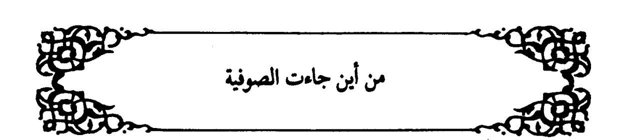
له حلقته التي يلقن فيها الدين السري (الإشراق). وبما أنه مسلم فمن البدهي أن تضم حلقته مريدين مسلمين، هذا إن لم يكونوا كلهم مسلمين، ومن البدهي أن يتخرج في حلقته واحد على الأقل يستحق لقب «صوفي»، أي: مرشد ورقيب.

وهكذا كان انطلاق النبرات الأولى للاسم «صوفي».

وجاءت الترجمات عن اليونانية، وانتشرت معها، فيما انتشر، كلمة «صوفيا» بمعنى الحكمة، وانتبه بعض مثقفي الإشراقيين إلى التشابه اللفظي بين «صوفي» و«صوفيا»، كما انتبهوا إلى التوافق المعنوي، ثم انتبهوا إلى أن هذا الاسم سيصرف عنهم الحاجة إلى التسمي بأحد الأسماء السابقة «نبي أو كاهن أو عراف أو قديس» التي تقطر سيوفها دماً، ولعله عرض هذه الفكرة (وهذا هو المعقول) على شيخه وإخوانه فأعجبتهم، وبدؤوا يستعملون الاسم «الصوفية» حتى انتشر.

ـ هذا بالنسبة لاشتقاق الاسم، أما الصوفية ذاتها، عقيدتها وطريقتها، فقد كان لها طرق إضافية.





من أين جاءت الصوفية

لإبليس شركان :

الشـرك الأول : هو الجنس ولـواحقـه ، يمنـع به ابن آدم ـ ابتـداءً ـ من الـدخول في الإسلام ، والإسلام هو الدين الذي جاءت به جميع الرسل .

الشـرك الثـاني : هو الإشـراق الصوفي أو التحشيشي ، ينصبه إبليس لابن آدم الذي سار في طريق الإسـلام ، ولم ينغمس في غوايـة الجنس ، فيغـريه ويقنعه أن أوهام الإشراق هي الخلد وملك لا يبلى ، أوهي المعرفة أو الغوثية أو الحلول أو الاتحاد أو الوحدة ، حسب استعداده الثقافي والنفسي ، ﴿فبما أَغْوَيْتَني لأَقْعُدَنَّ لهم صراطَكَ المستقيمَ﴾ .

إن دراسـة لأي وثنيـة من الـوثنيـات تريـنـا الـدور الـرئيسي الذي يلعبه الإشراق في عقـائـدهـا وطقـوسهـا ، فالحشيش والأفيـون يقـدَّم للمبتدئين أو الذين لا يريدون إجهاد أنفسهم من السالكين ، والرياضة الصوفية يمارسها الذين يريدون أن يكونوا رؤساء دينيين .

ويـلاحـظ أن الـوثنيـات المنعـزلة تعتمد أساساً في إشراقاتها على الحشيش أو بعض زمرته (كالأفيون أو فطر المكسيك أو الكوكا أو غيرها) ويقل فيها دور الرياضة الصوفية .

وكلما تطورت الوثنية ، كلما قل دور الحشيش وزمرته (لكنه لا ينعدم) ، وكلما زاد دور

الرياضة والمجاهدة وصار أكثر بروزاً.

ولا يكون الكاهن كاهناً إلا إذا وصل إلى الجذبة، وأشرق عليه سناها الخداع.

وأكرر القول: إن دراسة كافية لوثنيات التاريخ تؤكد هذه الظاهرة، مما يجعلنا مطمئنين إلى القول بأن الصوفية وجدت منذ أن نزل إبليس إلى الأرض، أو بعد ذلك بقليل.

وهذا يعني أن الصوفية لو لم تنحدر إلى المسلمين من الأمم السابقة لأوجدها فيهم إبليس باستدراج العبَّاد السذَّج ذوي القلوب الطيبة إلى الجذبة، إما باستعمال المورفين الخارجي (شجر الهلوسة) أو ببعض زمرته، أو باستعمال المورفين الداخلي (الإندورفين).

وهناك من الواصلين من استُدرج إلى الصوفية بالإندورفين مرضيًّا، وهو الذي يسمونه «المراد»، لكن هؤلاء يشكلون استثناءً في المسيرة، لأن الواقع هو أن الصوفية انحدرت إلى المسلمين من الأمم السابقة:

* **أولاً: من عرب الجاهلية:**

كانت الصوفية منتشرة في جزيرة العرب قبل الإسلام، وكانت معروفة باسم «الكهانة»، حيث كان في كل قبيلة كاهن.

روى ابن أبي حاتم في تفسير: ﴿يُؤْمِنون بالجِبْتِ والطاغوتِ﴾ عن جابر بن عبد الله بن حرام الأنصاري، سئل عن الطواغيت، فقال: إن في جهينة واحداً، وفي أسلم واحداً، وفي هلال واحداً، وفي كل حي واحداً، وهم كهان كانت تنزل عليهم الشياطين.

وكانوا يسمون الكاهن أيضاً «العراف»، والمعنى واحد، لأن معنى كلمة «الكاهن» هو «العارف»، جاء في لسان العرب: «... والعرب تسمي كل من يتعاطى علماً دقيقاً كاهناً، ومنهم من كان يسمي المنجم والطبيب كاهناً ... الكاهن الذي يتعاطى الخبر عن الكائنات في مستقبل الزمان، ويدَّعي معرفة الأسرار...».

ومن أشهر كهان الجاهلية شق بن صعب القسري (من نسله خالد بن عبد الله القسري وأخوه أسد)، ويوحي الاسم «شق» أنه لقب وليس اسماً، وكذلك «سطيح»،

ذلك الأوفاق والزايرجة والطلاسم واستنطاق الحروف، واستخدامها وأسرارها، هذه العلوم التي لم تزل علوماً أساسية عند متصوفة المسلمين، والتي هي نفس السحر وأبوابه، والتي انبثقت أصلاً من الكهانة المصرية الفرعونية.

ثم انحدرت الإيلوسية إلى الرومان، وانتشرت في الإمبراطورية الرومانية، حتى إن بعض القياصرة كانوا يحجون إلى إيلوسيس.

وعندما ظهرت المسيحية، حاربت الإيلوسية (شأن دين الإسلام في أي عصر كان)، فتسترت بالكتمان، حتى ظهرت في القرن الثاني الميلادي باسم «الغنوصية»، أي المعرفة، (باليونانية Gnosis)، ومنها الغنوصي، أي العارف. وانتشرت الغنوصية حيث انتشرت المسيحية، وخاصة في بلاد الشرق: مصر والشام والعراق واليمن وبعض فارس، وهي البلاد التي دخلت في الإسلام قبل غيرها، وكان بين غنوصية سورية وغنوصية الاسكندرية بعض الفوارق، لتأثر الأخيرة بشيء من اليهودية.

*** خامساً: من اليهودية:-**

مر في الصفحات السابقة أن الصوفية كانت منتشرة بين اليهود، وكانت تسمى «التنبؤ»، ويسمى الواصل من السالكين فيها «نبيًّا»، ويسمى شيخها «صوفي»، وتسمى مراكزها «المسفايات»، واحدها «مسفا».

وكانت التجمعات اليهودية متناثرة في كل البلاد التي دخلها الإسلام، وكانت مسفاياتها منتشرة معها، ولعل هذه المسفايات كانت المنطلق الرئيسي للصوفية في المجتمعات الإسلامية.

- وبعث الله سبحانه محمداً، فحارب الأوثان والأوهام، وكانت الكهانة في مقدمة الأوهام الشركية التي حاربها الإسلام: ﴿فما أنتَ بنعمةِ ربِّكَ بكاهنٍ ولا مجنونٍ﴾[1]، ﴿ولا بقولِ كاهنٍ قليلاً ما تَذَكَّرونَ﴾، ﴿ويومَ نحشُرُهُم جميعاً يا معشرَ الجنِّ قد اسْتَكْثَرْتُم مِنَ الإنسِ قالَ أولياؤُهُم مِن الإنسِ ربَّنا استمْتَعَ بعضُنا ببعضٍ وبَلَغْنا أجَلَنا الذي

---

(١) الجذبة الإشراقية أو التحشيشية هي صورة مخففة من الجنون، وعندما تزداد كمية الإندورفين زيادة كافية يصبح المجذوب مجنوناً ويقولون عنه: إنه في مقام جمع الجمع، أو الاستغراق، أو الإطلاق.

أجّلْتَ لنا قالَ النارُ مثواكُم خالدينَ فيها إلا ما شاءَ الله إنَّ ربَّك حكيمٌ عليمٌ﴾، حيث لا يجدي التأويل ولا تزكية النفس ولا ادعاء القربى، ولا افتراء الكذب على الله.

قال ﷺ في ما رواه مسلم عن حفصة: «من أتى عرافاً فسأله عن شيء، فصدقه بما يقول، لم تقبل له صلاة أربعين يوماً»، وفي رواية بدون: «صدقه».

وقال فيما رواه الأربعة وأحمد والبيهقي والحاكم (وقال صحيح على شرطهما) عن أبي هريرة مرفوعاً: «من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ».

ولأبي يعلى بسند جيد عن ابن مسعود مثله مرفوعاً.

أقول: لعل هذا الحديث هو الذي جعلهم يستبدلون كلمة العراف، بالعارف.

وفي البزار عن عمران بن الحصين مرفوعاً، والطبراني في «الأوسط» عن ابن عباس: «ليس منا من تطير أو تطير له، أو تكهن أو تكهن له، أو سحر أو سحر له».

وتحرك الكهنة ليدافعوا عن وجودهم، ومن أشهرهم مسيلمة وسجاح والعنسي، فخذلهم الله له المنة، ولزم الكهنة الباقون الصمت واعتصموا بالكتمان.

وتجدر الإشارة هنا إلى أن توبة العارف متعذرة، أو صعبة جدًّا على الأقل، لسبب بسيط، لأنه يعتقد أن هلوساته الشيطانية هي إشراقات إلهية! وللحق، هي خداعة خداعة.

ولهذا بقيت الكهانة تسري في غيابات الغرف المظلمة، ووراء الأبواب الموصدة، والكهنة يتحاشون إظهار رؤوسهم خوفاً من أن تختطفها سيوف الردة، حتى فطن بعضهم إلى أن تغيير الاسم «الكهانة» يمكن أن يساعدهم على التحرك بحرية، وكانت الترجمات من اليونانية، وانتشرت كلمة «سوفيا» بمعنى الحكمة، ممزوجة بالكلمة «فيلوسوفيا» بمعنى حب الحكمة (أي الفلسفة)، أو غير ممزوجة، وحدث أن وصل واحد ممن تسلك في «المسفا»، إلى مقام «سوفي»، أي: المرشد، ورأى أحد مثقفيهم أن هذه الكلمة العربية تتوافق مع الكلمة اليونانية «سوفيا»، بمعنى الحكمة، ورآها مناسبة لمقتضى الحال، ولعله عرضها على شيخه أو مريديه، فحازت القبول، فتبنَّوْها ونشروها

بين طائفتهم التي كانت محدودة العـدد في ذلـك الـوقت، وسـرعـان ما خضعت للذوق العربي في لفظ الكلمة، فأصبحت «صوفية»، والمنتسب إليها «صوفي».

ورفعت الكهـانـة رأسهـا بعـد أن وضعت عنواناً جديداً لها، ولافتات دعائية ذكية، فصارت الصوفية والقربى والإحسان والصديقية . . . وتحركت لتكون معول الهدم الذي دمـر العقيـدة الإسـلاميـة في نفـوس المسلمـين، الـذين صاروا يأخـذون عقـائدهم من الهلوسـات ومن شيـاطـين الجن، بعـد أن كان مصـدرها القرآن والسنة لأولي النهى ولقوم يعقلون ويعلمـون ويبصـرون ويسمعـون ويتفكـرون. وكـانـت معـول الهـدم الذي دمر المجتمعـات الإسـلاميـة، لأنهـا كانت، وما زالت، تنشر الجهل والخرافة والانحراف عن الصراط المستقيم. وكانت معول الهدم الذي أفسد الأمة الإسلامية؛ لأنها مسخت الفرد المسلم الـذي تأثـر بها، فجعلتـه جاهلاً خرافيًّا ذليلاً خانعاً تواكليًّا، يعبد الشيخ بدلاً من عبـادة الله، ولا يَشْغَـلُ تفكـيرَه إلا الـوصـولُ إلى ساعـة الصفـا والمتعـة التي يسمـونها: «روحـانيـة وولايـة . . .»، حيث يقضي ساعـة أو ساعـات متمتعـاً بالذهول (مسطولاً) سادراً في هلوساته وأوهامه الجذبية، الإشراقية أو التحشيشية لا فرق.

● وخلاصة الكلام . . .

عنـدمـا جاء الإسـلام، كانت الصوفية منتشرة في كل البلاد التي دخلها، بل في كل العـالم. كانت منتشـرة في جزيـرة العرب باسم الكهانة، وكانت منتشرة في الهند وفارس، لأن ديـانـاتهم كانت تقـوم على أسـاس الـريـاضـة حتى الجـذبـة، ومـا فيهـا من رؤى ومكـاشفـات، وكـانت منتشـرة في النصرانية التي كانت تسيطر على مصر والشام والعراق وجـزء من فارس واليمن، وكـذلـك اليهودية، وكان الشيخ فيها يطلق عليه باللغة العربية اسم «الكاهن والعارف والعراف» أو ما يرادفها في اللغات الأخرى.

ولمـا جاء الإسـلام، اختبأت وراء الأسـوار حتى قُدر لكهانها أن يجدوا صيغة ملائمة استطاعوا أن يظهروا بها أمام الناس ويدعوهم إليها.

وقد عرف هذه الحقيقة بعض علمائهم القدامى، (إن لم يكن أكثرهم)، فهذا شهاب الدين يحيى بن حبش السهروردي يقول:

. . . وأمـا أنـوار السلوك في هذه الأزمنـة القريبة، فخميرة الفيثاغوريين وقعت إلى

أخي أحميم (أي ذي النون المصري)، ومنه نزلت إلى سيار تستر وشيعته . . . وأما خميرة الخسروانيين في السلوك، فهي نازلة إلى سيار بسطام (أبي يزيد)، ومن بعده إلى فتى بيضاء (الحلاج)، ومن بعدهم إلى سيار آمل وخراقان (أبي الحسن الخراقاني)[1].

ونسي السهروردي كهان الحجاز ونجد! وله الحق، فقد كان أكثرهم أدعياء مقلدين، كما يظهر من قراءة أخبارهم، كما نسي اليهود، لأنهم كانوا يعملون بصمت وتكتم.

ولعل من المفيد إيراد فقرة للسهروردي نفسه وردت قبل كلامه هذا مباشرة، فقد روى أنه رأى أستاذه أرسطو في النوم، فسأله عن رأيه عن أقطاب التصوف الذين يستشهد بهم وبآرائهم كل من كتب في التصوف أو تكلم فيه، من مثل أبي يزيد البسطامي وسهل التستري وذي النون المصري والحسين بن منصور الحلاج. فقال فيهم: أولئك هم الفلاسفة والحكماء حقًّا، ما وقفوا عند العلم الرسمي، بل جاوزوا إلى العلم الشهودي، وما اشتغلوا بعلائق الهيولى، فلهم الزلفى وحسن مآب.

- وهذا ابن سبعين يثبت مشيخة فلاسفة اليونان في التصوف، فيقول في إحدى رسائله:

. . . والأقدمون منهم (أي من الفلاسفة) في الإلهيات أنبه، غير أنهم يغلطون، وهم أقرب إلى الأنبياء وإلى الإيمان بهم من غيرهم، وأرسطو ذكر أمرهم في «نيقوماخيا»، وهذا الرجل كان جليل القوم في المهنة، لأنه في القوى والأحوال الإلهية مثل غيره، وملك بعض الأسرار الطبيعية والإلهية وكتمها، وأفلاطون في التجرد والتوجه وفهم الأحوال الإلهية أثبت، وإن كان أرسطو أجل منه على الإطلاق، فإنه توجه، وكان حاله في سره[2] . . . (ثم يذكر بعد ذلك جملة من العبارات التي يقول: إنهم كانوا يرددونها).

ويورد ابن سبعين أيضاً في الرسالة النورية:

. . . وكان سقراط يقول في كل صباح: أنا الدليل بالذات، وأنت العزيز بالذات، فلا تجعلني بعزتك من السعداء بالعَرَض، يا من هو صورة كل شيء، وقياس هذا العالم،

---

(١) ولاية الله والطريق إليها، ص١٧١.

(٢) رسائل ابن سبعين، ص٢٦٨.

ووجوده القريب . . . وكان يكثر قول: أنت أنت أنت . . .

وكان أفلاطون يقول: يا نور العالم، يا سبب الكل . . . كم ذا نتجرد ونعود إلى هذا الجسم، ونرجع في عالم العقل إليه، قوّني بحيث أثْبُتُ عندك ولا نعود، فإن صرفتني إلى هذا الهيكل فأشغلني بك وألهمني بالرجوع إلى حالتي التي انصرفت من حضرتها الشريفة . . .

وكان أرسطو يقول: يا علة العلل، يا أزل الأزل، يا سبب أول[1] . . .

ـ إن ابن سبعين يورد هذه الأقوال على أنها تتضمن وحدة الوجود (وهي كذلك)، ليدلل على أنهم كانوا من شيوخ الصوفية القدماء.

وقد مر معنا قول الدكتور عبد الحليم محمود:

« . . . فإن الصوفية جميعاً، وفلاسفة الإشراق منذ فيثاغورس وأفلاطون إلى يومنا هذا، يعلنون منهجاً محدداً يقرونه جميعاً ويثقون فيه ثقة تامة . . . وهو منهج معروف أقرته الأديان جميعها، واصطفته مذاهب الحكمة القديم منها والحديث . . . »[2].

ـ والششتري في نونيته المشهورة يجعل فلاسفة اليونان شيوخاً في التصوف، ويضمهم، أو يضم إليهم، متصوفة المسلمين، يقول:

وتيم ألباب الهرامس كلهم ... وحسبك من سقراط أسكنه الدنا
وجرّد أمثال العوالم كلها ... وأبدى لأفلاطون في المثل الحسنى
وهام أرسطو أو مشى من هيامه ... وبث الذي ألقي إليه وما ضنّا
وكان لذي القرنين عوناً على الذي ... تبدّى له وهو الذي طلب العينا
ويفحص عن أسباب ما قد سمعتم ... وبالبحث غطى العين إذ ردّه غينا
وذوّق للحلاج طعم اتحاده ... فقال: أنا من لا يحيط به معنى
فقيل له: ارجع عن مقالك. قال: لا، ... شربتُ مداماً كلُّ من ذاقه غنّى
وأنطق للشبلي بالوحدة التي ... أشارَ بها لما امّحى عنده الكونا[3]

---

(١) رسائل ابن سبعين، ص١٦٢.
(٢) المرسي أبو العباس، ص١٠.
(٣) روضة التعريف بالحب الشريف، ص٦٠٩، ويعني بذي القرنين الإسكندر بن فيليب، وهذا خطأ.

. . . إلى أن يذكر جملة من متصوفة المسلمين.

● **النتيجة:**

للتصوف عند المسلمين جذور يونانية وكسروية ويهودية وهندية وعربية جاهلية.

إن التصوف عند المسلمين انحدر إليهم من التصوف في الأمم الأخرى، الذي كان يسري فيها منذ أزمنتها البعيدة، وسيبقى ما دام إبليس وجنوده بالمرصاد للإنسان.

وهـذه طريـقـة الإشـراق كانـت وتـبـقى ما الـوجـود باقي

وفي الفصل التالي، نصوص إشراقية وحدوية من أديان مختلفة، نوردها زيادة في التأكيد والتوضيح.

وقبل ذلك نورد نبذة عن الحارث الدمشقي، وهو كاهن ظهر في زمن عبد الملك بن مروان، وسمى نفسه نبيًّا، وكانت الشياطين تُخرج رجليه من القيد وتمنع السلاح أن ينفذ منه، وكانت الرخامة تسبِّح إذا مسحها بيده، وكان يُري الناس رجالاً وركباناً على خيل في الهواء ويقول: هم الملائكة. وعندما حكموا بقتله ضربوه فلم يؤثر فيه السلاح، حتى قال أحدهم: «بسم الله»، ثم طعنه، فنفذ فيه الرمح، وقتله.

وفي ظاهرة الحارث هذه ثلاث معطيات، أو استدلالات:

١ ـ الخوارق التي كانت تجري على يديه تدل على ممارسته الرياضة الإشراقية.

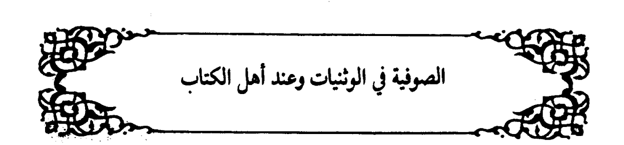
٢ ـ تسميته نفسه «نبيًّا» تدل على أنه وصل إلى الجذبة في «مسفا» يهودي، إذ اليهود فقط هم الذين كانوا يسمون الواصل إلى الجذبة «نبيًّا»

٣ ـ نفوذ الرمح فيه عند ذكر اسم الله، يدل على شيطانيات خوارقه.

وهـذا كله من الأدلـة على أن الكهـانـة لم تنقطع، بل بقيت تتابع مسيرتها في الخفاء (وهذا هو المعقول).







الصوفية في الوثنيات وعند أهل الكتاب

الصوفية هي المستنقع الذي عاشت فيه أو شربت من شواطئه وثنيات التاريخ.

وهـذه لمحـات سريعة عن أشهر الوثنيات المعاصرة، وكيف أنها قائمة على الإشراق الصوفي بطريقته وحقيقته، يتلوها عرض سريع للتصوف عند أهل الكتاب.

وقبـل ذلـك، يجب أن نتـذكـر دائـماً أن الأديـان جميعهـا، ما عدا الإسلام، مجهولة التـاريـخ والجغرافية، وكل ما تذكره كتب هذه الديانات عن تاريخها وجغرافيتها لا أساس له من الصحـة، إلا قليـلاً مما عنـد أهل الكتاب، ويجب ألا ننسى هذه الحقيقة في قراءتنا للعروض التالية.

*** الطاوية (منتشرة في الصين):-**

نسبة إلى «طاو»، وقبل عصر كونفوشيوس (حوالي القرن الرابع قبل الميلاد)، كانت هذه الكلمة تعني «الطريق وأسلوب العمل»[1]، واستعملها كونفوشيوس بمعنى «الطريق

---

(١) يلاحظ أن كلمة «الطريقة» تحمل نفس معنى كلمة «طاو»، مع التنبيه إلى أن كلمة «طاو» هي كلمة صينية وليست عربية، وأن الكـلام هنـا عن أمـر حدث في الصـين. مع ملاحظـة أخرى قد يكون لها أهمية، وهي أن المصـريـين القـدمـاء كانـوا يطلقـون على مصـر اسـم «طـاو»، فهـل هناك علاقة بين «طاو» التي هي مصروبين الطاوية، كما أن هناك الوادي المقدس «طوى»؟ فهل من علاقة تاريخية وجغرافيه نُسيت؟

الصحيح للعمل».

أما الطاويون فقد صارت عندهم ذات مفهوم واحد؛ يعني: «الأشياء في مجموعها»، أو ما يُطلق عليه وحدويو الغرب اسم «المطلق»، وهو ما يطلق عليه متصوفة المسلمين اسم «الوجود».

والنصوص المنقولة هنا تُعزى لشخص مقدس معاصر لكونفوشيوس، اسمه «لاوتزو»، أي الأستاذ لاو، يقال: إنه مؤسس الطاوية، وهذه النصوص من كتابهم المقدس «كتاب لاوتزو»، يقول:

«الطاو مَثَلُها كوعاء، رغم أنه فارغ، يمكن أن يُسْحب منه بلا نهاية، وليس في حاجة قط لأن يُملأ، وهي عظيمة جداً، وبالغة العمق، حتى ليبدو أنها أقدم من كافة الأشياء، إذا ما انغمس فيها أحدٌ طرف صار ناعماً، وأصعب مشكلة تُحل، وأقوى ضوء ساطع ينتشر، وأشد المشكلات تعقيداً تستحيل إلى أمور بسيطة، إنها في سكونها كالخلود نفسه، إنني لا أعرف وليدة من هي». اهـ.

- في هذا النص، يُعرِّفنا الأستاذ لاو ما هي الطاو، ويُلاحظ أن وصفها يشبه أن يكون وصفاً لله تعالى، لكنه وصف فيه شذوذ وتجرؤ وتشبيه، وهذا نابع من ثقافتهم وتصوراتهم.

ويقول: «يأتي إلى الوجود عشرة آلاف شيء، وقد شهدتها تعود، لا يهم كيف تنتعش انتعاشاً بالغاً، كل شيء يجب أن يعود إلى أصله الذي صدر عنه، هذه العودة إلى الأصل تُسمَّى الهدوء، هي تحقيقٌ لمصير فرد، وأن يُحقق كلُّ شخص مصيره هو النمط الأبدي، وإذا عرفت النمط الأبدي فهو محصَّن من كل ناحية، والمحصَّن من كل ناحية هو عادل تماماً، وإذا كان عادلاً، فهو مَلِكٌ، ومن كان مَلِكاً فهو كالسماء، وإذا كان كالسماء فهو متمشٍّ مع الطاو، وإذا كان متمشياً مع الطاو فهو مثلها لا يفنى، وبرغم أن جسده قد يختفي في خضم محيط الوجود، فهو بعيد عن كل أذى...». اهـ.

- يشرح «لاوتزو» في هذا النص وحدة الوجود، وكيف أن الأشياء تصدر عن ذات الطاو ثم تعود إليه، ويلاحظ أنه يستعمل كلمة «الهدوء» والتي يقابلها عند متصوفة المسلمين كلمة «الفناء». ولنلاحظ عبارة: «وقد شهدتها تعود»، والتي لا تعني إلا أنه

شهدها بالكشف.

ويقـول: «الكلمات الصـادقـة لا تكون مُنمقة، والكلمات المنمقة لا تكون صادقة، والـرجـل الصـالـح لا يجادل، وأولئـك الذين يجادلـون ليسـوا بصـالحين، والحكماء ليسوا بعلماء، والعلماء ليسوا بحكماء، إذا ما توقفنا عن العلم لا يواجهنا المزيد من المشاكل . . . تخلّوا عن الحكمة وتخلصوا من الفطنة، وسيصبح الناس أحسن حالاً مائة مرة». اهـ.

ـ بين «لاوتـزو» هنـا أن حقيقتهم لا يمكن أن يُبَرْهن عليهـا بالأسـاليب الجـدليـة، والكلمات المنمقـة، وأنهـا تشـرح بالكلمات الصـادقة البسيطة، والملاحظة الهامة هنا هي الأمر بالجهل! لأن الجهل جزء أساسي من رسالة الإشراق في كل زمان ومكان.

ويقـول: «هـو لا يغـادر داره قط، ومـع ذلـك فهـو عالِم بالعـالَم بأسره، ولا يُطلُّ من نافـذتـه، ومـع ذلـك يسـبر غور طريق السماء، وفي الحقيقة كلما سافر الإنسان إلى مكان أبعد، كان أقل إدراكاً، وهكذا يعرف الحكيم دون أن يتحرى، ولا يفعل شيئاً ومع ذلك ينجز كل شيء».

. . . لهذا السبب يرتدي الحكيم رداءً من قماش خشن يُخفي ما هو أثمن من أنفس درة داخل فؤاده . . .

هذا ما يسمى الاستغـراق الخفي، مَن خَبِرَهُ لا يمكن أن يعـامـل على أنه مُقَرَّب أو مزجـور، لا يمكن أن يعـان أو يضـار، لا يمكن أن يمجـد أو يحط من قدره، ولهـذا يحتل المكان الأول بين كافة الكائنات البشرية في العالم». اهـ.

في هذا النص يقدم «لاوتزو» صورة خاطفة للجذبة التي يسميها «الاستغراق الخفي» ولكشفها الذي يجعل «الحكيم» عالماً وهو لم يغادر داره، بل ولا غرفته، بل ولم يطل من نافذته . .

والتـماثـل الكـامـل بين الطاوية والصوفية واضح، حتى لقد دفع هذا الوضوح أحد الباحثين لأن يقرر أن التصوف عند المسلمين هو امتداد للطاوية، وطبعاً؛ لا بد من وجود فروق يقتضيها اختلاف الظروف.

* الجينية (نسبة إلى جينا، أي: القاهر والمتغلب):ـ

أسسها مهاويرا الملقب بـ «جينا الرابع والعشرين»، وكان مولده سنة ٥٩٩ قبل الميلاد.

صام مهاويرا يومين ونصف يوم، ونتف شعر جسمه، وبدأ يجوب البلاد حافياً . . وجأ إلى الزهد والجوع والتقشف، وغرق في التفكير، واهتم بالرياضة الصعبة القاسية والتأملات النفسية العميقة، وبعد ثلاثة عشر شهراً من ترهُّبه خلع ملابسه دون حياء، إذ كان قد قتل في نفسه عواطف الجوع والإحساس والحياء، وكان أحياناً يعتكف في المقابر . . . وكان يغرق في المراقبة إلى حد لا يشعر فيه بالحزن أو السرور، ولا بالألم أو الراحة . . . ووصل مهاويرا إلى حالة الذهول وعدم الإحساس بما حوله (أي الجذبة)، وأفنى كل اتجاه مادي، فحصل من درجات العلم على الدرجة الخامسة (أعلى الدرجات)، وهي درجة العلم المطلق، ونيل البصيرة أو النجاة، وبعد سنة أخرى من الصراع والتأملات فاز بدرجة «المرشد». . . وبهذا بدأ مهاويرا مرحلة جديدة هي الدعوة لعقيدته . . .

ويقول الجينيون: إن جينا الثالث والعشرين، واسمه: «بارسوانات»، أسس نظاماً رهبانيًا شدَّد فيه بضرورة الرياضات الشاقة المتعبة[1]. . .

ـ نرى في هذا النص أن الجينية تقوم على الرياضة الإشراقية، وعلى رأسها الجوع، وهذه الرياضة تقود إلى الجذبة التي يسمونها «حالة الذهول وعدم الإحساس بما حوله وفناء كل اتجاه مادي»، وفي الجذبة يحصل على الدرجات العليا من العلم (العلم المطلق)، وبالمثابرة على الرياضة وصل إلى درجة «المرشد»، كما نلاحظ أن هذا هو «النجاة» عندهم. ولنتنبه إلى العري أيضاً.

ولعل من المفيد ذكر المنجيات عند الجينيين (وهناك ما يشبهها في الهندوسية والبوذية والطاوية، بل وكل الوثنيات)، وهي: الاعتقاد الصحيح، العلم الصحيح، الخلق الصحيح الذي له أصول سبعة هي: التمسك بالخلق الحميد، والإقلاع عن الخلق

---

(١) أديان الهند الكبرى (سلسلة مقارنة الأديان)، ص١١١ و١١٢ و١١٣.

السيء، الورع، التقليل من الحركات البدنية ومن الكلام، التحلي بعشر خصال هي «العفو، والصدق، والاستقامة، والتواضع، والنظافة، وضبط النفس، التقشف الظاهري والباطني، والزهد، واعتزال النساء، والإيثار»، ثم التفكير في الحقائق الأساسية، والسيطرة على متاعب الحياة وهمومها والقناعة الكاملة[1]. أهـ.

هذه هي المنجيات في الجينية، وفي كل الوثنيات ما يماثلها في المكان والمقام، وهي تذكرنا بمنجيات الغزالي ومقامات الصوفية، كما يذكرنا العري في الجينية بمثيله عند الصوفية.

* الهندوسية :-

نظرة سريعة :

لا يمكن العثور على تعريف جامع للهندوسية، لأن فيها مئات كثيرة من المذاهب المتباينة، لكن عندهم عقيدة رئيسية يؤمنون بها أكثرهم، إن لم يكن كلهم.

- فكلهم يؤمنون بالڤيدا، كتابهم المقدس، لكن يوجد غيره مئات الكتب المقدسة.

- وكلهم يؤمنون بالروح الأزلي (آتمان)، وقد يطلقون عليه أسماء أخرى، والإله عندهم ذو ثلاثة أقانيم (حسب الوظيفة التي يقوم بها).

أ - براهمان «الخالق».

ب - ڤيشنو «الحافظ».

ج - سيڤا «المهلك».

وقد تختلف المذاهب عن بعضها في تقسيم الأعمال بين الأقانيم الثلاثة، كما قد يختلف عدد الأقانيم.

- إلى جانب هذا الثالوث، يوجد عشرات الألوف من الآلهة!

والنص المقدس التالي من (الڤيدا)، هو حوار بين ڤشنو الذي تجسد بصورة إنسان

---

(١) أديان الهند الكبرى، ص١٢٧ و١٢٨ و١٢٩.

اسمه «كِرِشْنا»، وبين ملك مقدس اسمه «أرجونا» (صار إلهاً فيما بعد)، والحوار يجري في مستهل معركة حربية بين أفراد عائلة صاروا كلهم آلهة.

يروي هذا الحور شخص اسمه «ساماياجا»، كان حاضراً معهما، يرويه لملك آخر اسمه «هاري»، وطبعاً، كل هؤلاء الأشخاص صاروا آلهة يعبدون.

يقول النص:

قال أرجونا: اللغز السامي، الحديثُ المتعلق بالروح التي وهبْتَني إياها بالنعمة، بهذه النعمة انتهى ضياعي، وكما أعلنْتَ عن نفسها، هكذا أنت تكون، أيها الرب السامي، لكنني أرغب أن أرى شكلك المقدس، أيها الشخص السامي، وإذا كنتَ تعتقد أنني أستطيع أن أراك، فأظْهِرْ لي روحك اللافانية، يا رب اليوجا، يا كرشنا.

قال الرب المبارك: شاهِدْ أشكالي يا أرجونا، هي بالمئات وبالآلاف، متنوعة في شكلها ومقدسة، ولها ألوان وهيئات مختلفة ... اليوم، شاهِدْ الكون المتحرك والساكن، وكلٌ ما تريد أن تراه، كله متّحدٌ في جسدي يا أرجونا، لكنك لا تستطيع أن ترى بعينيك الإنسانيتين، وسأمنحك أعيناً تفوق الطبيعة، شاهِدْ قدرتي المقدسة.

قال ساماياجا: بعد أن تكلم رب اليوجا، أيها الملك هاري، أُظهر شكله المقدس السامي إلى أرجونا. لهذا الشكل أفواه وعيون كثيرة، ورؤى عديدة تدهش، وزينات مقدسة، وأسلحة مرفوعة مقدسة، ويلبس الثياب المقدسة، ويتحلّى بالعطور والدهون المقدسة، ويتألف من كل الأعاجيب، ويتألق، وغير محدود، ووجهه يلتفت إلى كل اتجاه، ولو شعت ألف شمس في الفضاء، كان من الممكن أن تشبه عظمة الكائن المعظم.

هناك شاهد أرجونا الوجود بكامله، بأجزائه العديدة المتجمعة في واحد، في جسد إله الآلهة»[1].

- وفي مكان آخر (والمتكلم الآن هو كِرِشْنا):

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٢٠٤.

. «من لا يتعلق فهمه بأي مكان، من يُخضع ذاته ومن يطرد رغبته، يأتي عن طريق الرفض إلى الحالة السامية التي تُصعِّد كل عمل. اسمع إلى ما أُوجزه لك يا أرجونا: كيف يصل الإنسان عندما يحقق الكمال إلى براهمان؟ من يكون موهوباً بفهم نقي، ويضبط نفسه، ولا يلتفت إلى مواضيع الحس، ويلقي بالجاذبية والاشمئزاز بعيداً، ويسكن في عزلة، ويأكل القليل، ويضبط كلامه وجسده وعقله، ويعتنق التأمل والتركيز، ويلقي الإحساس بالذات والقوة والتنافر والرغبة والبغضاء، أو الملكية بعيداً، أو لا يكون أنانيًا، بل هادئاً في عقله، يستحق أن يصبح براهمان.

عندما يصبح الإنسان واحداً مع براهمان، ويكون هادئاً في روحه، فلا يحزن، ولا يرغب، وعندما يعتبر كل الكائنات على السواء، ويصل إلى التعبد السامي، إليّ. بالتعبد يعرفني، ويعرف من أنا، وما هو مقامي، وعندما يعرف من أنا يدخل فيّ. الرب يسكن قلوب الكائنات، ويجعلها أن تدور بقدرته كأنها على آلة. ألتجيء إليّ بكل قدرتك يا أرجونا، وبنعمتي تحصل على السلام السامي والمسكن الأبدي.

الحكمة أكثر سرية من كل الأسرار التي أعلنتها لك، فكر فيها تماماً، واعمل ما تشاء»[1].

- النصان واضحان كل الوضوح، ومع ذلك لا بأس من لفت نظر القارىء إلى بعض النقاط فيهما:

أ - وحدة الوجود في النصين: «شاهد أرجونا الوجود بكامله»، «يصبح الإنسان واحداً مع براهمان».

ب - الرياضة، في النص الثاني: «العزلة والأكل القليل وضبط الكلام والجسد والعقل والتأمل والتركيز».

ج - إفراغ النفس من كل رغباتها على الإطلاق، التي تقابل قول المتصوفة: «اخلع نعليك» . . . وما شابهها.

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٢٣٤ و ٢٣٥.

د ـ هذه الأمور هي نفس ما نراه ونسمعه ونقرؤه من أقوال متصوفة المسلمين وفي كتبهم .

هـ ـ كما يجب ألا ننسى الشبه التام بين قول الهنادكة : إن البراهمة خلقوا من وجه الإله الأعظم ، وقول المتصوفة المسلمين : إن محمداً خلق من وجه الله . كما نلاحظ التوافق بين الكشف (عندما شاهد الرب) والعقائد المسبقة .

ومن يتتبع أقوال المتصوفة ونصوص الفيدا يقف أحياناً على تشابه حتى في المفردات .

ـ ونص آخر من نصوصهم الكثيرة من «أوبانيشاد شاندوجيا» :

١ ـ حقًّا إن هذا العالم كله براهمان . وبهدوء ، يعبده الإنسان ، لأنه قد أتى منه ، وسينحل فيه ، ولأنه يتنفس بواسطته .

٢ ـ هو الذي يتضمن العقل ، وجسدُه هو الحياة ، وشكلُه هو النور ، وفكره الحقيقة ، وذاته هي الفراغ ، إنه يتضمن كل الأعمال والرغبات والأوامر والأذواق ، ويشمل العالم كله ، هو الذي لا يتكلم ـ روحي هذه ضمن قلبي ، هي أصغر من حبة أرز ، ذاتي هذه هي أعظم من الأرض ومن الفضاء والجو ومن هذه العوالم[١] . «انتهى» .

ونص آخر «أوبانيشاد اثاريا» :

. . . هو براهمان ، هو أندرا ، هو براجاتي ، هو كل هذه الآلهة ، هو هذه العناصر ، الأرض والريح والفضاء والماء والنور ، هذه الأشياء ، وتلك التي تمتزج بالنار كما كانت[٢] . . .

ـ أرجو من القارىء الكريم أن يعود إلى أقوال المتصوفة ، وخاصة عينية الجيلي ليرى التشابه .

وهـذه صور من ضرب الشيش عند الهندوس ، أو عند فرقة من فرقهم التي تعد بعشرات الألوف ، وهذه الفرقة موجودة في ماليزيا ، ويجعلون رأس الآلهة هو «سيڤاناتراجا» ، بدلاً من براهمان . ولهم عيد سنوي يحتفلون به هو عيد «تابوزام» ، حيث

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي ، ص١١٢ .

(٢) الفكر الفلسفي الهندي ، ص١٠٩ .

يكون الاجتماع العام على مقربة من أحد مداخل العاصمة «كوالالامبور».

«هـذا العيـد المجيـد يحتفل به هنود ماليزيا سنويًا في شهر «الكوكب»، حيث يتوسط البـدر كبـد السماء، . . . وذلك تمجيداً لذكرى الإله «سيفاناتراجا» رب آلهة الهندوس[1] (بالنسبة لهذه الفرقة)» . .

ويبدأ التمجيد أيضاً للإله «مورغان»، وهو حفيد «سيفاناتراجا»[2] . . .

إن الصـلاة الهنـدوسيـة تقـام قبل الاحتفال بالعيد المجيد . . . يمتنعون عن ممارسة الحب، ويكتفون بوجبة طعام واحدة نباتية في اليوم . . . ثم يدخلون في الصلاة والتأمل والعزلة . . . التي تتحول تدريجيًا إلى غيبوبة عن هذا العالم (أي الجذبة).

وبفضـل تلك الصـلاة والعـزلـة والتأمـل التي تفصلهم عن الواقع لتدخلهم في عالم الخيال والغيبوبة الطويلة المقترنة بالتوحيد للذات الإلهية . . . عندها تمتلكهم نشوة غريبة جدًا تدعى «نشوة الرعدة الإنشائية»، فتراهم حالمين بأبعاد لا حدود لها . . . وبواسطتها يتـاح لهم دون استثنـاء اجتيـاز المسـافـات الطويلة (الصاعدة في الجبل الشاهق)، ضمن الدروب الوعرة، والتي تتطلب جهداً ومهارة فائقة، فيصلون بالنهاية إلى المعبد التابوزامي . . .

وهم في تلك الحالة يبدون في إحساس غامر بالورع والتقى . . . بينما الرماح الحادة تترنـح على وجنـاتهم . . . والأسهم الفضيـة مغـروزة في ألسنتهم . . . والكلاليب التي تنتـزع قطعـاً من أجسادهم. . والسـلال التي تثقـل كاهلهم (قـد يبلغ وزن بعضهـا ٦٠ كغ) . . وهم لا يأبهـون لكـافة الآلام والإصابات، بل إنهم من خلالها يستسلمون لنشوة غريبة وعجيبة . . . والأغرب من كل هذا هو أن تلك الجروح العميقة لا يسيل منها الدم إلا من بضع قطرات تعد على أصابع اليد الواحدة . . . فسرعان ما تلتئم . . . فلا يبقى منها سوى آثار ندوب سوداء . . . وهم فريسة لذلك الشعور الغريب الذي يعبر لهم عن إمكانية الوصول بتلك المآثر والبطولات من خلالها الاتصال بالإله الأكبر

---

(١) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين: ١ / ١٦.

(٢) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين: ١ / ١٧.

«سيڤاناتراجا» . . .

. . . فيتجمع أولئك المؤمنون حول زعيمهم الديني «غورو»، وهم يتغنون بنشيد «الفل - فل»، بمعنى «الرمح - رمح» . . . بينما يقف «غورو» أمام أحد المؤمنين ليثقب وجنة المؤمن بالمغرز بعد أن باركه بدعواته . . .

ولكن عندما يشق السهم الحاد والمسنون لحم وجنة المؤمن اللدنة . . . يبدأ المؤمن بالارتعاد بشدة كمن أصابه مس أو جنون، فيقفز بالهواء ليدق الأرض بقدميه دقًا رتيباً وشديداً، ومن ثم يتمايل على وقع النشيد الحماسي، بينما يكون قد برز من وجنتيه الغائرتين ذلك السهم الفضي، فلا يسيل من وجنتيه من أثر الجرح إلا قليل من قطرات الدم لا تذكر . . . وتشق ألسنتهم بأسياخ فضية يتراوح طولهم ما بين (١٢ - ١٨سم) . . . والرماح الطويلة التي تخترق الوجنة ويبلغ طولها عادة أربعة أمتار، وعلى طرفي الرمح تعلق السلال المملوءة حليباً وعسلاً، وأما البرتقال فإنه يثبت على الخصر بواسطة سنارات فضية تغرز في الجسد . . . فيتقدم أحدهم ليجلس على كرسي بلا ظهر، عندها يباشر الزعيم الديني «غورو» في غرز الكلاليب الفضية الحادة في جسده، ويبلغ عدد الكلاليب في بعض الأحيان زهاء ستين كلاباً، والمؤمن لا يزال تحت سيطرة الرعدة الانتشائية الغريبة إلى أن يحني رأسه ليذهب في غيبوبة بلا حدود أو نهاية[1] . . . . إلخ. أهـ.

- لا أظنني بحاجة إلى تعليق، فالأمر واضح، لكن الملاحظة أن متصوفة المسلمين لم يبلغوا شأو هؤلاء القوم!

والسؤال: هل هؤلاء القوم تسري فيهم كرامة أحمد الرفاعي؟ أم ماذا؟

* وهذه نصوص بوذية متفرقة من كتاب فايسيسكا سوترا:

الكتاب الأول - الفصل الثاني

١٧ - الوجود واحد بسبب وحدة العلامة[2] . . .

---

(١) أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين: ١ / ١٩، وما بعدها.

(٢) الفكر الفلسفي الهندي، ص٤٨٤.

الكتاب الثاني ـ الفصل الأول

٢٨ ـ تتوضح وحدة الأثير بوضوح وحدة الوجود[١].

الكتاب الثاني ـ الفصل الثاني

٧ ـ جوهرية وأبدية الزمان تتوضحان بتوضيح جوهرية وأبدية الهواء.

٨ ـ وحدة الزمن تتوضح بتوضيح وحدة الوجود.

١١ ـ جوهرية وأبدية الفراغ تتوضحان بوضوح جوهرية وأبدية الهواء.

١٢ ـ وحدة الفضاء (أي الفراغ) تتوضح بتوضيح وحدة الوجود[١]. أهـ.

ولا حاجة للتنبيه إلى وحدة الوجود الواضحة في هذه النصوص وضوحاً كاملاً، وكذلك الطريقة التي توصل إليها، وللزيادة في الوضوح نورد وصفاً يذكره «آسين بلاثيوس»[٢] عن كيفية وصول الهندوسي أو البوذي إلى الجذبة، يقول:

« . . . ومذهب الفيدا الوارد في الأوبانيشاد يجعل غاية الكمال والسعادة في حشد الروح باستبعاد كل خاطر غير فكرة الموجود المطلق، وأصحاب نظام اليوجا[٣] كانوا يستخدمون من أجل الوصول إلى هذه الغاية طريقة في الإيحاء الذاتي التنويمي شبيهة جداً بما قرره ابن عربي، فكان اليوجي يجلس القرفصاء ساكناً بلا حراك، ونظره مثبت، وانتباهه مستغرق في الحرفين «أم»، وهو اسم من أسماء براهما المستترة، ثم يقع في جذبة[٤] تفقده الشعور. وتمرين النَّفَس، وهو رياضة إيقاعية للشهيق والزفير، كان يمارسه «تنجل» للوصول إلى نفس الغاية[٥] (أي الجذبة). أهـ.

ـ أي إن الرياضة الإشراقية هي الطريق للوصول إلى المعرفة عندهم وعند غيرهم طبعاً، والفرق هو في تفسير هذه الظاهرة، وفي وسائل تزيينها للمريدين. وفي الرياضة

---

(١) الفكر الفلسفي الهندي، ص٤٨٦.

(٢) مستشرق إسباني مات سنة ١٩٤٤م.

(٣) اليوجا رياضة تعبدية إشراقية يمارسها الهندوس والبوذيون والجينيون للوصول إلى الجذبة.

(٤) كلمة «جذبة» هي مصطلح يستعمله متصوفة المسلمين فقط ويستعمله آسين بلاثيوس هنا بالاستعارة.

(٥) النص من كتاب «ابن عربي» لآسين بلاثيوس، ص١٨٧.

الإيقاعية للشهيق والزفير يمكن أن نلاحظ دور الأكسجين مضافاً إلى دور الإيقاع الرتيب.

*** الصوفية عند أهل الكتاب:-**

● عند اليهود:

مر في فصل سابق وصف الأستاذ عبد الأحد داود للتصوف اليهودي الذي كانوا يسمونه «التنبؤ»، وأنهم كانوا يسمون الواصل إلى الجذبة وأحلامها «نبي»، ويسمون الشيخ المسلك «صوفي»، أي المراقب أو المرشد. وكانت عندهم - على قلتهم - عدة طرق، منها «الإلكسائية» و «الأبيونية».

وبعد ظهور الإسلام بقرون، ولعله في حوالي القرن الخامس الهجري، صار التصوف اليهودي معروفاً باسم «الكبالة Gabbalah»، أي المأثور، مع الاحتفاظ بالاسم القديم «التنبؤ».

وهناك أشياء مثيرة للانتباه؟ ففي التنبؤ اليهودي (أو الكبالة) يصنفون الواصلين إلى الجذبة على ثلاث مراتب: نبي (ومعناها الناطق)، أو نبي سفاتايم (أي ناطق الشفتين)، ثم رائي، ثم بصير - وهو أعلاها - والبصير عندما يتصدى لتسليك المريدين يسمى «صوفي»، أي: المرشد. ورأينا في فصول سابقة أن متصوفة المسلمين يقسمون المكاشفين كذلك إلى نفس المراتب الثلاث: المحاضر (من المحاضرة)، ثم المكاشف (من المكاشفة)، ثم المشاهد (من المشاهدة)، وهو أعلاها، وعندما يتصدى من وصل إلى مقام المشاهدة إلى تسليك المريدين يسمونه «المرشد».

وواضح أن هذه المصطلحات التصوفية هي مرادفات للمصطلحات الكبالية.

وشيء آخر، نقرأ في المعجم الفرنسي (Larousse) وصفاً للكبالة ترجمته كما يلي: «تفسير يهودي باطني ورمزي لنص الكتاب المقدس»، كتابه التقليدي (الكلاسيكي) هو «الزوهار» أو «كتاب الإشراق». وأنصار العلوم الخفائية (الباطنية) يستعملون رموز الكبالة في اتجاه سحري. أهـ.

نلاحظ أن أسلوب الكبالة في تفسير الكتاب المقدس هو باطني ورمزي، مثل تفسير

متصوفة المسلمين للقرآن الكريم تماماً.

وكذلك استعمال الرموز الكبالية في السحر هو مثل استعمال الرموز الصوفية في السحر.

أما كتاب الإشراق «الزوهار»، فقد ظهر في أوائل القرن السادس الهجري لمؤلف يهودي من مدينة «ليون» في إسبانيا، كما يظن، ويمكن أن يكون أقدم من ذلك بقليل أو كثير.

ولننتبه إلى أن واقع تصنيف أحلام الجذبة (محاضرة ثم مكاشفة ثم مشاهدة) تابع لتوجيهات الشيخ المسلك، ولتوجيهاته فقط، وأن خوارق شتى تحدث على أيدي الكباليين.

● عند النصارى:

أعلنت الصوفية عن نفسها عند المسيحيين في القرن الثاني الميلادي باسم «الغنوصية»، أى: المعرفة، ومنها «الغنوصي» أي: العارف، وسماه العرب منهم «الكاهن»، وقد رفضتها الكنيسة أولاً، ومع الزمن قبلتها وتبنتها.

وهذا نص لصوفي مسيحي يصف كيفية وصوله إلى الجذبة.

يقول «نيمو»[1] خادم أم الإله، متلقي اعترافات القديسة تريزا[2]، في كتابه «الأسفار»:

. . . وجدت فائدة كبيرة في الدعوات الصوتية التي تسمى بالأذكار، خصوصاً في الكلمات «أبانا الذي . . .» مما يكرره الفم ساعات طويلة، و«ليتقدس اسمك»، و«وفي القلب رغبة في أن ينحصر هناك» . . .

كنت أجد في هذه الكلمة وحدها «الله» رضاً بالغاً لنفسي، بحيث لم أشأ ولم أستطع أن أنتقل عنها إلى أفكار أخرى، وكنت أقتصر على ذلك حتى أصل إلى البركة[3]. . .

---

(١) رجل دين إسباني من أهل النصف الأول من القرن السادس عشر الميلادي.

(٢) تيريزا الأفيلية من قرية آفيلا الإسبانية، ماتت سنة ١٥٨٢م.

(٣) ابن عربي لآسين بلاثيوس، ص١٨٦ في الحاشية.

ويعرف القارىء أن البركة تعني الجذبة، كما يظهر في هذا النص تأثر متصوفة المسيحيين بأسلوب الذكر الإرهاقي الذي استعمله متصوفة المسلمين قبل نيمو بحوالي ستة قرون.

وبسبب عوامل ما، تشعبت الصوفية عند المسيحيين إلى أكثر من مذهب، فالقديسة تيريزا الأفيلية، مثلاً، تؤمن أن الخالق غير المخلوق، وتصف وصولها (أوفتوحها) بأنه اتحاد بينها وبين الله (تعالى الله)، فتقول من قصيدة:

. . . واتحاد النفس بالله في القران الروحي شبيه بشمعتين تذوبان معاً حتى يصبح نوراهما نوراً واحداً[1]. . .

ومن قصيدة أخرى:

. . . ها أنذا يا عريسي الأكبر، دعني أقترب منك . . . وليدخل هذا الجدول الصغير في خضمك، أغثني يا أعذب حليل . . . . ولتسترح نفسي بين ذراعي عريسها[2]. . .

حيث يظهر من أقوال القديسة هذه أن تجلياتها كانت جمالية لا جلالية، واتحادية لا وحدوية.

بينما نرى القديس خوان دي لا كروث[3] يؤمن بوحدة الوجود، فمن أقواله:

. . . حبيبي هو الجبال، والوديان المنعزلة المليئة بالأشجار، والجزر الغريبة، والأنهار الرنانة، وصفير الرياح الحبيبة، والليل الساكن[4]. . .

من النصوص المارة آنفاً، وكذلك من الفصول السابقة، ومن أية دراسة واعية لأية وثنية في التاريخ، يظهر واضحاً دور الإشراق فيها، بل إن الكاهن في كل الوثنيات لا يسمى كاهناً حتى يصل إلى الجذبة عن طريق الرياضة الصوفية، ويحصل على يده

(١) يسوع المسيح شخصيته وتعاليمه ص٢١٢.
(٢) عمر بن الفارض من خلال شعره، ص٧٧.
(٣) إسباني متصوف من أهل القرن السادس عشر الميلادي.
(٤) مجلة العربي، عدد ٣٠٥، ص٤٠.

بعض الخوارق، وقد يكتفون بالمهلسات، أو يستعملونها كعامل مساعد، مع العلم أن بعض الوثنيات، كديانة الإينكا مثلاً، كانت كما يظهر تكتفي بالمهلسات، وبعضها كالديانة الهندوسية، كانت وما زالت تستعمل الطريقتين، المهلسات والرياضة الصوفية، وبعضها كان ولما يزل يكتفي بالرياضة الصوفية.

للتسلية:

يقول د. سيد حسين نصر:

. . . بل إن مقام «الخدمة» نفسه الذي يأتي متأخراً بعد مقام البقاء، لا يجوز أن يحمل على معنى العمل أو الفرض الديني بالمعنى المألوف؟ بل بمثابة خدمة أداها كائن تذوق «الوصال»، وهي في منزلتها تقابل العهد الذي قطعه أفالوكتسفارا على نفسه في الدين البوذي، بإنقاذ الخلائق، بعد أن تم له أن يخطو خطوة واحدة في «النيرڤانا»[1]. أهـ.

ـ النيرڤانا هي المصطلح البوذي الذي يقابل مصطلح «الفناء في الله»، وقد عربها بعض المتصوفة في إيران (او أسلمها)، فصارت «نير وان»[2]، واستعملوها بنفس المعنى.

وبقراءة النصوص المترجمة إلى العربية، نجد أن كلمة «النيرڤانا» ترد أحياناً بمعنى «المطلق»، وأحياناً بمعنى: «الفناء في المطلق»، وهو الأكثر تواتراً.

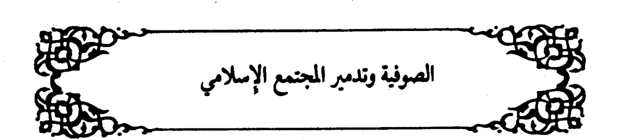
ـ ويجب ألا ننسى ملاحظة هامة، وهي أن الحقيقة الصوفية، (أي الجذبة ورؤاها)، والطريق إليها (أي الرياضة الصوفية)، هي واحدة في كل زمان ومكان، ويكون الاختلاف في أشكال الحالات التي تحاط بها، والتفاسير التي تشرح بها رؤاها وأساليب الدعاية التي يقدمونها لها، كما أن للخلفية الاجتماعية المحيطة بالواصل دور شامل في الأطروحات التي تقدمها كشوفه.



(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص٦٧.

(٢) من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر، الفصل الأخير.





قلنا ونعيد :

لإبليس شركـان يصيـد بهما بني آدم ، فيخـرجهم من الهـدى إلى الضـلال ، ومن استقامة الفطرة إلى الانحراف والانحلال ، واتباع الأهواء .

* الشرك الأول : الجنس وملحقاته .

بهذا الشرك يستطيع إبليس أن يبعد ابن آدم عن نداء الفطرة ، وعن السلوك المستقيم الموجه بالغرائز السليمة (المتوازنة فيما بينها حسب الفطرة التي فطرها الله عليها) ، فتنحرف فيه غرائز ، وتتضخم أخرى على حساب بقية الغرائز التي تضمر بسبب هذا التضخم .

وأرسـل الله سبحـانـه الرسل بالتعاليم الاعتقادية والفكرية والعملية التي تحفظ على الإنسان سيره المستقيم ، وتعيد الغرائز إلى توازنها الفطري ، وتحقق عبادة الله في الأرض .

والإسلام هو الرسالة التي جاء بها كل الرسل : ﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامُ﴾ .

* الشرك الثاني : الإشراق .

قد يتغلب نداء الفطـرة في الإنسـان على نداء الهـوى ، فيسـير في الطـريق المستقيم ملتزماً التعاليم الإلهية ، متخذاً منها المنطلقات التي توجه كل تصرفاته .

وهـذا يعني أنـه أفلت من الشـرك الأول، وأنـه سـار على الصـراط المستقيم. لكنـه سيجـد أيضـاً إبليس أمـامـه، ينتظـره على هذا الطريق: ﴿قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ﴾، سيجده وقد نصب له الشرك الثاني «الإشراق».

ويستغـل إبليس الغـرور والجهـل في الإنسـان ليـوقعه في هذا الشرك باسم الإسلام وباسم الولاية وباسم مقام الإحسان، والقرب والمعرفة ... و... إلخ.

وللوصول إلى الإشراق يوجد طريقان:

الطـريق الأول: طريق شجـرة الخلد وملك لا يبلى، وهي أنـواع، فعنـد بعض الشعـوب القـديمـة، وفي الهنـد خاصـة، كانت شجرة الحشيش. وفي الشرق الأوسط، كانت شجـرة الخشخـاش (الأفيـون)، وفي المكسيـك كانت فطـر المكسيك، وفي البيرو (أمـريكـا الجنـوبية) كانت شجرة الكوكا، وفي ماليزيا كانت شجرة الكافا ... إلى غير ذلك مما لم أقف عليه.

كانت شجـرة الخلد هذه، وفي قمتهـا الحشيش والخشخـاش، حكراً على الكهان، كما كانت تدخل قصور الملوك في أحيان كثيرة.

وكـانت سرًّا مقـدسـاً يتعـاطـاهـا الكهـان ضمن طقوس تعبدية سرية كي يقعوا في الجـذبـة، حيث تشـرق عليهم الأنـوار الهلوسيـة، ويتلقـون العلوم اللدنيـة الهـذيـانية، وينطقون بها يتوهمون أنه الحكمة.

وبهـذه الإشـراقات الباطلة، والحكمة المتوهمة، كانوا يخرجون من الإسلام، باباً بعد باب، وتدخل عليهم الوثنية من كل باب.

والطريق الثاني: طريق الرياضة والمجاهدة الصوفية، فكثيراً ما كان يتعذر الحصول على المهلس الخـارجي لسبب أو لآخـر، حينئـذ، كان إبليس يجيء لأوليـائـه البـديـل النـاجـع، وبـاسـم الإحسان، وباسم السير إلى الله والعروج إليه، وباسم المعرفة، كان يستجـرُّهم إلى الـريـاضـة الصوفية التي تهيء لهم المهلس الداخلي «الإندورفين» ورفيقه الـذي توقعهم دفقـاتـه في الجذبة، حيث تشرق عليهم الأنوار الهلوسية، ويتلقون العلوم اللدنية الهذيانية، وينطقون بها يتوهمون أنه الحكمة.

وطريق الرياضة هذه هي طريق خداعة، تخدع الإنسان أكثر من طريق شجر الهلوسة، لذلك كان اعتماد إبليس عليها أكثر من اعتماده على الشجر، وكان اسمها «الكهانة والمعرفة»، وعندما حاربها الإسلام، حولوا اسمها إلى «الصوفية»، وعندما كُفّر من كهانها من كفر وقُتل من قتل، ظهرت الطريقة البرهانية الغزالية.

والطريقة البرهانية الغزالية، والتي هي الإشراق الممزوج بالإسلام، هي أسلوب إبليسي استعمله إبليس، ويستعمله، للإبقاء على مسيرة الإشراق الذي فتن به بني آدم كما أخرج أبويهم من الجنة.

فأصل الأديان كلها الإسلام: ﴿وإنْ مِن أمةٍ إلا خلا فيها نَذيرٌ﴾ و﴿إنَّ الدينَ عندَ الله الإسلامُ﴾، وعن طريق ﴿شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلَى﴾، أو بديلها «الصوفية»، أخرج إبليس بني آدم من إسلامهم إلى مختلف الوثنيات التي عرفها التاريخ.

لقد كان، وما زال، يوحي إلى أوليائه أن يتستروا بدين الله، ليهدمه بهم من الداخل، حيث يوهمهم أن هلوساتهم الجذبية هي إشراقات إلهية، وأنها نور اليقين وعين اليقين وحق اليقين، ثم يوحي إليهم أن يضيفوا علومهم اللدنية الهلوسية إلى الدين الحق، حيث تتراكم البدع شيئاً فشيئاً، ومع الزمن يختفي الدين الحق، وتسود البدع ويعتقد الناس أنها هي هو.

ومع الزمن، وبإيحاءات الأبالسة وأهواء الكهان وولائجهم، تتشعب البدع وتأخذ طرقاً مختلفة بعيدة كلها عن الدين الحق.

وكثيراً ما يكون للفئات المسيطرة دور في تشجيع مذهب بتشجيع دعاته ودعمهم ومحاولة منع المذاهب المنافسة من التحرك المكشوف، أما التحرك المستور فلا سلطان لهم عليه.

وهكذا ظهرت كل وثنيات التاريخ، وهكذا وجدت الهندوسية والبوذية والطاوية والجينية، أما اليهودية والنصرانية فقد تدخلت فيها عوامل أخرى.

وطبعاً لم ينج المسلمون من هذا الشرك الروحاني، حيث ظهرت (وتظهر) آثاره المدمرة في أشكال متعددة، لعل أبرزها ثلاثة:

١ - الاستسلام العجيب للتتار.

٢ - تمزيق الأمة الإسلامية إلى فرق مذهبية تحارب الإسلام باسم إسلام محرف ينتهجونه.

٣ - إفساد عام في العقائد والعبادات والأخلاق والسلوك وأساليب التفكير.

وفيما يلي بيان لهذه الأشكال التدميرية نذكرها بإيجاز شديد لأن تفصيلها يستوعب مجلدات، مع التذكير أن الكشوف والمشاهدات الجذبية هي دائماً موجهة بالقناعات الفكرية المسبقة، أي بالأماني والطموحات والمعلومات المختزنة والعواطف المهيمنة.

*** الاستسلام العجيب للتتر:-**

في العقود الأخيرة من القرن السادس الهجري وما يليها، كانت الصوفية واسعة الانتشار جدًّا، وقد مر معنا في الفصول السابقة أمثلة كثيرة عن الحالة التي وصلت إليها الأمة، والتي ظهرت نبتاتها الأولى في أزمنة سابقة، حتى استوت على أيدي دعاة للصوفية (مشايخ) يقدسهم حتى غير الصوفيين، جهلاً بالصوفية، ومن هؤلاء الدعاة: الغزالي (حجة الإسلام)، والجيلاني، والرفاعي، وعدي بن مسافر، والشاذلي، والدسوقي، والبدوي . . . وغيرهم.

بالإضافة إلى ما مر من الأمثلة في الفصول السابقة، نورد مثالاً (على الماشي) فيه كفاية لأخذ فكرة عن الواقع.

يورد ابن العماد الحنبلي في «الشذرات» في حوادث سنة ٦٥٧هـ:

وفيها (أي توفي في هذه السنة) الشيخ يوسف القميني المُوله:

قال الذهبي في «العبر»: «الذي تعتقده العامة أنه ولي الله، وحجتهم الكشف والكلام على الخواطر، وهذا شيء يقع من الكاهن والراهب والمجنون الذي له قرين من الجن، وقد كثر هذا في عصرنا والله المستعان، وكان يوسف يتنجس ببوله، ويمشي حافياً، ويأوي أقميم حمام نور الدين، ولا يصلي».

وقال ابن شهبة في «تاريخ الإسلام»: «كان يأوي القمامين والمزابل، وغالب إقامته بإقميم حمام نور الدين بسوق القمح، وكان يلبس ثياباً طوالاً تكنس الأرض ولا يلتفت

إلى أحـد، والنـاس يعتقـدون فيـه الصلاح، ويحكى عنه عجائب وغرائب، ودفن بتربة الموهين بسفح قاسيون، ولم يتخلف عن جنازته إلا القليل. أهـ.».

ـ لا تعليق، لكن ملاحظة أنه لم يتخلف عن جنازته إلا القليل، وأن هذا حدث في دمشق، التي ما خلت منذ أسلمت من دعاة للإسلام الحق، لا يخافون في الله لومة لائم، فكيف تكون الحالة في غيرها.

ثم ننتقل إلى القطاع الذي اجتاحه المغول:

هذا القطـاع هو العـراق وفـارس، وأبـرز الطرق التي كانت منتشرة فيه أواخر القرن السـادس الهجـري هي: الجنبـلانيـة، المـلامتيـة، القشـيريـة، الصديقية، القادرية، الـرفـاعيـة، العدوية، الكبروية، وهناك غيرها طبعاً، مع العلم أن الرفاعية ثم القادرية كانت أبرزها على الإطلاق وأوسعها انتشاراً!

وفي العقـود الأولى من القـرن السـابـع ظهرت: الجشتية، السهروردية، البابائية، البكطاشية، وبقيت الرفاعية ثم القادرية هما الأبرز والأوسع انتشاراً، وتليهما السهروردية والملامتية.

من النتائج لهذا الانتشار الصوفي، النتيجة الظاهرة الصارخة، ألا وهي الاستسـلام العجيب للغزو التاتاري الذي كان يبيد المدن والقرى ويقتل الملايين، بينما كان المسلمون يهرعـون إلى المشيـاخ والقبـور، ويلجـؤون إلى الأوراد والطـلاسم لاستجلاب النصر، ويستسلمون للذبح استسلام النعاج!!

لأخـذ فكـرة عن هذا الاستسـلام العجيب نورد نبذاً من «الكامل في التاريخ» لابن الأثير، منها:

ذكر خروج التتر إلى بلاد الإسلام

لقد بقيت عدة سنين معرضاً عن ذكر هذه الحادثة استعظاماً لها، كارهاً لذكرها، فأنا أقـدم إليـه رجـلاً وأؤخـر أخـرى، فمن ذا الـذي يسهـل عليـه أن يكتب نعي الإسـلام والمسلمـين، ومن الـذي يهون عليـه ذكر ذلك، فيا ليت أمي لم تلدني، ويا ليتني مت قبل هذا وكنت نسيـاً منسيًّـا . . . هذا الفعـل يتضمن ذكر الحادثة العظمى والمصيبة الكبرى

التي عقمت الأيام والليالي عن مثلها، عمت الخلائق وخصت المسلمين، فلو قال قائل: إن العالم مذ خلق الله سبحانه وتعالى آدم إلى الآن لم يبتلوا بمثلها لكان صادقاً، فإن التواريخ لم تتضمن ما يقاربها ولا ما يدانيها. . . ولعل الخلق لا يرون مثل هذه الحادثة إلى أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا[1]. . .

ـ أقول: رحم الله ابن الأثير، فلقد رأى الخلق قبل أن ينقرض العالم وتفنى الدنيا أبشع من تلك الحادثة بكثير بكثير بكثير؟ فالماركسية حتى الآن، وفي أقل من سبعين سنة، قتلت من المسلمين ما يزيد عن (١٠٠) مليون نسمة، واحتلت من أراضيهم ما يزيد عن (٢٣) مليون كيلومتر مربع (أرقام فلكية)، وهي تزحف وتزحف، وتقتل من المسلمين في أفغانستان والحبشة وغيرها ما يزيد معدله عن (١٢٠٠) قتيل يوميًا عدا عن أضعافهم من المشردين وعدا عن المجازر الاستثنائية التي جرت وتجري في بلاد العرب وغيرها والتي يذهب ضحيتها عشرات الألوف ومئاتهم في أيام أو أسابيع. والفرق بين حالة المسلمين في ذلك الوقت وبين حالتهم الآن، أنهم في ذلك الوقت كانوا يعرفون أن الذين يقتلونهم هم التتر، أما الآن؟ فيرون ويسمعون ويلمسون ولا يحسون ولا يعرفون!؟ وإلى الله المشتكى.

ومنها:

ذكر مسير التتر إلى أذربيجان وملكهم أردبيل وغيرها

. . ثم إنهم ملكوا البلد عنوة في شهر رمضان سنة ثمان عشرة (بعد الستمائة)، ووضعوا السيف فلم يبقوا على صغير ولا كبير ولا امرأة حتى إنهم يشقون بطون الحبالى، ويقتلون الأجنة، وكانوا يفجرون بالمرأة ثم يقتلونها، وكان الإنسان منهم يدخل الدرب فيه الجماعة فيقتلهم واحداً بعد واحد، حتى يفرغ من الجميع، لا يمد أحد منهم إليه يداً[2]. . .

ومنها:

---

(١) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٢٤.

(٢) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٣٩.

. . . وبلغني أن امرأة من التتر دخلت داراً وقتلت جماعة من أهلها، وهم يظنونها رجلاً، فوضعت السلاح، وإذا هي امرأة، فقتلها رجل أخذته أسيراً. وسمعت من بعض أهلها أن رجلاً من التتر دخل درباً فيه مائة رجل، فما زال يقتلهم واحداً واحداً، حتى أفناهم، ولم يمد أحد يده إليه بسوء، ووضعت الذلة على الناس، فلا يدفعون عن نفوسهم قليلاً ولا كثيراً[٣]. . .

ومنها:

ذكر دخول التتر ديار بكر والجزيرة وما فعلوه في البلاد من الفساد

. . . إن الرجل الواحد منهم كان يدخل القرية أو الدرب، وبه جمع كثير من الناس، فلا يزال يقتلهم واحداً بعد واحد، لا يتجاسر أحد يمد يده إلى ذلك الفارس، ولقد بلغني أن إنساناً منهم أخذ رجلاً، ولم يكن مع التتري ما يقتله به، فقال له ضع رأسك على الأرض ولا تبرح، فوضع رأسه، ومضى التتري أحضر سيفاً فقتله به. وحكى لي رجل قال: كنت أنا ومعي سبعة عشر رجلاً في طريق، فجاءنا فارس من التتر، وقال لنا حتى يكتف بعضنا بعضاً، فشرع أصحابي يفعلون ما أمرهم، فقلت لهم: هذا واحد، فلم لا نقتله ونهرب؟ فقالوا: نخاف! فقلت: هذا يريد قتلكم الساعة، فنحن نقتله، فلعل الله يخلصنا، فوالله ما جسر أحد أن يفعل ذلك! فأخذت سكيناً وقتلته وهربنا فنجونا، وأمثال ذلك كثير[١]. . .

ـ أقول: ما دام القتل مؤكداً، وما دام في الدفاع عن النفس إمكانية للنجاة، إذن، فلم يكن ذلك الاستسلام بسبب الخوف فقط، ولو كان الخوف وحده هو السبب هربوا على الأقل، إن لم يدافعوا! ولو محّصنا الأمور لرأينا أن السبب الأساسي هو «مقام التوكل، أو التسليم، أو عدم الاعتراض»، الذي جرتهم إليه الصوفية، وعلى رأسها الرفاعية التي كانت واسعة الانتشار، بسبب ضرب الشيش، والهجوم على النار، وأكل الحيات . . . ثم القادرية ثم بقية الطرق.

---

(١) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٣٧.　　(٢) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٨٥.

ومنها:

ذكر وصول طائفة من التتر إلى أربل ودقوقا

. . . (يذكر حوادث مذهلة) إلى أن يقول: وعادوا (أي: التتر) سالمين، لم يذعرهم أحد، ولا وقف في وجههم فارس! وهذه مصائب وحوادث لم ير الناس من قديم الزمان وحديثه ما يقاربها! فالله سبحانه يلطف بالمسلمين ويرحمهم ويرد هذا العدو عنهم[1]. . . أهـ.

ـ هنا أذكر تقريراً لصاحب كتاب «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»، يقول:

. . . وجلا ابن تيمية حقيقة أخرى، حين قرر أن ظهور الأحمدية (الرفاعية)، وإضعافهم الوازع الديني المتصل بالفقه الإسلامي مباشرة، وتخديرهم الناس، وحملهم على الخمول والكسل والتسليم، كان أكبر أسباب ظهور التتار[2]. أهـ.

ـ أقول: إن دور العقيدة التي غرستها الصوفية أقوى من دور الخمول والكسل، ولنسمع شاعرهم يقول:

يا خائفين من التتر عوذوا بقبر أبي عمر ينجيكمو من الضرر[3].

وهذا تقرير آخر، لأبي الحسن الندوي، يقول:

كانت العقائد والتقاليد المشركة نالت رواجاً بين عامة المسلمين باختلاطهم مع غير المسلمين . . . وانتشار تعليمات الجهلة والضالة من الصوفية وأعمالهم، فقد وجد عدد وجيه من المسلمين في ذلك الحين يعتقدون في أئمة دينهم ومشايخهم والأولياء والصالحين منهم الاعتقادات الفاسدة . . . وكل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ كان تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين وقبور المقدسين عندهم، فالاستغاثة منهم والاستعانة بهم، ومدّ يد الطلب والضراعة إليهم، كل ذلك كان عامًّا شائعاً بينهم، كما عمت عادة بناء المساجد الفخمة على قبورهم وجعلها مسجداً، وعقد

---

(١) الكامل في التاريخ: ٩ / ٣٨٦.
(٢) الفكر الشيعي، ص٨٨.
(٣) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ١٧٦.

المهرجانات عليها عاماً فعاماً، وقطع المسافات الطويلة للوصول إليها، وقد تفاقمت هذه العقائد السيئة وانتشرت هذه البدع والمنكرات في أواخر القرن السابع بشكل فظيع[1]. . . إلخ.

ـ أقول: كل ما كان يدور حول قبور الأولياء والمشايخ، لم يكن تقليداً ناجحاً للأعمال والتقاليد التي كانت تنجز في معابد غير المسلمين كما قال أبو الحسن! وإنما هو نتيجة طبيعية للصوفية أينما وجدت، يؤمن به كل الصوفية، لكنهم يظهرونه عندما يأخذون قسطاً كافياً من الحرية، ويكتمونه تقيَّةً عندما تتفتح عليهم أعين المسلمين اعتقاداً منهم أن هذا هو رسالة الإسلام، وقد رأينا من أقوالهم مئات النصوص التي تشير إلى هذا.

وترد هنا ملاحظة هامة، هي أن التتر عرفوا للصوفية فضلها في انتصاراتهم التدميرية وقدروها كثيراً، وأعطوها مركزاً مرموقاً، جعلها تهيمن على كل البلاد التي اجتاحها التتر، وقد جلى هذه الحقيقة أحد مشايخ الرفاعية، هو صالح بن عبد الله البطائحي، عندما قال في صراحة تامة لابن تيمية في مناظرته له في مصر سنة ٧٠٥هـ / ١٣٠٥م: «نحن ماينفق حالنا إلا عند التتر، وأما عند الشرع فلا».

وكان هذا التقدير الكبير للصوفية من قِبَلِ التتر الذين دمروا البلاد وأهلكوا العباد سبباً آخر لإقبال الناس، من أهل البلاد التي اجتاحها التتر، ومن التتر أيضاً، إقبالاً كاملاً على الصوفية وتقديس مشايخها إلى درجة التأليه، حتى عم البلاء إلا من رحم ربك.

● **النتيجة:**

الصوفية كانت العامل الأساسي الوحيد وراء الاستسلام العجيب لتلك المجازر التي ما عرف التاريخ مثل هولها حتى ظهور الماركسية سنة ١٩١٧ في روسيا، ثم امتدادها بعد ذلك، حيث قتلت من المسلمين وحدهم في مدة (٦٨) عاماً ما يزيد عن (١٠٠) مليون نسمة، واحتلت من أراضيهم ما يزيد عن (٢٣) مليون كيلومتر مربع، وهي تزحف بإصرار وبأساليب مبنية على القوانين العلمية للقضاء على العالم الإسلامي

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ١٧١ و ١٧٢.

عامة، والعربي خاصة، والمسلمون هم الذين يمهدون لها الطريق، ويزيلون من أمامها العقبات، ويعدون مقاتلة أعداء الماركسية جهاداً في سبيل الله، ولعلهم لم يشعروا بعد أن الماركسية هي اليهودية، وأنها التطبيق العملي لأسطورة الشعب المختار، وأنها تجند البشر لخدمة اليهود، ولعلهم لم يشعروا بعد أنهم مجروفون فيها بشكل أو بآخر، دون أن يشعروا كما وصفهم الرسول ﷺ: «غثاء كغثاء السيل». ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، إنا لله وإنا إليه راجعون.

ولعلهم لم يشعروا بعد أن الماركسية هي فتنة الدجال، وستبلغ قمتها بظهور المسيح الدجال، ملك اليهود، مع العلم أن أحوال الماركسية وأساليبها وغاياتها (التي لم يشعر بها المسلمون بعد) تطابق أوصاف الرسول لفتنة الدجال مطابقة تامة، وأنها لا تجري بقوى سحرية، وإنما بالدعاية الرمادية الغزيرة منذ عقودها الأولى، حيث اقتنع المسلمون بأوهام لا واقع لها، وصارت عندهم هذه الأوهام حقائق بدهية من طول ما سمعوه من دعاية موجهة وكثرتها، وأصبح المسلمون لا يرون كافراً ولا عدوًّا للإسلام إلا مَنْ يحارب الماركسية.



□ **الفرق المذهبية :**

يمكن أن نميز في الفرق المذهبية عند المسلمين عدة حالات :

أ ـ فرق ذات منشأ غير صوفي، نشأت فيها طرق صوفية، فشحنتها بالأعداد الكثيرة التي أعطتها الدفع اللازم للاستمرار.

ب ـ فرق صوفية المنشإ والمسير، يعتبرون أنفسهم صوفية حتى الآن، بينما هم غدوا فرقاً متميزة.

ج ـ فرق صوفية المنشإ، تطورت حتى نسي أهلها منشأهم الصوفي، وصاروا على دين جديد.

د ـ فرق لم تنشأ فيها طرق صوفية، فاضمحلت وذابت في إحدى الفرق السابقة أورجعت إلى الإسلام.

هـ ـ فرق لم يكن للصوفية فيها دور ملحوظ، ورغم ذلك استمرت مسيرتها، لكنها الآن قليلة الأتباع نسبيًّا، ولعله لا يوجد منها غير فرقتين: الزيدية بفروعها (السليمانية والصالحية والجارودية . .)، والإباضية، مع ملاحظة هامة هي : لواعتبرت الزيدية الصالحية والسليمانية (فقط) مذهباً خامساً، والإباضية مذهباً سادساً، لما كان هذا الاعتبار بعيداً عن الواقع، مع اعتراض على الإباضية، لقولهم بتكفير علي بن أبي طالب.

وفيما يلي، نستعرض بإيجاز أبرز الفرق في عصرنا الحاضر، التي لعبت الصوفية دورها في وجودها أو في استمراريتها:

* **الإسماعيلية :**

يحتاج التوضيح الموجز إلى دور الصوفية فيها إلى صفحات كثيرة، لذلك نكتفي

بإيراد بعض أقوال لبعض الباحثين:

يقول عارف تامر، وهو إسماعيلي من اسلمية، في تقديمه لقصيدة عامر بن عامر:

. . . مما لا ريب فيه أن في القصيدة آراء إسماعيلية ظاهرة، وتعابير إسماعيلية باطنية لا تخفى على المطلعين، ولعل هذا يثبت نظريتنا القائلة بأن المدرستين، الإسماعلية والصوفية، كانتا متلازمتين تتأثران ببعضهما البعض بالنسبة لوقائع الأزمنة والأحوال[1]. . .

ويقول الدكتور سيد حسين نصر:

. . . فقد كانت هناك بعض الصلات بين التصوف والتشيع ـ وعلى الأخص بطابعه الإسماعيلي ـ كما يبدو مما ذكره إخوان الصفاء عن التصوف في رسائلهم، وهم إن لم يكونوا حتماً من أصل إسماعيلي، فهم بلا ريب قد نشؤوا في وسط شيعي، واقترن ذكرهم فيما بعد بالحركة الإسماعيلية[2]. . . اهـ.

ـ وأضيف: إن العقائد والشطحات عند الإسماعيلية بشكل عام، وعند الحسن بن الصباح منذ استيلائه على قلعة (آلَهْ مُوت) في نواحي قزوين سنة ٤٨٣هـ، وعند خلفائه، بشكل خاص، سواء في الأقوال أو الأفعال، وكذلك عند سنان راشد الدين الذي استولى على عدة قلاع في الشمال الغربي من الشام، في النصف الثاني من القرن السادس الهجري، وما يذكر عنه من خوارق تدل على قيامه بالرياضة الإشراقية، وتقديسهم لابن عربي وأفعاله، وتبنيهم تفاسيره الإشارية، كل هذا دليل على دور الصوفية في الإسماعيلية.

وهذه كلمة لعالم من علمائهم «شهاب الدين بن نصر ذي الجوشن الديلمي المينفي (نسبة إلى «المينفة» في شمال غربي سورية)، تظهر فيها وحدة الوجود إلى جانب العقيدة الرئيسية عندهم، يقول:

اعلم أيها الأخ البار الرحيم الرشيد، بأن التوحيد هو صفة الموحِّد المجيد، وهو درجة

---

(١) أربع رسائل إسماعيلية، في آخر مقدمته على قصيدة عامر بن عامر.

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٤.

العقل الفعال، وأحد الحقيقة، والمبدَع الأول، وينبوع الوجود، ومصدر العدد، فمنه إشراق أنوار الكلمة العلية، ومبتدأ الوجود، وابتداع المنزه المعبود، والواحد الفرد الصمد، الذي من جوهره وجدت الموجودات، فلزمتها صفة الأعداد والأزواج والأفراد، وإليه عودتها حين المعاد[1] . . . أهـ.

تبدو العقيدة الإسماعيلية في هذا النص في «العقل الفعال» وأوصافه، وتبدو وحدة الوجود في قوله: «الذي من جوهره وجدت الموجودات . . . وإليه عودتها حين المعاد».

وشطحاتهم في الأقوال والأفعال، التي هي، بطبيعة الحال، تشبه أحوال متعاطي الحشيش، دعت أعداءهم إلى تسميتهم بـ «الحشاشين»، وانتشر الاسم.

والإسماعيلية تنقسم إلى فرقتين رئيسيتين: النزارية (أو الآغاخانية)، والمستعلية (أو البوهرة)، وكانت الشعائر الإسلامية قد ألغيت عند النزارية منذ العقود الأخيرة في آلموت، قبل أن يهدمها التتر، لكنهم الآن عادوا إلى تطبيقها على المذهب الشافعي، وعسى أن يرتق الله سبحانه بهم بعض الفتق.

* النصيرية :-

مؤسسها أبو شعيب محمد بن نصير النميري (بالولاء)، مات حوالي سنة ٢٧٠هـ، وخلفه تلميذه محمد بن جندب، وكانت مدته قصيرة، وكانت الطائفة في زمنها قليلة، تتألف من بعض الشيعة الذين قبلوا أقوال ابن نصير. وبعد موت محمد بن جندب بعد عام ٢٧٠هـ بقليل، خلفه أبو محمد عبد الله بن محمد الجنان الجنبلاني (مات سنة ٢٨٧هـ)، وكان يقيم في فارس في بلدة (جنبلا)، ولذلك اشتهر أيضاً بـ (الفارسي)، وقد أحدث طريقة صوفية عرفت بـ (الجنبلانية)، وكانت مثل غيرها من الطرق، تجتذب المريدين المخدوعين من سنة وشيعة، وأكثرهم من السنة، لأن أهل السنة كانوا يشكلون الأكثرية الساحقة، وكان كل من دخل الطريقة يتحول مباشرة إلى النصيرية اتباعاً لشيخه، وبذلك ازداد أتباع المذهب النصيري ازدياداً كبيراً.

---

(١) أربع رسائل إسماعيلية، رسالة مطالع الشموس في معرفة النفوس، مطلع المرتبة الثانية في التوحيد والتنزيه والتجريد.

سافر الجنبلاني إلى مصر، حيث انتسب إلى طريقته الحسين بن حمدان الخصيبي الذي صحب الجنبلاني في عودته إلى فارس، ثم خلفه في مشيخة الطريقة وفي الرئاسة الدينية للطائفة، وقد انتقل إلى حلب، وجعلها موطناً له، وانتشرت الطريقة في عهده بسرعة، وخاصة في سنجار، وانتشارها يعني انتشار المذهب النصيري، وقد ساعد على انتشار الطريقة والمذهب طول عمر الخصيبي، الذي عاش حتى سنة ٣٥٨هـ. ونورد قولاً في هذا الموضوع لمؤرخ نصيري هو محمد أمين غالب الطويل[1]، يقول:

كان السيد أبو سعيد سرور (مات سنة ٤٢٦هـ)، أكبر مؤلف بين العلويين، وهو آخر شيخ منفرد بالطريقة الجنبلانية التي استحالت بعد ذلك، وتشكل منها شعب العلويين[2]... («العلويون» اسم ثان للنصيرية استحدث زمن الاستعمار الفرنسي، ويسمُّون أيضاً «العلي إلهيون»).

* اليزيدية (عبدة الشيطان):-

وهي في الأصل طريقة صوفية هي «الطريقة العدوية»، مؤسسها عدي بن مسافر الأموي، من نسل مروان بن الحكم، وقد تتلمذ على عبد القادر الجيلاني.

كانت بلاد سنجار بجبالها ووديانها شبه منعزلة عن العالم، فترعرعت فيها النصيرية الجنبلانية بحرية، حتى استوت، وعندما هاجر منها النصيريون إلى المناطق الشمالية الغربية من سورية عام ٦٢٠هـ، خلفهم فيها أتباع الطريقة العدوية، إذ كان مقر عدي ابن مسافر هناك، وترعرعت هذه الطريقة بعيداً بعض الشيء عن أعين المسلمين وعلماء الإسلام، وأخذت حريتها الكاملة، ومن الطبيعي أن تظهر بين مشايخها الأمويين وأتباعهم ردود فعل تتناسب شدتها مع شدة غلو النصيرية في شتمهم للأمويين، وخاصة يزيد بن معاوية، وردود الفعل هذه، مضاف إليها طبيعة الصوفية الخاضعة دوماً للكشف وتوجهاته، والذي هو خاضع بدوره لأهواء الشيخ الكامنة في نفسه من جهة، ووسوسات شياطين الجن والإنس من جهة ثانية، ومضاف إليها الجهل الذي تفرضه الصوفية على أتباعها، كل هذا جعل الانحراف المقابل للتشيع يسير بسرعة حتى استوى في مدة وجيزة

---

(١) من أحياء العقد الثالث من القرن العشرين الميلادي، لم أقف على تاريخ وفاته.
(٢) تاريخ العلويين، ص٢٦٤.

وظهر الزيغ والضلال في زمن شيخها حسن بن عدي بن صخر بن أبي البركات بن صخر بن مسافر، وصخر بن مسافر هذا هو أخو عدي بن مسافر الذي عمر حتى تجاوز التسعين من عمره.

مات حسن بن عدي سنة ٦٤٤هـ مقتولاً على الزندقة، وهو ابن ثلاث وخمسين سنة، ولا بد من أن يكون بعض التطور قد حدث بعده في الطريقة.

ولعل النصيرية هم الذي أطلقوا عليهم اسم «اليزيدية» للتشنيع، بينما قبلوه هم لأنهم كانوا يرون فيه شرفاً لا تشنيعاً بسبب أموية شيوخهم، وهذا يعني أن هذا الاسم يجب أن يكون قد انتشر قبل هجرة النصيرية (وهو كذلك).

ولعل مقام الورع الذي تحقق به مشايخهم، وكانوا يحثونهم عليه، هو الذي أوصلهم إلى عبادة الشيطان! فقد كانوا لشدة تحققهم بهذا المقام، يتورعون عن السب واللعن، حتى عن لعن الشيطان (بدلاً من سب الشيطان قل: لا إله إلا الله)، ثم مع مثابرتهم على التمسك بهذا المقام ـ ولعل عوامل أخرى تدخلت في الموضوع ـ صاروا يعنفون من يسب الشيطان، ومع الزمن، وزيادة الورع، تحول هذا إلى تقديس الشيطان ثم إلى عبادة له.

* **الدرزية**:ـ

تؤمن الدرزية أن الزمن يقسم إلى أكوار، وكل كور إلى أدوار، وأن الله سبحانه يتأنس (يظهر بصورة إنسان) في أول كل دور، وأنه (سبحانه وتعالى) في الدور الأخير من الكور الحالي تأنس بصورة الخليفة الفاطمي «الحاكم».

مؤسس الدرزية هو الحمزة بن علي الزوزني (اختفى سنة ٤١١هـ بعد اختفاء الحاكم)، ومما ينعت به: «علة العلل، العقل الأول، النور الكلي، الجوهر الأزلي، فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجواهر، وعنه ظهرت العناصر، ومنه تفرعت الأصول، وبه تنوعت الأجناس، أصل الوجود، قائم الزمان، هادي المستجيبين . . . ذومعة»، وكانت دعوته بدعم مباشر من الحاكم.

ويأتي بعده في المرتبة الدينية إسماعيل بن محمد التميمي (النفس الكلية، المشيئة . . . ذومصّة)، ثم محمد بن وهب القرشي (الكلمة . . .)، ثم سلامة بن عبد الوهاب

السامرّي (السابق، الجناح الأيمن..)، ثم علي بن أحمد السمّوقي الطائي (التالي، الجناح الأيسر..)، المعروف بلقب «بهاء الدين الضيف» (اختفى سنة ٤٣٤هـ / ١٠٤٢م)، ومدته في الدعوة أطول من مدة الأربعة مجتمعين. وهؤلاء يدعون «الحدود الخمسة».

تظهر وحدة الوجود واضحة في أوصاف الحمزة بن علي: «فيه بدأت الأنوار، ومنه برزت الجواهر، عنه ظهرت العناصر... إلخ»، كما تشم منها زاخمةً رائحة الكشف والرؤى الكشفية.

وتصف الدكتورة نجلاء عز الدين مؤلفة كتاب: «الدروز في التاريخ» الحاكم بقولها:

«... فالحاكم كغيره من الصوفية، خبر المعراج الروحي فغاب بشهوده عن وجوده ... يتكلم وكأن الله هو المتكلم، فيقول: وكما سما أناس بحبنا إلى الفناء في ذاتنا، فلولا المحبة لما فنوا ولما وصلوا إلى طريق الارتقاء إلى العالم الأقدس»[١]. (لو رجعنا إلى فصل «لا طريقة بدون شيخ»، لرأينا التشابه التام بين هذا القول وأقوال مشايخ الصوفية).

وجاء في الرسالة الثالثة عشر من «رسائل الحكمة» (كتاب الدروز): إن المولى سبحانه لا يدخل تحت الأسماء والصفات واللغات ... هو الموجود في الحقيقة ولا غيره موجود[٢]. (هذا نفس قول الصوفية).

وتقول المؤلفة أيضاً (وهي درزية): إن مذهب الدروز مسلك صوفي عرفاني ... فالسالك بعد أن يكون قد ارتاض بالعمل بموجب ظاهر الشريعة وباطنها يصل إلى مرحلة يصبح عندها مهيأ لتقبل الحقيقة دون حاجة إلى شعائر ووسائط ... إن ما هو أهم من ظاهر العبادات معناها الحقيقي، وهو الرياضة الروحية ... فتصبح النفس مهيأة للمثول أمام خالقها، فتبلغ بنعمة المولى ولطفه مرتبة المشاهدة[٣]...

وفي ترجمتها للأمير السيد جمال الدين عبد الله التنوخي، وهو يلي الحدود الخمسة في

---

(١) الدروز في التاريخ، ص١٢٩.
(٢) الدروز في التاريخ، ص١٤٠.
(٣) الدروز في التاريخ، ص١٤٨ و ١٤٩.

المقام (ت ٨٨٤هـ / ١٤٧٩م)، تقول: . . . فهو(أي عبد الله التنوخي) ينبوع الخيرات ومعدن البركات . . . العارف بالله الرباني . . . سرعان ما انتشرت شهرته كولي من أولياء الله الصالحين[١]. . .

وتقول: إن كتابات السيد مفعمة بروح صوفية، فقد اتبع خطا الصوفية في الوصول إلى معرفة الله[٢]. . .

ومما تورده من أقواله: . . . فمتى قهرت النفس الشهوات أصبحت خاضعة لله، مراقبة لباريها، سائرة إلى معرفته، فيمن عليها الصفاء والإشراق[٢]. . .

وفي كتاب إلى عبد القادر ريان، أحد المريدين، يقول السيد: وقاعدة السعادة في الدين والدنيا أن يستشعر العبد حضور خالقه في سره وطويته وظاهره وباطنه . . . وتأتي المشاهدة بعد الانصراف عن كل ما هو سوى الله[٣] . . اهـ.

● **النتيجة:**

الصوفية وراء الدرزية، وفي الحقيقة، الدرزية الآن هي الإشراق ذاته غير ممزوج بشيء (الخلوة والرياضة حتى الوصول إلى الإشراق)، والنصوص القليلة السابقة واضحة في هذا المدلول، وهم يسمون أنفسهم «الموحدين»، ويسمون مذهبهم «مسلك التوحيد»، ويعنون بذلك نفس المعنى الصوفي، أي: وحدة الوجود. والواصلون منهم يسمون «أعرافاً»، مفردها «عَرْف»، وهو اشتقاق من «العارف»، مع العلم أن هذا المصطلح «أعراف»، قلما يستعملونه الآن، ويستعملون بدله كلمة «أجاويد»، مفردها «جوِّيد».

وهناك دلائل تشير إلى أن الدروز كانوا يقيمون الشعائر الإسلامية حتى زمان متأخر..

* **البكطاشية:-**

طريقة صوفية في الأصل، وحتى الآن يعتبرها أتباعها طريقة صوفية، رغم أنها

---

(١) الدروز في التاريخ، ص٢٢٩.
(٢) الدروز في التاريخ، ص٢٣٦.
(٣) الدروز في التاريخ، ص٢٣٧.

صارت مذهبـاً ـ بل دينـاً ـ شاذًا عن الاسـلام، وقـد لا يمضي وقت طويـل حتى ينسى أتباعها أنهم أتباع طريقة صوفية، ويرون أنفسهم أهل مذهب خاص.

وهذه بعض معالمها كما يذكرها أحمد حامد الصراف (بغدادي) في كتابه «الشبك».

١ ـ البكطاشية طريقة صوفية لا يتيسر الانخراط في سلكها إلا بعد مضي مدة التجربة، وهي ألف يوم ويوم.

٢ ـ البكطاشية تتهاون بأداء الفرائض كالصوم والصلاة والحج والزكاة والجهاد.

٣ ـ البكطاشي لا يتحرج في شرب الخمرة، فالخمرة شربها مباح.

٤ ـ البكطاشي يعترف عند الباب أو الپير بما ارتكبه من آثام ويتلقى منه المغفرة.

٥ ـ البكطاشي يغالي في الإمام علي، ويرفعه إلى مقام الألوهية[1]. اهـ.

والبكطاشية منتشرة في تركيا وشرق أوروبا، ويقال: إن عدد اتباعها في تركيا وحدها يزيـد على ثلاثـة عشـر مليونـاً، وكذلك انتشارها في مصر في تزايد مستمر، والبكطاشي شيعي اثنا عشري يسمي نفسه سنيًّا.

ويـوم ١٦ آب هو عيـدهم، حيث يجتمـع الآلاف منهم بالألبسـة الـزاهية، يطوفون حول القبـر المقـدس في نوشهـر في تركيـا، ويقيمـون الـرقصات والأذكار الخاصة، وعلى رؤوسهم قلنسـوات أسطـوانيـة ذات ١٢ طيَّـة، إشـارة إلى الأئمـة الاثني عشـر، أئمـة الشيعة، وحركاتهم في الرقص (الحضرة) عنيفة، ويبقى العيد ثلاثة أيام.

*** المتـاولـة: شيعـة الهنـد وإيران والعراق الجنوبي وجبل عامل (الشرخ الأكبر في جسم الأمة الإسلامية):ـ**

ما كان التتـار في غزواتهم حملة عقيـدة يسعـون إلى نشـرها، وما كان غزوهم إلا من أجـل العلو أو الانتقـام أو النهب أو لمجـرد الغزو والفتح، وكانت عقائدهم التي يدينون بها متشعبة وثنية ساذجة تنفر منها الفطرة السليمة.

---

(١) الشبك، ص٤٧.

عندما تصطدم أمة، هذه حالها، بعقيدة واضحة، متلائمة مع الفطرة، مستقيمة مع المنطق، صادقة المنهج، فسرعان ما تستسلم هذه الأمة لهذه العقيدة.

وهذا ما حدث للتتار، فبعد جيل (في مكان)، أو جيلين (في مكان آخر)، أو أكثر بقليل (في مكان ثالث)، أخذ التتار يدخلون في الإسلام زرافات ووحداناً.

وبما أن الصوفية كانت واسعة الانتشار جدًّا، لذلك كان دعاة الإسلام بين التتار خليطاً من مسلمين صحيحي العقيدة ومن متصوفة، مما جعل دخول قسم لا بأس به من التتار إلى الإسلام على أيدي متصوفة، وخاصة من مشايخ الطريقة الرفاعية الذين كانوا يذهلونهم بالخوارق التي يجرونها أمامهم.

وهنا يجب ألا ننسى أن المتصوفة يظهرون الشريعة ويبطنون الحقيقة (حقيقتهم)، فهم عندما كانوا بخوارقهم يجتذبون التتار إلى الإسلام، كانوا يجتذبونهم إلى الشريعة الإسلامية حسب الظاهر، ثم بعد ذلك يجرونهم وراءهم في طريق التصوف.

كما يجب ألا ننسى أبداً أن إبليس ماهر في الحساب، يتقن الجمع والطرح، ويعرف أن العشرة أكثر من الواحد.

ويجب كذلك ألا ننسى أبداً أن إبليس كان يعرف أن التتار ليسوا حملة عقيدة، وأنهم باختلاطهم مع المسلمين سوف يسلمون، إن لم يكن في هذا الجيل، ففي الذي بعده.

وبذلك كان يعرف أن إدخال أعداد من التتار في الإسلام بواسطة المتصوفة لإضلال أضعاف أضعافهم، هو عملية مربحة جدًّا له.

ولذلك كان وجنده يقدمون خدماتهم للمتصوفة بإجراء تلك الخوارق، وبكل تأكيد، كانوا يقدمونها بحماس، مما سبب دخول أعداد من التتار في الإسلام.

زاد بذلك افتتان الناس بالصوفية، وغدا الشيخ الصوفي إلهاً يعبد ويسجد له، وصارت تقدم له الأدعية والنذور والقرابين، ويتبرك حتى ببوله وخرئه، وصارت الطلاسم والأوراد والأحزاب والقبور هي همّ المسلم، وكان الجهل هو المساعد الأكبر.

في ذلك الوقت، أي في النصف الثاني من القرن السابع (بعد الغزو التتاري)، وما بعده، كان للتشيع فرق كثيرة (قليلة الأتباع)، يمكن توزيعها على ثلاث مجموعات

هي :

أ ـ الغلاة : وأبرزهم النصيرية ، وكانوا منتشرين في شمالي سورية وفي جيوب صغيرة في العراق وفارس ، وكانوا يسمون أيضاً «العلي إلهيون» .

ب ـ الأقل غلوًا : وأبرزهم الإسماعيلية والزيدية الجارودية ، وكانوا منتشرين في البحرين واليمن والشام وفي جيوب في فارس ، وكانت الزيدية في فارس أكثر من الإسماعيلية ، ولا يعرف لها وجود متميز في الشام .

ج ـ المعتدلة : وأبرزهم الزيدية الصالحية والسليمانية في فارس والعراق واليمن ، وكذلك شيعة جبل عامل في جنوب لبنان ، والحلة وما حولها في العراق ، وفي جيوب صغيرة في فارس والشام .

والشيعة المعتدلة هؤلاء كانوا يحترمون صحابة رسول الله ﷺ كلهم ، لكنهم يفضلون عليًّا بن أبي طالب ، ويرونه أحق بالخلافة من أبي بكر وعمر وعثمان ، ويشتمون الأمويين ، وخاصة يزيد بن معاوية ، ويرون أن الخلافة يجب أن تكون في العلويين ، وأن العباسيين مغتصبون لها ، وكانوا يتبعون المذاهب السنية في الفقه .

جاء القرن الثامن والتاسع ، والمسلمون (ويهمنا هنا البلاد التي اجتاحها المغول) على هذه الحال ، ومن البدهي أن يظهر في الشيعة متصوفة ، حيث عمل مثقفوهم على الجمع بين التصوف والتشيع ، ساعدتهم طبيعة الصوفية بما فيها من باطنية وادعاء النسب لآل البيت ، وزعم التسلسل الذي يوصلونه إلى علي بن أبي طالب عن طريق الأئمة الاثني عشر ، لكنهم كانوا يبثون عقائدهم هذه بصورة محدودة بين خواصهم وبعض غيرهم ، كما ألف بعضهم كتباً في هذا الشأن ، أي إنهم لم يؤسسوا طرقاً صوفية ويحاولوا تشييعها ، بل اكتفوا بما كانوا يلقونه من دروس ومواعظ ومناقشات ، أو بما كانوا يؤلفون من الكتب ، منهم :

آل طاووس :

الذين بقيت نقابة الأشراف فيهم عشرات السنين ، وكانوا يُعدون أولياء ذوي كرامات أحياءً وأمواتاً ، حتى لقد صار قبر السيد أحمد بن طاووس مزاراً مشهوراً ، وحتى

تحرج العامة والخاصة عن الحلف به كذباً خوفاً[1]. وأهمهم:

ـ نقيب الأشراف رضي الدين علي بن طاووس، توفي سنة ٦٤٤هـ، قبل دخول التتار إلى بغداد.

ـ وبعده نقيب الأشراف جمال الدين محمد بن طاووس، توفي بعد سنة ٦٧٢هـ بقليل.

ـ وبعده غياث الدين عبد الكريم بن أحمد بن طاووس، توفي سنة ٦٩٣هـ.

ومن غير آل طاووس:

ـ كمال الدين ميثم بن علي بن ميثم البحراني مات سنة ٦٧٩هـ.

ـ عز الدين، أبو الفضل عامر بن عامر البصري، من أحياء العقود الأولى من القرن الثامن، نظم قصيدة سماها «ذات الأنوار»، عدد أبياتها (٥٠٧) أبيات، وعدد فصولها (١٢) فصلاً، نظمها سنة ٧٠٥هـ، (لنلاحظ أن ٥ + ٧ = ١٢ وهو عدد الأئمة الاثني عشرية)[2]، وقصيدته هذه التي مطلعها:

تجلى لي المحبوب في كل وجهة   فشاهدته في كل معنى وصورة

هي التي يعزو عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته» أبياتها الأوائل إلى إبراهيم الدسوقي، وتوحي هذه القصيدة بأن عامر بن عامر إسماعيلي، تصوف في الطريقة البكطاشية، فصار اثني عشريًّا إسماعيليًّا.

ـ الحسن بن يوسف بن مطهر الحلي، تلميذ نصير الدين الطوسي، صاحب كتاب «منهاج الكرامة»، الذي نقضه ابن تيمية في كتابه «منهاج السنة»، مات ابن المطهر سنة ٧٢٧هـ، وقد تشيع به جماعات كثيرة.

وهناك غيرهم أعداد.

هؤلاء أوجدوا هنا وهناك بؤراً شيعية جديدة أضيفت إلى القديمة، وفي هذه البؤر

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١١٣.

(٢) أشار إلى هذه الملاحظة مؤلف الفكر الشيعي والنزعات الصوفية.

وجد مشايخ الطرق المتشيعون الذين جاؤ وا فيها بعد، دعاةً كانوا عوامل، إلى جانب الشيخ، في إقناع الأتباعَ بالتشيع.

ثم جاءت الطرق لتكون العامل الحاسم في تشييع فارس وبعض العراق، وقبل إلقاء نظرة سريعة على أبرزها، نعود لإلقاء نظرة ثانية، وسريعة أيضاً، على مدى سيطرة الصوفية على المجتمعات في ذلك الوقت:

مما يقرره أبو الحسن الندوي ناقلاً، يقول:

وآخرون قد جعلوا الميت بمنزلة الإله والشيخ الحي المتعلق به كالنبي، فمن الميت يطلب قضاء الحاجات وكشف الكربات، وأما الحي فالحلال ما حلله والحرام ما حرمه...

فطائفة من هؤلاء يصلُّون إلى الميت، ويدعو أحدهم الميت، فيقول: اغفر لي وارحمني، ونحو ذلك، ويسجد لقبره، ومنهم من يستقبل القبر، ويصلي إليه مستدبراً الكعبة، ويقول: القبر قبلة الخاصة، والكعبة قبلة العامة، وهذا يقوله من هو أكثر الناس عبادة وزهداً... وآخر من أعيان الشيوخ المتبوعين أصحاب الصدق والاجتهاد في العبادة والزهد، يأمر المريد أول ما يتوب أن يذهب إلى قبر الشيخ، فيعكف عليه عكوف أهل التماثيل، وجمهور هؤلاء المشركين بالقبور يجدون عند عبادة القبور من الرقة والخشوع والدعاء وحضور القلب ما لا يجد أحدهم في مساجد الله تعالى...

حتى إن طائفة من أصحاب الكبائر الذي لا يتحاشون فيها يفعلونه من القبائح، كان إذا رأى قبة الميت أو الهلال الذي على رأس القبة، خشي من فعل الفواحش، ويقول أحدهم لصاحبه: ويحك هذا هلال القبة، فيخشون المدفون تحت الهلال، ولا يخشون الذي خلق السماوات والأرض...

ويحلف أحدهم اليمين الغموس كاذباً، ولا يجترىء أن يحلف بشيخه اليمين الغموس كاذباً، ومنهم من يقول: كل رزق لا يرزقه إياه شيخه لا يريده...

وهؤلاء يجعلون الرسل والمشايخ يدبرون العالم بالخلق والرزق وقضاء الحاجات وكشف الكربات... ومن هؤلاء من يظن أن القبر إذا كان في مدينة أو قرية فإنهم

ببركته يرزقون وينصرون، وأنه يندفع عنهم الأعداء والبلاء بسببه[1]. . .

ثم يقول أبو الحسن الندوي معلقاً ومبيِّناً:

وكانت النتيجة الحتمية لهذا الإجلال والتعظيم أن تتزايد أهمية المشاهد بإزاء المساجد . . . فقد انتشرت هذه المشاهد والمزارات في كل ركن من أركان العالم الإسلامي، ووجدت آلاف مؤلفة من القبور المزورة، وتصدى الأمراء والسلاطين لوقف الممتلكات والأراضي الواسعة عليها، وأقيمت عمارات ضخمة وقباب فخمة في أمكنة هذه القبور ومشاهد المشايخ، كما وجدت أمة بأسرها من العاكفين والكناسين والخدم لهذه القبور، ونالت الرحلة إليها كل إعجاب، حتى بدأت تصل قوافل الحجاج إليها من مسافات بعيدة . . . إلى أن يقول:

وفي القرنين السابع والثامن، دخلت هذه المشاهد والضرائح في حياة المسلمين الدينية، ونالت عندهم من القبول والمركزية ما جعلها تنافس بيت الله وتتحداه[2]. . . إلخ.

وهذا تقرير آخر لابن بطّوطة (الرحالة) عن تربة أبي إسحاق، إبراهيم بن شهريار الكازروني في كازرون[3]، يقول:

. . . ومن عادتهم أن يطعموا الوارد كائناً من كان، من الهريسة المصنوعة من اللحم والسمن، وتؤكل بالرقاق، ولا يتركوا الوارد عليهم للسفر حتى يقيم في الضيافة ثلاثة، ويعرض على الشيخ الذي بالزاوية حوائجه، ويذكرها الشيخ للفقراء والملازمين للزاوية وهم يزيدون على مائة . . .

وهذا الشيخ أبو إسحاق معظم عند أهل الهند، ومن في الصين، ومن عادة الركاب في بحر الصين أنهم إذا تغير عليهم الهواء وخافوا اللصوص نذروا لأبي إسحاق نذراً، أو كتب كل منهم على نفسه ما نذره . . . وما من مركب يأتي من الصين أو الهند إلا وفيه

---

(١) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ / ١٧٢، وما بعدها.

(٢) رجال الفكر والدعوة في الإسلام: ٢ /١٧٦ - ١٨٧.

(٣) مدينة إيرانية داخلية تبعد عن أقرب مرفإ إليها على خليج البصرة حوالي مائة كم، وهو بندرريك.

آلاف من الدنانير، فيأتي الوكلاء من جهة خادم الزاوية فيقبضون ذلك . . . أهـ .

ـ أقول: في هذه النصوص كفاية وفوق الكفاية بكثير، لنعرف مدى سيطرة الصوفية، ومدى تأثير المشايخ على العقول، والكتاب كله براهين من أقوالهم على عقائدهم هذه التي يؤمنون بها كلهم ويكتمها الكمَّل منهم، ويظهرون الشريعة.

وهذه ملحة إضافية من أناشيدهم على لسان شيوخهم:

وأنا صرخت في العرش حتى ضج وأنا حملت على عليّ حتى هجّ
وأنا البحار السبعة من هيبتي ترتج

في هذا المحيط، أخذت الطرق الصوفية تعمل عملها، والبارزة من هذه الطرق هي:

الصفوية: التي لعبت في هذا المضمار دورين: دوراً تأسيسيًّا في مراحلها الأولى، ثم الدور الحاسم في مراحلها الأخيرة.

مؤسسها هو صفي الدين إسحاق بن أمين الدين جبرائيل الأردبيلي، والظاهر أنه تركي الأصل، لكنه مع ذلك من سلالة الحسن أو الحسين (الشك من ابنه)، ولد صفي الدين سنة ٦٥٠هـ، ومات سنة ٧٣٥هـ على الأرجح، أخذ الطريقة (لعلها القادرية) عن الشيخ إبراهيم الزاهد الكيلاني المتوفى سنة ٧٠٠هـ في كيلان، ثم أسس طريقته التي انتشرت في أردبيل وقزوين وما حولها، وتسربت إلى غيرها من البلدان القريبة.

كان أتباعها يتحولون إلى شيعة (معتدلة) بسبب تشيع شيوخهم ونسبهم العلوي «المدعى»، ودعوتهم إياهم إلى التشيع، لأن المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل، وكان أتباعه قبل الشروع بالحضرة يسجدون له، ثم يتابعون حضرتهم، وهي من الجالسة الصائتة، وقد أخذت الطريقة النعمتلاهية هذا التقليد عن الصفوية[1].

السنية السعدية: مؤسسها سعد الدين محمد بن المؤيد . . . بن حمويه، مات في

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٤٩.

خراســان سنـــة ٦٥٠هـ / ١٢٥٢م، لقبـوه بـ «يسعى العجم»، شيعي من تلاميـذ ابن عربي (الشيخ الأكبر)، أسس طريقته في دمشق، ثم انتقل إلى خراسان لينشرها هناك.

و «يسعى العجم» هذا هو خاتم الأولياء، الذي هو معاد النبي، ومغرب جميع الأنوار المنتشرة في العلويات والسفليات . . . وهو مظهر قيام الساعة، يعني: «قيام نفس الولاية التي تعم الإلهيـة»، وكـان يسعى العجم هذا يمثـل العلم الإلهي المتسلســل من آدم إلى محمد ومندمجاً على ثمرة «تعليم الأسماء وعلم البيان»[1]. . .

ويسعى العجم هذا نزلت عليـه سكينـة الله فصـار بها حيًّا باقيـاً خالداً دائماً في هذه الـدار، وأعطـاه السـلام مفاتيح الغيب . . . وهكذا صار «يسعى العجم» إنساناً إلهيًّا لا يختلف عن الله حتى في الخلود[2]. . اهـ.

ـ أقـول: ما على القـارىء إلا أن يتخيـل رجـلاً هذه صفـاتـه التي يؤمن بها أتباعه وغيرهم، وهو شيعي يدعوهم إلى التشيع! فهل يمكن أن يوجد في هؤلاء الأتباع من لا يستجيب له؟ وهكذا انتشر التشيع في شرقي إيران، وإن كان انتشاراً محدوداً، لأن انتشار الطـريقـة السنيـة السعـديـة لم يكن واسعـاً مثل الصفوية مثلاً، ويجب ألا ننسى أن شيخ يسعى العجم، الذي هو محيي الدين بن عربي، كان شيعيًّا أيضاً[3]، ويجعله الإسماعيلية من أئمتهم.

الحـروفيـة: مؤسسهـا فضـل الله بن عبد الرحمن الحسيني الاسترابادي، شيعي كان يتنقـل بين مدن فارس، قتله ميران شاه بن تيمـورلنـك سنـة ٨٠٤هـ، له ثلاثـة كتب مقـدسـة: «الجـاردان نامـة»، أي: كتـاب الخلود، و «محبـة نامـة»، و «عـرش نامـة»، والأخيران شعر.

كان «الجاردان نامة» يدرس سرًّا، ولخليفته الثاني «علي الأعلى» شرح عليه.

في سنـة ٧٨٦هـ / ١٣٨٤م، أعلن فضـل الله مهـديتـه (مهـدي السنـة طبعاً) بين أخصائه، وتلقى البيعة سرًّا[4] . . . وكانت دعوته مبنية على أنه خليفة الله كآدم وعيسى

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٠٨.
(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٢٠٩.
(٣) ميزان الاعتدال للذهبي في ترجمة ابن عربي.
(٤) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٨١.

ومحمد، اجتمعت فيه مُثُل الصوفية والشيعة لإنقاذ العالم بالدم، فكان مهديًا وختماً للأولياء ونبيًّا وإلهاً في وقت واحد[1].

وبدهي أن يتبع الأتباع شيخهم بالتشيع، لأن المريد يجب أن يكون بين يدي الشيخ كالميت بين يدي الغاسل. وطبعاً، كان الجهل أكبر مساعد.

ومما يجدر ذكره أن علم الحروف، رغم كونه من مستلزمات الكهانة (أو الصوفية؛ لا فرق) في جميع حالاتها، إلا أنه كان مقتصراً على الشيوخ والعارفين، حتى جاءت الحروفية فعممته، وصار علم الحروف (السحر) حرفة ووسيلة لتسخير الطبيعة بقطع النظر عن كون المستخدم لها برًّا أو فاجراً، وانشغل الصوفية (وغيرهم) به لرسم الهياكل والطلاسم[2] . . . والمحبة والقبول والشفاء من الأمراض وغيرها. . .

ورغم أن الطريقة الحروفية اندثرت باندماجها في البكطاشية فيما بعد، إلا أنها تركت أثرها الحروفي في كل الطرق، وبالتالي في الأمة جمعاء، إلا من رحم ربك، وهكذا صار علم الحروف (السحر) من المظاهر البارزة في ثقافة الأمة جمعاء، إلى جانب القبوريات وخوارق المشايخ وتغريبة بني هلال وقصة سيف بن ذي يزن، وكذلك ظهر أثرها بعد زمن في الشيخية، ثم في البابية والبهائية.

الهمدانية: مؤسسها علي بن الشهاب الهمداني، شيعي فارسي تخرج بالكبروية، وكان أكثر مريديه من السنة الذين تشيعوا اتباعاً لشيخهم، وكان الجهل أكبر مساعد، مات علي الهمداني سنة ٧٨٦هـ، وسار خلفاؤه على نهجه بتشييع أتباعهم على النفس الطويل، وفي الهمدانية تخرج نوربخش.

في هذه العقود ـ أي النصف الثاني من القرن الثامن ـ ظهر أيضاً كتاب من الشيعة المتصوفة دعوا إلى الجمع بين التصوف والتشيع، لعل أشهرهم: بهاء الدين، حيدر بن علي العبيدي الآملي، مات بعد سنة ٧٩٤هـ، له كتاب كان مشهوراً، اسمه «جامع الأسرار ومنبع الأنوار في أن عقائد الصوفية موافقة لمذهب الإمامية الاثني عشرية»، وله كتاب في التصوف اسمه: «نص النصوص في شرح الفصوص»، أي شرح «فصوص

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٨٢. (٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٩٧.

الحكم» لابن عربي. وبهاء الدين هذا من أتباع الطريقة الأكبرية العربية الحاتمية[1].

ـ ومن الظواهر البارزة في هذه العقود، تيمورلنك والحركة التيمورلنكية، ننقل جملة موجزة عنه من «الفكر الشيعي والنزعات الصوفية»:

«. . . فقد بدأ تيمور علاقاته الشخصية بالصوفية . . . اتصل في مطلع شبابه في «كش» بالشيخ شمس الدين الفاخوري، وفي خراسان بالشيخ أبي بكر الخوافي (ت: ٨٣٨هـ)، ولما ارتفع نجم تيمور غلب عليه السيد محمد بركة (ت: ٨٠٤)، ولهذا روي عنه أنه كان يقول: «جميع ما نلته بدعوة الشيخ شمس الدين الفاخوري، وهمة الشيخ زين الدين الخوافي والسيد محمد بركة». يضاف إلى هذا أن تيمور كان يزور الصوفية ويكرمهم أينما حل، ويزور قبور شيوخهم، حتى إنه لما فتح العراق، قصد إلى واسط، ليزور قبر السيد أحمد الرفاعي. وفي مقابل هذا كان الصوفية يدعون لتيمور ويؤ يدونه، وبخاصة أنه لبس الخرقة منهم، فصار بذلك واحداً منهم، واعتُبرت أعماله كرامات صوفية، وصار «مظهر تجليات الحق الجمالية والجلالية»، ووصفت أعماله كلها بصدورها عن الإلهام الإلهي والهاتف السماوي وأنباء الغيب[2]. . .». أهـ.

كان تيمورلنك سني المذهب، نشأ في مجتمع سني على مذهب أبي حنيفة، وقد قاده تصوفه إلى التفاعل الكامل مع الطريقة الصفوية الشيعية، فعندما اتصل بشيخها صدر الدين موسى (ت: ٧٩٤هـ) ابن صفي الدين وخليفته، أقطعه مدينة أردبيل وما حولها، فصار صدر الدين الحاكم الفعلي لأردبيل، بالإضافة إلى سلطته الصوفية المؤلهة، كما وهب ابنه وخليفته «علاء الدين علي» الأسرى الذين وقعوا في قبضته في حروبه في بلاد الروم[3] سنة ٨٠٤هـ / ١٤٠١ ـ ١٤٠٢م، فسمّوا «الصوفية الروملو». بينما نرى تيمورلنك هذا يجتهد في محاربة أهل السنة، وعندما ينتصر عليهم يعاملهم بقسوة بالغة، وخاصة دمشق التي أبادها إبادة كاملة، بحجة أن أهلها شاركوا في مقتل علي والحسين رضي الله عنهما، وأنهم من أتباع الأمويين.

---

(١) الصوفية بين الأمس واليوم، ص١٣٥.

(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص١٦٨ و ١٦٩.

(٣) كانوا يطلقون على تركيا اسم «بلاد الروم»، والأسرى المذكورون كلهم مسلمون سنيون أتراك.

يقول كامل مصطفى الشيبي :

«جمع تيمورلنك بين العاطفة الشيعية والفقه السني» .

ويقـول : «كـان من الطبيعي أن تظهـر في عهـد تيمور حركات شيعية غالية ، وذلك لغلبة التصوف وارتفاع شأن العلويين»[1] .

ويحسن أن نذكـر هنـا أن «خـدابنـدة» خليفـة قازان ، تشيـع وأعلن التشيع في جميع مملكته ، لكن ذلك لم يجد شيئاً لندرة دعاة الشيعة في بلاده آنذاك . ولأن العقيدة لا يمكن أن تفرض بمرسوم يصدر عن الحاكم ، ولأن هذا الإعلان دفع دعاة السنة إلى النشاط في الدفاع عن الإسلام ، مات خدابندة ٧١٦هـ / ١٣١٦م .

وفي القـرن التـاسـع الهجـري ظهرت الطرق التي كان لها الدور الحاسم والنهائي في تحويـل الفـرس إلى شيعة ، هذه الطرق هي : النوربخشية ، المشعشعية ، النعمتللاهية ، ثم الصفوية في دورها الثاني .

قبـل إلقـاء نظـرة سريعـة على هذه الطـرق ، لا بأس من قراءة تضاف إلى ما سبق لبعض ما يقـولـه البـاحثـون في وصف الظروف التي كانت تعيشها المجتمعات المسلمة في فارس وغيرها ، يقول (الشيبي) :

« . . . لقـد كانت روح اليأس والشعـور بالضعف تملأ المجتمـع الإسـلامي في هذه الفترة إلى حد أن السلاطين الذين كان بيدهم زمام الأمور ، جعلوا وسيلتهم إلى تحقيق مطامعهم اللجوء إلى الطلاسم والأدعية على طريقة البوني[2] . وكان من انتشار هذا الميل بين النـاس أن انتصـار «شـاهرخ» على قرا يوسف في سنة ٨٢٨هـ / ١٤٢٠م نسب إلى تلاوة القراء لسورة الفتح اثني عشر ألف مرة ، ومن هنا جعل المصنفون يتجهون إلى هذا النوع من المعرفة ، ويسجلون ما مر بهم من حوادث مماثلة ، ليجعلوا من هذا التصرف علماً قائماً بذاتـه ، ومن أمثـال ذلـك ما فعله «الغياثي» المعاصر لابن فلاح من تعليل قتل «بير بودان» سنة ٨٧٠هـ / ١٤٦٦م بكونه من تأثير القران الثاني بالسرطان ، وقتل «جهانشاه»

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية ، ص١٧٣ .

(٢) أحمد بن علي البوني في كتابه «شمس المعارف الكبرى» .

هازم «بير بوداق» سنة ٨٧٢هـ تحقيقاً لنبوءة القرآن في قوله: ﴿غُلِبَتِ الرُّومُ﴾، باعتبار هذه السنة تقابل قيمة ﴿بِضْعِ سِنِينَ﴾[1] القرآنية الواردة في هذه السورة، وهزيمة جهانشاه على يد حسن بك بقول عبد الرحمن البسطامي (من الحروفيين): «إذا زاد الجيم في الطغيان فمعه ميم ابن عثمان»، وقد قرنت الأحداث التي تمت على يد المشعشعين بقرانات مثل هذه أيضاً . . . ومن هنا كان في إمكان الإنسان أن يستكنه المستقبل عن طريق التعمق في دراسة أسرار القرآن والاجتهاد في تنمية قوة الكشف النفسية، مع معين من العلم بالأعداد والحروف وتجمعات النجوم ودلالاتها. وكان من الطبعي في ظروف مثل هذه أن ترتفع مكانة الكرامات الصوفية التي تطورت إلى مسائل عملية تذهل الناس وتستأثر باهتمامهم، وبذلك سمت مكانة الصوفي الاجتماعية . . . أهـ.».

- إذن، ففي مثل هذه الأرضية الاجتماعية، كان باستطاعة الشيخ الصوفي أن يحرك أتباعه كما يريد، وأن يجعلهم يعتقدون مايريد، وأن يقدموا له أموالهم وأرواحهم وأبناءهم ونساءهم رخيصة لا يبتغون في ذلك شيئاً إلا رضى الشيخ على أنه رضى الله.

لكن، رغم كل هذه التطورات، بقيت نسبة السنة أكثر من نسبة الشيعة في فارس، حتى جاءت الطرق التي كانت الحاسمة في الموضوع. وهي:

النوربخشية: مؤسسها واهب الأنوار «نوربخش»، مات سنة ٨٦٩هـ، شيعي كان يعلن أن همه هو الجمع بين التصوف والتشيع[2]، أخبره كشفه أنه المهدي المنتظر (لم تكن خرافة محمد بن الحسن العسكري قد انتشرت بعد)[3]، وساعده في ذلك اسمه «محمد بن عبد الله»، وسمى ابنه: «القاسم»، فصار: «أبا القاسم محمد بن عبد الله»، كما عرف عن طريق الكشف أنه من سلالة فاطمة الزهراء، انتشرت طريقته انتشاراً واسعاً بسبب الخوارق التي كانت تجري على يديه، وبسبب مهديته وعلويته، وبسبب الظروف

(١) كلمة «بضع» فقط هي التي تطابق ٨٧٢ بحساب «الجمّل الكبير».

(٢) الصوفية بين الأمس واليوم ص١٣٧.

(٣) المهدي عند الشيعة الآن هو محمد بن الحسن العسكري، مع العلم أن الحسن العسكري توفي دون أن ينجب، ومحمد المزعوم هذا غائب في مغارة سامراء منذ ألف ومائة وخمسين سنة، وهم ينتظرون خروجه ليحكم بأحكام داود ولا يُسْأل عما يفعل ويستوزر سبعة وعشرين من قوم موسى، ويحيي الله له الصحابة والخلفاء فيقتلهم وعلى رأسهم أبو بكر وعمر.

الاجتماعية المؤاتية، وكان أكثر أتباعه من السنة الذين تشيعوا انقياداً وراء شيخهم، إذ المريد يجب أن يكون بين يدي شيخه كالميت بين يدي الغاسل، وكان الجهل أكبر مساعد، وقد انتشرت النوربخشية في أواسط إيران وجنوبها وبعض شمالها. ولقد حاول نوربخش الانقضاض على الملك، حيث بدأ حركته ٨٢٦هـ / ١٤٢٣م في كوه تيري من قلاع ختلان، وكان أنصاره يلقبونه ألقاباً كثيرة، منها: «الإمام والخليفة على كافة المسلمين»[1]، لكنه فشل، بسبب انشقاق قسم من أتباعه، وانضمامهم إلى الطريقة الهمدانية، وشيخها آنذاك «عبد الله المشهدي»، خصم نوربخش، وهنا يظهر دور الهمدانية بالتشييع على النفس الطويل.

وبعد أن استولى الصفويون على ملك إيران بمدة، هرب شيخ النوربخشية آنذاك «طاهر بن رضا الإسماعيلي القزويني» ومعه جمع من أتباعه إلى الهند، حيث نشر هناك في ولاية «أحمد نكر» الطريقة والتشيع، وكذلك في كشمير، بجهود مير شمس العراقي، الذي يقال: إنه أدخل (٣٤) ألفاً من الهنادكة في النوربخشية (الشيعية طبعاً)[2].

المشعشعية: ظروفها تشبه ظروف النوربخشية، فقد كان مؤسسها محمد بن فلاح شيعيًّا، أخبره الكشف أنه من آل البيت، وأنه المهدي المنتظر (مهدي السنة طبعاً)، وكان معاصراً لنوربخش، كثر أتباعه بسبب مهديته ونسبه (المدَّعى)، وخوارقه (التشعشع)، وكان أكثر أتباعه في الأصل من السنة الذي تحولوا إلى شيعة اتباعاً لشيخهم، حتى استطاع أن يؤسس بهم دولة في خوزستان، عاصمتها «الحويزة»، عرفت بالدولة المشعشعية.

يقول المؤرخون لهذه الحركة:

«... يبدو أنهم (المشعشعين) كانوا في حروبهم واقعين تحت تأثير قوة شيخهم المغناطيسية، فلم يكونوا يشعرون بما حولهم، بل كانوا يقدمون على خوض المعارك في حال من الذهول والغيبة عن الحس»[3].

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٣٥.
(٢) الإمام السرهندي حياته وأعماله، ص٣٨.
(٣) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣١٨.

ويقـولـون: «وينبغي أن نتذكر أن حركة المشعشعين قامت في بدئها على التصوف، حتى وصف محمد بن فلاح بأنه كان جامعاً بين المعقول والمنقول، وصوفيًّا صاحب رياضة ومكاشفة وتصرف، وأنه انتقل من التصوف إلى التشيع فشكله بأشكال شيعية»[1].

ـ أقول: لقد كان شيعيًّا قبل تصوفه، تشيع على يد أستاذه وأبي زوجته الشيخ أحمد بن فهد الحلي، وقد تخاصما فيما بعد، وذهب محمد بن فلاح إلى القبائل التي كانت تسكن قرب واسـط، وأفتى ابن فهـد بقتله، وأرسـل رسولاً إلى أمير القبائل التي كان ابن فلاح بينها، يطلب إليه القبض عليه، فلم ينقذ ابن فلاح إلا قسمه بأنه سني صوفي، وبأن ابن فهد وأتباعه شيعة ومن أعدائه[2].

إن هذه الحـادثـة تظهـر أن التشيـع في جنوب العراق والغرب الأوسط من إيران كان حتى ذلك الوقت مستهجناً، وكانت الأكثرية الساحقة من السنة.

بعـد هذه الحـادثـة انتقـل ابن فلاح إلى خوزستـان، وهناك أسس طريقته الصوفية وشيَّع أتباعه، ثم أعلن مهديته ٨٤٠هـ، وجمع أموالاً كثيرة من قطع الطرق على الحجاج وغيرهم، ثم أعلن نفسه «ملكاً»، وبقيت مملكته حتى اجتاحها الصفويون.

* النعمتللاهيـة: مؤسسهـا نعمـة الله الـولي، من إحـدى قرى حلب، سني حنفي المـذهب، تخرج بالطريقة الشاذلية، انتقل إلى فارس، وهناك أسس طريقته، حيث تأثر بجـو التشيـع الـزاحف، فصـار شيعيًّا، وهنا أعيد القول أيضاً، بأن هذا التشيع الزاحف كان من التشيـع المعتـدل، أي إنهم كانـوا يرون أن الخـلافـة يجب أن تكـون في البيت العلوي، وكـانـوا يشتمـون الأمـويـين، وكـانـوا يحترمـون صحابة رسول الله ﷺ ما عدا معـاويـة، وينتهجـون المـذاهب السنيـة في الفقه، هكذا كان تشيع المتشيعين في إيران في ذلك الوقت؛ وتحول نعمة الله إلى التشيع يعني أنه صار يرى الخلافة محصورة في آل البيت العلوي، وصـار يشتم الأمـويـين، وبقي يسـمي نفسـه سنيًّـا، أي إن الفـرق بينـه وبين المتشيعة في ذلك الوقت في إيران، كان هو الاسم فقط، أما المضمون فكان واحداً.

ومثـل غيره من الأوليـاء أخبره الكشف أنه من سلالة علي بن أبي طالب، وأن أئمة

---

(١) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٢٧. (٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٠٤.

الشيعة هم أجداده، وأسس طريقته وهي «جالسة صائتة»، حيث كان المريدون قبل الشروع في الذكر يسجدون له، ثم يضعون اليد اليمنى على الركبة اليسرى، واليد اليسرى على الركبة اليمنى، ويرددون «لا إله إلا الله»، مائلين بأجسامهم من اليسار إلى اليمين مع الناي والدف.

وهؤلاء المريدون الذين يسجدون لشيخهم (وكل الصوفية كذلك وإن أخفوها تقية)، تحولوا إلى عقيدة شيخهم، أي صاروا شيعة يسمون أنفسهم سنة، وطبعاً أمر هذا الاسم هين في مثل تلك الظروف.

وهكذا جاءت النعمتللاهية لتشيع من شرد على الطرق التي كانت تعلن التشيع، لقد شيعت أتباعها وشيعت عواطفهم وأبقت اسم السنة عليهم.

- لم ينتصف القرن التاسع حتى كان الفرس قد دخلوا في التشيع عن طريق الصوفية، وإن كان بعضهم ما زال يسمي نفسه سنيًّا، وكانوا كلهم - إلا النادر - من الشيعة المعتدلة، الذين كانوا يحترمون صحابة رسول الله ﷺ، ويتبعون المذاهب السنية، حتى جاءت الصفوية في مرحلتها الثانية التي كانت حاسمة في هذا الموضوع.

الصفوية في مرحلتها الثانية: توسعت كثيراً، وزاد أتباعها بازدياد الإقبال عليها، ودعم موقف تيمورلنك وجماعته التقديسي لها ولشيوخها (ويجب أن ننتبه هنا إلى أن موقف تيمورلنك كان امتداداً للقناعات الفكرية المنتشرة في مجتمعه، وأنه، بصفته حاكماً، كان نتيجة، أو انبثاقاً لها)، وفي العقود الأخيرة من القرن التاسع، في زمن شيخها حيدر بن جنيد بن إبراهيم بن علي بن صدر الدين موسى بن صفي الدين (توفي سنة ٨٩٣هـ) بلغت قمة قوتها، حتى استطاع إسماعيل بن حيدر وهو في الرابعة عشرة من عمره أن يؤلف جيشاً من أتباع أبيه يسيطر به على إيران كلها، ثم أعلن نفسه ملكاً على إيران سنة ٩٠٥هـ. ولنستمع في ذلك إلى محمد جواد مغنية، يقول:

«. . . هو إسماعيل بن حيدر بن جنيد بن صفي الدين الذي ينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم عليه السلام، وهو أول ملوك الصفوية ومؤسس دولتهم، وكان آباؤه وأجداده من العرفاء وشيوخ الصوفية، فلقبوا بلقب «سلطان»، وما إن أتم إسماعيل العام الرابع عشر من عمره حتى ألف جيشاً من أتباع أبيه ومريديه، وقاده بنفسه للغزو والفتح،

وكانت إيران يومذاك موزعة الأطراف بين العديد من الملوك والأمراء ورؤساء القبائل . . .»[1]. اهـ.

ويقول كامل مصطفى الشيبي :

«. . . وسنرى أن فقهاء الشيعة في إيران كانوا من القلة بحيث اضطر الصفويون إلى استقدام فقهاء الشام ليساعدوا في نشر التشيع في بلادهم، وتنظيم الدولة على أساس منه . . .»[2] أهـ.

ـ نقول: في الواقع كان التشيع قد عم كل إيران، ولكنه كان تشيعاً معتدلاً ينتهج المذاهب الفقهية السنية، فاستقدم الصفويون فقهاء الشيعة من الشام، وكانوا نصيريين، ولعل فيهم فقهاء من شيعة جبل عامل (المتاولة)، إذ الفقه الشيعي كان محصوراً بين هؤلاء وبين الإسماعيلية، على اختلاف بينهما في الأصول والفروع، ولعل متاولة جبل عامل كانوا قد دخلوا في الغلو قبل ذلك.

جاء فقهاء الشيعة الشاميون إلى فارس، ليفقهوا الشيعة بفقه الشيعة، وطبعاً، في تلك الظروف (بجميع جوانبها) يجب أن يحدث تفاعل وتداخل وتوازن بين الفقه النصيري وجوانب من فقه الإسماعيلية الذين كان لهم وجود، والفقه السني الذي تنتهجه غالبية الشيعة، وكان علماؤه قليلين، وعلمهم ضحلاً بسبب الصوفية.

تعلم الشيعة في فارس والعراق فقه الشيعة، وصاروا كلهم من الغلاة، وإن استمروا على تسمية أنفسهم من «المعتدلين»، يقول آية الله المامقاني[3]، أكبر علمائهم في الجرح والتعديل :

«إن ما كان به الغلاة الأقدمون غلاة، أصبح الآن عند جميع الشيعة الإمامية من ضروريات المذهب»[4].

---

(١) الشيعة في الميزان، ص١٧٥.
(٢) الفكر الشيعي والنزعات الصوفية، ص٣٣٨.
(٣) محمد حسن بن عبد الله المامقاني، توفي في النجف سنة ١٣٢٣هـ / ١٩٠٥م.
(٤) الخطوط العريضة، ص٤٢.

ويورد السيد عبد الله بن الحسين السويدي العباسي[1] نصًّا عن سجل لنادرشاه (ملك إيران)، قرىء يوم الخميس ٢٥ شوال ١١٥٦، يقول:

«... ولم يكن في نواحي إيران ولا في أطرافها سب (أي سب الشيخين والصحابة)، ولا شيء من هذه الأمور الفظيعة، وإنما حدثت أيام الخبيث الشاه إسماعيل الصفوي...»[2].

ومن الطبيعي أن يظهر في المذهب الجديد علماء، وككل عقيدة جديدة تظهر على مسرح الوجود، يكون أتباعها متحمسين لنشرها باندفاع بالغ، كذلك كان علماء المذهب الجديد ودعاته، انتشروا للدعوة لمذهبهم الجديد، وخاصة بين الشيعة الغلاة والمعتدلة، ومع الزمن والمثابرة على الدعوة تحول القرامطة الذين كانوا يسكنون الشواطىء العربية من خليج البصرة، وكذلك شيعة بلاد الشام، وكثير من الإسماعيلية والفرق الشيعية الأخرى (باستثناء الفرق في اليمن) إلى المذهب الجديد: مذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية التي صارت من الغلاة، مع العلم أن أكثر متاولة الهند تحولوا من الهندوسية أو من السنة بعد ذلك.

وكان اسم «المتاولة»، ولم يزل يطلق على شيعة جبل عامل في جنوب لبنان، بينما غالبية الشيعة في العراق وإيران والهند لا يسمون أنفسهم هذا الاسم، وإنما «شيعة إمامية اثني عشرية» علماً بأن مذهب الجميع واحد بكل أصوله وفروعه ومراجعه.

وهكذا أحدث التصوف فيما أحدثه من تدمير، أكبر شرخ في جسم الأمة الإسلامية كان من الأسباب الواضحة في ضعفها واندحارها.

وقد احتاجت عملية التحويل هذه إلى قرنين ونصف من الزمن، كانت الصوفية خلالها تعمل بدأب واستمرار، والمسلمون وفقهاؤهم في غفلة مستسلمون بحجة حب آل البيت وإحسان الظن بالمسلمين، وكأن حب آل البيت وإحسان الظن بالمسلمين يمنع من وجوب معرفة الحق والأمر به، وتمييز الباطل والنهي عنه، على أن العامل المسبب لهذه

---

(١) عالم بغدادي متوفى سنة ١١٧٤هـ / ١٧٦١م.

(٢) مؤتمر النجف، ملحق بكتاب الخطوط العريضة، ص٩٧.

الغفلة وهذا الاستسلام هو التصوف ذاته، وما بث من عقائد وفرض من جهل طيلة قرون.

ومن آثار الفقه النصيري البارزة في المذهب الجديد، سب أبي بكر وعمر، وتكفير صحابة الرسول ﷺ، وتأليه الأئمة الاثني عشر، والعصمة، والبداء، والتقية، والرجعة (أي: خرافة مهديهم محمد بن الحسن العسكري الغائب في مغارة سامراء، منذ حوالي اثني عشر قرناً، وهم ينتظرون خروجه)، وقد رأينا أسلافهم، نوربخش والمشعشع والآخرين، كيف كانوا يدعون المهدوية السنِّية، لأن محمد بن الحسن العسكري لم يكن معروفاً لا هو ولا رجعته إلا عند النصيرية وعند بعض من كان قد تأثر بهم قبل ذلك.

وكان أول المتأثرين بالفقهاء النصيرية الوافدين هم أتباع الطريقة الصفوية المباشرون، لأنهم كانوا أول من يستقبل أولئك الفقهاء وأول من يأخذ عنهم، وكانوا يقضون فيهم أكثر من البقاء في غيرهم من الإيرانيين، لذلك انقلب أتباع الطريقة الصفوية إلى النصيرية بكل ما فيها من عجر وبجر.

صار أتباع الطريقة الصفوية في عهد إسماعيل بن حيدر، وبناء على أوامره أو أوامر أبيه، يلبسون طرابيش حمراً، فأطلق عليهم اسم «قزلباش»، أي: الرؤوس الحمر، وبانتهاجهم منهج النصيرية، شكلوا فرقة جديدة في الأمة الإسلامية، معروفة الآن باسم «القزلباشية» التي سنراها فيما يأتي.

ولعل من المفيد أن نذكر أن نادرشاه (ت: ١١٦٠هـ / ١٧٤٧م) أراد أن يعيد الشيعة إلى التشيع المعتدل ثم إلى السنة بقوة الحكم، فأصدر مرسوماً يقول فيه من جملة ما يقول:

«... فاعلموا أيها الإيرانيون أن فضلهم (أي الخلفاء الراشدين) وخلافتهم على هذا الترتيب، فمن سبهم أو انتقصهم فماله وولده وعياله ودمه حلال للشاه، وعليه لعنة الله وملائكته والناس أجمعين، وكنت شرطت عليكم حين المبايعة في صحراء مغان عام ١١٤٨ رفع السب، فالآن رفعته، فمن سب قتلته وأسرت أولاده وعياله وأخذت أمواله ...»[1]. اهـ.

---

(١) مؤتمر النجف، ملحق بكتاب «الخطوط العريضة»، ص٩٦.

ولكن كما قلنا، إن العقيدة لا يمكن أن تفرض من الحاكم، ولذلك لم تُجْدِ محاولة نادر شاه شيئاً، وبالعكس، فقد اغتاله قواده بعد حوالي أربع سنوات، وبقي الغلو.

ولو استغل دعاة الإسلام وفقهاء السنة هذا الظرف، وانتشروا بين الشيعة يدعون إلى طريق الحق، لتركوا آثاراً ظاهرة قد تكون سبباً في تغيير تاريخ الأمة الإسلامية.

وهكذا كانت الصوفية وراء أكبر شرخ في جسم الأمة، وكذلك كانت وراء الفرق الأخرى التي منها:

*** القزلباشية:ـ**

يصفها أحمد حامد الصراف كما يلي: القزلباشية فرقة دينية منتشرة في بر الأناضول، وهي تعتبر شيعية المذهب في نظر المسلمين، وهي تقارب كل المقاربة نصيرية سورية، وهم يسمون أنفسهم «العلوية» . . . وهم يخالفون المسلمين بأمور منها: أنهم لا يحلقون رؤوسهم . . . ولا يصلون الصلوات الخمس، ولا يتوضؤون، ويكرعون الخمر، ولا يحافظون على صوم شهر رمضان، ويصومون اثني عشر يوماً من الأيام الأولى من المحرم، ويندبون الحسن والحسين . . . وعندهم أن عليًّا تجسد فيه الإله[1] . . .

ويقول عنهم أيضاً: القزلباشية في بدء نشأتها كانت تسمى «الصفوية» نسبة إلى قطب الأقطاب صفي الدين إسحاق الأردبيلي . . . وهو الجد السادس للشاه إسماعيل الصفوي[2] . . . اهـ.

وقد رأينا قبل قليل كيف تم التحول من الصفوية إلى القزلباشية، ولها وجود في أفغانستان أيضاً.

*** الروشنائية:ـ**

نسبة إلى «بير روش»، أي: الشيخ المنوّر، بايزيد بن عبد الله، ولد عام ٩٣١هـ، يقول المترجمون له: صحب اليوغيين، وبدأ يرى رؤى ويسمع أصواتاً تناديه من وراء الغيب، فاشتغل بالذكر الخفي، ثم استغرق في ورد «الاسم الأعظم»، فلما بلغ الحادية

---

(١) الشبك، ص٢٤٣.
(٢) الشبك، ص٤٨.

والأربعين من عمره هتف به هاتف من السماء، أنه لم يعد في حاجة إلى الطهارة الشرعية، وينبغي له أن يصلي صلاة الأنبياء بدل صلاة المسلمين . . . وانصرف إلى الرياضة الأربعينية . . . وتعاليمه التي وردت في كتابه «صراط التوحيد» يظهر عليها أثر التعاليم الصوفية الغالية.

مات بير روش سنة ٩٨٠هـ بعد أن انتشرت طريقته (أو فرقته) انتشاراً واسعاً في الهند، ثم أخذت تتقلص بعده حتى انقرضت[1]. (لننتبه أن كلمة «روش» تحمل نفس معنى كلمة «بوذا» أي: المستنير. وكان وأتباعه يصرحون بوحدة الوجود (أي من أهل الوحدة المطلقة).

* المهدوية :-

مؤسسها محمد بن يوسف الجونبوري الذي نشأ في أواخر المائة التاسعة ببلدة جونبور في الهند، وادعى أنه المهدي، وكان أزهد الناس وأورعهم.

من معتقدات المهدوية أن السيد محمد بن يوسف الجونبوري، مهدي موعود، وأنه أفضل من أبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم، بل إنه أفضل من آدم ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى على نبينا وعليهم السلام، وأنه مساو لسيدنا محمد ﷺ في المنزلة، وإن كان تابعاً له في المذهب، وأنه ومحمد ﷺ كلاهما مسلم كامل وسائر الأنبياء ناقصو الإسلام، وأنه شريك في بعض الصفات الإلهية، بعد فوزه بمنصب الرسالة والنبوة . . .

انتشر هذا المذهب في غجرات والدكن من بلاد الهند، ومما وصف به هذا المهدي: «إنه كان صاحب المقامات العالية، ذا كشوف وكرامات».

ومن أقوال المنتقدين له: «إنه كان كذلك، ولكنه أخطأ في دعواه لوقوع الخطإ في الكشف».

ومن أقوال أحد علمائهم وهو الشيخ غلاب بن عبد الله المهدوي: «إن للمهدوية أصولاً وفروعاً، الأول منها التوبة . . . والعمل الصالح . . . ودوام الذكر على طريقة

---

(١) الإمام السرهندي، ص٤٢ وما بعدها.

حفظ الأنفاس. . .»[1]. . . اهـ.

وهكذا يتضح دور الصوفية، فقد كان محمد بن يوسف الجونبوري صاحب مقامات وكشوف، وشاهد بالكشف ما ألقاه إلى مريديه . . . ومن أصولهم دوام الذكر على طريقة حفظ الأنفاس . . . وللعلم: حفظ الأنفاس حسب إيقاع معين هو أحد أساليب الرياضة الإشراقية التي توصل إلى الجذبة.

* القاديانية :ـ

مؤسسها الميرزا غلام أحمد القادياني (نسبة إلى بلدة قاديان)، مات سنة ١٩٠٨م، صوفي أخبره الكشف أنه مكلف من الله تعالى بإصلاح الخلق على نهج المسيح عيسى بن مريم عليه السلام، وقد صرح أن له إلهام ومكاشفات. ومن مكاشفاته:

ـ روح المسيح حلت فيه.

ـ ما يلهمه هو كلام الله كالقرآن الكريم والتوراة والإنجيل.

ـ المسيح (الذي هو هو) سينزل في قاديان.

ـ قاديان هي البلدة المقدسة الثالثة المكنى عنها في القرآن بالمسجد الأقصى.

ـ الحج إليها فريضة.

ـ أوحي إليه بآيات تربو على عشرة آلاف آية.

ـ من يكفر به فهو كافر.

ـ القرآن ومحمد وسائر الأنبياء قبله قد شهدوا له بالنبوة وعينوا زمن بعثته ومكانها. اهـ.

ومن أقواله التي تثبت صوفيته، وأن ما جاء به كان من الكشف، قوله:

. . . وإني ما قلت للناس سوى ما كتبت في كتبي، أي إني محدَّث، وإن الله يكلمني كما يكلم المحدَّثين . . . جاء جبريل واصطفاني وأدار إصبعه وأشار أن ربك سيعصمك

---

(١) الثقافة الإسلامية في الهند، ص٢٢٣ و ٢٢٤.

من الأعداء[1]. . .

ومن أقـوالـه: لقد حرم الذين سبقوني من الأولياء والأبدال والأقطاب من هذه الأمة المحمدية من النصيب الأكبر من هذه النعمة (المكالمة الإلهية)، ولذلك خصني الله باسم «النبي»، أما الآخرون فلا يستحقون هذا الاسم[1]. . . اهـ.

نرى المـيرزا نفسـه يعـترف بأنه من الأقطاب، وأنه محدَّث، وأنه مكاشف، وأنه من بين الذين سبقوه من الأولياء والأبدال والأقطاب هو الوحيد الذي خصه الله بالنبوة.

أي إن الصـوفيـة هي وراء القـاديـانية، وطبعاً هناك خلفيات ليس هنا مجال بحثها، لكن لا بأس من التذكر هنا أن الصوفية اليهودية هي التي تسمي الواصل فيها «نبيًّا».

* البريلوية: طريقة صوفية منتشرة في شبه الجزيرة الهندية، نشأت شديدة الانحراف عن الإسـلام، ولعله لن يمضي وقت طويـل حتى ينسى أتبـاعهـا أنهم أتباع طريقة صوفية، وتغـدو ديـانـة جديدة مستقلة، والتشيع فيها واضح، وهم يكفِّرون بشكل خاص الجماعة الإسـلاميـة في الهنـد، والـديوبنديين، وجماعة الدعوة والتبليغ، وإذا شعروا أن أحداً من هذه الجماعات دخل مساجدهم، فالويل له والثبور.

* الشبكية: يدين بها أهل قرى في شرق الموصل، معروفون باسم «الشبك»، ولعله اسم للقبيلة، أو للشيخ الذي استقل بها، يقول عنها أحمد حامد الصراف:

. . . وأمـا مذهبهم فقـد كانـوا إلى ما قبـل ثلاثـين أو أربعـين سنة (أي قبل الحرب العـامـة الأولى)، بكتاشية يراجعون فيه جلبي قونية ويتلقون منه الإشارة، وكان أحدهم إذا ذهب إلى زيارة كربلاء، يراجع وكيلاً لجلبي قونية هناك[2]. .

ويقـول في مكـان آخـر: الشبـك؛ طريقـة صوفيـة، وللانخراط في سلكها مراسيم خاصة، وبقية العقائد تشبه ما في البكطاشية[3]. اهـ.

أقول: لا يقول الشبك الآن عن أنفسهم إنهم أتباع طريقة صوفية، ولعل أكثرهم لا

---

(1) القاديانية، حسن عبد الظاهر، ص٧٧.

(2) الشبك، ص٨.

(3) الشبك، ص٤٧.

يعرفون ذلك، وإنما يعتقدون جميعهم أنهم على دين خاص سرِّي لا يجوز البوح به.

* **الكشفية أو الشيخية**: نسبة للكشف، تفرعت عن التشيع الإيراني، إذن فجذورها الأساسية هي الصوفية، لأن الصوفية هي التي حولت إيران إلى شيعة، ومع ذلك فقد تشكلت الكشفية أيضاً عن طريق الصوفية، بدلالة اسمها «الكشفية» من الكشف الذي كان مؤسسها يقول: إنه حصل له، (مع إنكاره على المتصوفة).

أسسها الشيخ أحمد زين الدين الأحسائي (١١٦٦هـ / ١٧٥٣م - ١٢٤١هـ / ١٨٢٦م)[١]، ومن عقائدها:

الحقيقة المحمدية تجلت في الأنبياء تجلياً ضعيفاً، ثم تجلت تجلياً أقوى في محمد والأئمة الاثني عشر، ثم اختفت زهاء ألف سنة، وتجلت في الشيخ أحمد الأحسائي ثم في تلميذه كاظم الرشتي، ثم تجلت في كريم خان الكرماني وأولاده إلى أبي قاسم خان، وهذا التجلي هو أعظم التجليات لله. والأنبياء والأئمة والركن الرابع (الشيخ أحمد وخلفاؤه) هم شيء واحد يختلفون في الصورة، ويتحدون في الحقيقة التي هي (الله ظهر فيهم). والشيخ أحمد وخلفاؤه هم أفضل من جميع الأنبياء والمرسلين، وهم يعبدون عليًّا على أنه الله. ودور الصوفية واضح فيها من «الكشف، الحقيقة المحمدية، تجلي الحقيقة المحمدية، تجليات الله». وأما الاسم «الشيخية»، فهو نسبة إلى «الشيخ» أحمد الأحسائي، وهم يسيرون على نهج الطريقة الحروفية[٢].

* **البابية**: مؤسسها «الباب» علي محمد رضا الشيرازي، تسلك في الطريقة الشيخية على يد الشيخ عابد، أحد تلامذة كاظم الرشتي، واشتغل بعلم الحروف حسب الطريقة الحروفية، ثم انتقل إلى النجف وكربلاء، وتتلمذ على كاظم الرشتي نفسه، كما اتصل بالمتصوفة حيث انقطع مع نفر من أصحابه إلى الرياضة الصوفية أربعين يوماً (الأربعينية)، ثم خرج وهو يتكلم بالعلوم اللدنية، وبالكشف أوحي إليه كتاب البابية المقدس «البيان»، وهذه نبذ منه:

---

(١) يوجد خلافات في تاريخ ولادته وموته، وقد اعتمدت هنا أعلام الزركلي.
(٢) حقيقة البابية والبهائية، ص٤٥ وما بعدها.

«لا تتعلمن إلا بما نزل في البيان، أو ما ينشأ فيه من علم الحروف وما يتفرع على البيان، قل يا عبادي تتأدبون ولا تخترعون، ثم تخضعون على أنفسكم ثم تنصتون، ثم الواحد من بعد العشر أن لا تتجاوزون عن حدود البيان فتحزنون».

«إنا قد جعلناك جليلاً للجاللين . وإنا قد جعلناك عظيماناً عظيماً للعاظمين . وإنا قد جعلناك نوراً نوراناً نويراً للناورين . وإنا قد جعلناك رحماناً رحيماً للراحمين . وإنا قد جعلناك تماماً تميماً للتامين . قل إنا جعلناك كمالاً كميلاً للكاملين . قل إنا قد جعلناك كبراناً كبيراً للكابرين . قل إنا قد جعلناك حباناً حبيباً للحابين . قل إنا قد جعلناك شرفاناً شريفاً للشارفين . قل إنا قد جعلناك سلطاناً سليطاً للسالطين . قل إنا قد جعلناك ملكاناً مليكاً للمالكين . قل إنا قد جعلناك علياناً عليلاً للعالين . قل إنا قد جعلناك بشراناً بشيراً للباشرين . . .».

«تبارك الله من شمخ مشمخ شميخ . تبارك الله من بذخ مبذخ بذيخ . تبارك الله من بدء مبتدىء بديء . تبارك الله من فخر مفتخر فخير . تبارك الله من ظهر مظهر ظهير . وتبارك الله من قهر مقهر قهير . وتبارك الله من غلب مغتلب غليب . . .» إلخ.

هذه نماذج من علوم الباب اللدنية الكشفية، والكتاب محشو بالعبارات الصوفية والمشيرة إلى وحدة الوجود.

مع ملاحظة هامة، هي أن من أصحاب الباب السابقين ما يقرب من أربعمائة يهودي، اثنان منها حاخامان.

كان إعلان الباب عن دعوته سنة ١٢٦٠هـ / ١٨٤٤م، وهو ابن خمس وعشرين سنة، وقد أصدر العلماء فتوى بقتله على الردة، ونفذ فيه حكم الإعدام بأمر من الشاه ناصر الدين سنة ١٢٦٥هـ / ١٨٤٩م[1].

والمهم أن نعرف أن الصوفية كانت وراء البابية مع عوامل أخرى طبعاً.

* البهائية: تفرعت مباشرة عن البابية، إذن فجذورها صوفية، بالإضافة إلى الدور

---

(١) حقيقة البابية والبهائية، ص٥٧ وما بعدها.

الرئيسي الذي لعبته الصوفية في نشأتها.

مؤسسها (بهاء الله) الميرزا حسين علي بن الميرزا عباس بزرك المازندراني النوري، ولد سنة ١٢٣٣هـ، وكان يعاشر الصوفية ويتعب نفسه في قراءة كتبهم، انضم إلى البابية مع أوائل من انضم إليها، تنقل ورجع إلى طهران، ثم نفي إلى بغداد، واشتد الخلاف بينه وبين البابية، فهرب خفية إلى غار قريب من قرية «سركلو» التابعة لناحية «سورداش» في لواء السليمانية شمالي العراق، وأظهر هناك النسك والتصوف، وكان يحضر مجالس الصوفية كثيراً.

يقول صاحب كتاب «حقيقة البابية والبهائية»:

. . . وهناك رافد آخر أثر في عقله وثقافته وأسلوبه، وهو المذاهب الصوفية، وبالأخص ما يتصل بوحدة الوجود والحلول والفناء، ولا غرابة في ذلك، فلقد خالط الصوفية منذ صغره، وتتلمذ على أيديهم . . . وتأثير الكتابات الصوفية قد بلغ في أسلوب الميرزا حسين مبلغاً عظيماً، حتى إنك لا تكاد تقرأ صفحات من كتاباته إلا وتحسب نفسك أمام كتاب من كتب متطرفي الصوفية في معانيه ومبانيه. . . اهـ.

وله كتب مقدسة، منها: «الإيقان»، و«الأقدس»، و«الإشراقات»، وغيرها.

وهذه نبذ من «إشراقات بهاء الله»، يقول مخاطباً البابيين:

«يا ملأ البيان، ضعوا أوهامكم وظنونكم ثم انظروا بطرف الإنصاف إلى أفق الظهور، وما ظهر من عنده ونزل من لدنه، وما ورد عليه من أعدائه . . قد حبس مرة في الطاء، وأخرى في الميم، ثم الكاف مرة أخرى . . .».

من قوله في إشراقاته مخاطباً المسلمين:

«قل يا ملأ القرآن قد أتى الموعد الذي وعدتم به في الكتاب، اتقوا الله ولا تتبعوا كل مشرك أثيم، إنه ظهر عليٌّ شأن لا ينكره إلا من غشته أصحاب الأوهام وكان من المدحضين . . . .».

ادعى الميرزا حسين أنه المسيح عيسى عليه السلام، ثم ادعى الربوبية، وقال: إن الله يتجلى عليه، فيفنى منه العرض، ولا يبقى إلا الجوهر الرباني الخالص، ومن هنا جاء

لقبه: (بهاء الله)، ومن أقواله في ذلك:

«يا حسين، اسمع النداء من شطر السجن، إنه لا إله إلا هو الفرد الخبير، إذا رأيت أنجم سماء بياني، وشربت رحيق العرفان من كأس عطائي، قل: إلهي إلهي! لك الحمد بما أيقظتني وذكرتني في سجنك، وأيدتني على الإقبال إليك، إذا أعرض عنك أكثر عبادك».

وأساس عقيدة البهائية أن الله (جل وعلا) ليس له وجود الآن إلا بظهوره في مظهر البهاء، وكان يظهر قبلاً بمظاهر تافهة في الديانات السالفة، لكنه بظهوره في البهاء الأبهى، بلغ الكمال الأعلى...

ويصرح البهائيون في كتبهم بأن الميرزا حسين البهاء هو ربهم[1].

المهم هو أن الصوفية وراء البهائية ومنشئتها.

● وفي الختام:-

«كفر داعل» و«خان العسل» قريتان من قرى حلب، أهلها مسلمون حتى سبعينات القرن الرابع عشر الهجري، حيث وفد إليهما بعض النصيرية، وفيهم شيخان صوفيان «الشيخ حسين» وأخوه «الشيخ نصّوح»، ولعلهما من الطريقة الجنبلانية، سلكا المريدين، وكانت تحدث على أيديهما بعض الخوارق، وفي سنين قد لا تتجاوز العشرين، كان أهل القريتين قد تحولوا إلى النصيرية مع مجموعات في القرى المجاورة.

مات الشيخ حسني (لعله في العقد الأخير من القرن الرابع عشر الهجري)، وبنوا له مقاماً يناسب المقام، ولعل أخاه الشيخ نصّوح لا يزال حيًّا حتى كتابة هذه الكلمات.

ومن قصصه التي يرويها شاهد عيان:

ذهب الشيخ نصّوح إلى قرية (عَنَدان) القريبة من القريتين السابقتين لزيارة جماعة من مريديه الذين تحولوا إلى نصيرية على يده ويد أخيه، وبعد هدأة من الليل طلب من

---

(1) حقيقة البابية والبهائية، ص١٤٧ وما بعدها.

المجتمعين عنده الخروج معه إلى خارج القرية، وهناك أخبرهم أنهم سيقومون بغارة على إسرائيل؟ وأمرهم أن يفعلوا مثله.

وعادة، في الحقول والبيادر المحيطة بالقرى، يعينون الحدود بين العقارات بسلاسل من الحجارة الصغيرة (الدبش) يبنونها عليها.

أخذ الشيخ نصّوح يتناول من هذه الحجارة الواحد بعد الآخر، ويقذفها باتجاه فلسطين مع ترديد صوت «ززززززززز . . . » بصوت عال عندما ينطلق الحجر من يده، وصوت «بومْ مْ ». عندما يسقط على الأرض.

وأخذ مريدوه يفعلون نفس الشيء، يأخذون الحجارة من سلاسلها، ويقذفونها باتجاه فلسطين، وكانت أصوات «زززززززز . . . بومْ مْ . . ززززززززز . . . بومْ مْ» تنطلق في الفضاء مختلطة ببعضها مغطية على أصوات وقع الحجارة أو ارتطامها ببعضها.

بقي الفقراء هكذا طيلة ساعات، زالت بعدها معالم الحدود بين العقارات، وتوعرت أراضي سيئي الحظ الذين كان نصيبهم أن يحصل هذا الجهاد في أرضهم.

بعد منتصف الليل، عاد المجاهدون إلى بيوتهم منهكين من التعب فرحين بما تيسر لهم من الجهاد في سبيل الله على يد شيخهم العظيم.

في الصباح، ذهب أحد المجاهدين إلى دكان بقال صديق في حاجة له، وأثناء الحديث أخبره بغزوة الليل، فما كان من البقال إلا أن طلب من صديقه البقاء في الدكان ريثما يعود، وخرج مسرعاً إلى البيت الذي ينزل فيه الشيخ نصّوح، حيث وجد القوم مجتمعين عنده، فسلم وجلس بخشوع ظاهر، وبعد أن استأذن من الشيخ بالكلام قال له: يا سيدي، رأيت هذه الليلة حلماً شغلني، أريد أن أعرضه عليك، رأيت أني في إسرائيل، ورأيتك هناك، ومعك جماعة لم أتبين وجوههم، في أيديكم القنابل تلقونها على اليهود، وكانت كل قنبلة تقتل عدداً منهم.

انفلت الشيخ نصوح يصيح بصوت عال: «الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، أنت ولي، أنت مكاشف، تبركوا به يا مؤمنون هذا ولي مكاشف . . . إلى آخر ما قاله.

وعاد البقال إلى دكانه وقد ربح زبائن جدداً لبقالته.

ولعل قارئاً أو سامعاً يظن أن هذه حادثة شاذة، فنقول له: بل هي من صميم الصوفية، تورد كتبهم ما يشبهها عن أبي يعزى، وأبي مدين الغوث، وأبي الحسن الشاذلي، وأحمد البدوي، وأحمد الرفاعي، وعبد القادر الجيلاني، وغيرهم الكثير، ولعل كثيراً من القراء سمعوا الأنشودة الصوفية: «الله الله يا بدوي وجا باليُسَرى»، أي: جاء بالأسرى.

● خلاصة ما سبق :ـ

الصوفية سبب أساسي في تمزيق المسلمين، ووراء المذاهب المنتشرة التي جعلتهم فرقاً وأشياعاً.



□ الإفساد العام:

المسلمون بحمد الله كثيرون، يعدون بمئات كثيرة من الملايين، لكنهم في حالتهم الحاضرة، كما وصفهم رسول الله ﷺ: «غثاء كغثاء السيل»، وسبب هذه الغثائية هي الصوفية التي وصل فسادها في الأمة حتى الأعماق، وبيان ذلك:

أولاً: إفساد العقيدة

(أ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن الله جلت قدرته خلق الكون من العدم لا من ذاته سبحانه، وأن المخلوقات غير الخالق، وذلك بنصوص من القرآن والسنة مر بعضها في فصول سابقة . .

وجاءت الصوفية . .

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة الإسلامية إلى عقيدة وثنية هي وحدة الوجود، تؤمن أن الله هو الكون، وأن الكون والمخلوقات هي تعينات من ذاته سبحانه، تكثف كل منها حسب شكله المرئي، الذي يطلقون عليه فيما يطلقون اسم «الإناء»، ويسمون أيضاً هذه المخلوقات (أو الجزء المتعين من الذات الإلهية كما يفترون)، يسمونه «عالم الملكوت»، أما الجزء الباقي على حاله اللطيفة من الذات الإلهية (حسب افتراءاتهم)، فيسمونه: «عالم الجبروت» (سبحان الله العظيم، وتعالى علوًّا كبيراً، وما قدروا الله حق قدره).

(ب) من الإيمان في الإسلام أن الله سبحانه فوق السماوات والعرش، وذلك بنصوص من القرآن والسنة مر بعضها.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها إلى عقيدة وثنية تؤمن أن كل ما نراه وما نحسه هو الله، أو هو جزء منه سبحانه وتعالى عما يشركون. ومن تعابيرهم عن هذه العقيدة قولهم المنتشر على الألسنة: «إن الله في كل مكان»، وقولهم بتكفير من يقول بالجهة، ويعنون بالجهة «العلو»، أي إنهم يحكمون بكفر من يقول: إن الله سبحانه فوق السماوات، وبذلك يحكمون (شعروا أو لم يشعروا) بكفر القرآن والسنة، وبالتالي يحكمون أن محمداً وأصحابه كفرة، ولعلهم لم يشعروا بذلك، لأنها لا تعمى الأبصار، ولكن تعمى القلوب التي في الصدور.

وقد مر معنا قول قائلهم: إنّ ظاهر القرآن من أصول الكفر.

(جـ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن النبوة فضل من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية، تؤمن أن النبوة نتيجة لممارسة الرياضة الإشراقية، حتى قال قائلهم (ابن سبعين): لقد ضيق ابن آمنة واسعاً عندما قال: لا نبيٍ . ـدي.

(د) تؤمن العقيدة الإسلامية أن محمداً، ومثله جميع الأنبياء صلوات الله عليه وعليهم أجمعين، هم بشر مثل بقية البشر في كل شيء، وإنما يمتازون عنهم بالوحي وبالأخلاق العظيمة.

وجاءت الصوفية . . .

فحولت أتباعها عن هذه العقيدة إلى عقيدة وثنية تجعل محمداً ﷺ المجلى الأعظم للذات الإلهية، منه تنبثق المخلوقات وتعود إليه في حركة مستمرة (الحقيقة المحمدية)، وأطلقت عليه أسماء وصفات هي من أسماء الله سبحانه وصفاته، ويمكن الرجوع إلى كتاب «دلائل الخيرات» مثلاً، لرؤية هذا الشرك.

(هـ) تؤمن العقيدة الإسلامية أن أول ما خلق الله القلم . . . (الحديث).

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت أتباعها يؤمنون أن أول خلق الله هو محمد ﷺ، وللتوفيق بين الحديث وبين

ضلالهم، جعلوا «القلم» اسماً لمحمد ﷺ، واخترعوا ما سموه «الحقية المحمدية»، وتجلياتها، ليجعلوا شيئاً من التنسيق بين الإسلام وبين اليونانيات.

ونحن نسمع المؤذنين يختمون الأذان بمثل: «الصلاة والسلام عليك يا أول خلق الله....»، ونسمع عبارة: «أسبقية النور المحمدي» على ألسنة الصوفية وأتباعهم يؤكدونها ويصرون عليهم. وبذلك يكذبون محمداً ﷺ، وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً.

(و) من العقائد الإسلامية أن الوحي الذي أنزله الله على محمد وعلى سائر الرسل، إنما نزل به ملك مقرب: ﴿ذي قوة عندَ ذي العرش مَكين﴾، هو جبريل عليه السلام، كان ينزل به ويعلمه محمداً والأنبياء قبله، ويذاكره به.

وجاءت الصوفية ...

فجعلت أتباعها يعتقدون أن الوحي هو هذيان مثل هذياناتهم، وكشوفاتهم الجذبية التي تقود إليها الطريقة.

(ز) للعقائد الإسلامية، في الإسلام، مصدران فقط، لا ثالث لهما، هما القرآن، وصحيح السنة.

وجاءت الصوفية ...

فجعلت للعقائد مصدراً ثالثاً، هو الكشف والكتب المنبثقة عنه، وجعلوه - عمليًا - المصدر الأساسي للعقائد، وإن أنكروا ذلك نظريًا، أما القرآن والسنة، فما وافق الكشف قرروه، وما خالفه أولوه، ليتفق مع الكشف! وقد صرح بذلك حجتهم الغزالي في كتابهم المقدس «إحياء علوم الدين»، وكلهم بدون استثناء يقدسون الغزالي و«إحياءه»، وهذا يعني أنهم كلهم، يؤمنون بما في «الإحياء»، كما أنهم يرددون نفس الفكرة في كثير من كتبهم المتداولة.

وكتاب «الإحياء»، ومعه بقية كتب الكهانة، كالرسالة القشيرية، والحكم العطائية، وقوت القلوب، واللُّمع، وبوارق الحقائق، والفتوحات المكية، والفيوضات الربانية، وفتوح الغيب ... وغيرها وغيرها، تدرَّس في مساجد

المسلمين منذ قرون طويلة، وينشأ عليها شباب المسلمين، حتى صاروا يعتقدون أنها قمة الإسلام وقمة العلم وقمة التقوى وسبيل النجاة، بينما هي في الحقيقة الكهانة التي جاء الإسلام ليحاربها فيما يحارب.

(ح) من العقائد الإسلامية أنه يمكن أن يتبين لنا من هم أصحاب الجحيم، أما أصحاب الجنة المزكَّون، وعباد الله المخلصون، فلا نستطيع معرفتهم، بل ولا الرسول نفسه يستطيع معرفتهم إلا بالوحي: ﴿. . . وما أدري ما يُفْعَلُ بي ولا بكم إنْ أَتَّبِعُ إلا ما يُوحى إليَّ﴾، وغيرها من الآيات والأحاديث التي مرت في فصل سابق، والتي لم تمر.

وجاءت الصوفية . . .

فجعلت أتباعها، وغير أتباعها، يوزعون الولاية حسب ترتيبات شياطينهم من الإنس والجن، وحسب أوهامهم المنبعثة من هلوساتهم الكشفية وعلومهم اللدنية.

بل وأكثر من ذلك بكثير، أكثر بنسب تفوق الأرقام الفلكية بكثير، فقد جعلتهم إيحاءات شياطينهم وهلوساتهم يتحققون بما يقفز فوق الخيال والأوهام ويتجاوز قيم الأبعاد الفليكة بأكثر بكثير من الأبعاد الفلكية، جعلتهم يتحققون بالألوهية، فالولي منهم يصل إلى الإحساس والتحقق والذوق والاستشعار أنه الله (سبحان الله) بجميع أسمائه وصفاته، أو ببعضها على الأقل، إن كان في أول الوصول، وأنه يتصرف في الكون، والمتواضع منهم يتصرف بأجزاء منه، قد تصغر وقد تكبر، حسب مقامه، وهذا هو الذي لم يصل بعد إلى «حيث لا إلى».

وقد مضت على الأمة الإسلامية قرون طويلة، كانت هذه الخرافات الضلالية تشكل الجزء الرئيسي من ثقافتها وأحاديثها في أسمارها وفي وعظ وعاظها، حتى وصلت إلى ما هي عليه، بل هي الآن خير مما كانت عليه في تلك القرون.

إفساد العبادات

أقحمت الصوفية على الإسلام عبادات غريبة عنه، منها:

(أ) مزجت الرياضة الإشراقية (الخلوة، والجوع، والسهر، والذكر الإرهاقي البدعي،

والحضـرة؛ (الـراقصـة والجالسـة)، والرقص؛ (بنقص أو بدون نقص)، بالإسلام، وجعلتها طريق السير إلى الله (أي إلى الألوهية).

(ب) في الـوثنيـات طقـوس جاء الإسـلام ليحـاربها فيها يحارب، كعبادة الشيوخ والأولياء الـذين كانـوا في الجـاهليـة يسمـون «الكهـان»، (يعبـدونهم عمليًّـا وينكرون ذلك نظـريًّـا)، والاستغـاثـة بالقبـور والأمـوات، وتقـديس الأضـرحة والحجارة والقبب والأشجار . . . وغيرها.

وجاءت الصوفية . . .

فأقحمت هذه الطقوس على الإسلام، وجعلتها عبادات يتقربون بها إلى الله، إلى جانب العبـادات الأصليـة، وكثيـراً ما كنـا نرى أنـاسـاً أضـاعـوا الصـلاة وارتكبوا المنكرات، دون أي شعور بحرج، ومع ذلك كانوا ملتزمين بهذه الطقوس.

وجعلت الصوفية أتباعها يعتقدون أن الالتزام بهذه الطقوس هو من المنجيات، وأن إهمالها من المهلكات، بل وكثير من المتصوفة يعتقدون ويصرحون أنها كافية.

(جـ) ابتـدعـوا أقـوالاً وأعـمالاً أقحمـوهـا على العبادات الإسلامية الأصيلة، في أوائلها وثنـايـاهـا وأواخـرهـا، حتى صار أكثـر المسلمـين يتمسكـون بها على أنها جزء من العبـادة، لا يجوز تركـه، وقـد يقيمـون القيامة على من يتركه، مثل: التلفظ بالنية للدخول في العبادة (تكبيرة الإحرام هي المدخل للصلاة، فبطل ذلك، أو نسخ، أو عدل . . لا ندري؟ وصار المدخل هو قولهم: «نويت أصلي . . . إلخ»)، وفي كثير من المسـاجـد، شاهـدنـاهم في رمضـان بعـد صلاة العشـاء، وبإيعاز من الإمام أو الشيخ، يقولون جماعة بصوت عالٍ: «نويت صيام نهار غد من شهر رمضان . . .».

وهكـذا بقيـة العبـادات، بل وأقحمـوا هذا التلفظ على العادات، على أنها بذلك ستصير عبادات.

وأقحمـوا المصـافحـة عنـد انتهـاء الصـلاة، مع ترديـد «تقبل الله» مع الجهر جماعة بالاستغفار وغيره.

وأضـافـوا إلى الأذان في آخـره ما لم يأذن به الله ، وتكـون هذه الأضـافـة في كثير من الأحيـان أطـول من الأذان ، عدا عما فيهـا من كذب على الله ورسـوله ، كقولهم إن محمداً أول خلق الله ، كما أضافوا في أول الأذان ما يسمونه التذكير ، وذلك في أوقات مخصـوصـة ما أنـزل الله بها من سلطـان ، عدا ما يرددونـه في هذا التذكير ، من مثل قولهم : «نعم أنت مخلوق ولست بخالق ، ولكن لك الرحمن قد وكل الأمر» ، وغيرها الكثير مما تصدى العلماء لنقضه في كتبهم ورسائلهم .

وسموا ذلك : «بدعة حسنة» تبريراً لإحداثهم في دين الله .

(د) أحـدثـوا طقـوسـاً ابتدعوها ، ما أنزل الله بها من سلطان ، كمولد النبي ، وموالد من يسـمـونهم «الأوليـاء» ، ومجـالس الصـلاة على النبي بما فيها من مخالفة لأركان الذكر والـدعـاء في الإسـلام ، ومثل قراءة «صحيح البخاري» جماعة في المساجد إذا حزبهم أمر ، وغير ذلك مما يعرفه المسلمون ومما لم يرد فيه أي نص عن الرسول ﷺ ، عدا عما فيها من شركيات ومخالفات وكبائر . وقد طغت هذه الطقوس ، وتمسك بها الكثيرون على أنهـا من صميم الإسـلام يتقـربـون بها إلى الله ، حتى إن بعض من يسمُّـون «علماء» يكفرون من ينتقد هذا أو يفسقونه .

وللعلم : المعروف عن مولد الرسول ﷺ أنه كان يوم الاثنين ، أما «١٢ ربيع أول» ، فهو اختراع ، والتلفيق واضح فيه ، و«١٢ ربيع أول» من عام الفيل كان يوم خميس .

(هـ) تهاونـوا بالعبـادات بحجـة الوصول إلى مقام رفع عنهم فيه التكليف ، أو بحجة أن الشيخ يدخلهم الجنة دون حساب ، أو بحجة أن تارك العبادة منهم أفضل من العابد من غيرهم ، أو بالحجـة التي تقـول : «جـذبـة من جذبـات الحق تسـاوي عمـل الثقلين» ، أو بحجة أن قراءة الورد الفلاني أو الصلاة على النبي الفلانية أفضل من عبـادة كذا وكـذا ، أو بحجـة أن من زار قبر الشيـخ فلان ، أو رآه أو رأى من رآه أو مر بمـدرسـتـه أو اتبـع طريقتـه يغفر له كل ذنوبه ما تقدم منها وما تأخر . . . إلى آخر ما رأينا أمثلة منه في الفصول السابقة .

وبذلك كانت الصوفية وراء ابتعاد الناس عن الإسلام وإهمالهم لتعاليمه .

*** النفاق :ـ**

يقول سبحانه : ﴿إنَّ المنافقينَ في الدَّرْكِ الأسفلِ مِن النَّارِ﴾، ويقول جل وعلا : ﴿. . . والله يَشْهَدُ إنَّ المُنافقينَ لَكاذِبونَ . اتَّخَذوا أيْمانَهُم جُنَّةً فصَدُّوا عن سبيلِ الله إنَّهم ساءَ ما كانوا يَعْمَلونَ . وإذا رأيْتَهُم تُعْجِبُكَ أجسامُهُم وإنْ يقولوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهم كأنَّهم خُشُبٌ مسنَّدَةٌ يَحْسَبونَ كلَّ صيحةٍ عليهِم همُ العدوُّ فاحْذَرْهُم قاتَلَهُمُ الله أنَّى يُؤْفَكونَ﴾ .

هذا هو حكم النفاق في الإسلام .

والنفاق هو إظهار الإسلام وإبطال الكفر .

ولو غيرنا الاسم «النفاق»، وجعلناه «التقية»، لبقي حكمه نفس حكمه، لأن تغيير الاسم لا يغير الحكم، فعندما نسمي الخمر «فودكا» تبقى خمراً وتبقى محرمة .

ولو عبرنا عن النفاق بمثل قولهم : «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، فسيبقى حكمه نفس الحكم، وسيبقى نفاقاً، ولو وضعنا عبارة أخرى، مثل : «مع مشاهدة المشيئة العامة لا بد من مشاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه»، أو مثل : «إياك أن تقول أناه، واحذر أن تكون سواه»، أو مثل : «يا رب جوهر علم لو أبوح به لقيل أنت ممن يعبد الوثنا»، أو مثل : «طريقتنا أن نحفظ الشرع ظاهراً، وهذا هو السر العميق المطلسم»، أو غيرها من مئات عباراتهم المدونة في كتبهم وفي معاجمهم ليستعملوها هم ومريدوهم والسالكون في طريقهم في التمويه على أهل الشريعة .

لو عبرنا عن النفاق بأي عبارة كانت، فسيبقى نفاقاً، وسيبقى مصير أهله الدرك الأسفل من النار .

لكن الصوفية جعلت النفاق شطراً من الولاية والصديقية، ومن أقوالهم في ذلك : «التقية حرم المؤمن . . . .»، وغيرها مما مر . ومعنى التقية في الإسلام هو إبطان الإيمان وإظهار ما يخالفه في حالة الاستكراه ولمدة محدودة عابرة، إلا في حالات استثنائية جدًّا، أما عندهم فهي على العكس تماماً، إبطان وحدة الوجود، وإظهار الإسلام .

* **الكذب :-**

في الواقع النفاق هو الكذب، بل هو من شر أنواع الكذب، وهذا المرض (الكذب) المستشري في سلوكنا ومعاملاتنا إنما هو مظهر من مظاهر «اجعل الفرق في لسانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، أو انبثاق عنها تسرب من الشيوخ الذين كانوا على مدى قرون يعدون بعشرات الألوف، إلى مريديهم الذين كانوا يعتبرون نخبة المجتمع، ثم إلى الأتباع والمؤمنين، وبالتالي إلى الجميع.

* **نسخ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر :-**

اللذين تأتي فرضيتهما بعد الأركان مباشرة، وهما الركنان اللذان يقوم عليهما المجتمع الإسلامي واستمراريته، وتركهما، أو ترك أحدهما، يدخل في لعنة الله ﴿لُعِنَ الذينَ كَفَروا مِن بَني إسْرائيلَ . . . كانوا لا يَتَناهَوْن عن مُنْكَرٍ فَعَلوهُ . . .﴾، ويجعل الفساد ينتشر في الأمة.

جاءت الصوفية فألغت الأمر بالمعروف بحجة الخوف من الرياء، وحصرته فيما يكفي لاستمرار المسيرة الصوفية في المجتمع، وألغت النهي عن المنكر بنفس الحجة وبحجة الخوف من وقوع الناهي فيما نهى عنه، وحصرته في النهي عما يعرقل مسيرة التصوف في المجتمع.

وقد مرت الأمثلة على ذلك في فصول سابقة.

* **التزهيد بالعمل والدعوة إلى التواكل والكسل :-**

العمل من أجل العيش هو من تعاليم الإسلام، ونصوصه كثيرة ومعروفة، وجاءت الصوفية فزهدت المسلمين بالعمل بحجة الزهد والتوكل، بل قررت عدم جواز الصلاة وراء من يأمر بالعمل، وقد مر هذا في فصل سابق نقلاً عن «الإحياء»، وبذلك انتشرت التكايا في البلاد الإسلامية، وغصت بالتنابل، وامتلأت شوارع المدن والقرى وأزقتها بالمكدين (الشحاذين)، وتعطلت الأرض، وتوقفت الأعمال، وكانوا يعدون ذلك من الورع والزهد والتوكل، وأحياء هذه الأيام الذين عاشوا العقود الأولى من القرن العشرين الميلادي يعرفون هذا تمام المعرفة.

* نشر الذل والخنوع والخضوع :ـ

إن انتشـار الصـوفيـة الواسع جعل سلوك المريدين تجاه الشيخ ينزلق إلى المجتمعات الإسلامية، فانتشر الخنوع والخضوع وتقبيل اليد والرجل والوقوف للاحترام، وهي أمور كان رسـول الله ﷺ يكـرههـا، وشيـوخ المتصـوفـة ومـريـدوهم يدافعون عنها حتى الآن بأساليب كلها مغالطة والتواء.

* تقديس المجانين :ـ

المجـانـين هم مرضى يستحقـون العطف والعنـايـة والـدواء، لكن شيوخ الصوفية كانـوا، ومـا يزالـون يعـدون المجانين أولياء أرادهم الله سبحانه لولايته، دون سعي منهم «المراد»، ويصفونهم أنهم سائحون في حب الله، ويتبركون بهم بل ويبولهم وروثهم، وإذا ماتوا بنوا لهم المقامات والزيارات.

ولسعـة انتشـار الصوفية طغت هذه النظرة على المجتمعات الإسلامية، وقد رأينا في فصول سابقة من أمثلة ذلك، وكبار السن الآن يعرفون هذه الأمور في صغرهم في مجتمعاتهم. وماذا يمكن أن ينتظر من مجتمعات تقدس مجانينها.

* التوكل والتسليم والزهد والورع والإخلاص:ـ

رأينـا في فصـول سابقة كيف شوهوا معنى التوكل والتسليم والزهد والورع في نفوس المسلمين، وكيف كانت نتائج ذلك التشويه مما عانت منه الأمة وتعاني حتى الآن، وأذكر القارىء بوقائع التتر واستسلام المسلمين لهم استسلام النعاج.

وحتى الآن، فقـد سمعنـا ونسمـع وعاظاً وخطباء يطلبون من الناس أن يخرجوا من مسجد ليدخلوا في مسجد، وأن هذا كاف لدحر أعداء الإسلام، أي أنهم يقولون بلسان حالهم، بل ولسان مقالهم أيضاً: «ربنا حارب، إنا هٰهنا في المساجد قاعدون».

وسمعنـا من يقـول وهـو يعـظ ويحث المسلمين على الخير: الحمد لله الذي سخر لنا أمـريكـا وإنكلترا وفرنسا وروسيا يخترعون الاختراعات ويصنعون الصناعات ويقدمونها لنـا، ونحن نتفـرغ فقـط لعبـادة الله؟! إلى آخـر قائمة طويلة من التشويه والتزوير لمعاني القيم الإسلامية والأخلاق التي بعث بها رسول الله ﷺ.

□ إفساد الفكر :

يقوم بناء الفكر الإنساني، كائناً ما كان، بمعطيات ثلاث :

١ ـ المنطلقات أو الأسس، التي يستند إليها ويأخذ منها عناصر بنائه .

٢ ـ كيفية البناء .

٣ ـ الغاية التي يرمي إليها .

وفي الإسلام :

ـ المنطلقات هي القرآن وصحيح السنة وواقع الحياة والوجود على حقيقته .

ـ كيفية البناء موجهة بالفهم المبني على أسس علمية مدروسة للقرآن والسنة، وبفهم الصحابة رحمهم الله وتطبيقاتهم، كما هي موجهة، في الأمور الدنيوية، بمعرفة واقع الحياة والوجود معرفة علمية صحيحة .

ـ الغاية التي يرمي إليها بناء الفكر الإسلامي ويسعى إليها المسلم هي الأجر والثواب من الله سبحانه كما وعد به عباده المؤمنين في القرآن والسنة، لا كما يتوهمه المتوهمون .

وقد أفسدت الصوفية هذه العناصر إفساداً بالغاً، ففسد فكر المسلم، ووصل المسلمون إلى الحالة الراهنة التي لا يحسدون عليها، مع التذكير بأن حالتهم في القرون الأخيرة حتى النصف الأول من القرن الثاني عشر الهجري كانت الأنموذج الكامل لمجموع الإفسادات التي أنتجتها الصوفية، حتى هيأ الله سبحانه لدعوة الحق من أعاد لها جدتها، فأخذت الأمة تستيقظ شيئاً فشيئاً من سبات كان عميقاً كالموت .

وقد مرت في فصول الكتاب، وتمر، أمثلة كثيرة من صور الإفساد، وما هي إلا عرض بسيط له .

□ **إفساد المنطلقات:**

* **القرآن:** ـ

لم يستطع المتصوفة تحريف القرآن، لأن الله، له الحمد، حفظه باعتناء المسلمين بحفظه ودرسه وتدريسه والتعبد بقراءته في الصلاة وفي التلاوة آناء الليل وأطراف النهار، فعمدوا إلى تحريف معانيه، وهذا مثل من تفسيرهم، منقول عن «تفسير القرآن الكريم للشيخ الأكبر العارف بالله العلامة محيي الدين بن عربي»:

﴿الذينَ اسْتَجابوا لله والرَّسولِ مِن بعدِ ما أصابَهُمُ القرحُ للذينَ أحْسَنوا منهُم واتَّقَوْا أجرٌ عظيمٌ﴾.

يقول الشيخ الأكبر مفسراً هذه الآية:

﴿الذين استجابوا لله﴾، بالفناء في الوحدة الذاتية. ﴿والرسول﴾، بالمقام بحق الاستقامة. ﴿من بعد ما أصابهم القرح﴾، أي: كسر النفس. ﴿للذين أحسنوا منهم﴾، أي: ثبتوا في مقام المشاهدة. ﴿واتقوا﴾: بقاياهم. ﴿أجر عظيم﴾، وراء الإيمان، هو روح المشاهدة[1].

ومثل آخر:

﴿والسابقونَ الأوَّلونَ مِن المُهاجِرينَ والأنصار والذينَ اتَّبَعوهم بإحْسانٍ . . .﴾.

﴿والسَّابِقونَ الأوَّلونَ﴾، أي: الذين سبقوا إلى الوحدة من أهل الصف الأول. ﴿من المُهاجرينَ﴾، الذين هجروا مواطن النفس. ﴿والأنصار﴾، الذين نصروا القلب بالعلوم الحقيقية على النفس، ﴿والذين اتبعوهم﴾، في الإتصاف بصفات الحق.

---

(١) تفسير ابن عربي: ١ / ٢٣٥.

﴿بإحسان﴾، أي: بمشاهدة من مشاهدات الجمال والجلال[1]...

وقد مر في الفصول السابقة أمثلة أخرى على تحريفهم لمعاني القرآن، وهي بعض من كل، ومن يريد الاستزادة يستطيع الرجوع إلى كتابهم المقدس «إحياء علوم الدين» ليرى من التزوير في التفسير ما تقشعر له أبدان الذين يؤمنون بالله ورسله وكتبه ويرجون اليوم الآخر، وكذلك بقية كتبهم على تفاوت بينهم في العبارة وفي عدد ما يفسرونه من آيات.

وقد رأينا نثرات من تفاسيرهم للقرآن تفاسير سحرية، وكتبهم ملأى باستعمالات القرآن في اتجاهات سحرية.

* الإفساد في الحديث:-

كان اعتناء المسلمين بالحديث الشريف، وما زال، أقل من اعتنائهم بالقرآن الكريم، لأسباب معروفة، مما ترك مجالاً للدس والتقول على الرسول ﷺ، فأخذ المتصوفة حريتهم بوضع ما يملي عليهم الكشف من أحاديث، وتضعيف ما يضعفه الكشف، وتصحيح ما يصححه، حتى كانوا هم وراء قسم كبير من ركام الأحاديث الموضوعة المعروفة، وتلك التي لم تزل مدرجة في قسم الأحاديث الضعيفة، والتي تشكل نسبة عالية فيها.

وأوضح دليل على هذا هو كتاب «إحياء علوم الدين» لحجة الإسلام، الإمام، ففيه مئات من الأحاديث الموضوعة التي يقول عنها الحافظ العراقي: «لم أجده، أو لم أجد له أصلاً»، وهذا يعني، بدهيًّا، أن الواضع لها هو الغزالي أو كشفه، ونقول للذين يقولون خلاف هذا: «هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين»، وأرونا المصدر الذي أخذ منه الغزالي هذه الأحاديث.

ومظاهر التقوى والورع التي يتحلى بها كثير من الصوفية جعلت، وتجعل، الناس يثقون بهم ويأخذون عنهم، مع العلم أن التقوى والورع والزهد ولواحقها لا تدل على صحة العقيدة! فكل المؤمنين المخلصين لدينهم، في كل الأديان، يكونون أتقياء ورعين زاهدين ...

---

(١) تفسير ابن عربي: ١ / ٥٠٥.

ونعـرف أن متصـوفـة المسلمـين يدينـون بالطـريقـة الـبرهانية التي مزجت الإشراق بالإسلام، فهم يؤمنون بها، والمخلص منهم ينتهج الإسلام والإشراق معاً.

ولا بأس هنـا من عرض يعـرض على علماء الحـديث، لا أظنهم ناجين من السـؤال عنه أمام التاريخ على الأقل، بعد إذ تبين لهم الحق.

هذا العرض هو مراجعة كتب الرجال، والبحث في الرواة عن الشيوخ الكمل الذين تمكنوا من مقام الفرق الثاني، فلم يظهر في سلوكهم وأقوالهم ما يدل على ما في قلوبهم، أي: وصلوا إلى تطبيق القـاعـدة: «اجعل الفرق في لسـانك موجوداً، والجمع في جنانك مشهوداً»، والتي عبر عنها الجنيد بعبارة: «مشاهدة الفرق بين ما يأمر الله به وما ينهى عنه» تطبيقاً تامًّا.

وأعتقـد أن بحثـاً جادًّا في هذا المجـال، إن كان مخلصـاً، لا يبتغي إلا رضـا الله سبحـانـه، والـوصـول إلى الحق، سوف يخلص كتب الرجال من إشكالات واردة فيها، وهذه الإشكالات رغم قلتها، لكنها هامة، من ذلك مثلاً، نرى بعض الرجال موثقاً عند عالم ثقـة، ومضعفـاً عنـد مثله، وقـد وضـع علماء الحـديث قواعـد دقيقـة لحل مثل هذه المشكلة، وهذه قاعدة تضاف إليها قد يكون لها القول الفصل في كثير من الأحيان أو في بعضها.

ومن ذلك مثلاً أن قسماً من الأحاديث الضعيفة، يمكن أن يدرج بعد هذه الدراسة تحت عنوان «المكذوبات».

ومن ذلك مثلاً ما يبدو بعض الأحيان من تناقض ظاهري بين حديثين صحيحين، وقـد وضـع علماء الحـديث عشرات القواعد الدقيقة لحل مثل هذه المشكلة، وهذه قاعدة تضاف إليها، قد يكون لها القول الفصل في كثير من الأحيان أو في بعضها.

ولست أدري، هل أكـون مصيبـاً أو مخطئـاً إذا قلت بوجـوب إعـادة النظر بمثل أبي نعيم الأصفهـاني و«حليتـه»، وذلك بدراسة دقيقة من قبل أكثر من عالم حديث، شريطة أن يكـونـوا كلهم، على معرفة كاملة واضحة بالكشف والرؤى الكشفية، وكيف يمكن أن يذهب المكـاشف إلى مسجـد (مثـلاً)، فيرى فيـه شيخاً معيناً وتلاميذ يطلبون العلم عليـه، فيجلس معهم، ويكتب ما يمليـه الشيـخ، ثم يعـود إلى بيته، وفي كراسته علوم

جديدة، بينما كان ذلك المسجد، في حقيقة الأمر، خالياً إلا من هذا المكاشف الذي رأى الشيخ وتلامذته بوهم كشفه، وسيقسم هذا المكاشف اليمين تلو اليمين أن ما كتبه كان سماعاً من الشيخ المعين بحضور تلاميذه أو بدون حضورهم (حسب الكشف).

وذلك لأن المكاشف كثيراً ما يختلط عليه الأمر، فلا يفرق بين الرؤى الكشفية والواقعية، وقد رأينا في فصل سابق مئات الأمثلة على ذلك، إضافة إلى عشرات الأمثلة المتفرقة بين الفصول.

ومن إفسادهم في الحديث تزوير معانيه بالتفسير الإشاري، وقد رأينا في ثنايا الكتاب أمثلة منها، ومن يريد الزيادة فأمامه كتبهم، وعلى رأسها «إحياء علوم الدين».

* واقع الحياة والوجود :-

إن واقع الحياة والوجود قائم كما أراده الله، متحرك بسننه تعالى في خلقه التي لا تبديل لها ولا تحويل، والتي يسمونها في لغة العصر الحديث «القوانين الطبيعية»، فلا يستطيع مخلوق إفساد شيء منه إلا في إطار الحدود التي قدر الله سبحانه أن يكون لهذا المخلوق القدرة على التصرف فيها، وهي لا تزيد عن عمليات نقل للأشياء أو لأجزاء منها من مكان ووضعها في مكان ملائم، أو غير ملائم، وكل ما صنعه الإنسان، وما يصنعه، لا يخرج عن هذا قيد شعرة، وكان إفساد الصوفية في هذا المجال بإفساد فهم الواقع وتفسيره، وبإفساد أساليب التعامل معه، وفي وضع الأمور في غير مكانها الصحيح.

ففي مجال تفسير الواقع، زورت الصوفية الفكر لدى أتباعها الذين كان ينظر إليهم في أوقات كثيرة على أنهم نخبة المجتمع، زورت التفكير عندهم، حتى أصبحوا، هم والأمة من ورائهم، لا يرون الأمور إلا رؤى ضبابية، ولا يفسرونها إلا تفاسير مبنية على الكرامات وتصرفات الجن وتهاويل الخوارق، ويرسمون للكون صوراً في أذهانهم مأخوذة من كشوف المكاشفين الحلولية، ومن علومهم اللدنية، وتفصيل هذه وحدها يحتاج إلى كتاب مستقل، لأنها تشمل كل نواحي الحياة، وقد مر بعضها في فصول سابقة.

وفي مجال التعامل مع الواقع، صارت الأوراد والأقسام والطلاسم والحجب هي الأساليب التي يتعامل بها الفرد والمجتمع مع واقع متوهم، وصار العلماء إلا من رحم الله،

يمزجون فقههم بكتابة الحجب والأوناق والدوائر لتسهيل الأمور في شتى نواحي الحياة، وأظن أن أكثر العلماء الآن (في السنين الأولى من القرن الخامس عشر الهجري)، إن لم يكونوا كلهم، قد عانوا من طلبات كثير من الناس، حتى من بعض المثقفين، أن يفكوا لهم سحراً، أو يخلصوهم من أمور لا تزيد عن كونها أوهاماً من أوهام الصوفية.

ورقصات الزار في مصر والسودان والحبشة والحضرات الصوفية في كل البلاد الإسلامية، والسيارة والعدَّة لزيارة القبور جماعيًّا وضرب العدة حولها (وقد تقلص هذا كثيراً بسبب انتشار الثقافة)، والزيارات الإفرادية التي تجر إلى الاستغاثة بالأموات، وطلب النصرة حسب الأوهام...

كل هذا من نتاج التصوف، وإن ظهر بعضه في جماعات تدَّعي أنها غير متصوفة، لأن القناعات الفكرية إذا عمت جرفت أمامها كل من لم يعصمه الله سبحانه.

وكان من نتائج هذا الفهم السحري، المرتبط بالكرامات كليًّا أو قريباً من الكلي، وهذا التعامل المبني على الفهم السحري، ما نراه من ضياع وتخبط ووضع للأمور في غير أماكنها الصحيحة، بل وعدم القدرة على ذلك فكريًّا وعمليًّا.

والأمثلة على ذلك أكثر من أن تحصى، يحتاج تفصيلها إلى مئات الصفحات، ونورد منها أمثلة عابرة، جرت وتجري حاليًّا.

● حادثة :-

كانت فئة من المجاهدين تعاني في قطاعها فقراً شديداً بالمال والسلاح والطعام، حتى عرف أفرادها الجوع، ورأى أحد الأثرياء المخلصين المتصلين بهذه الفئة في المنام من يقول له: إنه إذا وزع أربعين ألفاً على العميان والفقراء المجاورين عند المقام الفلاني فسينتصرون.

ووزع المبلغ على العميان والفقراء المجاورين، وأخذ ينتظر النصر.

ولم يطل الانتظار، فقد هوجمت هذه الفئة دون أن تستطيع مقاومة ولا دفاعاً، وسحقت، لأنها كانت مفتقرة إلى السلاح، وكان الجوع ينهكها.

● **حادثة ثانية :-**

أربعة شباب باعوا أنفسهم لله، وانضموا إلى فئة من المجاهدين، لكنهم رأوا أفراد هذه الفئة يعكفون على قبر يطلبون عنده الثواب، ويستنزلون النصر! فنصحوهم وجاؤ وهم بالبينات من نصوص القرآن والسنة التي تثبت أن هذا العمل من الشرك العظيم.

عقد أفراد الفئة المجاهدة مؤتمراً فيما بينهم وشكلوا محكمة برئاسة عالمهم، حاكمت الشبان الأربعة محاكمة «عادلة»!، فقد استمعت إلى أقوالهم وأدلتهم من القرآن والسنة برحابة صدر، ثم أصدرت حكمها عليهم بالإعدام، ونفذ الإعدام.

● **واعظ :-**

رجل يقول بلسان حاله: إنه عالم، يناقش حالة المسلمين، ويلقي مواعظه، ومن هذه المواعظ ما معناه:

إن السبب في انهيار المسلمين هو عدم الإخلاص، فلو كنا مخلصين لكفانا أن نحمل البندقية، ونوجهها باتجاه العدو كيفما كان، وستخرج الرصاصة لتصيب منه مقتلاً . . .

● **وواعظ آخر :-**

يقول ما معناه:

إن العلة في المسلمين هي عدم الخشوع في الصلاة، وعلينا أن ندعو للخشوع، ونحث عليه، وعندما يتحقق ذلك يتحقق النصر.

وتعليقاً على هذه المواعظ نقول:

الإخلاص مطلب أساسي، لكن نسأل: الإخلاص لماذا؟ هل نخلص لما نتوهمه أنه الحق؟ إن هذا النوع من الإخلاص ليس إسلاميًّا، لأن الإسلام يأمرنا أن نعرف الحق أولاً بالأسلوب العلمي الصحيح، ثم نخلص في أقوالنا وأعمالنا وكل سلوكنا لهذا الحق.

والخشوع أيضاً مطلوب، لكن كيف يكون؟ وفيم؟ إن كانت العقيدة فاسدة فالخشوع ضغث على إبالة، وإن كانت العبادة غير صحيحة، فالخشوع فيها رزء فوق

رزء، وإن كان العمل الدنيوي في اتجاه معكوس أومنحرف فالخشوع يزيد الطين بلة، إن الوثني التقي يخشع أمام وثنه وفي عبادته، فهل ينفعه خشوعه؟ والماركسية الزاحفة يعجبها كثيراً أن نعمل على إيقافها بالخشوع، وبقراءة البخاري جماعة في المساجد.

وزيادة في التوكيد، نضيف كلمة أخرى لأبي الحسن الندوي عن حالة المسلمين التي كانوا عليها في القرون الأخيرة، يقول:

. . . لا بد أن نشير إلى أن ذلك الوسط والعهد (القرنين العاشر والحادي عشر الهجريين) . . . كان التصوف فيهما قد تغلغل في أحشاء المجتمع الإسلامي، وامتزج بلحمه ودمه، حتى أصبح التصوف له طبيعة وذوقاً، وسمة وشعاراً . . . بل كانت العامة لا تعبأ بعالم أومرب أومصلح، ولا تقيم له وزناً، ولا تعتقد فيه الخير والصلاح، ولا تنتفع بمواعظه وكتاباته، ما لم يكن له إلمام بالتصوف والسلوك، ويكون قد صحب بعض المشايخ المعروفين، وانخرط في سلك بعض الطرق السائدة المقبولة في الناس[1].

ويقرر في كتاب آخر ناقلاً:

. . . في القرن الثامن عشر (الميلادي)، كان العالم الإسلامي قد بلغ من التضعضع أعظم مبلغ، ومن التدني والانحطاط أعمق دركه، فاربد جوه، وطبقت الظلمة كل صقع من أصقاعه ورجاء من أرجائه، وانتشر فيه فساد الأخلاق والآداب وتلاشى ما كان باقياً من آثار التهذيب العربي.

واستغرقت الأمم الإسلامية في اتباع الأهواء والشهوات، وماتت الفضيلة في الناس، وساد الجهل، وانطفأت قبسات العلم الضئيلة، وانقلبت الحكومات الإسلامية إلى مطايا استبداد وفوضى واغتيال . . . وقام كثير من الولاة والأمراء يخرجون على الدولة التي هم في حكمها، وينشئون حكومات مستقلة، ولكن مستبدة كحكومة الدولة التي خرجوا عليها، فكان هؤلاء الخوارج لا يستطيعون إخضاع من في حكمهم من الزعماء هنا وهناك، فكثر السلب والنهب، وفقد الأمن، وصارت السماء تمطر ظلماً وجوراً، وجاء فوق جميع ذلك رجال الدين المستبدون يزيدون الرعايا إرهاقاً فوق إرهاق، فغلّت

---

(1) الإمام السرهندي حياته وأعماله، ص١٢٤.

الأيـدي، وقعـد عن طلب الـرزق، وكـاد العـزم يتـلاشى في نفـوس المسلمين، وبارت التجارة بواراً شديداً، وأهملت الزراعة أيما إهمال.

وأمـا الـدين فقـد غشيتـه غاشيـة سوداء، فألبست الـوحـدانية التي علمها صاحب الـرسـالـة النـاس سجفـاً من الخـرافـات وقشـور الصـوفيـة، وخلت المساجد من أرباب الصلوات، وكثـر عديـد الأدعياء الجهلاء، وطوائف الفقراء والمساكين يخرجون من مكان إلى مكـان يحملون في أعنـاقهم التـمائم والتعـاويـذ والسبحـات ويوهمون الناس بالباطل والشبهـات، ويـرغبـونهم في الحج إلى قبور الأولياء، ويزينون للناس التماس الشفاعة من دفنـاء القبـور، وغـابت عن النـاس فضـائـل القـرآن، فصـار يشـرب الخمـر والأفيـون (والحشيشية)، في كل مكان، وانتشرت الرذائل وهتكت ستر الحرمات من غير خشية ولا استحياء[1]. أهـ.

يقـول أبـو الحسن النـدوي عند إيراده (مقرراً) هذا النص: إنه لا يتحمل مسؤولية صحته مائة في المائة.

ونجيبـه: تأكـد يا أستـاذنـا أنه صحيح مائة في المائة، وأن الإسلام يعيش غربته منذ قرون طويلة.

* وثنية الأمير:-

رأينـا من أقـوالهم في الفصـول السـابقـة مدى تقـديسهم للشيـخ، ومـا يعتقدونه في الشيوخ من القدرة الإلهية والتصرف في الكون، بل وكل الصفات الحسنى.

وعمليًّـا، كان هذا التقـديس وهـذا الاعتقـاد عنـدهم ركنـين أسـاسيـين من أركان الإسلام والإيمان، أو كانا الركنين اللذين يقوم عليهما ما يسمونه «الإحسان».

وبما أن الصوفية كانت مسيطرة على المجتمعات الإسلامية، ومتغلغلة في نفوس كل المسلمين، إلا من رحم الله، لذلك كانت نظرة الجميع إلى الشيخ هي هذه النظرة التقديسية.

---

(١) الإمام الدهلوي، ص٣٤.

وبطبيعة الحال، انزلق هذا التسليم للشيخ والاعتقاد بقدرته الإلهية، إلى التسليم لأي رئيس والاعتقاد بقدرته الإلهية، فصاروا ينتظرون من الأمير أن يصلح ما يفسدون وأن يقول للشيء كن فيكون.

وهذه العقيدة بالذات هي التي أضاعت بلاد المسلمين، فلقد كان الفساد الذي رأينا صوره، مستشرياً هناك بسبب الصوفية، وكان الدعاة والوعاظ كلهم، حتى من كان على نهج الإسلام الصحيح، ينتظرون الأمير الذي يغير ذلك الحال ويصلح الأحوال، ناسين قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللهَ لا يُغَيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغَيِّروا ما بأنفسِهم﴾.

وطبعاً، لا يملك الأمير القدرة الإلهية، ولم تكن لديه تلك العصا السحرية التي يحركها فتغدو الخيانة أمانة والكذب صدقاً والقناعات الفكرية المزورة حقًّا ووعياً.

وبما أن القناعات المسيطرة على الناس والمتغلغلة في أعماق نفوسهم هي قدرة الأمير، لذلك كانوا يتهمونه بالجبن أو بالخيانة أو بالظلم أو ما شابهها. فيثور عليه ثائر يزيحه ويجلس مكانه، وهو يظن أنه شجاع وأمين، لكنه لا يستطيع أن يفعل شيئاً، فيتهمه الناس بدورهم بما اتهموا سلفه، فيضطر للبطش بهذا أو ذاك دفاعاً عن نفسه، ويستشري التناحر بين أنصاره وأعدائه، حتى يثور عليه ثائر آخر، فإما أن يزيحه أو ينفصل عنه ... وهكذا.

وهكذا بقيت الأمة تعيش في فتن مستمرة، ونهاية الفتن معروفة، إنها دمار الأمة.

وهكذا ذهبت بلاد المسلمين، كما أنها الآن في طريقها للضياع بلداً بعد آخر بيد الماركسية، على يد دعاة ينبثقون من روح وثنية الحاكم، مثيرين الفتن ضد أعداء الماركسية وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، وهؤلاء، وإن كان بعضهم غير صوفي، لكن نظرتهم هذه انبثقت في أساسها من الصوفية التي حرثت، وجاء الخبثاء؟ فزرعوا وحصدوا.

*** النظرة الطفولية للأمور:ـ**

إن تقديس الشيخ الذي انزلق إلى النظرة التأليهية للحاكم، ومرور قرون على المسلمين وهم يتحركون في هذا الإطار، جعل النظرة الطفولية للأمور من الخواص

المسيطرة على التفكير والمسيرة له، إلا من رحم الله.

فالطفل في أشهره الأولى لا يرى إلا البارز من الأشياء، فعندما يحمله أبوه، يمد يده إلى أنفه، أو إلى يده إن كانت قريبة منه، ولو وضعت أمامه على الأرض أشياء مختلفة الأحجام، فإنما يمد يده إلى البارز منها سواء لكبر حجمه أو لوجوده على مكان بارز.

وهكذا المسلمون الآن لا يرون في المجتمعات إلا البارز، والحاكمُ أبرزُهم، لذلك فهو المطالَب بإقامة حكم الله، وهو المطالَب بالنصر، وعليه تبعة انهيار الأخلاق وتبعة الهزائم . . . الخ. والعجب العجاب المثير للارتياب أنهم لا يلقون هذه التبعات إلا على الذين يحاربون الماركسية.

ومما نسمعه، مثلاً، من أدعية يدعو بها من يسمونهم «علماء»: اللهم هيء لهذه الأمة قائداً صالحاً يقيم فيها حكم الله ويقودها إلى النصر . . . الخ.

وكأن القائد معه عصاً سحرية، أو له قوة إلهية، وكأن الإسلام نزوة حاكم، وكأنهم نسوا قول الله سبحانه: ﴿إنَّ الله لا يُغيِّرُ ما بقومٍ حتى يُغيِّروا ما بأنفُسِهم﴾.

ومن الأمثلة على النظرة الطفولية للأمور، سؤال كثيراً ما سمعناه، وهو «هل نحن الآن في عهد مكي، أو في عهد مدني»، وكثيراً ما دارت النقاشات حول هذا التساؤل! وكأن التاريخ عبارة عن كليشة يكرر طبعها في كل مكان وزمان، وعلينا أن نعرف موضعنا من هذه الكليشة. ورغم أن هذا السؤال قد يصدر عن غير متصوفة، لكن ما كان يمكن قبوله لولا النظرة الطفولية التي انبثقت من التسليم للشيخ، وعدم القيام بأي عمل، بل وعدم التفكير بالقيام به أو التفكير بكيفية هذا القيام، وإنما يعرض الأمر على الشيخ، ويطبق ما يقوله حرفيًّا دون مناقشته أو حتى الاستفهام منه عن غريبه «من قال لشيخه: لِمَ؟ لا يفلح أبداً». وكان التقي الورع الذي يرجو الفلاح والذي كان يُنْظر إليه على أنه نخبة الأمة، كان لا يفكر في أي أمر، وإنما يعرضه على الشيخ، ويطلب توجيهه المقدس، ويدعو الناس في وعظه وخطبه إلى مثل هذا.

ومن أخطر مظاهر هذه النظرة الطفولية الواضحة، إن لم يكن أشدها خطراً، هو مناقشة الأمور دون إدراك للعلاقة بين الأسباب والنتائج.

ومن المفاسد القاتلة التي انبثقت عن الصوفية قبول المتناقضات على أنها كلها صحيحة، لأن احترام الشيوخ وتقديسهم وتقديس أقوالهم كان طيلة قرون طويلة هو طريق النجاة والفلاح، وبطبيعة الحال، كانت أقوالهم متناقضة وساقطة بسبب جهلهم من جهة، ولأنهم كانوا يأخذون علومهم من الكشف والعلم اللدني من جهة ثانية، وبسبب الغرور الذي يسببه تقديس الناس لهم، والذي يجعلهم يعتقدون أن كل ما يجري على ألسنتهم من هذيانات هو من باب «حدثني قلبي عن ربي»؛ وكان الناس كلهم إلا من رحم الله، يعتقدون في الشيوخ هذا الاعتقاد ويطبقونه؛ لذلك كانوا يقبلون المتناقضات على أنها من عند الله، ولا تعترض فتنطرد، وكانت هذه الحالة من الأسباب الرئيسية في تشتت أفكار الأمة وتخبطها.

ومن مظاهر الفساد المدمر التي انبثقت عن الصوفية «الطبطبة» على المفاسد ومحاولة تبريرها، بل والإصرار على عدم وجودها ومهاجمة من يحاربها بأساليب شتى.

وطبعاً، انبثقت هذه الظاهرة من قاعدة: «سلم تسلم، أو لا تعترض فتطرد».

ومن الفساد الذي سيطر على الأمة قروناً طويلة الازدواجية في العقيدة وفي التفكير التي كان يعيشها وعاظ الأمة وموجهوها ودعاتها، إلا من رحم الله، حيث كانوا يبطنون خلاف ما يظهرون، يبطنون وحدة الوجود وما يتفرع عنها، ويظهرون الشريعة الإسلامية التي يحاولون توجيهها لتتفق مع ما يبطنون.

وفي واقع الأمر كان هناك صراع خفي يتفاعل في ضمير كثير من العلماء الذين قبلوا الصوفية حيث كان يظهر هذا الصراع في كتابات بعضهم وفي أقوالهم وبعض أفعالهم، مثل ما نراه عند أحمد الفاروقي السرهندي وأمثاله الذي كانوا يتشددون في وجوب كتمان السر إلا عن مستحقيه، ويهاجمون من يصرح بالوحدة.

هذا موجز لدور الصوفية في تمزيق الأمة الإسلامية.

لكن يوجد إلى جانبها عاملان آخران تأتي أهميتها بعد الصوفية، وهما:

أ ـ الخلفيات الفكرية والعقائد والفلسفات: التي كانت تشكل تيارات في المجتمعات الإسلامية تحيط بالشيخ وتوجه كشوفه وعلومه اللدنية، لأن الرؤى الكشفية

هي انبثاقات للمعلومات والتوجهات والأماني والطموحات المختزنة في أعماق الشيخ، ومنها تلك الخلفيات الفكرية والعقائد، مع العلم أن بعضها وجد بسبب الصوفية أيضاً.

فمحمد بن فلاح، مثلاً، تشيع بسبب المحيط الذي كان يعيش فيه، في الحلة التي كان التشيع غالباً في أهلها، ثم شيع أتباعه بمئات الألوف بواسطة الصوفية ... وهكذا.

ب ـ الموقف السلبي في مواجهة الصوفية: وذلك بحجج هي أقبح من الصوفية، وهي متعددة، لكن أبرزها وأبشعها حجتان:

١ ـ قول من يقول: «لا تفرقوا صفوف المسلمين»، يقولها لمن يشرح للناس خطر الصوفية ويبين زيفها وضلالها؟!

والجواب على هذه الحجة الفاسدة هو قوله سبحانه: ﴿واعْتَصِموا بحبلِ الله جَميعاً ولا تَفَرَّقوا﴾، أي: إن جمع الصفوف يكون بالاعتصام بالقرآن والسنة اللذين هما حبل الله، وتفريق الصفوف يكون بالابتعاد عنهما.

وهذا الذي يقول لدعاة الحق: «لا تفرقوا صفوف المسلمين»، إنما يقدم العون الأكبر لاستشراء الداء وتفريق المسلمين وتمزيقهم، كما هو حاصل؛ وهو داخل في زمرة الموصوفين بالآية الكريمة: ﴿... كانوا لا يتناهَوْنَ عن مُنكرٍ فعَلوهُ ...﴾.

٢ ـ قول من يقول: «لا تُكفِّر مسلماً! كيف تُكفِّر رجلاً يشهد أن لا إله إلا الله ..؟».

والجواب على هذه الحجة الفاسدة هو أولاً: أن المسألة ليست مسألة تكفير مسلم، وإنما هي مسألة بيان الحق من الباطل والهدى من الضلال، ثم إن كل البلاء الذي أصاب الأمة ودمرها، جاء في الأساس على يد أناس يشهدون أن لا إله إلا الله ويضمرون ما يضمرون، وأكثرهم ـ إن لم يكونوا كلهم ـ مخلصون في ما جاؤوا به ويعتقدون أنه الحق.

كما أن الواجب على المسلم أن يعرف الحق أولاً، كما يقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «اعرفوا الحق تعرفوا أهله»، وطبعاً، إذا عرفنا الباطل نعرف أهله أيضاً، ويجب أن نعرفه لنعرفهم.

قد كان من واجب علماء المسلمين أن يدرسوا الصوفية دراسة واعيّة ثم ينبهوا الأمة إلى خطرها، لكن الذي حصل أن فطاحل العلماء كانوا لا ينظرون إلا إلى ظاهرها وإلى عباراتها المتداولة دون محاولة لتفهم حقيقة معانيها ومراميها، فما كان واضح الدلالة على وحدة الوجود، أي ما كان من عبارات الوحدة المطلقة، حكموا عليه بالكفر، وما كان غامضاً أولوه التأويل الحسن بحجة عدم تكفير المسلم، ولأنهم لم يحاولوا دراسة الصوفية بعمق، ولم يتنبهوا إلى تواصيهم بالتقية وكتمان السر عن غير أهله، وأن هذا السر كفر وزندقة!

وعدم دراستهم للصوفية جعلهم يرتكبون أخطاءً كان لها دور واضح في بقاء مسيرة التصوف لتفعل فعلتها التي فعلت، ومن هذه الأخطاء:

* قولهم: إن في المتصوفة من يؤمن بوحدة الوجود، ومنهم من يقول بالاتحاد أو بالحلول، وفيهم الأتقياء الذين يسيرون على منهج الصوفية الحقة التي لا تؤمن بهذه الأمور.

وطبعاً؛ هذا كلام خطأ كله، فالصوفية مذهب واحد، وعقيدتها هي وحدة الوجود، ولا يوجد بين متصوفة المسلمين من يقول أو يعتقد بالاتحاد أو الحلول، (لا يوجد ولم يوجد)، كما أن الذين لا يعرفون وحدة الوجود بينهم هم السالكون الذين لم يبلغوا بعد محل ثقة الشيخ.

* ومن هذه الأخطاء قولهم: إن في المتصوفة من يقول بالحقيقة المحمدية ومنهم من لا يقول بها! وهذا خطأ كله؛ فالمتصوفون كلهم، حتى السالكون المبتدئون، تشرح لهم الحقيقة المحمدية ويؤمنون بها، وقد يسمونها أسماء أخرى، مثل: «أسبقية النور المحمدي، أو أول خلق الله ...».

وقد استغل المتصوفة هذا الموقف، وصاروا كلهم يقولون عن أنفسهم وعن مشايخهم وأتباعهم وأمثالهم إنهم على الصوفية الحقة، ثم ينهالون بالشتائم على الدخلاء على الصوفية وعلى المبتدعة الذين يقولون بالحلول والاتحاد، أو الذين يقولون بالوحدة المطلقة (أي غير المقيدة بالرمز واللغز).

وهكذا بقيت مسيرة التصوف، وأوصلت الأمة إلى ما نراه الآن، مع العلم أنها الآن

أقل سيطرة بكثير مما كانت عليه في قرون سابقة .

لكن بشيء من التدقيق، يتضح أن هاتين الحجتين السلبيتين هما أيضاً من نتاج الصوفية، ومن أساليب المتصوفة في الدفاع عن أنفسهم ومعتقدهم، حتى فشتا بين الأمة .

إن هذه الأمراض والمفاسد، ارتكزت في سريانها في الأمة على مرضين خبيثين بعثتهما الصوفية في الأمة، هما: الجهل والعقم الفكري .

* الجهل :-

لولاه لما استطاعت هذه المفاسد - وغيرها - أن تجد لها مكاناً في المجتمعات الإسلامية، وقد رأينا في الفصول السابقة النصوص الكثيرة لأقطابهم وعارفيهم، التي يأمرون بها بالجهل والابتعاد عن العلم، بل وينفرون بها من مجرد معرفة القراءة والكتابة، وهي غيض من فيض، ولولا أن تلاوة القرآن فرض على المسلمين، ومعرفة الحلال والحرام فرض على فئة منهم، لنسيت القراءة والكتابة جملة وتفصيلاً، والله وحده يعلم إلى ماذا كانت ستؤول إليه أحوال الأمة .

* العقم الفكري :-

رأينا في الفصول السابقة، ونرى في مجتمعاتنا الحالية، الأمثلة الكثيرة الكثيرة على فرض الصوفية على المريدين أن يكونوا بين يدي الشيخ كالأموات بين يدي الغاسلين، ورأينا، ونرى، كيف أن الفرد من المريدين لا يفكر لنفسه ولا لغيره، وإنما يذهب إلى الشيخ ليفكر له، ولا يطلب معرفة، بل يذهب إلى الشيخ ليفيض عليه من معارفه اللدنية، ولا يقضي أمراً حتى يرى الشيخ فيه رأيه . . . الخ .

كانت هذه حالة كل الأمة، إلا من رحم الله، بل إن هذا «الحال» صار «مقاماً» عالياً، حتى كانوا لا يحاولون، بل يتواصون بعدم محاولة فهم نصوص القرآن والسنة إلا من الشيخ، فإذا أخطأ الشيخ، فخطؤه خير من صوابك! وإذا كان جاهلاً، فجهله خير من علمك! وإذا ناقضت أقواله النصوص، فاتباع فهمه هو الإيمان، واتباع فهمك هو الضلال! وإذا تناقضت أقوال الشيوخ فيما بينها، فكلهم من رسول الله مقتبس (بالكشف

طبعاً) . . . إلى آخر القائمة . . . ومثل هذا موجود حتى الآن .

وبذلك سيطر العقم الفكري، بل الشلل الفكري على الأمة حتى وصلت إلى ما هي عليه .

إن الله سبحانه وتعالى لم يظلم المسلمين عندما سلط عليهم الاستعمار. حاشاه سبحانه وتعالى من الظلم؛ وإذ كان الجزاء من جنس العمل، فقد كان الاستعمار هو الدواء النجس لتلك العلة الخبيثة .

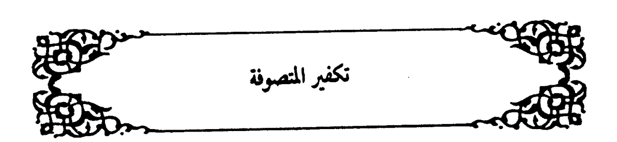
وقد يسأل سائل : ألا يوجد في الصوفية إيجابيات؟

والجواب : نعم ، لها إيجابيتان :

١ ـ **الأدب الرمزي**، إذ أن متصوفة المسلمين هم الذين ابتكروه لستر حقيقتهم ، ولم ينتشر في العالم إلا بعدهم بقرون طويلة ، ويظهر أن مبتكريه كانوا سابقين للجنيد في الزمان ، لكن الجنيد هو الذي بلوره ووضع له القواعد والمصطلحات وكثيراً من عباراته التي يستعملونها .

٢ ـ **بعض التفاصيل التاريخية**، حيث تقدم كتب المتصوفة صوراً من حياة المجتمعات الإسلامية وعاداتها لا نراها في غيرها ، كما نستطيع من خلالها تفسير بعض إشارات الاستفهام التاريخية عند المسلمين وعند غيرهم أيضاً .





تكفير المتصوفة

لقد كُفِّر المتصوفة وزُندقوا، وقتل منهم من قتل على الزندقة، واستطاع الباقون التخلص من عقوبة الزندقة بالتستر بالفقه والصلاة والصيام وقراءة القرآن، وكان هذا هو المنطلق لإيجاد الطريقة البرهانية الغزالية التي مزجت الإسلام بالتصوف، واستطاع هذا السرطان القاتل أن يسري في جسم الأمة الإسلامية ليدمر دينها ودنياها.

وهذا كشف ببعض من كفر وزندق وقتل، منقول من كتبهم:

يقول عبد الوهاب الشعراني في طبقاته[1]:ـ

. . . ونقل الثقات (ويزيد في كتاب «اليواقيت والجواهر» قوله: منهم الشيخ أبو عبد الرحمن السلمي، وأحمد بن خلكان، والشيخ عبد الغفار القوصي، وغيرهم)[2] عن:

ـ أبي يزيد البسطامي أنهم نفوه من بلده سبع مرات.

ـ وكذلك وقع لذي النون المصري أنهم وشوا به إلى بعض الحكام، وحملوه من مصر إلى بغداد مغلولاً مقيداً، (ويضيف في «اليواقيت والجواهر»: سافر معه أهل مصر يشهدون عليه بالزندقة).

---

(١) الطبقات الكبرى: ١ / ١٥ و١٦ و١٧. (٢) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٣.

ـ وكـذلـك وقـع لسمنـون المحب محنـة عظيمة . . . ثم إن الخليفة أمر بضرب عنق سمنون وأصحابه فمنهم من هرب، ومنهم من توارى سنين . . .

ـ وكذلك وقع أنهم رموا أبا سعيد الخراز وأفتى العلماء بتكفيره.

ـ وأخرجوا سهل بن عبد الله من بلده (تستر) إلى البصرة ونسبوه إلى قبائح وكفروه.

ـ وقتل حسين الحلاج . . . (وبعد صفحتين: ووقع الاختلاف أهو الذي صلب أم رفع كما وقع في عيسى عليه الصلاة والسلام).

ـ وشهـدوا على الجنيـد حين كان يقـرر في علم التـوحيـد، ثم إنه تستر بالفقه . . . (ويقول صاحب «اللمع»: فكم من مرة قد طلب وأخذ، وشهدوا عليه بالكفر والزندقة)[1]، وصاحب «اللمع» قريب عهد بالجنيد.

ـ وأخرجوا محمد بن الفضيل البلخي بسبب المذهب.

ـ وعقدوا للشيخ عبد الله بن أبي جمرة مجلساً في الرد عليه . . . فلزم بيته، فلم يخرج إلا للجمعة حتى مات.

ـ وأخرجوا الحكيم الترمذي (من ترمذ) . . . حين صنف كتاب «علل الشريعة» و كتاب «ختم الأولياء» وأنكروا عليه . .

ـ وأنكر زهاد الراز[2] وصوفيتها على يوسف بن الحسين وتكلموا فيه ورموه بالعظائم.

ـ وأخرجوا أبا الحسن البوشنجي وأنكروا عليه وطردوه . . .

ـ وأخرجوا أبا عثمان المغربي من مكة . . وطاف به العلوية (أي أحفاد علي بن أبي طالب) على جمل في أسواق مكة بعد ضربه على رأسه ومنكبيه . . .

ـ وشهدوا على السبكي بالكفر مراراً . . .

---

(١) اللمع، ص٥٠٠.

(٢) المدينة هي الري، وليست الراز، والنسبة إلى الري هي «الرازي»، ولعله عرف أن اسم المدينة هو الراز عن طريق الكشف والعلم اللدني. أما قوله: «وصوفيتها»، فيدل على أن الصوفية قد يشتركون أيضاً في تكفير الصوفي، لكن مجاراة للناس وتستراً على حقيقتهم.

ـ وقال أهل المغرب على الإمام أبي بكر النابلسي . . . فأخرجوه من المغرب مقيداً إلى مصر وشهدوا عليه عند السلطان . . . فأخذ وسلخ وهو حي . . . أو قتل ثم سلخ .

ـ وأخرجوا الشيخ أبا مدين المغربي من بجاية . . . (مات وهو في طريقه إلى القتل) .

ـ وأخرجوا أبا القاسم النصراباذي من البصرة وأنكروا عليه . .

ـ وأخرجوا أبا عبد الله الشجري صاحب أبي حفص الحداد . . .

ـ وشهدوا على أبي الحسن الحصري بالكفر . . .

ـ وتكلموا في ابن سمنون وغيره بالكلام الفاحش حتى مات فلم يحضروا له جنازة .

ـ وتكلموا في الإمام أبي القاسم بن جميل بالعظائم إلى أن مات . . .

ـ وأفتوا بتكفير الإمام الغزالي وأحرقوا كتابه «الإحياء» . . . وكان من جملة من أنكر على الغزالي وأفتى بتحريق كتابه القاضي عياض وابن رشد . .

ـ وأخرجوا أبا الحسن الشاذلي من بلاد المغرب بجماعته ثم كاتبوا نائب الاسكندرية بأنه سيقدم عليكم مغربي زنديق . . .

ـ ورموا الشيخ أحمد بن الرفاعي بالزندقة والإلحاد . . .

ـ وقتلوا الإمام أبا القاسم بن قسي . . .

ـ وقتلوا ابن برّجان (شيخ ابن عربي أو شيخ شيخه)، والخولي، والمرجاني . . . فشهدوا عليهم بالكفر . . .

ـ وأما الشيخ محيي الدين بن عربي وسيدي عمر بن الفارض فلم يزل المنكرون ينكرون عليهما إلى وقتنا هذا . . .

ـ وأنكروا على الشيخ عبد الحق بن سبعين وأخرجوه من بلاد المغرب وأرسلوا نجّاباً بدرج مكتوب أمامه يحذرون أهل مصر منه .

ـ ومما أورده الشعراني أيضاً في نفس «طبقاته» متفرقاً في ترجماته للمذكورين .

ـ أبو نعيم الأصفهاني، أخرجه أهل أصفهان ومنعوه من الجلوس في الجامع.

ـ عبد السلام بن مشيش، شيخ أبي الحسن الشاذلي، قتل في بلاد المغرب.

ـ محمد الرويجل العريان قتله العثمانيون حين دخول مصر.

ـ أبو العباس أحمد الملثم كفروه.

ـ أبو الفتح الواسطي كان مبتلى بالإنكار عليه، مات في الإسكندرية حوالي سنة ٥٨٠هـ.

ـ عبد الله بن محمد العرشي المرجاني، امتحن وأفتى العلماء بتكفيره، قتل في تونس سنة ٦٦٩.

ـ محمد القونوي (صدر الدين) صاحب ابن عربي وابن زوجته كان مبتلى بالإنكار عليه مات في قونية سنة ٦٧٢هـ.

ومما أورده الشعراني أيضاً في «اليواقيت والجواهر»:

ـ وشهدوا على الشبلي بالكفر مراراً[1].

ـ وأنكروا على سيدي إبراهيم الجعبري، وسيدي حسين الجاكي[2].

● ملاحظة: شهادات التكفير هذه هي مما أورده الشعراني في «طبقاته» و«يواقيته». وقد أخذها من كتب التراجم المختلفة.

ومما لم يذكره الشعراني وذكره صاحب «اللمع»:

ـ أبو عبد الله الحسين بن مكي الصبيحي: كفره أبو عبد الله الزبيري وهيج عليه العامة.

ـ أبو العباس أحمد بن عطاء: رفع إلى السلطان ونسب إلى الكفر والزندقة، فقتل ضرباً بخفه.

---

(١) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٣.

(٢) اليواقيت والجواهر: ١ / ١٤.

ـ أبو حمزة الصوفي: كفروه (ويقول ابن الجوزي في «تلبيسه»: إنهم قتلوه ونادوا على فرسه: هذا فرس الزنديق).

ـ محمد بن موسى الفرغاني: لأهل التعنت فيه مقال.

ـ أبو الحسين النوري: شهدوا عليه بالكفر.

هذا مما أورده أبو نصر الطوسي في كتابه «اللمع» (في ترجمته للمذكورين).

وأورد اليافعي في «نشر المحاسن»:

«. . . لما سعي بالصوفية إلى بعض الخلفاء، أمر بضرب رقابهم، فأما الجنيد فتستر بالفقه، وكان يفتي على مذهب أبي ثور، وهو إمام القوم وسيدهم . . . وأما أبو الحسين النوري فقبض عليه، وكان أحد أركان المذهب وسادات القوم . . . وقبض معه أيضاً على أبي حمزة البغدادي، وكان أحد علماء القوم وساداتهم والمذكورين بالفتوة والتوكل . . . وقبض أيضاً على أبي بكر الزقاق، وكان أيضاً أحد سادات القوم والمتكلمين في المعاملات بأحسن الكلام . . . وقبض أيضاً على الشحام والرقام، وبسط النطع لضرب رقابهم . . .»[1].

ـ أقول: يظهر أن الوزير كان من القوم، وكان يتستر بالفقه، فأنقذهم من القتل بأسلوب ذكي.

ـ وعدي بن مسافر، شيخ الطريقة العدوية التي هي الآن اليزيدية، نبش قبره وأحرق ما فيه مرتين، مرة سنة ٦٥٢هـ على يد أمير الموصل، ومرة سنة ٨١٧هـ على يد جماعات كبيرة من الأكراد[2].

ـ وأبو حيان التوحيدي، نفي لسوء عقيدته، وكان من شيراز وهو شيخ الصوفية[3].

ـ وشهاب الدين السهروردي المقتول (يحيى بن حبش) قتل في حلب على الزندقة

---

(١) نشر المحاسن الغالية، ص٤٢٢.
(٢) اليزيديون في حاضرهم وماضيهم، ص١٣٦ و١٣٨.
(٣) لسان الميزان للذهبي.

سنة ٥٨٧هـ.

ـ وعبد القادر الجيلاني، يقول المؤرخون: إن الوزير عبيد الله بن يونس أخرب بيته وشتت أولاده، ويقال: إنه بعث في الليل من نبش عليه (في قبره)، ورمى بعظامه في اللجة[1].

ـ لسان الدين بن الخطيب (وزير غرناطة) قتل على الزندقة بسبب كتابه في التصوف «روضة التعريف» سنة ٧٧٦هـ[2].

ـ إن كهان التصوف الذين ذكروا في كتبهم حوادث التكفير والتقتيل والتشريد إنما ذكروها ليخدعوا بها القارىء الغافل، وليقولوا له: إن الأولياء مبتلون دائماً بالأعداء.

وهي خدعة فيها كثير من الذكاء والخبث، لأنهم بهذا الأسلوب يؤولون حقائق التاريخ التي لا يستطيعون طمسها تأويلاً يخدم أغراضهم ويخفي سوءاتهم ويكسبهم عطف الآخرين.

ـ كما إن إصرارهم العجيب على الالتزام المريب بالحفاظ على مسيرة الكهانة وعلى نموها في المجتمعات الإسلامية، رغم التكفير والتقتيل والتشريد، هو دليل جديد على أن الكهانة لم تمت بظهور الإسلام، وإنما لاذت في الظلام، وبقيت تعمل بصمت وتنفث سمومها بهدوء حتى تهيأت لها الظروف الاجتماعية والفكرية، فعادت إلى الظهور من جديد.

ـ كما تجدر الملاحظة أن كتب المتصوفة مشحونة بالكذب الذي لا يعرف الحدود، ولكن كل كذبهم هو في صالح التصوف، وفي موضوع التكفير هذا، لم يكذبوا بتقرير واقع الذي كفروا أو قتلوا لأن هذا ثابت في كتب التاريخ، وإنما كذبوا بتفسير ذلك لمصلحتهم.

ـ كما أن هذا التكفير والتقتيل هو صورة من صور محاربة الإسلام للصوفية، منذ ظهوره وحتى يرث الله الأرض ومن عليها.

---

(١) النجوم الزاهرة وشذرات الذهب وغيرها في حوادث سنة ٥٩٣هـ.

(٢) روضة التعريف بالحب الشريف، «التقديم»، ص٣٣.

مع الظن الذي يكاد يقترب من الاعتقاد، أن القيامة ستقوم على الصوفية الممزوجة بشكل متطور عن الشيوعية، والذي يدعو إلى هذا الظن هو ملاحظة الخط البياني لمسيرة التصوف عبر التاريخ، وكون الإشراق (التحشيشي والرياضي) هو أحد شركي إبليس لإخراج بني آدم من الجنة، والذي نستطيع أن نسميه «الشرك الروحاني» مقابلة مع الشرك الأول «الشرك الجنسي».

- ولا يظن ظان أن هؤلاء المذكورين هم وحدهم الذين كفروا وشردوا وقتلوا بسبب كفرهم، بل هم كثيرٌ، وأي مسلم عندما يعرف أي حقيقة من حقائقهم يحكم عليها وعلى فاعلها بالكفر، إلا الذين عميت منهم البصائر واستجرهم إبليس إلى حظائره.



□ للتسلية: حرق كتب الغزالي وتضليله:

يقول عبد القادر بن شيخ العيدروس في «تعريف الأحياء بفضائل الإحياء»:

. . . نقل ابن السمعاني من رؤ يا بعضهم فيما يرى النائم كأن الشمس طلعت من مغربها، مع تعبير ثقات المعبرين ببدعة تحدث، فحدثت في جميع المغرب بدعة الأمر بإحراق كتبه[1] . . . (أي كتب الغزالي).

ويقول الغزالي ذاته في كتابه «الإملاء في إشكالات الإحياء»:

. . . سألتَ . . . عن بعض ما وقع في الإملاء الملقب بالإحياء مما أشكل على من حُجب فهمه وقصر علمه ولم يفز بشيء من الحظوظ الملكية قِدْحه وسهمه، وأظهرتَ التحزن لما شاش به شركاء الطعام وأمثال الأنعام وإجماع العوام وسفهاء الأحلام وذعار أهل الإسلام، حتى طعنوا عليه ونهوا عن قراءته ومطالعته، وأفتوا بمجرد الهوى على غير بصيرة بإطراحه ومنابذته، ونسبوا مُمليه إلى ضلال وإضلال، ونبذوا قراءه ومنتحليه بزيغ في الشريعة واختلال[2] . . .

- يهمنا في هذه النصوص إحراق كتب الغزالي وتضليله، أما دفاعه عن نفسه ودفاع العيدروس عنه فهو أمر عادي، إذ كل إنسان يدافع عن نفسه وعن عقيدته بما يستطيع.

- وهذه طائفة من العلماء الذي اعترضوا على الغزالي وكتبه، منهم:

- الإمام أبو عبد الله محمد بن علي المازري (من فقهاء المالكية توفي سنة ٥٣٦هـ في

---

(١) هامش إحياء علوم الدين: ١ / ٢٩.   (٢) هامش إحياء علوم الدين: ١ / ٤٩.

المهـديـة). له كتـاب «الكشف والإنبـاء في الـرد على الإحيـاء»، من أقواله في الغزالي: «. . . وعرفني بعض أصحابه أنه كان له عكوف على رسائل إخوان الصفا، وهي إحدى وخمسون رسالة . . . (إلى أن يذكر ابن سينا) ثم يقول: وقد رأيت جملاً من دواوينه (أي ابن سينا)، ورأيت هذا الغزالي يعوّل عليه في أكثر ما يشير إليه من الفلسفة[1]. . .

ـ ابن الصلاح، تقي الدين عثمان بن عبد الرحمن (المحدث المعروف، تنقل وتوفي في دمشق سنة ٦٤٣هـ): تكلم في الغـزالي بكلام قادح فيه، وطعن على كتبه بأنها مشتملة على خرافات وأكاذيب وموضوعات[2].

ـ عبـد اللطيف الحنبـلي[3]: يقـول في رسـالـة لبعض أصحـابـه: . . . بلغني أنـك اشتغلت بالقـراءة في كتـاب «الإحيـاء» للغـزالي، وجمعت عليـه من لديـك من الضعفاء والعـامـة الـذين لا تمييـز لهم بين مسـائـل الهـدايـة والسعـادة ووسـائل الكفر والشقاوة، وأسمعتهم ما في «الإحيـاء» من التحـريفـات الجـائـرة، والتأويـلات الضـالـة الخاسرة، والشقاشق التي اشتملت على الداء الدفين . . . قد حذر أهل العلم والبصيرة عن النظر فيها . . بل أفتى بتحريقها علماء المغرب ممن عرف بالسنة، وسماها كثير منهم «إماتة علوم الدين»، وجزم بأن كثيراً من مباحثه زندقة خالصة لا يقبل لصاحبها صرف ولا عدل[4].

ـ والقاضي عياض[5]: من أقواله: الشيخ أبو حامد ذو الأنباء الشنيعة، والتصانيف الفظيعة . . . وساءت به ظنون الأمة[6] . . .

ـ والذهبي[7]: يقول: قد ألف الرجل (أي الغزالي) في ذم الفلاسفة . . . ووافقهم

---

(١) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٦ نقلاً عن طبقات السبكي.

(٢) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٨.

(٣) لم أستطع معرفة هويته.

(٤) غاية الأماني: ٢ / ٣٦٩.

(٥) القاضي عياض (أشهر من أن يعرف) بن موسى بن عياض، عالم المغرب، وإمام أهل الحديث في وقته، توفي في مراكش سنة ٥٤٤هـ / ١١٤٩م.

(٦) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٠.

(٧) الـذهبي، أشهر من أن يعرف، هو محمد بن أحمد بن عثمان . . الحافظ المؤرخ العلامة، توفي في دمشق سنة ٧٤٨هـ / ١٣٤٨م.

في مواضع ظنًا منه أن ذلك حق أو موافق للملة، ولم يكن له علم بالآثار ولا خبرة بالسنن النبوية القاضية على العقل، وحُبب إليه إدمان النظر في كتاب «رسائل إخوان الصفا»، وهو داء عضال، وجَرَبٌ مُرِد، وسم قاتل . . . فالحذر الحذر من هذه الكتب، واهربوا بدينكم من شُبَه الأوائل[1] . . .

- وأبو عبد الله القرطبي[2] (صاحب التفسير) يقول: إن بعض من يعظ، ممن كان ينتحل رسم الفقه ثم تبرأ منه شغفاً بالشرعة الغزالية والنحلة الصوفية، قد أنشأ كراسة على معنى التعصب لكتاب أبي حامد، إمام بدعتهم، فأين هو من تشنيع مناكيره، وتضليل أساطيره المباينة للدين وشريعة سيد المرسلين[3] . . .

- وأبو بكر الطرطوشي[4]: يقول: شحن أبو حامد كتاب «الإحياء» بالكذب على رسول الله ﷺ، وما على بسيط الأرض أكثر كذباً منه، شبكه بمذاهب الفلاسفة ومعاني رسائل إخوان الصفا، وهم قوم يرون النبوة مكتسبة[5]. وللطرطوشي كتاب كبير في الرد على «إحياء علوم الدين».

- ابن رشد (الحفيد)، أبو الوليد محمد بن أحمد بن محمد بن أحمد بن رشد، أشهر من أن يعرف[6]، من أهل قرطبة له كتاب «تهافت التهافت» في الرد على الغزالي.

- وغيرهم كثير.



---

(1) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٠.

(2) محمد بن أحمد بن أبي بكر الخزرجي الأندلسي، صاحب التفسير المشهور، رحل وتوفي في مصر سنة ٦٧١هـ / ١٢٧٣م.

(3) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٢.

(4) محمد بن الوليد الفهري الأندلسي الطرطوشي، رحل وتوفي في الإسكندرية سنة ٥٢٠ هـ / ١١٢٦م.

(5) غاية الأماني: ٢ / ٣٧٢.

(6) توفي في مراكش سنة ٥٩٥هـ / ١١٩٨م، ونقلت جثته إلى قرطبة.

□ وقفة مع آية قرآنية :

أليس من الجائز أن تكون الشجرة التي نُهيَ آدم وحواء عن أكلها هي من نوع القنب الهندي (الحشيش) أو الخشخاش (الأفيون) أو فطر المكسيك أو ما شابهها؟ مما يسبب الهلوسة؟

الدافع إلى قبول هذه الفكرة ما يلي :

١ ـ ﴿ . . قالَ يا آدمُ هل أدُلُّـكَ على شجـرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلى﴾، ﴿ . . . مانَهـاكُـما ربُّكُما عن هذه الشجرةِ إلا أنْ تَكونا مَلَكَيْنِ أو تَكُونا مِن الخالِدينَ﴾ .

رأينـا أن من آثـار تنـاول المهلسـات، شعـور المجـذوب بسببها أنه ملك من الملائكة، وشعوره باللحظات القصيرة وكأنها آلاف السنين، وشعوره بأنه أدرك الواقع الحقيقي للعالم، وأن كل الأسرار تتكشف أمامه، وشعوره بأن نظره يحيط بفراغات لا متناهية، ورؤ يته قصوراً وباحات وأقواساً وحدائق، ورؤ يته أنه يعيش في رؤ ى جنة .

هذه المشـاهـدات والإحساسات، أليست نفس ما وصف به إبليس الشجرة المحرمة : ﴿شجرةِ الخلدِ وملكٍ لا يَبْلى﴾، ﴿أن تكونا مَلَكَيْنِ أو تكونا مِن الخالِدين﴾ .

٢ ـ كذلــك تقــديس الأمم الـوثنيـة لها، وتسميتهم الأفيـون «حجـر الخلود» و«شـراب الألهة»، وتسمية الحشيش «إكسير الخلود» . . . إلى آخر ما مر قبل صفحات .

أليس هو نفس معنى ﴿شجــرةِ الخُلدِ﴾ و﴿تكــونـا مِن الخـالِـدِينَ﴾، مع العلم أن المصدر في الحالتين هو إبليس .

٣ ـ ﴿يا بَني آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخْرَجَ أبَوَيْكُم مِن الجنَّةِ يَنْزِعُ عنهما لِباسَهما لِيُرِيَهُما سَوْءاتِهِما . . .﴾، ﴿ . . . فوَسْـوَسَ لهما الشيطـانُ لِيُبْـدِيَ لهما ما وُورِيَ مِن سَوْءاتِهِما

. . . ﴾، ﴿. . . فأكلا منها فبَدَتْ لهما سَوْءاتُهُما . . . ﴾.

أكلا منها، فنزع عنهما لباسهما، فبدت لهما سوءاتهما: أليس هذا ما يحدث لمتعاطي المهلسات؟

إن الصحف والمجلات تحدثت كثيراً عن شباب وفتيات يتعرون في الطرقات أثناء جذبة المخدرات، كما رأينا أن التعري يكاد يكون من لازمات جذبة التصوف! والمصدر هو إبليس في جميع الحالات.

أفلا يساعد هذا على قبول أن الشجرة المحرمة هي من أشجار الهلوسة؟

٤ - رأينا أن من هلاوس جذبة المخدرات (وجذبة التصوف)، رؤية الأطراف طويلة جدًّا، فعندما يتعرى المجذوب، يرى ما كان ذا امتداد من السوأة وقد غدا طويلاً، حتى قد يثير طوله الرعب! كما يرى ما كان ذا انخفاض منها خندقاً عميقاً، قد يثير الرعب أيضاً! كما يظهر الفرق بين سوأتي الرجل والمرأة مثيراً للدهشة! خاصة إن كانت الرؤية تحدث لأول مرة! الأمر الذي يثير الانتباه مهما كانت الغفلة!

أفلا تسيطر علينا فكرة أن هذا ما حدث لآدم وحواء؟ أكلا من الشجرة، فنزع عنهما لباسهما، فبدت سوآتهما مختلفة الشكل مضخمة الأبعاد، مما أثار انتباههما؟

• - ﴿يا بَني آدَمَ لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِن الجنةِ يَنْزِعُ عنهما لِباسَهُما لِيُرِيَهُما سَوْآتِهما﴾.

أفلا تبين هذه الآية بوضوح أن إبليس يفتن بني آدم بنفس الخدعة التي أخرج بها أبويهم من الجنة، لأن الله سبحانه لم ينهنا أبداً عن شيء لا وجود له في الواقع، وهذه الآية لن تكون شاذة عن سائر الوحي.

وبدراسة الأديان الوثنية نرى الحشيش والأفيون وما شابههما، تلعب دوراً هاماً في عقائدها، وقد مر بعض هذا في فصل سابق.

كما أن كهانهم كانوا يقدمونها لمريديهم بنفس الحجة التي قدمها إبليس ﴿شجرةِ الخلدِ ومُلْكٍ لا يَبْلى﴾، وكانوا يستعملونها كذلك للحصول على الحكمة وللوصول إلى الحقيقة وبنفس الحجة.

أي إن إبليس فتن بني آدم بشجر الهلوسة (الحشيش ورفاقه).

أفلا يحق لنا أن نعتقد أن هذه الفتنة هي نفس الفتنة التي أخرج بها أبويهم من الجنة من قبل؟ انطلاقاً من منطوق الآية: ﴿لا يَفْتِنَنَّكُمُ الشيطانُ كما أخرَجَ أبَوَيْكُم . . .﴾.

٦ ـ عند عدم وجود هذه الشجرة، بسبب عدم زرعها، أو بسبب تحريمها دينيًّا، نرى أن إبليس لم يتنازل عنها، بل فتش عما يقوم مقامها حتى وجده، فعلّم بني آدم طريقة في الرياضة يستطيعون بها استغلال المخدر القوي الذي تفرزه بعض غددهم، واستعماله في غير ما خلق له، وأقنعهم كما أقنع أبويهم من قبل، أن هذا هو طريق الخلود والملك الذي لا يبلى والسير إلى الله . . . وسماها لهم أسماء خداعة كالحكمة والإشراق والمعرفة . . .

أي إنه فتنهم بمادة من زمرة المادة الموجودة في شجرة الهلوسة، بل وأقوى منها.

أفلا نرى في هذا دليلاً مؤكداً على أن الشجرة المحرمة من شجر الهلوسة؟

٧ ـ في هذا التفسير القائل بأن الشجرة المحرمة هي شجرة هلوسة من زمرة الحشيش، نجد مكاناً لكل كلمة وفكرة واردة في الآيات الكريمة.

بينما في بقية التفاسير المعروضة حتى الآن (كالقول أنها الحنطة أو التفاح أو شجرة تسبب الغائط . .) لا نجد مكاناً لأكثر كلمات الآيات، أو لبعضها على الأقل.

أفلا يصح هذا أن يكون دليلاً على أن الشجرة هي من زمرة الحشيش والأفيون؟

ـ بلى، إن قبولنا أن الشجرة المحرمة هي من زمرة الحشيش والأفيون، يعطي تفسيراً كاملاً للآيات، كما ينسجم مع أسلوب إبليس التاريخي والمستمر في إضلال بني آدم، ومع واقع الأديان الإنسانية.

وعندما يتعذر وجود الحشيش وزمرته، بسبب من الأسباب، فالمجاهدة الصوفية (أو الرياضة) تقوم بالواجب الكامل وتؤدي نفس الدور بدقة تامة ومظهر أكثر خداعاً وأشد مكراً وأقوى تأثيراً.

ـ ولنتذكر أن المخدرات والمهلسات مقدسة في الأديان الوثنية، وأنها مصدر رئيسي

لعقائدهم.

وقد يقول قائل: إن أشجار الملوسة من الخبائث، وليس في الجنة خبائث.
والجواب:

١ - إن الله يفعل ما يريد، وهو سبحانه غير خاضع لمنطقنا الإنساني، ودور منطقنا وعقلنا في هذه الأمور الغيبية لا يتعدى العمل على فهم النص فهماً صحيحاً.

٢ - تحريم أكل تلك الشجرة على آدم لا يدل بالضرورة على أنها من الخبائث، فقد تكون خلقت لغاية أخرى غير الأكل، كأن تكون طيبة الرائحة أو اللون أو غير ذلك مما لا نعرفه، أو تكون من الأشجار التي تثمر بعض حاجيات أهل الجنة، كاللباس مثلاً، وقد تكون طعاماً طيباً لبعض مخلوقات الجنة، إلى غير ذلك.. فتكون من الطيبات. ويكون الخطأ هو استعمالها في غير ما خلقت له، ومثل ذلك شجرة العنب التي هي من الطيبات، حتى إذا استعملت للخمر أصبحت من الخبائث.

وأوضح من كل هذا، الأندرفين الذي يفرزه الدماغ في جسم الإنسان، فهو ليس من الخبائث، لكن سوء استعماله هو الخبيث.

★ نماذج من دور «شجرة الخلد وملك لا يبلى» في الوثنيات:

يقول الدكتور نقولا فياض:

... وقد أبقت ألواح الآشوريين وورق البردي في مصر لألف وخمسمائة سنة قبل المسيح صوراً تمثل الرجال والنساء والبنات والشباب وهم يسيرون نحو الحقول تحت ستار الليل ليحصدوا رؤوس الخشخاش الخضراء ويستخرجوا حصيدها المسكر مستعملين في ذلك حركات وإشارات وطقوساً دينيه[1].

- لعل القارىء انتبه أيضاً إلى أن قطاف الخشخاش بالليل بالذات هو طقس ديني، وطبعاً، الخشخاش هو النبات الذي يستخرج منه الأفيون.

ويقول أيضاً:

---

(١) قصة التغلب على الألم، ص١٤٢.

وكان كهان المجوس وعبدة الأوثان يعتبرون نوم الأفيون جسراً يربط النفس البشرية بمقر الآلهة. والدراويش يسمونه عطر الفردوس. وفيه يقول الشاعر:

يحيا من الأفيون في عالمٍ لا لَوْمَ فيه ولا حسَد
مِنْ ظلمة الأرض ومِنْ ظلمها إلى ذرى الخلد به يصعد
عطرٌ من الفردوس مَن شمّه كواكب الأفق له تسجد[1]

- يجدر بنا أن نلاحظ التشابه بين وصف الأفيون هنا وبين «شجرة الخلد وملك لا يبلى»، مع التذكر أن إبليس هو نفسه وراء الحالين (أو المقامين).

ومما يورده الدكتور صلاح يحياوي:

* المسكالينا (مهلس):-

يذهب هنود الهينشولا في شهر تشرين الأول من كل عام للبحث عن البيّوته، وهي نبتة صغيرة من الفصيلة الصبارية، ليس لها أشواك، تنمو في السهول العليا من شمالي المكسيك.

ليس سهلاً على هنود الهينشولا بلوغ المناطق حيث تنمو البيّوته، إذ إن عليهم أن يتسلقوا جبالاً ويتخطوا أفجاجاً ضيقة خطيرة، ويعرضوا حياتهم إلى مشاق هذا السفر الطويل؛ كانت كل تضحية تهون على الهندي المكسيكي، لأن هدف مسيرته هو البيوته، الهبة السماوية التي يمنحها له - حسب اعتقاده - الإله «بيّولت». هذا وتوضح الطقوس الدينية لجنْي البيوته عند هنود الهينشولا اعتبارهم لها كهبةٍ إلهية، فبينما يتقدم الرجال نحو أعالي القمم حيث تنمو نبتة العقار، فإن النساء يبقين في القرى صائمات، معترفات بصورة علنية بخطاياهن، يعترفن بكل ما اقترفن في حياتهن، وكي لا ينسين شيئاً فإنهن يعقدن - بعد كل اعتراف على خطيئة - عقدة في حبل من مسد، ويَحْذَرْن جدًّا من نسيان أية خطيئة عندما تأتي ساعة إعادة روايتها، إنهن يعرفن أنهن إذا لم يندمن على كل خطاياهن، أي على كل عقدة من عقد الحبل، فإنهن سيتعرضن إلى غضب الإله بيولت، والإله بيولت إله منتقم جبار، وأقل انتقام ينزله بهم هو حرمانهم من المخدر.

---

(١) قصة التغلب على الألم، ص١٤٢.

أما عندما يرضى الإله «بيولت» عن الهينشولا الأمناء فإنه يمنحهم الهبة السماوية من أوراق البيوته.

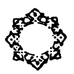
وما إن يعود الهنود إلى قراهم محملين بأوراق المخدر الثمين، حتى يقوموا بتحضيره لتناوله. ويُضفى على أول حفلة سنوية لتناول البيوته كل صفات المشاركة العامة، ويتم ذلك بين الأناشيد وباتباع طقوس دينيه موروثة عن هنود الأستيك، وينتهي الأمر بهنود الهينشولا إلى الاستسلام إلى رؤى الخبل (الهلوسة) التي يهيؤها لهم المخدِّر.

إن سبب هذيان الجنون هذا هو المسكالينا، شبه القلوي الموجود في البيوته . . . أما المسكالينا فهي . . . تجعل متعاطيها ينطوي على نفسه، فهويعاني هذيانات الجنون التي يسببها الورع الصوفي[1].

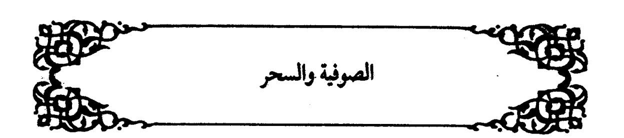
- الرجاء من القارىء أن يلاحظ وصف نوم الأفيون: «جسر يربط النفس البشرية بمقر الآلهة»، وبين عبارات: «الفناء في الله» و«العروج إلى الله»، التي يطلقونها على الجذبة. بل إن كلمة «الجذبة» ذاتها تعني «ربط النفس البشرية بالإله».

- والرجاء من القارىء أن يلاحظ الدور الذي تلعبه أشجار الهلوسة في ابن آدم وتديُّنه، وكيف يطلق عليها الصفات التي تشبه وصف إبليس للشجرة المحرمة.

كما يرجى أيضاً الرجوع إلى آخر فصل «لمحة عن المخدرات» لمراجعة نماذج أخرى من دور شجرة الخلد وملكٍ لا يبلى في فتنة بني آدم.



(١) المخدرات، ص١٤٨ وما بعدها.



الصوفية والسحر

الصوفية هي السحر، والفرق بينهما هو في الادعاء وفي الغاية، فالساحر صادق يعترف أنه ساحر، ويقف عند خرق العادة، والصوفي مخدوع يظن خرق العادة الذي يحدث أمامه من الكرامات، كما أنه يتجاوزه، ويبقى مثابراً على الرياضة حتى يصل إلى الجذبة، ثم يبقى مثابراً حتى يشهد وحدة الوجود، وهذه أقوال من أئمتهم تثبت أن الصوفية هي السحر.

يقول الغزالي «حجة الإسلام»:

أما السحر فهو عمل وكلام قد تداولوه بينهم في أوقات معلومة وطوالع معروفة وطلسمات مضروبة، فإذا أردت أن تولد طلمساً يصلح لما تريد، فخذ من كل ثلاثة أحرف حرفاً، فإذا اجتمعت لك في التأليف ثلاثة أحرف من تسعة فهو طلسم يصلح لما تريد، فانظر في الإسطرلاب عند ساعة التأليف، فهو يصلح لما دلت عليه الدقيقة من الساعة، ومثال: أ ب ت ث فتأخذ الجيم، والثاء أليق عوضاً عن الجيم، ج ح خ خذ الصاد، ص ط ظ خذ العين، فيصير عقرباً[1]، لتدوير الحروف، فضع صورتها على خاتم والقمر في العقرب تكف خاصيتها عنك أذى النساء، ترمي الخاتم في الماء فينفع

(١) جمع أو نصبح لها شكل العقرب إذا قلبت إلى الأعلى.

سقيـاه الملســوع. وتلقي به سوءاً بين من أردت، وتـرش من مائـه على سطـح المبغض أو طريقه أو داره فإنه يستضر من سنة . . .

(ذكر كلمات تفرق بها بين جماعة فاسدة تخافهم) تأخذ أفرداً من شعير حزام، وتقول عليـه أربـع مرات: «هاطاش ماطاش هطاشنة، وألقينا بينهم العداوة والبغضاء إلى يـوم القيـامـة»، وتـرميه من حيث لا يشعرون، وتنظر ما يصنع الله . . . وكثير مثل هذا، وقد حصرناها وشرحناها في كتاب «عين الحياة»، وهو صغير الحجم كثير الفوائد[1] . . .

ومما يقول:

واعلم أن هذه الصنـاعـة (صنـاعـة الإكسـير) هي صنـاعة ربانية لا يقدر عليها إلا الأبـدال والـرجـال والأبطال الذين كشف الله الرين عن عيون قلوبهم، وهذه لا تصح إلا للطـائـع . . . ونحن نذكر خواصًا دالة مظهرة لبدائعها وصناعتها مذكورة في كتاب «عين الحياة»[2] . . .

ومما يقول:

من أراد أن لا تبصره ولا تراه العيون، فليزرع الخروع عند بدوّزراعة القطن في رأس سنور أسود، فإذا طلع يخيط عليه كيساً، ويربيه حتى يجنى القطن، ثم يقطف العنقود كما هوبكيسـه، ويشقـه حجـرة، ويأخـذ مرآة بيده، ثم يقطف منه حبة حبة ويضعها في فمه وينظر صورته في المرآة، فأي حبة لم يشاهد فيها نفسه عند نظر المرآة فليمسك عليها.

ولهم الأبهر الضم، وهو نبت في الأرض على صورة ابن آدم، فهذا يصلح لمن علقه على نفسـه، لو مر بحجر لتبعه الحجر.

ولهم حشيشـة تسمى بحشيشـة الـراسن، تبخـر من أوراقهـا على اسم من تريـد، فيأتيك وإن لم يرد، ولكن بشرط أن تقول هذه الكلمات على البخور، تقول: «يا جامع يا جن اجمعـوا وقـدمـوا لاق لاق عاجـلاً عاجلاً أشروثا أشروثا كيبيا ال صبي، ائتنا كرهاً أو طوعاً، قالتا أتينا طائعين» وليكن في يوم الأحد أو الأربعاء[3] . . .

---

(١) سر العالمين: ٢ / ٦٥ و ٦٦.
(٢) سر العالمين: ٢ / ٦٨.
(٣) سر العالمين: ٢ / ٧١.

ومما يقول:

المقالة الثامنة عشرة في عزائم التسخير

تقف أول ساعة من يوم السبت مستقبل الغرب بثياب سوداء وزرق بأبخرة مذكورة مثل اللبان والحرمل وقشور الرمان والخردل البري، ثم تقول في وقت سعيد من تثليث أو تسديس مناظ إلى شرف، فتقول: «أيها السلطان الأعظم، والملك العرمرم، مالك الفلك التابعة له النجوم، الخاسف المزلزل، زحل أنت أشرف الكواكب وسيدها وقائدها ومؤيدها، أسألك أن تعطيني وأن تمنحني ما يصلح منك لي[1] . . .

. . . فالذي يطلب من زحل، وهو كيوان، مثل المنافع الأرضية، وإظهار الكنوز وشق الأنهار والأشجار، وأما ما يخص الشمس فمثل الملك والملكة، والقمر لائق بالوزارات، والمريخ بالحروب والبأس، وعطارد للكتابة والنقش والحساب والهندسة والعلوم الدقائق والعزائم ومخاطبات الجن، كما سبق ذكره، وأما المشتري فهو للزهد والديانة وحل الطلسمات السماوية، ثم الجمعة للزهرة، قالوا: إنما أمر باجتماع الخلق عند نصف النهار في هيكل العبادات، لاجتماع خواص الأنفاس ليؤثر ذلك في حصول المطالب، لشرف نفسه الفياض منه على تابعيه من قولهم في لحظة واحدة «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد»[2].

ويقول محيي الدين بن عربي «الشيخ الأكبر»:

. . . وإن سألك عن الحرز، فاكتب له هذه الأسماء: بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم.

" سطم ١عه٢٢٩١٩٩ ٩ ١١١ ١١سه١ عه ١ ٢٢<<١٢-٩١٦١٩١

حطل ــــــ كطط ٩٥ كط ــــــ طلعه

٨٠١ دم ررب سوامف [ف ٤ د ٨٩ اوم رى سوال] ويضاف إليها آيات «أوليس الذي خلق السماوات والأرض بقادر على أن يخلق مثلهم» . . . ويضيف: وخوفي أخوف من خوف مساء أو صباح أصباؤت آل شداي على الأعلى عظيم الأمور إن الله هو التواب

---

(١) سر العالمين: ٢ / ٧٣. (٢) سر العالمين. ٢ / ٧٥.

الرحيم لسالمين الصالحين اركض برجلك . . .

وإن سألك عن زيادة البخور فاكتب له هذه الأسماء في قرطاس . . . ثم تبخره ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث ترمي المجمرة وما فيها من الفحم وغيره في مفرق طريق له أربع طرائق، أو تكتب له ذلك أربعة أيام وترمي المجمرة كل يوم في مفرق آخر[1] . . .

ويقول في نفس الكتاب:

. . . وإن سألك عن العزيمة فقل له: يحتاج إلى بيضة دجاجة حمراء، ويكتب عليها هذه العزيمة: «يا سما سلمعونة يا القب المدين مدين الاسمين يا مالك الجن والشياطين يا حي يا قيوم احبس السارق . . . أهيا شراهيا أدوناي أصباؤت آل شداي الساتر» ثم تدفنها في المطبخ[2] . . .

. . . وإن سألك عن العزيمة . فاكتب له هذه العزيمة والأسماء في قرطاس، وعلقها في مهب الريح، فإنه يرجع ما سرقه بإذن الله تعالى، وهذا كتابه: هطوس هطوس واله قادس ماس ريحان الأطبال آل شداي اسلام أم موسى أهيكلات داود وحرز عظيم فلعلعح العميلع سيرهوه عبوس عبوس كمال الما أجيبوا الله[2] . . .

● **الملاحظة:**

من اطلع على كتب السحر يعرف أن هذا هو السحر نفسه.

وهذه رشنة أخرى من كتابات قطب آخر هو أحمد بن علي البوني، ولكن قبل إيراد بعض أقواله، قد يكون من المفيد أن نعرف مكانته عند القوم ودرجته في التصوف.

يقول يوسف النبهاني، في ترجمته للمذكور:

(أبو العباس أحمد بن علي البوني) من كبار المشايخ ذوي الأنوار والأسرار، وممن أخذ عنه المرسي، فمن كراماته أنه كان مجاب الدعوة ... توفي سنة ٦٢٢هـ، قاله

(١) مجموعة ساعة الخير، ص٦.

(٢) مجموعة ساعة الخير، ص٧.

المناوي[1].

أظن أن القارىء عرف أن المرسي هو أبو العباس المرسي، قطب الغوث، تلميذ أبي الحسن الشاذلي، وهذه شذرة من كتاب البوني المشهور «شمس المعارف الكبرى»:

باب رياضة «قل أوحي» المشهورة

اعلم أيها الأخ إذا أردت ذلك، صم ثلاثة أيام أولها الثلاثاء ثم الأربعاء والخميس، وهو صيامك عن غير ذي روح، وأنت تبخر بحصا لبان وجاوي ليلاً ونهاراً، وأنت تقرأ السورة الشريفة في مدة ثلاثة أيام ألف مرة في تلك المدة المذكورة . . . واجتهد أن يكون ختمك من قراءتها ليلة الجمعة الثلث الأوسط من الليل، فإنه يحضر لك خادمها، وهو رجل قصير طويل اليدين، فيجلس قدامك، ويقول لك: «السلام عليك»، فثبت جنانك، فإن عليه هيبة عظيمة . . . والعزيمة والدعوة هي السورة الشريفة بتمامها وكذا البخور. واعلم أيها الواصل أنها من الأسرار المختصة وأنها من كتب الأنبياء والأولياء وأسرارهم، وهي هذه، تقول: ﴿بسم الله الرحمن الرحيم قل أوحي إلي﴾، اللهم إني أسألك يا منزل الوحي من فوق سموات . . . ﴿إلا من ارتضى من رسول . . . وأحصى كل شيء عدداً﴾، اللهم إني أسألك بحق المساجد لله وبحق عبادك الصالحين . . . يا خدام هذه الدعوة الروحانيين . . . أقسمت عليكم بهذه الدعوة والأسماء والسورة بحق أرقوش، كلهوش، بططهوش، كمطهلوش، بهوش، قانوش، أقسمت عليك يا روقيائيل الملك الموكل بفلك الشمس[2] . . .

ونص آخر:

(فصل): تكتب هذه الأسماء في وسادة للمتباغضين من الزوجين، وهي أسماء أم موسى، يوم الجمعة عند جلوس الإمام على المنبر، أو شرع في الأذان الأول، بالزعفران وماء الورد والطيب والقرنفل مفروكاً في ماء ورد، ثم اطو الكتاب وتصمغه بالغالية، وتجعل الكتابة في جوف الوسادة التي ينامان عليها، فإنهما يتحابان، وهذا ما تكتب:

---

(١) جامع النبهاني: ١ / ٥٠٨.

(٢) شمس المعارف، ص١٢٢ و١٢٣ و١٢٤.

طسوم، عيسوم، علوم، كلوم، حيوم، قيوم، ديوم،[1] . . ».

ـ **أقول: إن هذا هو السحر نفسه، والذي لا يصدق يستطيع أن يلقي نظرة على كتب السحر.**

ـ وهذه أسانيد علوم البوني، يقول:

. . . (وأيضاً سندي بعلم الحروف) إلى الشيخ الإمام أبي الحسن البصري، وهو أخذ عن[2] **حبيب العجمي وهو أخذ عن الشيخ داود الجيلي وهو أخذ عن الشيخ معروف** الكرخي، عن الشيخ سري الدين السقطي، عن شيخ الوقت والطريقة معدن السلوك والحقيقة الشيخ الجنيد البغدادي، عن الشيخ حماد الدينوري، عن الشيخ أحمد الأسود، عن الشيخ محمد الغزالي، عن الشيخ أبي النجيب السهروردي وهولقن الشيخ العارف الفاضل أصيل الدين الشيرازي، وهولقن الشيخ عبد الله البابابي، وهولقن الشيخ قاسم السرجاتي، وهولقن الشيخ السيرجاني، وهولقن الشيخ الإمام العارف الصمداني والهمام النوراني جلال الدين عبد الله البسطامي، وهولقن شمس وصلتي وبدر قلبي طود الحقائق الشامخ وجبل المعارف الراسخ شمس العارفين وسر الله في الأرضين أبا عبد الله شمس الدين الأصفهاني.

(وأيضاً سندي بعلم الأوفاق) . . . وأخذ منه أيضاً عن الشيخ الإمام العلامة سراج الدين الحنفي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين القدسي، وهو أخذ عن الشيخ شمس الدين الفارسي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين الهمداني، وهو أخذ عن الشيخ قطب الدين الضيائي، وهو أخذ عن الشيخ محيي الدين بن عربي، وهو أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن التوريزي، وهو أخذ عن الشيخ أبي عبد الله القرشي، وهو أخذ عن الشيخ أبي مدين الأندلسي.

(وأيضاً) أخذت هذه الرواية عن الشيخ محمد عز الدين بن جماعة الشافعي، وهو أخذ عن الشيخ محمد بن سيرير، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين الهمداني، وهو أخذ

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص٢١٣.

(٢) يجب أن تكون: «هو أخذ عنه حبيب العجمي، وهو أخذ عنه الشيخ داود . . . وهكذا حتى: عنه الشيخ أبي النجيب».

عن قطب الدين أيضاً، وهو أخذ عن الشيخ محيي الدين بن عربي.

(وأيضاً) سندي بعلم الحروف والوفق إلى الشيخ الإمام العالم العلامة الفقيه الثقة مساعد بن سادي بن مسعود بن عبد الله بن رحمة الهواري الحميري القرشي، وهو أخذ عن الشيخ شهاب الدين أحمد الشاذلي، وهو أخذ عن الشيخ تاج الدين عطاء المالكي الشاذلي، وهو أخذ عن الشيخ أبي العباس أحمد بن عمر الأنصاري المرسي.

و (أيضاً) سندي بعلم الحروف والوفق إلى الشيخ الإمام العلامة أبي العباس أحمد بن ميمون القسطلاني، وهو أخذ عن الشيخ أبي عبد الله محمد بن أحمد القرشي، عن الشيخ الإمام العلامة أستاذ العصر وأوحد الدهر أبي مدين شعيب بن حسن الأنصاري الأندلسي رأس السبعة الأبدال وواحد الأربعة الأوتاد[1]... إلخ.

● الملاحظة:

لو رجع القارىء الكريم إلى كتب السحر لوجد أن علم الحروف وعلم الأوفاق (أو الوفق) هما بابان من أبواب السحر. ولنلاحظ أن رجال الأسانيد من أقطاب الصوفية.

ومن أقوال ابن سبعين في الرسالة النورية:

... ومن فضيلته (أي الذكر) أنه ينفع في سبع خواص من السيمياء.. ومن أراد استعمال قوى الكواكب بحسب صناعة أهل العلم الرياضي لا بد له من الذكر، وذلك بعد الدستورية، أعني أن يكون الكوكب في بيته أو شرفه في الوتد وينظر الكوكب إليه من بيته أو شرفه من الوتد، كالزهرة في الميزان في الطالع، وزحل في الجدي أو في الميزان، والمريخ في الجدي، واعلم أن الكوكب إذا كان في الحيز أو البرج أو الدستورية كان أظهر فعلاً وأقوى تأثيراً، ثم يعمد إلى اتخاذ الصورة والاسم والبخور والأفعال، مثال ذلك برج الثور: تستعمل صورة إذا كان في الوجه الثاني ويريد الحكيم أن يخدم أمره، يتخذ صورة ثور مضروب الوسط ويناديه: «لهرلرل»، وينجر بذنب الفأرة، ويفعل الأمور المهلكة بإذن الله، ويقول في جميع خدمته: يا حمرلايل يا ديرلايل يا جبرلايل، ومفهوم ذلك: يا ملك القوى السارية في الأجسام الفلكية والطبيعية والذرات العارفة لك والتي فوقها يا نور

---

(١) شمس المعارف الكبرى، ص٥٣٠ وما بعدها.

النور[1] . .

ويقول في فصل آخر:

. . . وهذه السيمياء تنقسم إلى خمسة أقسام: الكاذبة منها الذي يذكرها مسلمة المجريطي صاحب «رسائل إخوان الصفا»[2]، والمشكوك منها الذي يزعم ابن مسرة أنه وصله، والصحيح منها الذي إذا وصف للفقيه سماه كرامة، وإذا ذكر للحكيم سماه تصريفاً، وإذا ذكر للمقرب المحقق سماه فتنة[3] . . .

ـ أظن أن القارىء الكريم يعرف أن السيمياء هي السحر.

ويقول عبد الوهاب الشعراني مدافعاً عن الصوفية:

. . . فإن قيل: إن هذه الكرامات تشبه السحر، فإن سماع الإنسان الهواتف في الهواء، وسماع النداء في بطنه، وطي الأرض له، وقلب الأعيان، ونحو ذلك غير معهود في الحس أنه صحيح، إنما يظهر ذلك من أهل السيمياء والنارنجات؟ فالجواب ما أجاب به المشايخ العارفون والعلماء المحققون في الفرق بين الكرامة والسحر، أن السحر يظهر على أيدي الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير شريعة، وأما الأولياء رضي الله عنهم فإنهم وصلوا إلى ذلك بكثرة اجتهادهم واتباعهم للسنة[4] . . .

● الملاحظة:

إنه يجعل الصوفية متبعين للسنة بكثرة اجتهادهم، وهذا غير صحيح، إذ أنهم يصلون إلى خرق العادة بالرياضة الصوفية التي لا تمت إلى السنة ولا إلى الإسلام بأية صلة.

كما أن الساحر أيضاً يصل إلى خرق العادة بنفس الأسلوب تماماً.

والشيخ هنا يعترف أن خوارق المتصوفة وخوارق السحرة هي شيء واحد.

---

(١) رسائل ابن سبعين، ص١٦٠ و ١٦١.

(٢) المشهور أن رسائل إخوان الصفا من تأليف جماعة من البصرة، وقول ابن سبعين هذا يحتاج إلى تحقيق.

(٣) رسائل ابن سبعين، ص٢٥٣ و ٢٥٤.

(٤) طبقات الشعراني: ١ / ١٤.

ويقول أحمد بن محمد المالكي الصاوي في حاشيته على «شرح الخريدة البهية»:

. . . سيدي محمد الخلوتي . . . أخذ عن الشيخ دمرداش فأحبه وقربه وشغله بالطريق وأخلاه (أي أدخله الخلوة) مراراً، وظهرت نجابته وجد واجتهد واشتهر وتلقى عنه علم الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل، فأتقن ذلك[1] . . .

ـ أظن أن القارىء الكريم يعرف أن الأوفاق والحرف والزايرجا والرمل هي من أبواب السحر، ولعله يعرف أيضاً أن أحمد الصاوي كان شيخ الطريقة الخلوتية.

ومن كتاب «النفحة العلية في أوراد الشاذلية»:

(فصل) في ذكر الدائرة والخاتم والحرز والسيف، وكلها أسماء بمسمى واحد، وفي كيفية وضعها وما فيها من الخواص قراءةً وحملاً، وضبط أسمائها المعجمة وغير ذلك.

اعلم أن الرواية في هذه الدائرة من طريقين، أحدهما: عن سيدي الإمام أحمد أبي العباس المرسي، والثانية: عن سيدي الإمام شهاب الدين ولد الشيخ أبي الحسن الشاذلي رضي الله عنهم.

أما خواصها؛ فمنها ما رواه سيدي الإمام شهاب الدين عن والده قال: هذه الدائرة ورثتها عن آبائي وأجدادي الكرام، ويريد آباءه في الطريق، قال: وكان الشيخ يكتب هذه الدائرة بالسند، وقال: من كانت هذه الدائرة على رأسه لا يموت (أي مادامت على رأسه)[2] . .

وهذه هي الدائرة:

طهورٌ، بَدْعقٌ (وفي رواية بالمثناة)، مُحَبَّبَةٌ، صورةٌ (وفي رواية بالسين) سقغاطيس (وفي رواية: سبقاطيس)، سقاطيم (وفي رواية: سفاطيم)، أحونٌ، قافٌ، أدُمٌّ، حَمٌّ، هاءٌ، أمينٌ (أو آمين).

. . . اعلم أن هذه الأسماء هي من أسماء الله تعالى، ليست بلسان من ألسنة عالم

---

(١) حاشية العلامة الصاوي على شرح الخريدة البهية، ص١٤٩.
(٢) النفحة العلية، ص١٩١.

الملك ولا عالم الملكوت، ولا بلغة من لغات العالمين، وإنما هي أسماء جبروتية يذكر الله تعالى بها في روضة من رياض جبروته . . . فاعلم أن الله قد جمع في هذه الأسماء علوم الأولين والآخرين[1] . . . (ثم يرسم صورتها التي تكتب بها في الحرز، وهي مربع داخله ست دوائر مكتوب على دائرته الكبرى الطلسم نفسه، وعلى بقية الدوائر آيات قرآنية)، ثم يقول:

هذه على وفق العبارة المتقدمة، ورأيتها بخط شيخنا حفظه الله تعالى، وقال في الحاشية من نسخته: وينبغي أن تكون الدائرة الكبرى ملاقيةً للخطوط الأربعة (أي أضلاع المربع) لا خارجة عنها ولا داخلة.

وقد وضع صورتها الشيخ اليافعي في كتاب «الدر النظيم في خواص القرآن العظيم» على كيفيتين رواهما من طريقتين، الأولى عن الشيخ أبي العباس المرسي . . والرواية الثانية عن سيدي الإمام تقي الدين عن أبيه سيدي الإمام شهاب الدين عن أبيه الشيخ أبي الحسن الشاذلي[2] . . . (يرسم الصورتين وهما مختلفتان عن الصورة الأولى) . . . إلى أن يقول: وذكر أنها أيضاً تكتب في حريرة بيضاء بمسك وزعفران وماء ورد في رابع عشر من رمضان، وتلف في رق غزال. وهو سيف الشاذلية وفيه اسم الله الأعظم وسره الأفخم. فتدبره فهو الكبريت الأحمر وبعضه من الدرياق الأكبر[3] . . .

ـ الدرياق معربة من كلمة «تارياك» التي تعني «الأفيون».

وكل من اطلع على فنون السحر يعرف أن هذا الذي ذكروه (الدائرة والأسماء والحريرة ورق الغزال . .) هو من أبواب السحر.

ومما يورده أحمد أبو كف في «أعلام التصوف الإسلامي»:

«يقول ابن عطاء الله السكندري عن علم أبي العباس (أي المرسي): هو الجامع بين علم الأسماء والحروف والدوائر[4] . . .» اهـ.

---

(1) النفحة العلية، ص٢٠٣ و٢٠٤.
(2) النفحة العلية، ص٢٠٦ و٢٠٧.
(3) النفحة العلية، ص٢٠٨.
(4) أعلام التصوف الإسلامي، ص٦٣.

وطبعاً، علم الأسماء والحروف والدوائر هو من أبواب السحر.

ـ نكتفي بهذه النصوص، وهي كافية للدلالة على أن الصوفية هي السحر.

ولا بأس من توضيح الطريقة التي يتبعها المريد ليكون من السحرة، وقبل ذلك نقول للقارىء: اتق الله واعلم «إنما فتنة فلا تكفر» ولا تسر في هذا الطريق تحت أي عذر، كان ما كان هذا العذر، لأنها طريق إلى الهاوية. وهذه هي الطريقة:

وصحبة شيخ وهي أصل طريقهم فما نبتت أرض بغير فلاحة

فالشيخ الساحر الكامل ضروري، فهو الذي يوجه مريده حسب خبراته وتجاربه السابقة.

والطريقة هي نفس الطريق الإشراقية، خلوة وجوع وسهر وصمت وجلسة من جلسات اليوغا وتركيز الذهن على الأمر المراد تحقيقه مع تركيز البصر على شيء يختاره الشيخ.

يبقى المريد مثابراً على هذه الرياضة مدة قد تقصر وقد تطول، حسب مهارة الشيخ واستعداد المريد، حتى يتحقق الأمر المراد تحقيقه، فيستريح المريد مدة يقررها الشيخ، وهي لا تزيد على أيام على كل حال، ثم يعيد الكرة حتى يتحقق نفس الأمر ثانية، ثم يعيد . . . وهكذا حتى يصل إلى أن يتحقق هذا الأمر له بسهولة كبيرة، وهذه الرياضة صالحة لبعض الخوارق، وخاصة منها ما يتصل بالتأثير على نفوس الآخرين، أو بالاتصال عن بعد (التلباثي).

أما الطريقة الجامعة فهي الخلوة والجوع والسهر وترديد عبارة معينة خاصة بخرق معين يعرفها الشيخ ويلقنها لمريده، وقد يضاف إليها البخور لتسريع الوصول، وهذه الطريقة يستعملها السحرة المسلمون.

يثابر المريد على هذه الرياضة التي قد تقصر وقد تطول، حتى يحصل خرق العادة المطلوب، فيستريح أياماً، حسب توجيه الشيخ، ثم يعاود الكرة حتى يحصل الخرق من جديد، ثم يعاود، وهكذا حتى يصبح الحال عنده مقاماً، حيث يحصل الخرق أمامه بترديد العبارة المعينة (الطلسم) مرات قليلة، وعندئذ يكون قد أتقن عملية سحرية

واحدة.

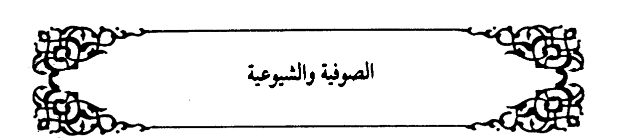
ثم يلقنه الشيخ طلّسماً آخر خاصاً بخرق عادة آخر، فيعود إلى الرياضة من جديد بهذا الطلسم الجديد كما فعل في رياضة الخرق الأول، حتى يصبح الخرق الثاني له مقاماً، فيكون قد أتقن عمليتين سحريتين، وهكذا..

ويتفاضل السحرة بينهم بعدد العمليات السحرية التي يتقنها كل واحد منهم، ومن يريد الوصول إلى الجذبة منهم ثابر على طلسم واحد لا يغيره ولا يستريح حتى يصل إليها.

وقد يمكن الاستغناء عن الشيخ لأفراد نادرين عندهم استعداد نفسي، أو فيزيولوجي أو تشريحي خاص، كما يمكن الاستغناء عن الخلوة والجوع والسهر لأفراد مماثلين.

أي إن السحر هو نفس الصوفية بطريقته ونتائجه، والفرق بينهما هو في الادعاء والتوجه. ثم يأتي بعد ذلك دور الطلاسم والأقسام التي يسميها المتصوفة «الأوراد والأذكار» وهي وإن اختلفت ألفاظها لكن النتيجة واحدة، وكذلك بقية الأبواب.





الصوفية والشيوعية

هناك تشابه عجيب بين الصوفية والشيوعية! ومن وجوه هذا التشابة :

١ ـ الصوفية والشيوعية تلتقيان بعقيدة وحدة الوجود! والخلاف بينهما لفظي؟

فالصوفية يقولون: لا موجود إلا الله، وكل الموجودات هي الله.

والشيوعية يقولون: لا موجود إلا المادة، وكل الموجودات هي المادة.

إذن فالخلاف في التسمية فقط، هؤلاء يسمونها «الله» جل الله وعلا، وهؤلاء يسمونها «المادة».

٢ ـ الصوفية والشيوعية تلتقيان في الكذب الذي لا يعرف الحدود.

فالصوفية يكذبون على الله ومخلوقاته (من العرش إلى الفرش) من دون خوف ولا حياء!

والشيوعيون شعارهم «اكذب ثم اكذب ثم اكذب وسوف تصدق الكذبة».

٣ ـ تلتقيان في الكيد للدين والمكر به! فمثلاً:

يقـول المتصـوفـة: إن الصوفية نزلت وحياً من الله على رسوله، وهي مقام الإحسان!

وكان محمد ﷺ صوفياً، أخذ عنه الطريقة أبو بكر وعمر وعلي، وغيرهم . . . وغيرها من المخادعات.

ويقول الشيوعيون: إن الإسلام دين الاشتراكية، وقد كان حمد ﷺ اشتراكيًّا، وكذلك خديجة وعمر وعلي وأبو ذر . . كانوا اشتراكيين . . . وغيرها من المخادعات.

٤ - تلتقيان بتأليه البشر وعبادتهم وتقديسهم في حياتهم وبعد موتهم.

فالمتصوفة يؤلهون سدنة الصوفية وكهانها (الشيوخ) بشكل عام وشيخ طريقتهم بشكل خاص، والشيوعيون يؤلهون سدنة الشيوعية وكهانها (لينين، ماركس، ماوتسي تونغ، غورغي ديمتروف، . . . وغيرهم) بشكل عام، وحاكم بلدهم بشكل خاص (أو قائد حزبهم).

٥ - تلتقيان في سَجْن الفرد المنتمي إليهما في زنزانة فكرية لا تسمحان له بالتطلع خارجها.

٦ - تتشابهان في الغاية؟

فالصوفية تعد مريدها أن يكون هو الله المتصرف في الكون!

والشيوعية تعد مريدها أن يكون سيد مصيره.

وما يعدهم الشيطان إلا غروراً.

٧ - الصوفية تدعي أنها الطريق المؤدية إلى السعادة الأبدية التي لا تزيد عن كونها تلبيساً وخدعة.

والشيوعية تدعي أنها تؤدي إلى نعيم الإنسان، والذي لا يزيد عن كونه تلبيساً وخدعة.

٨ - كلتاهما تنبذان الآخرة (مر معنا قولهم: اخلع نعليك الدنيا والآخرة).

٩ - كلتاهما تستعملان في خداعهما ومراوغتهما أسلوب إماته الاحتمالات الحية، وتحريك الاحتمالات الميتة وتسليط الأضواء عليها حتى تبدو وكأنها حية!

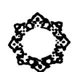
تشابهٌ بين الضلالتين يثير الانتباه، وتلاقٍ يبعث على التساؤ ل؟

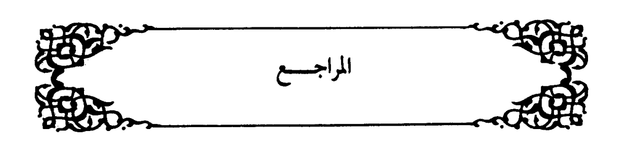
وبرسم الخطّين البيانيين للمسيرتين، مسيرة الصوفية، ومسيرة الشيوعية التي هي التطبيقُ العملي لأسطورة الشعب المختار، برسم خطيهما البيانيين تاريخيًا وجغرافيًا، وملاحظة حاجة الصوفية إلى أساليب جديدة في الخداع والمناورة تتفق مع واقع الإنسانية الفكري في عصرها الحاضر ومستقبلها، أساليب مبنية على قوانين العلم في النفس والمجتمع والدعاية وتحريك الجماهير، وقد أتقنت الشيوعية هذه الأساليب وطورتها وتطورها؛ وكذلك مع ملاحظة حاجة الشيوعية لما يسمونه «الروحانيات» كبديلٍ للدين، لأن تجارب الشيوعية (أو اليهودية لا فرق) أثبتت لها أن التديّن غريزة في الإنسان لا يمكن فصله عنه.

مع ملاحظة هذه الأمور، نستطيع أن نظن، مع الترجيح، أن القيامة ستقوم على الشيوعية الممزوجة بالصوفية، ولا يعلم الغيب إلا الله سبحانه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

﴿ربَّنا آتِنا مِن لَدُنْكَ رحمةً وهَيِّىء لنا من أمرِنا رَشَداً﴾
﴿مَن يَهْدِ الله فهو المُهْتَدِ ومَن يُضْلِلْ فلنْ تَجِدَ لهُ وليًّا مُرْشِداً﴾





المراجـــع

● **آراء نقـديـة في مشكـلات الدين والفلسفة والمنطق**: الدكتور مهدي فضل الله، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، دار الأندلس.

● **الإبـريـز**: الـذي تلقـاه نجم العـرفـان الحافظ سيدي أحمد بن المبارك عن قطب الـواصلين سيـدي عبـد العـزيـز الـدبـاغ، وبهـامشه كتابان «درر الغواص» ثم «الجواهر والدرر»، يطلب من مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده، ميدان الأزهر.

● **ابن سبعـين وفلسفتـه الصـوفيـة**: د. أبـو الـوفا الغنيمي التفتازاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، الطبعة الأولى ١٩٧٣.

● **ابن عربي، حيـاتـه ومـذهبـه**: آسين بلاثيوس، ترجمه عن الإسبانية عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٩م.

● **أبـو بكـر الشبـلي، حيـاتـه وآراؤه**: عبـد الحليم محمود، شيخ الأزهر، منشورات المكتبة العصرية، بيروت ـ صيدا.

● **أبـو الحسن الشـاذلي**: الإمـام الأكـبر الـدكتـور عبد الحليم محمود شيخ الأزهر، الناشر: دار الإسلام القاهرة، والمكتبة العصرية بيروت، ١٣٨٧هـ / ١٩٦٧م.

● **أبـــو مدين الغـوث**: د. عبـد الحليم محمـود شيـخ الأزهـر، منشـورات المكتبـة

العصرية، بيروت - صيدا.

● **أحــلام اليقظـة**: جورج هنـري جرين، ترجمـة إبـراهيم حافـظ، راجعـه زكي المهندس بك، الطبعة الأولى، لجنة البيان العربي.

● **إحياء علوم الدين**: الغزالي (٤ مجلدات)، يطلب من مكتبة عبد الوكيل الدروبي في دمشق، وبهامشـه ثلاثـة كتب «تعـاريف الأحيـاء بفضائل الإحياء»، ثم «الإملاء في إشكالات الإحياء»، ثم «عوارف المعارف».

● **أبو العباس المرسي (العارف بالله)**: د. عبد الحليم محمود، الطبعة الثانية.

● **أربع رسائل إسماعيلية**: تحقيق عارف تامر.

● **أخبـار الحـلاج**: (ومعـه الطـواسين ومجموعة من شعره)، بعناية الناشر، وتقديم وتعليق وتصحيـح عبـد الحفيـظ بن محمـد مدني هاشم، طبعة ثانية، رمل الاسكندرية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **الأدب الصوفي في مصر في القرن السابع الهجري**: د. علي صافي حسين.

● **إدمـان المخـدرات (أضـرارهـا وعـلاجهـا)**: نخبـة من أسـاتذة كليات الطب، إعداد: محمد رفعت، رئيس تحرير مجلة «طبيبك الخاص»، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

● **أديـان الهنـد الكـبرى (الهنـدوسيـة، الجينية، البوذية، ملحق خاص عن قضية الألوهية)**: الدكتور أحمد شلبي، الطبعة الرابعة، ١٩٧٦م.

● **الأسـرار الـربـانية والفيوضات الرحمانية على الصلوات الدرديرية**: للإمام الهمام العـالم العـامـل واللوذعي الكـامـل العـارف بالله تعـالى شيخنا وأستاذنا معدن الشريعة والحقيقة الشيخ أحمد الصاوي المالكي الخلوتي.

● **الإشـارات الإلهيـة**: لأبي حيـان التوحيدي، حققه وقدم له عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات الكويت، دار القلم بيروت، الطبعة الأولى، ١٩٨١م.

● **اصطلاحات الصوفية**: عبد الرزاق القاشاني، تقديم وتحقيق: د. عبد اللطيف

محمد العبد، الطبعة الأولى، ١٣٩٧هـ / ١٩٧٧م.

● **الأعلام**: خير الدين الزركلي.

● **أعلام التصوف الإسلامي**: بقلم أحمد أبو كف، دار الهلال.

● **أعلام ليبيا**: الطاهر أحمد الذادي الطرابلسي، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ / ١٩٧١م.

● **أفضل الصلوات على سيد السادات**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، دار الفكر.

● **الإلهامات الإلهية على الوظيفة الشاذلية اليشرطية**: الشيخ محمود أبو الشامات الدمشقي، الطبعة الثانية، ١٣٥٠هـ ـ ١٩٦٠م.

● **أناشيد الصفا في مدح المصطفى ﷺ، ومولد البرزنجي**: طبعة جديدة، جمع وإعداد مكتبة الغزالي، دمشق ـ بيروت.

● **الإمام السرهندي، حياته وأعماله (سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الثالث)**: تأليف أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م.

● **الإمام الدهلوي (من سلسلة رجال الفكر والدعوة في الإسلام، الجزء الرابع)**: تأليف أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● **إلجام العوام عن علم الكلام**: أبو حامد الغزالي.

● **الإنسان الكامل في الإسلام**: الدكتور عبد الرحمن بدوي، الطبعة الثانية، مايو ١٩٧٦م.

● **الإنسان الكامل في معرفة الأواخر والأوائل**: الشيخ عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، جزءان في مجلد، الطبعة الرابعة، ١٣٩٥هـ ـ ١٩٧٥م.

● **الأنوار القدسية في بيان آداب العبودية**: عبد الوهاب الشعراني، جزءان في هامش الطبقات الكبرى للمؤلف (مجلد واحد).

● **الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية (جزءان)**: الإمام العلامة عبد الوهاب

الشعراني، حققه وقدم له طه عبد الباقي سرور، الطبعة الأولى .

● **إيضاح أسرار علوم المقربين**: السيد الشريف والمولى المنيف، بركة الأنام وقطب الزمان، مربي المريدين، الإمام جمال الدين الشيخ محمد بن عبد الله بن شيخ العيدروس باعلوي، ويليه كتابان «الكبريت الأحمر» و«غاية القرب»، المكتبة النبهانية الكبرى، سربايا، جاوى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م، رقم ١١، مصطفى البابي الحلبي وأولاده .

● **إيقاظ الهمم في شرح الحكم**: للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني وبحاشيته الفتوحات الإلهية للمؤلف، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان .

● **الأوراد الخلوتية (الصلوات الدرديرية)** .

● **أغرب القبائل والشعوب بالقرن العشرين**: الجزء الأول، رياض مصطفى العبد الله، الطبعة الأولى .

● **بد العارف**: ابن سبعين، تحقيق وتقديم د. جورج كتورة، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م، دار الأندلس ودار الكندي، بيروت .

● **بدائع الزهور في وقائع الدهور**: العالم الفاضل . . . محمد بن أحمد بن إياس الحنفي، دار الكتب العلمية، بيروت .

● **بداية الطريق إلى مناهج التحقيق في ظلال الشريعة ورحاب الحقيقة**: السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني، (سلسلة من الشرق والغرب)، الدار القومية للطباعة والنشر .

● **بغية المستفيد لشرح منية المريد**: تأليف سيدي محمد العربي السائح الشرقي العمري التجاني، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار العلم للجميع .

● **بهجة الأسرار ومعدن الأنوار**: نور الدين أبي الحسن علي بن يوسف بن جرير اللخمي الشطنوفي، في بعض مناقب القطب الرباني محيي الدين أبي محمد عبد القادر الجيلاني .

● **بوارق الحقائق**: القطب الغوث الفرد المتمكن العارف بالله . . . الشيخ الكبير السيد بهاء الدين محمد مهدي الشيوخي الشهير بالرواس ابن السيد علي ابن السيد نور

الدين الرديني الرفاعي الصيادي، عني بنسخه وتحقيقة وطبعه ونشره: عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● البهجة الخالدية: مع «السعادة الأبدية»، ثم «الحقيقة الندية»، ثم «البهجة الخالدية»، محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي، إستانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● تاج العروس الحاوي لتهذيب النفوس: تأليف الشيخ الإمام تاج الدين أبي العباس أحمد بن عطاء الله السكندري ويليه منظومة «بدء الأماني». . الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

● تاريخ العلويين: محمد أمين غالب الطويل، الطبعة الرابعة، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● تاريخ الفلسفة اليونانية: يوسف كرم، طبعة جديدة، دار القلم، بيروت.

● تحفة السفرة إلى حضرة البررة: سلطان العارفين الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، حققه وعلق عليه محمد رياض المالح، دار الكتاب اللبناني، بيروت.

● تربيتنا الروحية: سعيد حوى، الطبعة الأولى.

● التصوف الإسلامي: زكي مبارك.

● التصوف الإسلامي الخالص: السيد محمود أبو الفيض المنوفي، دار نهضة مصر للطبع والنشر، الفجالة، القاهرة.

● التصوف بين الحق والخلق: فهر الشقفة.

● التصوف الثورة الروحية في الإسلام: د. أبو العلا عفيفي، دار الشعب، بيروت.

● التصوف عند ابن سينا: د. عبد الحليم محمود، مكتبة الأنجلو المصرية.

● التصوف عند المستشرقين: أحمد الشرباصي (سلسلة الثقافة الإسلامية ٢٧)، شوال ١٣٨٠هـ - مارس ١٩٦١م.

● **التصـــوف في الإسـلام**: د. عمـر فروخ، عن دار الكتـاب العـربي، بيروت، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **تحقيق ما للهنـد من مقـولـة مقبـولة في العقل أو مرذولة**: (انظر الفلسفة الهندية) لأبي الـريحـان محمـد بن أحمد البيروني، راجعه وقدم له د. عبد الحليم محمود وعثمان عبد المنعم يوسف، مع مقارنة.

● **التصوف وأقطابه**: الشيخ محمد محمود السطوحي، شيخ مشايخ الطرق الصوفية (كتاب الجمهورية الديني) أول يوليو، العدد ١٠، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **التعـرف لمذهب أهـل التصـوف**: تأليف تاج الإسلام أبوبكر محمد الكلاباذي، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان.

● **تلاوة الأوراد وإقامة الأذكار في الطريقة الشاذلية اليشرطية**: فاطمة اليشرطية الحسينية.

● **تلبيس إبليس**: ابن الجوزي، عني بنشره وقدم له . . . محمود مهدي استانبولي، ١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م.

● **تنزيه السنة والقرآن عن أن يكونا من أصول الضلال والكفران**: أحمد بن حجر آل بوطامي آل بن علي، الدوحة، ١٣٩٩هـ.

● **التنـويـر في إسقـاط التـدبـير**: الشيـخ الإمام ابن عطاء الله السكندري، تحقيق وتعليق موسى محمـد علي، وعبـد العـال أحمـد العـرابي، دار الـتراث العـربي للطبـاعة والنشر، ميدان المشهد الحسيني.

● **تنـويـر القلوب في معـاملة علام الغيوب**: تأليف مولانا العارف بالله الشيخ محمد أمين الكـردي الإربـلي الشـافعي مذهباً النقشبندي مشرباً، الطبعة التاسعة ١٣٧٢هـ، ومقدمة الكتاب لخليفته مولانا (الشيخ سلامة العزامي)، يترجم بها للمؤلف.

● **تقـريب الأصـول لتسهيـل الـوصـول**: أحمد زيني الدحلان، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٥هـ - ١٩٦٥م.

● **تنبيـــه المغـترين أواخـر القـرن العـاشـر على ما خالفـوا فيـه سلفهم الطـاهـر**:

للشعراني، ويليه «الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين» للغزالي، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **الثقافة الإسلامية في الهند «معارف العوارف في أنواع العلوم والمعارف»**: تأليف عبد الحي الحسني، راجعه وقدم له أبو الحسن علي الحسني الندوي، الطبعة الثانية، دمشق، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق.

● **جامع كرامات الأولياء**: يوسف بن إسماعيل النبهاني، جزءان في مجلدين، تحقيق ومراجعة: إبراهيم عطوة عوض، الطبعة الثانية، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

● **جمهرة الأولياء وأعلام أهل التصوف**: تأليف العالم الجليل السيد محمود أبو الفيض المنوفي الحسيني (جزءان في مجلد)، الطبعة الأولى، ١٣٨٧هـ - ١٩٦٧م.

● **الجواهر والدرر**: مما استفاده سيدي عبد الوهاب الشعراني من شيخه سيدي علي الخواص أيضاً للقطب العارف بالله سيدي عبد الوهاب الشعراني، في هامش الإبريز.

● **جولات في الفقهين الكبير والأكبر وأصولهما**: سعيد حوى، دار الأرقم - عمان، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

● **الحديقة الندية في الطريقة النقشبندية**: للعلامة محمد بن سليمان البغدادي الحنفي النقشبندي، (مع كتاب السعادة الأبدية، ويليه البهجة الخالدية)، إستانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **حاشية العلامة الصاوي على شرح الخريدة البهية لأبي البركات سيدي أحمد الدردير**: تطلب من مكتبة القاهرة لصاحبها علي يوسف سليمان.

● **الحشيش قاتل الإنسان ودعامة الاستعمار**: هادي المدرِّس، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

● **حقائق عن التصوف**: عبد القادر عيسى، الطبعة الثانية، ١٣٩٠هـ - ١٩٧٠م.

● **الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي**: محمود البهلي النيال، نشر مكتبة النجاح - تونس، ١٣٨٤هـ.

● **حقيقة البابية والبهائية**: الدكتور محسن عبد الحميد، جامعة بغداد، الطبعة الثانية.

● **حكاية إبليس بما أخبر به النبي المعظم ﷺ**: تلي «شجرة الكون» في كتاب واحد، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **حلية الأولياء**: أبو نعيم الأصفهاني.

● **حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب**: لعماد الدين الأموي، الكتاب الثاني بهامش «قوت القلوب».

● **حاشية العروسي**: انظر «نتائج الأفكار القدسية».

● **الحلاج**: طه عبد الباقي سرور.

● **حي بن يقظان**: لابن طفيل، قدم له وحققه فاروق سعد، الطبعة الثالثة.

● **الخير الكثير الملقب بخزائن الحكمة**: ولي الله الدهلوي، الطبعة الأولى، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م، دار الطباعة المحمدية بالأزهر.

● **الخطوط العريضة**: السيد محب الدين الخطيب، ويليها «مؤتمر النجف»، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، (لعلها الطبعة التاسعة).

● **درر الغواص على فتاوى سيدي علي الخواص**: الأول على هامش «الإبريز»، عبد الوهاب الشعراني.

● **دلائل الخيرات**: ويليه قصيدة «البردة» . . محمد بن سليمان الجزولي.

● **الدواوين الست**: لشيخ الإسلام وغوث الزمان الحاج إبراهيم ابن الشيخ الحاج عبد الله الكولخي، علق عليها الشيخ الحاج أبو بكر عتيق ابن المرحوم الخضر الكشناوي ثم الشيخ الحاج محمد الثاني ابن المرحوم الحسن كافنغ.

● **ديوان البرعي**: الطبعة الأخيرة، ١٣٨٩هـ - ١٩٧٠م، المكتبة الثقافية، بيروت، لبنان.

● **ديوان الحلاج**: صنعه وأصلحه الدكتور كامل مصطفى الشيبي.

● **ديوان ترجمان الأشواق**: ابن عربي.

● **الرسالة القشيرية في علم التصوف**: الإمام الجامع بين الشريعة والحقيقة أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري، وعليها هوامش من شرح شيخ الإسلام زكريا الأنصاري، الناشر دار الكتاب العربي بيروت.

● **رسالة المسترشدين**: الحارث المحاسبي. المقدمة لعبد الفتاح أبو غدة.

● **رسائل ابن سبعين**: سلسلة تراثنا، حققه وقدم له الدكتور عبد الرحمن بدوي، نشر الدار المصرية للتأليف والترجمة.

● **رسائل ابن عربي**: للشيخ الأكبر محيي الدين أبي عبد الله العربي الحاتمي، الطبعة الأولى، بمطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية بعاصمة الدولة الآصفية، حيدرآباد الدكن، ١٣٦١هـ.

● **الرمز الشعري عند الصوفية**: الدكتور عاطف جودة نصر، الطبعة الأولى، ١٩٧٨م.

● **روضة التعريف بالحب الشريف**: الوزير لسان الدين بن الخطيب، تحليل وتعليق وتقديم عبد القادر أحمد عطا (عبد الستار)، ملتزم الطبع والنشر دار الفكر العربي.

● **رشح الزلال في شرح الألفاظ المتبادلة بين أرباب الأذواق والأحوال**: عبد الرزاق القاشاني.

● **رسالة الأنوار**: ابن عربي.

● **سر العالمين، ومعه الدرة الفاخرة في كشف علوم الآخرة**: للإمام حجة الإسلام أبي حامد محمد بن محمد بن محمد الغزالي، المتوفى سنة ٥٠٥هـ، الناشر: مكتبة الجندي بمصر (صاحبها محمد علي الجندي)، تقديم مصطفى أبو العلا الشهير بحامد.

● **سد هارتا**: هيرمان هيسّيه، ترجمة سمير علي، منشورات وزارة الثقافة والإعلام ١٩٨١م، الجمهورية العراقية، سلسلة الكتب المترجمة (١٠٧).

● **سراج القلوب وعلاج الذنوب**: للشيخ أبي علي زين الدين علي المعيري الفناني (الكتاب الأول بهامش قوت القلوب).

● **السعادة الأبدية فيما جاء به النقشبندية**: للحقير الفاني عبد المجيد بن محمد الخاني الخالدي النقشبندي . . . (ويليه الحديقة الندية، ثم البهجة الخالدية، اعتنى بطبعه حسين حليم بن سعيد استانبولي، استانبول ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م.

● **سنن ابن ماجة**.

● **سنن أبي داود**.

● **سنن الترمذي**.

● **السيد عبد الرحيم القنائي (شخصيات صوفية)**: صلاح عزام، الشعب، القاهرة، جمادى الأولى ١٣٩٠هـ - يوليو ١٩٧٠م.

● **السر الأبهر في أوراد القطب الأكبر سيدي أحمد التجاني**: الجوسقي، قبله ثلاثة كتب في مجلد واحد: «الفتح الرباني»، «الفتوحات الربانية»، «النفحة الأقدسية».

● **الشبك**: من فرق الغلاة في العراق، أحمد حامد الصراف، مطبعة المعارف، بغداد، ١٣٧٣هـ - ١٩٥٤م.

● **شجرة الكون**: الشيخ الأكبر سيدي محيي الدين بن العربي (ويليها حكاية إبليس)، الطبعة الأخيرة، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٨م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **شرح الرسالة القشيرية (بهامش نتائج الأفكار القدسية)**: لزكريا الأنصاري.

● **شرح كلمات الصوفية**: الرد على ابن تيمية، من كلام الشيخ الأكبر محيي الدين بن العربي، جمع وتأليف محمود محمد الغراب، ١٤٠٢هـ - ١٩٨١م.

● **شروح رسالة الشيخ أرسلان (ومنها شرح عبد الغني النابلسي)**.

● **شرح دعاء السحر**: لسماحة آية الله العظمى الإمام الخميني دامت بركاته، قدم عليه السيد أحمد الفهري، مؤسسة الوفاء، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م.

● **شرح مجموع الأوراد (شرح أوراد العارف بالله المرحوم الشيخ عبد الرحمن بن الشيخ حسين الشريف الحسيني)**: لحفيد المؤلف محمد عادل الشريف الحسيني الخليلي، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● **شطحات الصوفية**: عبد الرحمن بدري، طبعة ثالثة، ١٩٧٦م.

● **شمس المعارف الكبرى**: للشيخ أحمد بن علي البوني (٤ أجزاء في مجلد، ويليه رسالة «ميزان العدل في مقاصد أحكام الرمل»، ورسالة «فواتح الرغائب» . . . ورسالة «زهر المروج» ورسالة «لطائف الإشارة»، تأليف عبد القادر الحسيني الأدهمي.

● **شيخ الشيوخ أبو مدين الغوث، حياته ومعراجه إلى الله**: الإمام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود، شيخ الإسلام، المكتبة العصرية، صيدا - بيروت.

● **شرح القاشاني على الفصوص**: انظر «فصوص الحكم».

● **شرح الطريقة المحمدية**: عبد الغني النابلسي.

● **شذرات الذهب في أخبار من ذهب**: لابن العماد.

● **الشيعة في الميزان**: محمد جواد مغنية، دار الشروق، بيروت.

● **صحيح مسلم**.

● **صفة الصفوة**: ابن الجوزي.

● **الصوفية بين الأمس اليوم**: دكتور سيد حسين نصر، ترجمة د. كمال خليل يازجي، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م.

● **الصوفية في نظر الإسلام**: سميح عاطف الزين، الطبعة الثانية، دار الكتاب اللبناني، ودار الكتاب المصري.

● **الصلة بين التصوف والتشيع**: الدكتور كامل مصطفى الشيبي، مطبعة الزهراء، بغداد، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٣م.

● **طبقات الأولياء**: لابن الملقن، سراج الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد المصري، الطبعة الأولى، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م. حققه وخرجه نور الدين شريبة (مجمع

البحوث الإسلامية، الأزهر).

● **طبقات الصوفية**: أبو عبد الرحمن السلمي، تحقيق نور الدين شريبة، الطبعة الثانية، ١٣٨٩هـ - ١٩٦٩م، مكتبة الخانجي.

● **الطبقات الكبرى المسماة بلواقح الأنوار في طبقات الأخيار**: أبو المواهب عبد الوهاب بن أحمد بن علي الأنصاري «الشعراني» (جزءان في مجلد)، وبهامشه الأنوار القدسية ١ و ٢.

● **الطواسين**: الحلاج، أعادت طبعه بالأوفست مكتبة المثنى - بغداد.

● **علم الأدوية الخاص (الفارماكولوجيا)**: الدكتور أكرم المهايني، الطبعة الرابعة، مطبعة جامعة دمشق، ١٩٨٠ - ١٩٨١.

● **علم القلوب**: أبو طالب المكي، حققه وعلق حواشيه وقدمه عبد القادر أحمد عطا، الناشر مكتبة القاهرة.

● **عمر بن الفارض من خلال شعره**: ميشال فريد غريب، الطبعة الأولى، سلسلة أعلام التصوف.

● **عوارف المعارف**: شهاب الدين السهروردي البغدادي، بهامش الإحياء.

● **غاية الأماني في مناقب وكرامات أصحاب الشيخ سيد أحمد التجاني**: جمع وتأليف محمد السيد التجاني، الطبعة الثانية، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان.

● **الغنية لطالبي طريق الحق**: (جزءان في مجلد واحد)، للشيخ عبد القادر الجيلاني، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان.

● **غاية القُرَب في شرح نهاية الطلب**: لولي الله الشريف الحبيب محيي الدين عبد القادر ابن شيخ العيدروس، قبله «إيضاح أسرار العلوم» و «الكبريت الأحمر» في مجلد واحد.

● **فتح الباري شرح صحيح البخاري**: ابن حجر العسقلاني.

● **الفتح الرباني**: سيدي عبد القادر الجيلاني، دار الكتاب العربي، بيروت.

● **الفتح الربـاني فيـما يحتـاج إليـه المـريـد التجاني** : محمد بن عبد الله بن حسنين الشـافعي الطصفـاوي التجـاني، ويليه ثلاث رسائل : «الفتوحات الربانية»، و«النفحة الأقدسية»، و«السر الأبهر»، الطبعة الثالثة، ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.

● **الفتـوحـات الإلٰهيـة في شرح المباحث الأصلية (في حاشية إيقاظ الهمم)** : كلاهما للعارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان.

● **الفتوحات الربانية في الطريقة الأحمدية التجانية** : للشنقيطي (قبله الفتح الرباني فيـما يحتـاج إليـه المـريـد التجـاني، وبعده «النفحة القدسية» . . و«السر الأبهر» في مجلد واحد، الطبعة الثالثة، ١٣٧٧هـ - ١٩٨٥م.

● **الفتوحات المكية** : ابن عربي.

● **فتوح الغيب** : سيدي عبد القادر الجيلاني، الطبعة الثانية، ١٣٩٢م - ١٩٧٣م، مصطفى البابي الحلبي وأولاده.

● **فصـوص الحكم** : الشيـخ الأكـبر محيي الـدين بن عربي، المتوفى سنة ٦٣٨هـ، والتعليقـات عليـه بقلم (أبـو العـلا عفيفي)، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، دار الكتاب العربي، بيروت، لبنان.

● **فصـوص الحكم** : محيي الـدين بن عربي، شرح الشيـخ عبـد الرزاق القاشاني، المطبعة الميمنية بمصر.

● **الفكر الشيعي والنزعات الصوفية حتى القرن الثاني عشر** : كامل مصطفى الشيبي.

● **الفكـر الصـوفي في ضوء الكتـاب والسنـة** : عبـد الـرحمن عبـد الخـالق، الطبعة الأولى، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م.

● **الفكر الصيني** : H. G. Creal ترجمة عبد الحميد سليم، مراجعة علي أدهم.

● **الفلسفـة الهنـديـة مع مقـارنة بفلسفة اليونان والتصوف الإسلامي** : البيروني،

راجعه وقدم له الدكتور عبد الحليم محمود، عثمان عبد المنعم يوسف، وهو فصول من كتاب: «تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقل أو مرذولة» للبيروني.

● **الفيوضات الربانية في المآثر والأوراد القادرية**: جمع وترتيب العبد الفقير الحاج إسماعيل بن السيد محمد سعيد القادري، ويليه القصيدة الخمرية، دار إحياء الكتب العربية، عيسى البابي الحلبي وشركاه.

● **في التصوف الإسلامي وتاريخه**: رينولد. ا. نيكولسون، نقلها إلى العربية أبو العلا العفيفي، ١٣٨٨هـ - ١٩٦٩م.

● **الفكر الفلسفي الهندي**: سرفبالي راداكْرِشنا، ترجمة ندرة اليازجي، ١٩٦٧م.

● **فصل الخطاب فيما تنزلت به عناية الكريم الوهاب**: محمد مهدي الصيادي (الرواس)، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● **الفرق بين الفرق**: عبد القاهر بن طاهر البغدادي الإسفراييني، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد.

● **القاديانية**: د. حسن عيسى عبد الظاهر.

● **قصة التغلب على الألم**: الدكتور نقولا فياض، حزيران (يونيو) ١٩٧٩م.

● **القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد**: لابن عطاء الله السكندري، منشورات مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده بمصر.

● **قلائد الجواهر**: العلامة المرحوم الشيخ محمد بن يحيى التادفي الحنبلي، وبهامشه كتاب «فتوح الغيب» للجيلاني، طبع بمطبعة مصر، شركة مساهمة مصرية، ويطلب من مكتبة الشيخ مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر.

● **قلادة الجواهر في ذكر الغوث الرفاعي وأتباعه الأكابر**: تأليف مولانا العالم العلامة الفاضل والجهبذ النحرير... محمد أبي الهدى أفندي الرفاعي الخالدي الصيادي، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، بيروت، لبنان.

● **قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد**:

للشيخ أبي طالب المكي (جزءان في مجلد)، وبهامشه كتابان جليلان «سراج القلوب» و «حياة القلوب».

● **الكبريت الأحمر في بيان علوم الشيخ الأكبر**: (بهامش اليواقيت والجواهر)، كلاهما للشعراني، مجلدان، دار المعرفة، بيروت، لبنان.

● **الكبريت الأحمر والإكسير الأكبر المعبر عنه بالدر والجوهر**: للعارف بالله الشريف الحبيب عبد الله بن أبي بكر العيدروس، قبله كتاب: «إيضاح أسرار علوم المقربين»، وبعده: «القرب في شرح نهاية الطلب»، كلها في مجلد واحد باسم الكتاب الأول، المكتبة النبهانية الكبرى، سربايا، جاوى، ١٣٥٢هـ - ١٩٣٣م.

● **كتاب الرياضة وأدب النفس**: للإمام أبي عبد الله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي، عني بإخراجه الدكتور ا. ج. آربري - الدكتور علي حسن عبد القادر، ١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م.

● **الكامل في التاريخ**: عز الدين بن الأثير.

● **كشف الأسرار لتنوير الأفكار**: للشيخ مصطفى بن محيي الدين نجا، الطبعة الرابعة، ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.

● **كشف الحجاب عمن تلاقى مع الشيخ التجاني من الأصحاب**: للعلامة سيدي الحاج أحمد بن الحاج العياشي سكيرج، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

● **كشف الظنون**: حاجي خليفة.

● **الكشف والتبيين في غرور الخلق أجمعين**: ملحق بكتاب «تنبيه المغترين» للغزالي.

● **اللطائف الروحية لأبناء الطريقة الشاذلية اليشرطية**: مطبعة الإنصاف، بيروت، (تصوير سحب).

● **اللمع**: لأبي نصر السراج الطوسي، حققه وقدم له وخرج أحاديثه الدكتور عبد الحليم محمود، وطه عبد الباقي سرور، ١٣٨٠هـ - ١٩٦٠م، لجنة نشر التراث الصوفي.

● **ميزان الاعتدال**: الذهبي.

● **ما قبل الفلسفة**: هـ. فرانكفورت ـ هـ. أ، فرانكفورت ـ جون. أ. ولسن ـ توركيـد جاكوبس. ترجمة: جبرا إبراهيم جبرا، مراجعة الدكتور محمود الأمين، منشورات دار مكتبة الحياة، فرع بغداد، ١٩٦٠.

● **محمد في الكتاب المقدس**: البروفيسور دافيد بنجامين الكلداني (عبد الأحد داود)، ترجمة فهمي شما، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م.

● **المجموعة النادرة لأبناء الآخرة**: (أربعة كتب في كتاب)، محمد مهدي الصيادي الرواس، عني بتحقيقها وجمعها عبد الحكيم بن سليم عبد الباسط، مكتبة النجاح، طرابلس، ليبيا.

● **مجموع أوراد الطريقة الخلوتية الجامعة الرحمانية**: جمع وطبع على نفقة الفقير إلى الله تعالى ياسين بن الشيخ حسني الدين القاسمي الخليلي، خادم الطريقة الخلوتية، الطبعة الأولى، سنة ١٣٨٧هـ.

● **مجموعة ساعة الخير**: تشتمل على حكم السبعة الأفلاك ومعرفة أسماء البروج ومعرفة منازل القمر، مأخوذة عن سيدي محيي الدين بن العربي، جعلها للأولياء الصالحين والطائفين المريدين، الطبعة الأخيرة، ١٣٦٨هـ ـ ١٩٤٩م.

● **محاضرة الأبرار ومسامرة الأخيار**: للشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، الجزء الأول، تحقيق محمد موسى الخولي، القاهرة، شعبان ١٣٩٢هـ، أكتوبر ١٩٧٢م.

● **محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والمتكلمين**: للإمام الأعظم فخر الدين محمد بن عمر الخطيب الرازي، وبذيله تلخيص المحصل للعلامة نصير الدين الطوسي، راجعه وقدم له طه عبد الرؤوف سعد.

● **المخدرات**: الدكتور صلاح يحياوي، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م.

● **المسلك القريب لكل سالك منيب**: الحبيب الفاضل العالم العامل . . . سيدنا الحبيب طاهر بن حسين بن طاهر، المكتبة الشعبية.

● **مسند الإمام أحمد بن حنبل**.

● **مشكاة الأنوار**: أبو حامد الغزالي، حققها وقدم لها الدكتور أبو العلا عفيفي، القاهرة، ١٣٨٣هـ - ١٩٦٤م.

● **مصرع التصوف**: برهان الدين البقاعي، تحقيق عبد الرحمن الوكيل، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م.

● **معارج القدس في مدارج معرفة النفس**: حجة الإسلام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي، وتليها القصيدة الهائية والقصيدة التائية للمؤلف، الطبعة الرابعة، ١٩٨٠م.

● **المربي**: محمد محمد أبو خليل.

● **معالم الطريق إلى الله**: محمود أبو الفيض المنوفي، دائرة المعارف الصوفية، دار نهضة مصر للطبع والنشر.

● **معجم مصطلحات الصوفية**: دكتور عبد المنعم الحفني.

● **مفتاح الفلاح ومصباح الأرواح**: تاج الدين أحمد بن محمد بن عطاء الله السكندري، الطبعة الأولى، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، مصطفى البابي الحلبي.

● **مقدمة ابن خلدون**: ابن خلدون.

● **من أعلام التصوف الإسلامي**: طه عبد الباقي سرور، لجنة الدراسات الصوفية، مكتبة نهضة مصر ومطبعتها.

● **المناظر الإلهية**: للعارف بالله تعالى الإمام سيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، الطبعة الأولى، ١٣٨٢هـ - ١٩٦٢م.

● **من الفكر الصوفي الإيراني المعاصر**: «معالم الفكر»، «نداء الحقيقة»، «رسالة القلب»، «نير وان»، تأليف مولانا محمد صادق عنقاشاه مقصود بير أويسي، ترجمة وتقديم دكتور السباعي محمد السباعي - دكتور إبراهيم الدسوقي شتا، دار الثقافة للطباعة والنشر بالقاهرة.

● **المنح القدوسية**: ابن عليوة المستغانمي، طبعة ثانية.

● **منظومة بدء الأماني في التوحيد**: لسراج الدين علي بن عثمان الأوشي الفرغاني، الطبعة الثانية، ١٣٧٥هـ - ١٩٥٦م.

● **المندل والخاتم السليماني والعلم الروحاني**: للإمام الغزالي، جمع وتأليف الأستاذ الكبير عبد الفتاح السيد الطوخي.

● **المنقذ من الضلال**: للغزالي، ويليه «تحفة الأريب» لعبد الله بن عبد الله، اعتنى بطبعه حسين حلمي بن سعيد استانبولي، استانبول، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م.

● **المنتخبات من المكتوبات للإمام الرباني المجدد للألف الثاني أحمد الفاروقي السرهندي**: تعريب محمد مراد المنزاوي تولداً، المكي توطناً، استانبول، تركيا، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

● **المواقف الإلهية**: ابن قضيب البان.

● **ميزاب الرحمة الربانية في التربية بالطريقة التيجانية**: الشيخ العلامة العارف بالله سيدي عبيدة بن سيدي محمد الصغير بن أنبوجة الشنقيطي التيشيتي، دار العلم للجميع، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م.

● **ميزان العمل**: الغزالي، كتب المقدمة وترجم للمؤلف ونوه بالكتاب وصححه وعلق عليه فضيلة الشيخ محمد مصطفى أبو العلا، مدير عام التعليم الابتدائي بالأزهر الشريف.

● **نتائج الأفكار القدسية (أو حاشية العروسي)**: في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية، العنوان الموجود على الغلاف الداخلي هو: الجزء الأول من حاشية العالم العلامة الحبر الفهامة إمام الفضلاء الفخام وشيخ مشايخ الإسلام مظهر الفيض القدوسي الأستاذ السيد مصطفى العروسي، المسماة بنتائج الأفكار في بيان معاني شرح الرسالة القشيرية لشيخ الإسلام زكريا الأنصاري، وبهامشها الشرح المذكور.

● **نسيم السحر**: للعارف بالله تعالى الإمام سيدي عبد الكريم بن إبراهيم الجيلي، مكتبة الجندي بسيدنا الحسين بمصر.

● **نشأة التصوف**: عبد الكريم الخطيب.

● **النجوم الزاهرة**: ابن تغري بردي.

● **نشر المحاسن الغالية في فضل المشايخ الصوفية أصحاب المقامات العالية**: لأبي محمد عبد الله بن أسعد اليافعي، الطبعة الأولى، عام ١٣٨١هـ - ١٩٦١م.

● **النفحات الأقدسية في شرح الصلوات الأحمدية الإدريسية**: لمحمد بهاء الدين البيطار الشامي الميداني خادم الطريقة الرشيدية الأحمدية (سنة ١٣١٤هـ)، دار الجيل، بيروت.

● **نفحات الحق**: فاطمة اليشرطية، الطبعة الأولى.

● **النفحات الغزالية**: أبو بكر أبو بكر عبد الرزاق، المحامي بوزارة الأوقاف (مصر)، دار الفكر العربي.

● **النفحة العلية في الأوراد الشاذلية**: لجامعه عبد القادر زكي، على الغلاف الخارجي: الطبعة الثالثة، وعلى الغلاف الداخلي: الطبعة الثانية، المكتبة الشعبية، بيروت - لبنان.

● **النفحة القدسية في السيرة الأحمدية التيجانية**: للجوسقي، وهي رسالة في كتاب «الفتح الرباني فيما يحتاج إليه المريد التجاني» من ثلاث رسائل.

● **هذه هي الصوفية**: عبد الرحمن الوكيل، الطبعة الثالثة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، دار الكتب العلمية.

● **هياكل النور**: يحيى بن حبش السهروردي.

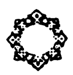
● **الوصايا**: لابن عربي، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت - لبنان.

● **ولاية الله والطريق إليها**: إبراهيم إبراهيم هلال، تقديم ابن الخطيب، دار الكتب الحديثة.

● **يسوع المسيح (شخصيته وتعاليمه)**: الأب بولس إلياس اليسوعي، الطبعة الثانية.

● **اليـواقيت والجـواهـر في بيان عقائد الأكابر** : (مجلدان)، عبد الوهاب الشعراني، دار المعرفة، بيروت ـ لبنان.

● **اليزيديون في حاضرهم وماضيهم** : السيد عبد الرزاق الحسني، الطبعة الثامنة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م.



الفهــــرس

القسم الثاني: المناقشات

